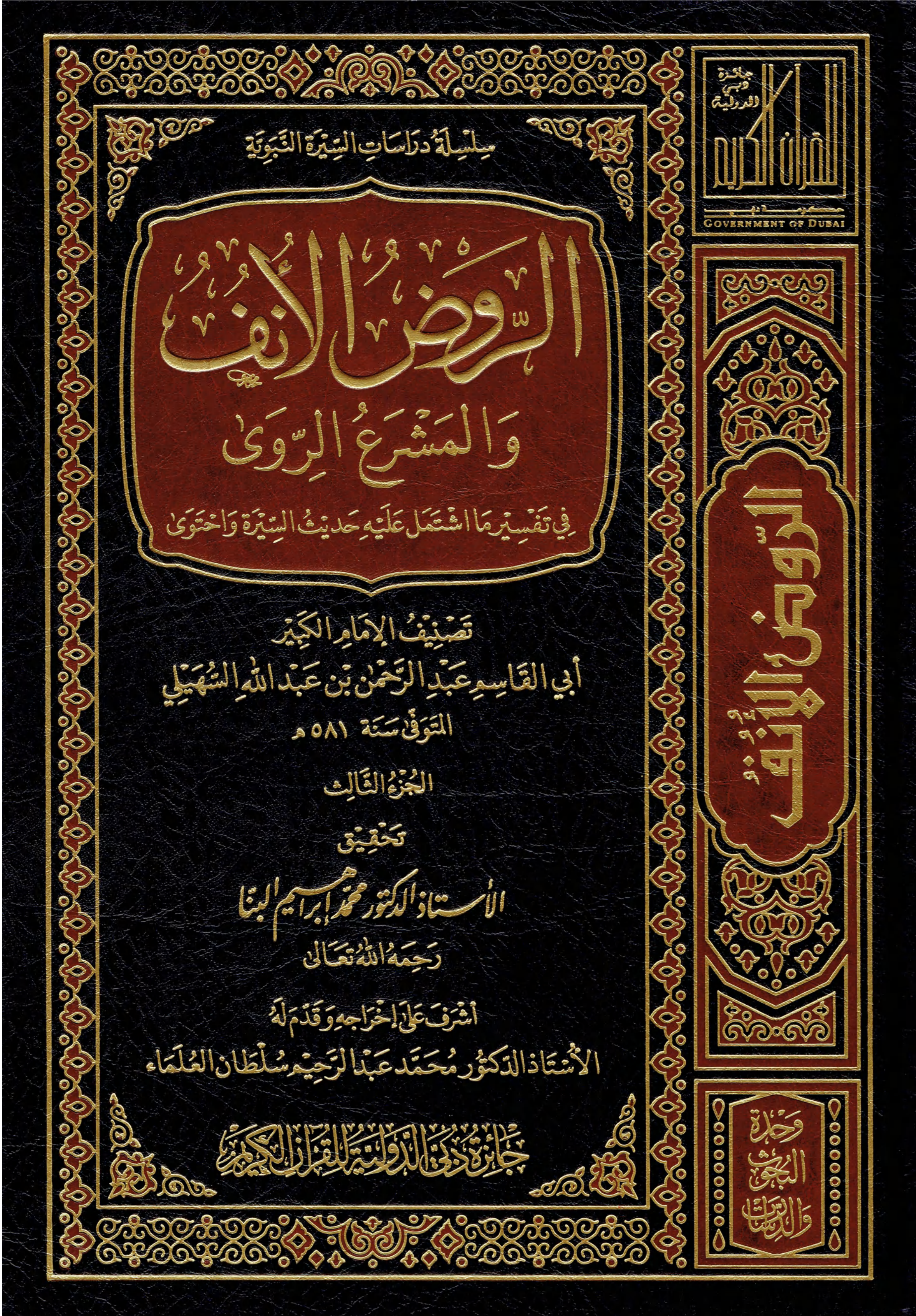
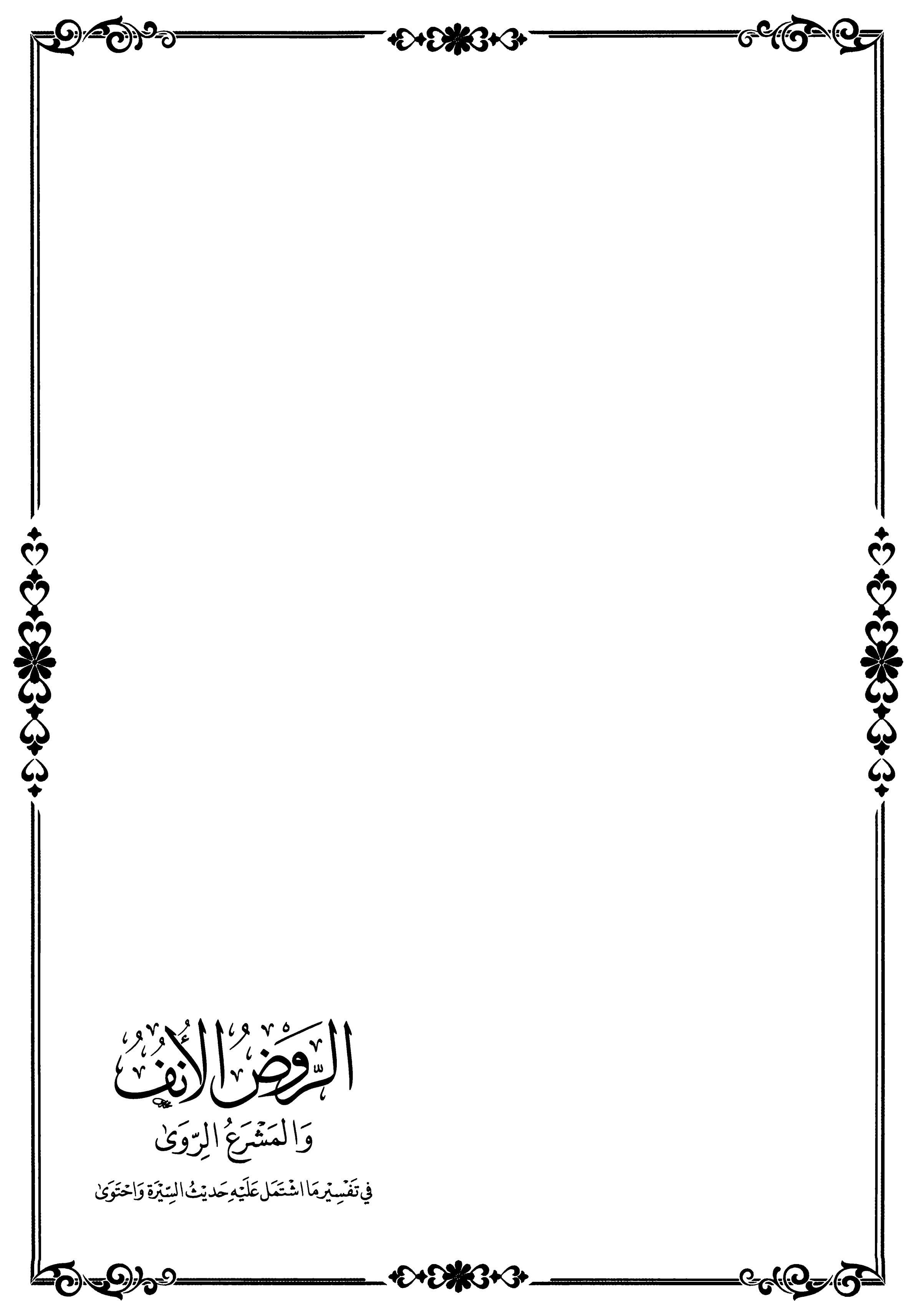

سلسلة دراسات السيرة النبوية
الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ
الجزء الثالث
تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى
أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
جائزة دبي الدولية القرآن الكريم
GOVERNMENT OF DUBAI
الروض الأنف
وحدة البحوث والدراسات



الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

الرّوض الأنف والمشرع الرِّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

تحقيق : الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنّا

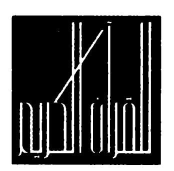
الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة

رقم (MC-03-01-2218168) تاريخ (٣٠/ ٠٣/ ٢٠٢١م)

الترقيم الدولي (ISBN) : 978-9948-8664-2-8







ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +

فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +

الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae

البريد الإلكتروني : research@quran.gov.ae





جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة دراسات السيرة النبوية

الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير

أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

المتوفى سنة ٥٨١ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

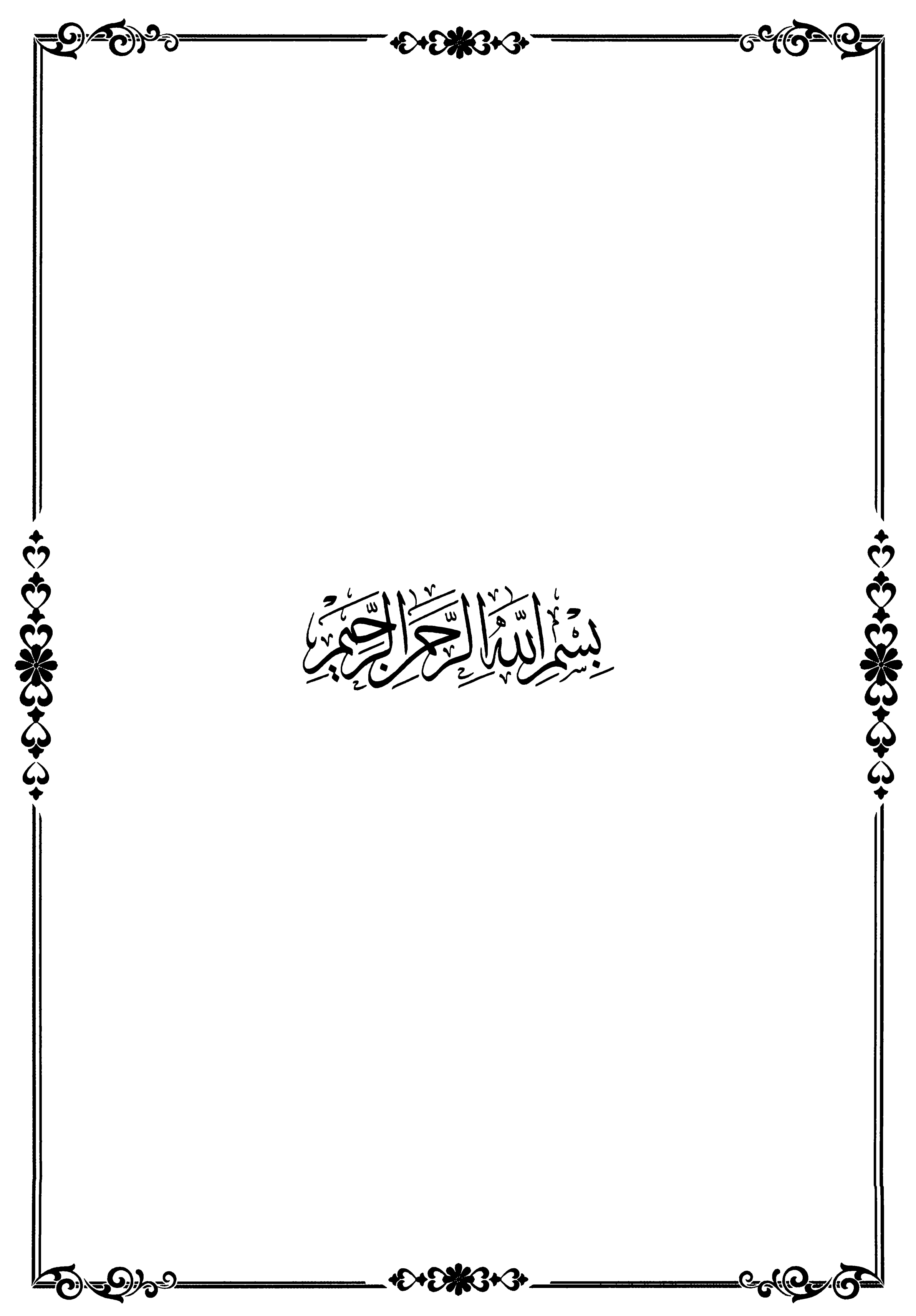
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا

رحمه الله تعالى

أشرف على إخراجه وقدم له

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء




بسم الله الرحمن الرحيم

ابْتِداءُ فرْضِ الصَّلاةِ

وافْتُرِضَتِ الصَّلاةُ عَلَيْه، فصَلّى رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ ورَحْمةُ الله وبَرَكاتُهُ؟

[افْتُرِضَتِ الصَّلاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ زِيدَتْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها قالَت: «افْتُرِضَتِ الصَّلاةُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ أوَّلَ ما افْتُرِضَتْ عَلَيْهِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ كُلَّ صَلاةٍ، ثُمَّ إنَّ اللهَ تَعالى أتَمَّها في الحَضَرِ أرْبَعًا، وأقَرَّها في السَّفَرِ على فَرْضِها الأوَّلِ رَكْعَتَيْنِ».

فَرْضُ الصّلاةِ

وذَكَرَ حَدِيثَ عُرْوةَ عَنْ عائِشَةَ: «فُرِضَتِ الصّلاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فزِيدَ في صَلاةِ الحَضَرِ، وأُقِرَّتْ صَلاةُ السَّفَرِ»[1].

وذَكَرَ الحَرْبيُّ أنّ الصّلاةَ قَبْلَ الإسْراءِ كانَتْ صَلاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشّمْسِ، وصَلاةً قَبْلَ طُلُوعِها، ويَشْهَدُ لِهَذا القَوْلِ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٤٦٤).

وقال يحيى بن سَلّامٍ[١] مِثْلَهُ، وقالَ: كانَ الإسْراءُ وفَرْضُ الصّلَواتِ الخمسِ قبل الهجرةِ بِعامٍ.

فعلى هَذا يَحْتَمِلُ قَوْلُ عائشةَ رضي الله عنها: «فَزِيدَ في صَلاةِ الحَضَرِ»، أيْ: زِيدَ فيها حِينَ أُكْمِلَتْ خَمْسًا. فتَكُونُ الزّيادةُ في الرّكَعاتِ، وفي عَدَدِ الصّلَواتِ، ويَكُونُ قَوْلُها: «فُرِضَتِ الصّلاةُ رَكْعَتَيْنِ»؛ أيْ: قَبْلَ الإسْراءِ، وقَدْ قالَ هذا[٢] طائِفةٌ مِنَ السّلَفِ، مِنْهُمُ: ابنُ عَبّاسٍ رضي الله عنهما. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَعْنى قَوْلِها: «فُرِضَتِ الصّلاةُ»؛ أيْ: لَيْلةَ الإسْراءِ، حِينَ فُرِضَتِ الخَمْسُ فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمّ زِيدَ في صَلاةِ الحَضَرِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وهَذا هُوَ المَرْوِيُّ عَنْ بَعْضِ رُواةِ هَذا[٣] الحَدِيثِ عَنْ عائِشةَ، ومِمَّنْ رَواهُ هَكَذا الحَسَنُ والشَّعْبِيُّ أنّ الزّيادةَ في صَلاةِ الحَضَرِ كانَتْ بَعْدَ الهِجْرةِ بِعامٍ أوْ نَحْوِهِ، وقَدْ ذَكَرَهُ أبُو عُمَرَ.

وقَدْ ذَكَرَ البُخارِيُّ مِنْ رِوايةِ مَعْمرٍ، عن الزُّهريِّ، عن عُروةَ، عن عائشة، قالَتْ: «فُرِضَتِ الصّلاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمّ هاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، فَفُرِضتْ أربعًا»[٤]. هكذا لفظُ حديثه. وههنا سُؤالٌ يُقالُ: هَلْ هَذِهِ الزّيادةُ في الصّلاةِ نَسْخٌ أمْ لا؟ فيُقالُ: أمّا زِيادةُ رَكْعَتَيْنِ، أوْ رَكْعةٍ إلى ما قَبْلَها مِنَ الرُّكُوعِ حَتّى تكُونَ صَلاةً واحِدةً، فنَسْخٌ؛ لِأنّ النَّسْخَ رَفْعُ الحُكْمِ، وقَدِ ارْتَفَعَ حُكْمُ

---

(١) هو أبو زكريا البصري، مذكور في المفسرين والقرّاء، له «تفسير القرآن»، قيل: إنه ليس لأحد من المتقدمين مثلُه. تُوفي سنة (٢٠٠هـ). «طبقات المفسرين» للداودي: (٢: ٣٧١).

(٢) في (ف): «بهذا».

(٣) في (ب)، (ج): «بهذا».

(٤) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ٢٦٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين: (١: ٤٧٨).

الإِجْزاءِ مِنَ الرّكْعَتَيْنِ، وصارَ مَنْ سَلَّمَ مِنْهُما عامِدًا أَفْسَدَهُما، وإن أراد أن يُتِمَّ صلاتَهُ بعدما سَلَّمَ وتَحَدَّثَ عامِدًا، لَمْ يُجْزِه إلّا أنْ يَسْتَأْنِفَ الصّلاةَ مِنْ أوّلِها، فقَدِ ارْتَفَعَ حُكْمُ الإجْزاءِ بِالنَّسْخِ.

وأمّا الزّيادةُ في عَدَدِ الصّلَواتِ حين أُكمِلَت خمسًا بعدما كانَتِ اثْنَتَيْنِ، فَيُسَمّى: نَسْخًا على مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفةَ؛ فإنّ الزّيادةَ عِنْدَهُ على النّصّ نَسْخٌ. وجُمْهُورُ المُتَكَلِّمِينَ على أنّهُ لَيْسَ بِنَسْخٍ، ولِاحْتِجاجِ الفريقين موضعٌ غيرُ هذا.

[تَعْلِيمُ جِبْرِيلَ الرَّسُولَ ﷺ الوُضُوءَ والصَّلاةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ الصَّلاةَ حِينَ افْتُرِضَتْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، أتاهُ جِبْرِيلُ وهُوَ بِأعلى مَكّةَ، فهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ في ناحِيةِ الوادِي، فانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فتَوَضَّأَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إلَيْهِ؛ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كما رَأى جِبْرِيلَ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قامَ بِهِ جِبْرِيلُ فصَلّى بِهِ، وصَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَلاتِهِ، ثُمَّ انْصَرفَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

[تَعْلِيمُ الرَّسُولِ ﷺ خَدِيجةَ الوُضُوءَ والصَّلاةَ]

فَجاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَدِيجةَ، فتَوَضَّأَ لَها لِيُرِيَها كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلاةِ كما أراهُ جِبْرِيلُ، فتَوَضَّأَتْ كما تَوَضَّأَ لَها رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ثُمَّ صَلّى بِها رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كما صَلّى بِهِ جِبْرِيلُ، فصَلَّتْ بِصَلاتِهِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ نُزُولَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السّلامُ بِأعْلى مَكّةَ حِينَ هَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ، فأَنْبَعَ الماءَ،

وعَلّمَهُ الوُضُوءَ. وهَذا الحَدِيثُ مَقْطُوعٌ في «السِّيرةِ»، ومِثْلُهُ لا يَكُونُ أصْلًا في الأحْكامِ الشّرْعِيّةِ، ولَكِنّهُ قَدْ رُوِيَ مُسْنَدًا إلى زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، يَرْفَعُهُ، غَيْرَ أنّ هَذا الحَدِيثَ المُسْنَدَ يَدُورُ على عَبْدِ الله بنِ لَهِيعةَ، وقَدْ ضُعِّفَ، ولَمْ يُخَرِّجْ عَنْهُ مُسْلِمٌ، ولا البُخارِيّ؛ لِأنّهُ يُقالُ: إنّ كُتُبَهُ احْتَرَقَتْ، فكانَ يُحَدِّثُ مِنْ حِفْظِهِ.

وكانَ مالِكُ بنُ أنَسٍ يُحْسِنُ فيهِ القَوْلَ، ويُقالُ: إنّهُ الّذِي رُوِيَ عَنْهُ حَدِيثُ بَيْعِ العُرْبانِ في «المُوَطّأ»[1]: مالِكٌ، عَنِ الثِّقَةِ [عِنْدَهُ][2]، عَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ. فيُقال: إنّ الثقة ههنا ابنُ لَهِيعةَ. ويُقالُ: إنّ ابنَ وهْبٍ حَدّثَه [بِهِ][3] عَنِ ابنِ لَهِيعةَ.

وحَدِيثُ ابنِ لَهِيعةَ هَذا حَدَّثنا بِهِ أبُو بَكْرٍ الحافِظُ مُحَمّدُ بنُ العَرَبِيّ، قالَ: حَدَّثنا [أبُو][4] المُطَهَّرِ سَعْدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ أبِي الرّجاءِ، عَنْ أبِي نُعَيْمٍ الحافِظِ، قالَ: أخبَرَنا[5] أبُو بَكْرٍ أحْمَدُ بنُ يُوسُفَ العَطّارُ، قالَ: حدثنا الحارِثُ بنُ أبِي أُسامةَ، قالَ: حدثنا الحَسَنُ بنُ مُوسى، عَنِ ابنِ لَهِيعةَ، عَنْ عُقَيْلِ بنِ خالِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوةَ، عَنْ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ، قالَ: حَدّثَنِي أبِي زَيْدُ بنُ حارِثَةَ: أن رسول الله ﷺ في أوّلِ ما أُوحِيَ إلَيْهِ أتاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ، فعَلّمَهُ الوُضُوءَ، [فلَمّا فرَغَ مِنَ الوُضُوءِ][6] أخَذَ غَرْفةً مِنْ ماءٍ، فنَضَحَ بِها فَرْجَهُ[7].

---

(١) «الموطأ»، كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع العربان: (٢: ٦٠٩). والعُرْبان، يُقال فيه: عَرْبُون وعُرْبون.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ف).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٥) (ب)، (هـ): «حدثنا».

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٧) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٩: ٢٥)، رقم (١٧٤٨٠). (ج)

وحَدّثَنا بِهِ أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ محمدُ بنُ طاهِرٍ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الغَسّانِيِّ، عَنْ أَبِي عُمَرَ[١] النَّمَرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بنِ قاسِمٍ، عَنْ قاسِمِ بنِ أَصْبَغَ، عَنِ الحارِثِ بنِ أَبِي أُسامةَ، بِالإِسْنادِ المُتَقَدِّمِ.

فالوُضُوءُ على هَذا الحَدِيثِ مَكّيٌّ بِالفَرْضِ، مَدَنِيّ بالتّلاوةِ؛ لِأَنّ آيةَ الوُضُوءِ مَدَنِيّةٌ، وإنّما قالَتْ عائِشَةُ رضي الله عنها: «فأَنْزَلَ الله تَعالى آيَةَ التّيَمُّمِ»، ولَمْ تَقُلْ: آيَةَ الوُضُوءِ، وهِيَ هِيَ؛ لِأَنّ الوُضُوءَ قَدْ كانَ مَفْرُوضًا قَبْلُ[٢]، غَيْرَ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ قُرْآنًا [يُتْلى][٣]، حَتّى نَزَلَتْ آيةُ المائِدةِ.

[تَعْيِينُ جِبْرِيلَ أَوْقاتَ الصَّلاةِ لِلرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عُتْبةُ بنُ مُسْلِمٍ مَوْلى بَنِي تَمِيمٍ، عَنْ نافِعِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ـ وكانَ نافِعٌ كَثِيرَ الرِّوايةِ ـ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: لَمّا افْتُرِضَتِ الصَّلاةُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ أتاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فصَلّى بِهِ الظُّهْرَ حِينَ مالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ العَصْرَ حِينَ كانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ المَغْرِبَ حِينَ غابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ العِشاءَ الآخِرةَ حِينَ ذَهَبَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ، ثُمَّ جاءَهُ فصَلّى بِهِ الظُّهْرَ مِنْ غَدٍ حِينَ كانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ العَصْرَ حِينَ كانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلّى بِهِ المَغْرِبَ حِينَ غابَتِ الشَّمْسُ لِوَقْتِها بِالأَمْسِ، ثُمَّ صَلّى بِهِ العِشاءَ الآخِرةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، ثُمَّ صَلّى بِهِ الصُّبْحَ مُسْفِرًا غَيْرَ مُشْرِقٍ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، الصَّلاةُ فيما بَيْنَ صَلاتِكَ اليَوْمَ وصَلاتِكَ بِالأَمْسِ.

---

(١) (أ): «عن أبي علي»، وهو تحريف.

(٢) (ب): «قبل غيره وأنه...».

(٣) ليس في (أ)، (هـ).

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ في إمامةِ جِبْرِيلَ للنبيِّ ﷺ وتَعْلِيمِهِ إيّاهُ أوْقاتَ الصّلَواتِ الخَمْسِ في اليَوْمَيْنِ، وهَذا الحَدِيثُ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَذْكُرَهُ في هَذا المَوْضِعِ؛ لِأنّ أهْلَ الصّحِيحِ مُتّفِقُونَ على أنّ هَذِهِ القِصّةَ كانَتْ في الغدِ من ليلةِ الإسراءِ، وذلك بعدما نُبِّئَ بِخَمْسةِ أعْوامٍ.

وقَدْ قِيلَ: إنّ الإسْراءَ كانَ قَبْلَ الهِجْرةِ بِعامٍ ونِصْفٍ. وقِيلَ: بِعامٍ. فذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ في بَدْءِ نُزُولِ الوَحْيِ، وأوّلِ أحْوالِ الصّلاةِ.

* * *

ذِكْرُ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوَّلُ ذَكَرٍ أسْلَمَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ كانَ أوَّلُ ذَكَرٍ مِنَ النّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وصَلّى مَعَهُ وصَدَّقَ بِما جاءَهُ مِنَ الله تَعالى عَلِيَّ بنَ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ابن هاشِمٍ ـ رِضْوانُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وهُوَ يَوْمَئِذٍ ابنُ عَشْرِ سِنِينَ.

[نشأتُه في حِجْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وسَبَبُ ذلك]

وَكانَ مِمّا أنْعَمَ اللهُ بِهِ على عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: أنَّهُ كانَ في حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الإسْلامِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهَدِ بنِ جَبْرٍ أبي الحَجّاجِ، قالَ: كانَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ على عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، ومِمّا صَنَعَ اللهُ لَهُ، وأرادَهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ، أنَّ قُرَيْشًا أصابَتْهُمْ أزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وكانَ أبو طالِبٍ ذا عِيالٍ كَثِيرٍ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبّاسِ عَمِّهِ ـ وكانَ مِنْ أيْسَرِ بَنِي هاشِمٍ ـ «يا عَبّاسُ: إنَّ أخاكَ أبا طالِبٍ كَثِيرُ العِيالِ، وقَدْ أصابَ النّاسَ ما تَرى مِنْ هَذِهِ الأزْمةِ، فانْطَلِقْ بِنا إلَيْهِ، فلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيالِهِ، آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وتَأْخُذُ أنْتَ رَجُلًا، فنَكِلُهُما عَنْهُ». فقالَ العَبّاسُ: نَعَمْ. فانْطَلَقا حَتّى أتَيا أبا طالِبٍ، فقالا لَهُ: إنّا نُرِيدُ أنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيالِكَ حَتّى يَنْكَشِفَ عَنِ النّاسِ ما هُمْ فيهِ، فقالَ لَهُما أبو طالِبٍ: إذا تَرَكْتُما لِي عَقِيلًا فاصْنَعا ما شِئْتُما. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَقِيلًا وطالِبًا.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا فضَمَّهُ إِلَيْهِ، وأَخَذَ العَبّاسُ جَعْفَرًا فضَمَّهُ إِلَيْهِ، فلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى بَعَثَهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى نَبِيًّا، فاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وآمَنَ بِهِ وصَدَّقَهُ، ولَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ عِنْدَ العَبّاسِ حَتّى أَسْلَمَ، واسْتَغْنى عَنْهُ.

[خُرُوجُ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى شِعابِ مَكّةَ يُصَلِّيانِ، ووُقُوفُ أبي طالِبٍ على أمْرِهِما]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ خَرَجَ إلى شِعابِ مَكّةَ، وخَرَجَ مَعَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ أبيهِ أبي طالِبٍ، ومِنْ جَمِيعِ أَعْمامِهِ وسائِرِ قَوْمِهِ، فيصَلِّيانِ الصَّلَواتِ فيها، فَإذا أَمْسَيا رَجَعا، فمَكَثا كَذلك ما شاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثا، ثُمَّ إِنَّ أبا طالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِما يَوْمًا وهُما يُصَلِّيانِ، فقالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا ابنَ أخِي، ما هذا الدِّينُ الَّذي أراكَ تَدِينُ بِهِ؟ قالَ: «أَيْ عَمِّ، هذا دِينُ اللهِ، ودِينُ مَلائِكَتِهِ، ودِينُ رُسُلِهِ، ودِينُ أبينا إبْراهِيمَ» أَوْ كَما قالَ ﷺ «بَعَثَنِي اللهُ بِهِ رَسُولًا إلى العِبادِ، وأَنْتَ أَيْ عَمِّ، أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ، ودَعَوْتُهُ إلى الهُدى، وأَحَقُّ مَنْ أَجابَنِي إِلَيْهِ، وأَعانَنِي عَلَيْهِ» أَوْ كَما قالَ، فقالَ أبو طالِبٍ: أَيِ ابنَ أخِي، إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُفارِقَ دِينَ آبائِي وما كانُوا عَلَيْهِ، ولَكِنْ واللهِ لا يُخْلَصُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ ما بَقِيتُ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قالَ لِعَلِيٍّ: أَيْ بُنَيَّ، ما هذا الدِّينُ الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فقالَ: يا أَبَتِ، آمَنْتُ باللهِ، وبِرَسُولِ اللهِ، وصَدَّقْتُهُ بِما جاءَ بِهِ، وصَلَّيْتُ مَعَهُ للهِ واتَّبَعْتُهُ. فزَعَمُوا أَنَّهُ قالَ لَهُ: أما إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلّا إلى خَيْرٍ فالزَمْهُ.

وَذَكَرَ أنّ أوّلَ ذَكَرٍ آمَنَ بالله عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وسَيأْتِي قَوْلُ مَنْ قالَ: [إنّ][١] أوّلَ مَنْ أسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ، ولَكِنْ ذَلِكَ - واللهُ أعْلَمُ - مِنَ الرّجالِ؛ لأنّ عَلِيًّا كانَ حِينَ[٢] أسْلَمَ صَبِيًّا لَمْ يُدْرِكْ، ولم يُخْتَلفْ أنّ خَدِيجةَ [هِيَ][٣] أوّلُ مَنْ آمَنَ باللهِ، وصَدّقَ رَسُولَهُ.

وكانَ عَلِيٌّ أصْغَرَ مِنْ جَعْفَرٍ بِعَشْرِ سِنِينَ، [وجَعْفَرٌ أصْغَرَ مِنْ عَقِيلٍ بِعَشْر سِنِينَ][٤]، وعَقِيلٌ أصْغَرَ مِنْ طالِبٍ بِعَشْرِ سِنِينَ، وكُلُّهُمْ أسْلَمَ إلّا طالِبًا، اخْتَطَفَتْهُ الجِنُّ، [فذَهَبَ][٥]، ولَمْ يُعْلَمْ بِإسْلامِهِ.

وأُمُّ عَلِيٍّ: فاطِمةُ بِنْتُ أسَدِ بنِ هاشِمٍ، وقَدْ أسْلَمَتْ، وهِيَ إحْدى الفَواطِمِ الّتِي[٦] قالَ فيهِنّ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «اقْسِمْهُ بَيْنَ الفَواطِمِ الثّلاثِ»، يَعْنِي: ثَوْبَ حَرِيرٍ. قالَ القُتَبِيّ: يَعْنِي: فاطِمةَ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ، وفاطِمةَ بِنْتَ أسَدٍ، ولا أدْرِي مَنِ الثّالِثةُ[٧].

ورَواهُ عَبْدُ الغَنِيِّ بنُ سعيدٍ: «اقسِمْهُ بين الفواطمِ الأربعِ». وذكر فاطِمةَ بِنْتَ حَمْزةَ مَعَ اللّتَيْنِ تَقَدّمَتا، وقالَ: لا أدْرِي مَنِ الرّابِعةُ؟ قالَهُ فِي كِتابِ «الغَوامِضِ والمُبْهَماتِ».

---

(١) عن (أ).

(٢) في (أ): «حين أسلم كان».

(٣) ليس في (أ).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٥) ليس في (ب).

(٦) كذا في جميع النسخ: «التي» بالإفراد، وهو جائز، ولكن الأكثر في العربية أن يُقال في جَمع مَن يَعقل «اللاتي». انظر: «معاني القرآن» للفراء: (١: ٢٥٧)، و«دراسات» عضيمة (٣/ ٣/ ٥٤١).

(٧) نقله الأزهري عن ابن قتيبة، وعقَّب: «قلت: والثالثة فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، وكانت هاجرت وبايعت النبي ﷺ». «تهذيب اللغة» (١٣: ٢٥٤). (ج)

[الرابعةُ: هي فاطمةُ بنتُ عُتبةَ بنِ ربيعةَ، زوجُ عَقِيلِ بنِ أبي طالبٍ، وهي التي سارَ معاويةُ وابنُ عباسٍ حَكَمَينِ بينها وبين عَقِيلٍ. عن شيخِنا الإمامِ أبي إسحاقَ بنِ قُرْقُولٍ][1].

إِسْلامُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ ثانِيًا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أَسْلَمَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بنِ شُرَحْبِيلَ بنِ كَعْبِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ امْرِئِ القِيسِ الكَلْبِيُّ، مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ أَسْلَمَ، وصَلّى بَعْدَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ.

[نَسَبُهُ، وسَبَبُ تَبَنِّي رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بنِ شَراحِيلَ بنِ كَعْبِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ امْرِئِ القِيسِ بنِ عامِرِ بنِ النُّعْمانِ بنِ عامِرِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ عَوْفِ بنِ كِنانَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَوْفِ بنِ عُذْرَةَ بنِ زَيْدِ اللّاتِ بنِ رُفيدةَ بنِ ثَوْرِ بنِ كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ.

وَكانَ حَكِيمُ بنُ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنَ الشّامِ بِرَقِيقٍ، فيهِمْ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ وصِيفٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وهِيَ يَوْمئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لَها: اخْتارِي يا عَمّةُ أَيَّ هَؤُلاءِ الغِلْمانِ شِئْتِ فهُوَ لَكِ، فاخْتارَتْ زَيْدًا فأَخَذَتْهُ، فرَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَها، فاسْتَوْهَبَهُ مِنْها، فوَهَبَتْهُ لَهُ، فأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتَبَنّاهُ، وذلك قَبْلَ أَنْ يُوحى إِلَيْهِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، وقالَ فيهِ: حارِثةُ بنُ شُرَحْبِيلَ. وقالَ ابنُ

(١) عن (هـ)، وحاشية (د)، (ب). واختلف وضع هذه الزيادة في (هـ) عن (د)، (ب).

هِشام: شَراحِيلُ. وقالَ أصْحابُ النّسَبِ كَما قالَ ابنُ هِشامٍ[١]. ورَفَعَ نَسَبَهُ إلى كَلْبِ بنِ وبْرةَ، ووَبْرةُ هُوَ: ابنُ تَغْلِبَ بنِ حُلْوانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، وأمُّ زيدٍ: سُعْدى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بني مَعْنٍ مِن طَيِّئٍ، وكانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بزَيْدٍ لِتَزورَ[٢] أهْلَها، فأصابَتْهُ خَيْلٌ مِنْ بَنِي القَيْنِ بن جَسْرٍ، فباعُوهُ بِسُوقِ حُباشةَ[٣]، وهُوَ مِنْ أسْواقِ العَرَبِ، وزَيْدٌ يَوْمَئِذٍ ابنُ ثَمانِيَةِ أعْوامٍ، ثُمّ كانَ مِنْ حَدِيثِهِ ما ذَكَرَه ابنُ إسْحاقَ، ولَمّا بَلَغَ زَيْدًا قَوْلُ أبِيهِ: [من الطويل]

بَكَيْتُ على زَيْدٍ ولَمْ أدْرِ ما فَعَلْ

...الأبْياتَ.

قالَ بِحَيْثُ تَسْمَعُه الرُّكبان[٤]: [من الطويل]

أحِنُّ إلى أهلي، وإنْ كنتُ نائِيًا ... فإنِّي قَعِيدُ البَيْتِ عِنْدَ المَشاعِرِ
فَكُفُّوا مِنَ الوَجْدِ الّذِي قَدْ شَجاكُمُ ... ولا تُعْمِلُوا في الأرْضِ نَصَّ الأباعِرِ[٥]
فَإنّي بِحَمْدِ الله في خَيْرِ أُسْرةٍ ... كِرامِ مَعَدٍّ كابِرًا بَعْدَ كابِرِ

فَبَلَغَ قَوْلُهُ أباهُ، فجاءَ هُوَ وعَمُّهُ كَعْبٌ، حَتّى وقَفا على رَسُولِ الله ﷺ

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٢٨١).

(٢) في (ف): «لتزيره».

(٣) حُباشة: بضم الحاء المهملة، وتخفيف الموحَّدة، كانت في ديار بارق، مِن مكة إلى جهة اليمَن على ست مراحلَ، وكانت تُقام في غير مواسم الحج في شهر رجب، وكانت أسواق العرب ـ وهي أربعة: ذو المجاز، وعُكاظ، ومَجَنّة، وحُباشة ـ قائمة في الإسلام، وكان أول ما تُرك منها سوق عُكاظ في زمن الخوارج سنة ١٢٩هـ، وآخر ما تُرك منها سوق حُباشة في سنة ١٩٧هـ. انظر: «الخزانة» للبغدادي: (٤: ٤٧٣).

(٤) الأبيات في «أسد الغابة» (٢: ٢٨٢).

(٥) النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها.

بِمَكّةَ، وذَلِكَ قَبْلَ الإسْلامِ، فقالا له: يا ابنَ عَبْدِ المُطّلِبِ، يا ابنَ سَيّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ جيرانُ اللهِ[١]، وتَفُكّونَ العانِيَ، وتُطْعِمُونَ الجائِعَ، وقَدْ جِئْناك في ابننا عندَك[٢]، لِتُحْسِنَ إلَيْنا في فِدائِه. فقال: «أو غير ذَلِكَ؟» فقالا: وما [هُوَ][٣]؟ فَقالَ: «أدْعُوهُ وأُخَيّرُهُ، فإن اختارَكما فذاك، وإنِ اختارني، فواللهِ ما أنا بالذي أَخْتارُ على مَنِ اخْتارَني أحَدًا». فقالا لَهُ: قَدْ زِدْتَ على النَّصَفِ. فدَعاهُ رَسُولُ الله ﷺ، فلَمّا جاءَ قالَ: «مَنْ هَذانِ[٤]؟» فقالَ: هَذا أَبِي حارِثةُ بنُ شَراحِيلَ، وهَذا عَمّي كَعْبُ ابنُ شَراحِيلَ. فقالَ: «قَدْ خَيّرْتُك إنْ شِئْتَ ذَهَبْتَ مَعَهُما، وإنْ شِئْتَ أَقَمْتَ مَعِي». فقالَ: بَلْ أُقِيمُ مَعَك. فقالَ [لَهُ][٥] أبُوهُ: يا زَيْدُ، أَتَخْتارُ العُبُودِيّةَ على أبيك وأُمّك وبَلَدِك وقَوْمِك؟! فقالَ: إنّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذا الرّجُلِ شَيْئًا، وما أنا بالّذِي أُفارِقُهُ أبَدًا. فعِنْدَ ذَلِكَ أخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بيَدِهِ، وقامَ بِهِ إلى المَلأ مِنْ قُرَيْشٍ، فقالَ: «اشْهَدُوا أنَّ هَذا ابنِي وارِثًا ومَوْرُوثًا». فطابَتْ[٦] نَفْسُ أَبِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ، [وكانَ يُدْعى: زَيْدَ بنَ مُحَمّدٍ][٧]، حَتّى أَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

* * *

(١) في (أ): «جيران البيت».

(٢) في غير (ب)، (هـ): «عبدك».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) في غير (ج)، (د): «هذا».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) في (ب): «وطابت».

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

[شِعْرُ حارِثَةَ حِينَ فقَدَ ابنَهُ زَيْدًا، وقُدُومُهُ على الرَّسُولِ ﷺ يَسْأَلُهُ رَدَّهُ عَلَيْهِ]

وَكانَ أبوهُ حارِثَةُ قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وبَكى عَلَيْهِ حِينَ فقَدَهُ، فقالَ:

بَكَيْتُ على زَيْدٍ ولَمْ أدْرِ ما فعَلْ ... أحَيٌّ فيُرْجى أمْ أتى دونَهُ الأجَلْ؟
فواللهِ ما أدْرِي وإنِّي لَسائِلٌ: ... أغالَكَ بَعْدِي السَّهْلُ أمْ غالَكَ الجَبَلْ؟
وَيا لَيْتَ شِعْرِيَ هَلْ لَكَ الدَّهْرَ أوْبَةٌ؟ ... فحَسْبِي مِنَ الدُّنْيا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها ... وتَعْرِضُ ذِكْراهُ إذا غَرْبُها أفَلْ
وَإنْ هَبَّتِ الأرْواحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ ... فيا طُولَ ما حُزْنِي عَلَيْهِ وما وجَلْ
سَأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأرْضِ جاهِدًا ... ولا أسْأَمُ التَّطْوافَ أوْ تَسْأَمَ الإبِلْ
حَياتِيَ أوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي ... فكُلُّ امْرِئٍ فانٍ وإنْ غَرَّهُ الأمَلُ

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ وهُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنْ شِئْتَ فأقِمْ عِنْدِي، وإنْ شِئْتَ فانْطَلِقْ مَعَ أبيكَ». فقالَ: بَلْ أُقِيمُ عِنْدَكَ. فلَمْ يَزَلْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حتّى بَعَثَهُ اللهُ، فصَدَّقَهُ وأسْلَمَ، وَصَلّى مَعَهُ، فلَمّا أنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] قالَ: أنا زَيْدُ بن حارِثَةَ.

وَفي الشِّعْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ لِحارِثَةَ بَعْدَ قَوْلِهِ: [من الطويل]

حياتي وإن[١] تأتي عليَّ منيَّتي ... فكلُّ امرئٍ فانٍ وإنْ غرَّهُ الأملْ

(١) في «السيرة» و«أسد الغابة»: «أو تأتي».

سَأُوصِي بِهِ قَيْسًا وعَمْرًا كِلَيْهِما وأُوصِي يَزِيدَ ثُمّ أُوصِي بِهِ جَبَلْ

يَعْنِي: يَزِيدَ بنَ كَعْبٍ، وهُوَ ابنُ عَمِّ زَيْدٍ، وأخُوهُ [لِأُمّه]، ويَعْنِي بجَبَلٍ[١]: جَبَلَةَ بنَ حارِثَةَ أخا زَيْدٍ، وكانَ أَسَنَّ مِنْهُ، سُئِلَ جَبَلَةُ: مَنْ أكبرُ، أنتَ أَم زيد؟ فقال: زيدٌ أكْبَرُ مِنّي، وأنا وُلِدْت قَبْلَهُ، يُرِيدُ: أنّهُ أفْضَلُ مِنْهُ لِسَبقِه لِلْإِسْلامِ.

إسْلامُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهُ وشَأْنُهُ

[نَسَبُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أَسْلَمَ أبو بَكْرِ بنُ أَبِي قُحافةَ، واسْمُهُ: عَتِيقٌ، واسْمُ أبي قُحافةَ: عُثْمانُ بنُ عامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ أبي بَكْرٍ: عَبْدُ اللهِ، وعَتِيقٌ: لَقَبٌ؛ لِحُسْنِ وجْهِه وعِتْقِه.

[إسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا أَسْلَمَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أظْهَرَ إسْلامَهُ، ودَعا إلى اللهِ وإلى رَسُولِهِ.

[مَنْزِلَتُهُ في قُرَيْشٍ، ودَعْوَتُهُ لِلْإِسْلامِ]

وَكانَ أبو بَكْرٍ رَجُلًا مَأْلَفًا لِقَوْمِهِ، مُحَبَّبًا سَهْلًا، وكانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وأعْلَمَ قُرَيْشٍ بِها، وبِما كانَ فيها مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ، وكانَ رَجُلًا تاجِرًا،

---

(١) في (ب): «جبل». وانظر: «أسد الغابة».

ذا خُلُقٍ ومَعْرُوفٍ، وكانَ رِجالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ ويَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ واحِدٍ مِنَ الأمْرِ، لِعِلْمِهِ وتِجارَتِهِ، وحُسْنِ مُجالَسَتِهِ، فجَعَلَ يَدْعُو إلى اللهِ، وإلى الإسْلامِ مَنْ وثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشاهُ ويَجْلِسُ إلَيْهِ.

ذِكْرُ مَنْ أسْلَمَ مِنَ الصَّحابةِ بِدَعْوةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

[إسْلامُ عُثْمانَ، والزُّبَيرِ، وعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وسَعْدٍ، وطَلْحَةَ]

قالَ: فأسْلَمَ بِدُعائِهِ ـ فيما بَلَغَنِي ـ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وسَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ، واسْمُ أبي وقّاصٍ: مالِكُ بنُ أُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ زُهْرةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وطَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ ابنِ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، فجاءَ بِهِمْ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اسْتَجابُوا لَهُ، فأسْلَمُوا وصَلَّوْا.

وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: «ما دَعَوْتُ أحَدًا إلى الإسْلامِ إلّا كانَتْ فيهِ عِنْدَهُ كَبْوةٌ، ونَظَرٌ، وتَرَدُّدٌ، إلّا ما كانَ مِنْ أبي بَكْرِ بنِ أبي قُحافةَ، ما عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ، وما تَرَدَّدَ فيهِ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «بِدُعائِهِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: عَكَمَ: تَلَبَّثَ. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

وانْصاعَ وثّابٌ بِها وما عَكَمْ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ هَؤُلاءِ النَّفَرُ الثَّمانِيةُ الَّذينَ سَبَقُوا النّاسَ بِالإسْلامِ، فصَلَّوْا، وصَدَّقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بما جاءَهُ مِنَ اللهِ.

[إسْلامُ أبي عُبَيْدةَ، وأبي سَلَمةَ، والأرْقَمِ، وأبناءِ مَظْعُونٍ، وعُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ، وسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وامْرَأتِهِ، وأسْماءَ، وعائِشةَ، وخَبّابٍ]

ثُمَّ أسْلَمَ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ، واسْمُهُ: عامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الجَرّاحِ ابنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وأبو سَلَمةَ، واسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ ابنُ عَبْدِ الأسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظةَ بنِ مُرّةَ ابنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، والأرْقَمُ بنُ أبي الأرْقَمِ، واسْمُ أبي الأرْقَمِ: عَبْدُ مَنافِ ابنِ أسَدٍ، وكانَ أسَدٌ يُكْنَى: أبا جُنْدُبِ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وعُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ ابنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وأخَواهُ: قُدامةُ، وعَبْدُ اللهِ ابنا مَظْعُونِ بنِ حَبِيبٍ، وَعُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وسَعِيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفيلِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وامْرَأتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ الخَطّابِ بنِ نُفيلِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، أُخْتُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، وأسْماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ، وعائِشةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ ـ وهِيَ يَوْمئِذٍ صَغِيرةٌ ـ وخَبّابُ بنُ الأرَتِّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: خَبّابُ بنُ الأرَتِّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ويُقالُ: هُوَ مِنْ خُزاعةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ إِسْلامَ أَبِي بَكْرٍ ونَسَبَهُ، قالَ[١]: واسْمُهُ: عَبْدُ الله، وسُمِّيَ: عَتِيقًا؛ لِعَتاقةِ وجْهِهِ، والعَتِيقُ: الحَسَنُ، كَأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنَ الذَّمِّ [والعَيْبِ][٢]، وقِيلَ: سُمِّيَ عَتِيقًا؛ لِأَنَّ أُمَّهُ كانَتْ لا يَعِيشُ لَها ولَدٌ، فنَذَرَتْ إنْ وُلِدَ لَها ولَدٌ أنْ تُسَمِّيَهُ: عَبْدَ الكَعْبةِ، وتَتَصَدَّقَ بهِ عَلَيْها، فلَمّا عاشَ وشَبَّ، سُمِّيَ: عَتِيقًا، كَأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنَ المَوْتِ.

وكانَ يُسَمّى أَيْضًا: عَبْدَ الكَعْبةِ إلى أَنْ أَسْلَمَ، فسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: عَبْدَ اللهِ.

وقِيلَ: سُمِّيَ عَتِيقًا؛ لِأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لَهُ حِينَ أَسْلَمَ: «أَنْتَ عَتِيقٌ مِنَ النّارِ». وقِيلَ: كانَ لِأَبِيهِ ثَلاثةٌ مِنَ الوَلَدِ: مُعْتَقٌ، ومُعَيْتِقٌ[٣]، وعَتِيقٌ، وهُوَ أَبُو بَكْرٍ.

وسُئِلَ ابنُ مَعِينٍ عَنِ اسمِ أُمِّ أَبِي بَكْرٍ، فقالَ: أُمُّ الخَيْرِ عِنْدَ اسْمِها. وهِيَ أُمُّ الخَيْرِ بِنْتُ صَخْرِ بنِ عَمْرٍو، بِنْتُ عَمِّ أَبِي قُحافةَ، واسْمُها سَلْمى، وتُكَنّى أُمَّ الخير، وهِيَ مِنَ المُبايِعاتِ[٤].

وأَمّا أَبُوهُ عُثْمانُ أَبُو قُحافةَ، فأُمُّهُ قَيْلةُ - بياءٍ مَنْقُوطةٍ بِاثْنَتَيْنِ[٥] مِنْ أَسْفَلَ - بِنْتُ أَذاةَ بنِ رِياحِ بنِ عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رِزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ.

وامْرَأَةُ أَبِي بَكْرٍ أُمُّ ابنِهِ عَبْدِ اللهِ وأَسْماءَ[٦]: قَتْلةُ[٧] بِنْتُ عَبْدِ العُزّى، بِتاءٍ

---

(١) في (ف): «فقال».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٣) في (أ)، (هـ): «ومُعَتِّق». وضبط في (هـ). وانظر: «المعجم الكبير» للطبراني: (١: ٥٣).

(٤) «أسد الغابة» (٧: ٣٢٦).

(٥) في (ف) «باثنتين منقوطة».

(٦) في (أ)، (هـ)، (ف): «واسمها»، وفي (ب): «اسمها».

(٧) كذا مضبوطًا في (ب)، (د)، وفي «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢٧٦): قُتَيْلة مصغرًا، =

مَنْقُوطةٍ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ فوْقٍ، وقِيلَ فيها: بِنْتُ عَبْدِ أَسْعَدَ بنِ نَصْرِ بنِ مالكِ بنِ حِسْلِ ابنِ عامرٍ، وهُوَ قَوْلُ الزُّبَيْرِ.

وذَكَرَ أنّ رَسُولَ الله ﷺ عَرَضَ عَلَيْهِ الإسْلامَ، فما عَكَمَ عن[1] ذَلِكَ، أيْ: ما تَرَدَّدَ. وكانَ مِنْ أسْبابِ تَوْفيقِ الله إيّاهُ ـ فيما ذَكَرُوا ـ رُؤْيا رَآها قَبْلَ ذَلِكَ، وذَلِكَ أنّهُ رَأى القَمَرَ يَنْزِلُ إلى مَكّةَ، ثُمّ رَآهُ قَدْ تَفَرّقَ على جَمِيعِ مَنازِلِ مَكّةَ وبُيُوتِها، فدَخَلَ في كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ شُعْبةٌ، ثُمّ كَأنّهُ جَمَعَهُ في حِجْرِهِ، فَقَصَّها على بَعْضِ الكتابيِّين، فَعَبَرَها لَهُ بِأنّ النّبِيَّ المُنْتَظَرَ الّذِي قَدْ أظَلَّ زَمانُهُ تَتْبَعُهُ، وتَكُونُ أسْعَدَ النّاسِ بِهِ. فلَمّا دَعاهُ [رَسُولُ الله][2] ﷺ إلى الإسْلامِ لَمْ يَتَوَقّفْ.

وفي مَدْحِ حَسّانَ الّذِي قالَهُ فيهِ، وسَمِعَهُ النّبِيُّ ﷺ ولَمْ يُنْكِرْهُ، دَلِيلٌ على أنّهُ أوّلُ مَنْ أسْلَمَ مِنَ الرّجالِ، ففيهِ[3]: [من البسيط]

[إذا تذكَّرتَ شجْوًا من أخي ثقةٍ فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا][4]

خَيْرَ البَرِيّةِ أتْقاها، وأفْضَلَها بَعْدَ النّبِيِّ، وأوْفاها بِما حَمَلا

والثّانِيَ التّالِيَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ وأوّلَ النّاسِ منهم صدّقَ الرُّسُلا

وَذَكَرَ إسْلامَ أبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ رضي الله عنه، واسْمَهُ، وقَدِ اخْتُلِفَ فيهِ، فقِيلَ: عَبْدُ اللهِ بنُ عامرٍ. وقِيلَ: عامرُ بنُ عَبْدِ اللهِ. وأُمّهُ: أُمَيْمةُ بنتُ غَنْمِ بنِ جابرِ

= ومثله في «أسد الغابة» (٧: ٢٣٩).

(١) في (ف): «عند».

(٢) عن حاشية (أ).

(٣) «ديوانه» (ص: ١٧٤)، وتحقيق: (د). سيد حنفي: (ص: ٢١١-٢١٢).

(٤) عن (ب).

ابنِ عَبْدِ العُزّى [بنِ عامِرةَ][(١)] [بنِ عَمِيرة][(٢)] بنِ ودِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ[(٣)].

وَذَكَرَ إسْلامَ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وقَدْ ذَكَرْناهُ فيما مَضى[(٤)]، وذَكَرْنا أُمَّهُ فاطِمةَ بِنْتَ بَعْجةَ بنِ خَلَفٍ الخُزاعِيّةَ، وما وقَعَ في نَسَبِهِ مِنَ التَّقْدِيمِ والتَّأخير، ومن الفَتْحِ في رِزاحِ بن عَدِيّ والكَسْرِ، وأنّ رِزاحَ بنَ رَبِيعةَ هُوَ الّذِي لَمْ يُخْتَلَفْ في كسرِ الرّاءِ منه. ويُكنى سعيدٌ: أبا الأعْوَرِ، تُوُفِّيَ بِأرْضِهِ بالعَقِيقِ، ودُفِنَ بالمَدِينةِ في أيامِ معاويةَ سنةَ خمسين، أو إحدى وخمسين وهُوَ ابنُ بِضْعٍ وسَبْعِينَ سَنةً[(٥)].

رَوى عَنْهُ ابنُ عُمَرَ، وعَمْرُو بنُ حُرَيْثٍ، وأبُو الطُّفَيْلِ عامِرُ بنُ واثِلةَ، وجَماعةٌ مِنَ التّابِعِينَ، ولَمْ يَرْوِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إلّا حَدِيثَيْنِ، أحَدُهُما: «مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِن أرضٍ[(٦)]، طُوِّقَهُ يومَ القيامةِ مِن سَبعِ أرَضِينَ»[(٧)].

وهُوَ أحَدُ العَشَرةِ الّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بالجَنّةِ، وأحَدُ الّذِينَ رَجَفَ بِهِمِ الجَبَلُ، فقالَ لَهُ النّبِيّ ﷺ: «اثْبُتْ حِراءُ؛ فإنّما عَلَيْك نَبِيٌّ، أوْ صِدّيقٌ، أوْ شَهِيدٌ»[(٨)].

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ج)، وما عدا (أ): «عامر».

(٢) عن (ج).

(٣) بعده في (ج)، (ف): «قاله الزبير». وانظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٤٤٥).

(٤) انظر (٣: ٢٠).

(٥) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٣٨٩).

(٦) في (ف): «الأرض».

(٧) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، «فتح الباري» (٥: ١٠٣)، وكتاب بدء الخلق: (٦: ٢٩٣)، ومسلم في كتاب المساقاة: (٣: ١٢٣٠-١٢٣١).

(٨) أخرجه أبو داود في كتاب السنة: (٤: ٢١١)، والترمذي مناقب (٢٧)، وابن ماجه مقدمة (١١).

ويُروى: «اثبُتْ أُحُدُ»، وأنّ القِصّةَ كانَتْ في جَبَلِ أُحُدٍ[١]، ويُرْوى أنّها كانَتْ في جَبَلِ ثَبِيرٍ، ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيّ، وأنّهُمْ كانُوا أرْبَعةً مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وهُمُ الخُلَفاءُ الأرْبَعةُ، ولَعَلّ هَذا أنْ يَكُونَ مِرارًا، فَتَصِحَّ الأحادِيثُ كُلُّها، والله أعْلَمُ.

وَذَكَرَ فيمَنْ أسْلَمَ ـ بَعْدَ أبي بَكْرٍ ـ سَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ، واسْمُ أبي وقّاصٍ: مالِكُ بنُ أُهَيْب، وأُهَيْبُ هُوَ ابنُ عَمِّ آمِنةَ بِنْتِ وهْبٍ أُمِّ النّبيّ ﷺ.

والوَقّاصُ في اللّغةِ، هُوَ واحِدُ الوَقاقِيصِ، وهِيَ شِباكٌ يُصْطادُ[٢] بِها الطَّيْرُ، وهي أيْضًا فَعّال مِنْ وُقِصَ: إذا انْكَسَر.

أُمُّ سَعْدٍ: حَمْنةُ بِنْتُ سُفْيانَ بن أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، يُكَنّى: أبا إسْحاقَ، وهُوَ أحَدُ العَشَرةِ، دَعا لَهُ النّبيُّ ﷺ أنْ يُسَدِّدَ الله سَهْمَهُ، وأنْ يُجيبَ دَعْوَتَهُ[٣]، فكانَ دُعاؤُهُ أسْرَعَ الدُّعاءِ إجابةً.

وفي الحَدِيثِ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «احْذَرُوا دَعْوةَ سَعْدٍ». ماتَ في خِلافةِ مُعاوِيةَ.

وَذَكَرَ عَبْدَ الرّحْمَنِ بنَ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عبدِ بنِ[٤] الحارثِ بنِ زُهْرةَ. وهُوَ أيْضًا أحَدُ العَشَرةِ، يُكَنّى: أبا محمد، أُمّهُ: الشِّفاء بنتُ عوفِ [بنِ عَبْدِ بنِ[٥] الحارِثِ، وهِيَ بِنْتُ عَمِّ عَوْفٍ والِدِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ][٦]، فأبُوها عَوْفٌ عمُّ عوفٍ، وأخو عبدِ عوفٍ.

(١) رواه أنس بن مالك، انظر: «فتح الباري»، كتاب فضائل الصحابة: (٧: ٢٢، ٤٢، ٥٣).

(٢) في (أ): «يصاد».

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب: (٧: ١٨٤).

(٤) «بن» ليست في: (ف).

(٥) «بن» ليست في: (ف).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

وَذَكَرَ نُعَيْمَ بنَ عَبْدِ الله النَّحّام، وقَوْلَ النّبيّ ﷺ: «سَمِعْتُ نَحْمَه[١] في الجَنّةِ». ولَمْ يُفَسِّرِ النَّحْمَ ما هُوَ؟ وهِيَ سَعْلَةٌ مُسْتَطِيلةٌ. ويُقال لِلْبَخِيلِ: نَحّامٌ؛ لِأَنّهُ [يَسْعَلُ][٢] إذا سُئِلَ، يَتَشاغَلُ بِذَلِكَ، وأَنْشَدَ الزُّبَيْرُ[٣]: [من الرجز]

ما لكَ لا تَنْحِمُ يا رَواحَهْ إنَّ النّحِيمَ لِلسُّقاةِ راحَهْ

قالَ: ويُقالُ لِلنَّحْمةِ: نَحْطةٌ، وقالَ غَيْرُهُ: النَّحْطةُ في الصّدْرِ، والنَّحْمةُ في الحَلْقِ. والنُّحامُ أيْضًا: طائِرٌ أحْمَرُ في عِظَمِ الإوَزِّ.

* * *

---

(١) في (أ)، (ج): «نجمة»، وفي (ب): «نَحْمَتَه». وراجع: «أسد الغابة».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) البيت في «التهذيب» و«اللسان» (نحم). وفي «التهذيب»: «يا فلاحه».

[إسْلامُ عُمَيْرٍ، وابنِ مَسْعُودٍ، وابنِ القارِّيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُمَيْرُ بنُ أبي وقّاصٍ، أخُو سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودِ بنِ الحارِثِ بنِ شَمْخِ بنِ مَخْزُومِ بنِ صاهِلَةَ بنِ كاهِلِ ابن الحارِثِ بنِ تَمِيمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ، ومَسْعُودُ بنُ القارِيِّ، وهُوَ مَسْعُودُ ابنُ رَبِيعةَ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ حَمالَةَ بنِ غالِبِ بنِ مُحَلِّمِ ابنِ عائِذَةَ بنِ سُبَيْعِ بنِ الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ، مِنَ القارةِ.

[شَيْءٌ عَنِ القارةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: والقارةُ: لَقَبٌ لَهُمْ، ولَهُمْ يُقالُ: «قَدْ أنْصَفَ القارةَ مَنْ راماها»، وَكانُوا قَوْمًا رُماةً.

[إسْلامُ سَلِيطٍ وأخِيهِ، وعَيّاشٍ وامْرَأتِهِ، وخُنَيْسٍ، وعامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَلِيطُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ ابنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ، وَأخُوهُ حاطِبُ بنُ عَمْرٍو، وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ ابنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وامْرَأتُهُ أسماءُ بِنْتُ سَلامةَ بنِ مُخَرِّبَةَ التَّمِيمِيّةُ، وخُنَيْسُ بنُ حُذافةَ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وعامِرُ بنُ رَبِيعةَ، مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ، حَلِيفُ آلِ الخَطّابِ بنِ نُفيلِ بنِ عَبْدِ العُزّى.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَنْزُ بنُ وائِلٍ أخُو بَكْرِ بنِ وائِلٍ، مِنْ رَبِيعةَ بنِ نِزارٍ.

[إسْلامُ ابنَيْ جَحْشٍ، وجَعْفَرٍ، وامْرَأتِهِ، وأوْلادِ الحارِثِ، ونِسائِهِمْ، والسّائِبِ، والمُطَّلِبِ، وامْرَأتِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، وأخُوهُ أبو أحْمَدَ بنُ جَحْشٍ، حَلِيفا بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وجَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ، وامْرَأتُهُ أسَماءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بنِ النُّعْمانِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ قُحافةَ، مِنْ خَثْعَمَ، وَحاطِبُ ابنُ الحارِثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وامْرَأتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ المُجَلِّلِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ، وأخُوهُ حَطّابُ بنُ الحارِثِ، وامْرَأتُهُ فُكَيْهةُ بِنْتُ يَسارٍ، ومَعْمَرُ بنُ الحارِثِ ابنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، والسّائِبُ بنُ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبٍ، والمُطَّلِبُ ابنُ أزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وامْرَأتُهُ: رَمْلةُ بِنْتُ أبي عَوْفِ بنِ صُبَيْرةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ ابنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، والنَّحّامُ، واسْمُهُ: نُعَيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أسِيدٍ، أخُو بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ.

[إسْلامُ نُعَيْمٍ ونَسَبُهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ نُعَيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أسِيدِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ ابن عُوَيْجِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وإنَّما سُمِّيَ: النَّحّامَ؛ لِأنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُ نَحْمَهُ في الجَنّةِ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: نَحْمُهُ: صَوْتُهُ. وَنَحْمُهُ: حِسُّهُ.

[إسْلامُ عامِرِ بنِ فُهَيْرة ونَسَبُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدٌ مِنْ مُوَلَّدِي الأَسْدِ، أسْوَدُ، اشْتَراهُ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ مِنْهُمْ.

[إسْلامُ خالِدِ بنِ سَعِيدٍ، وامْرَأتِهِ أُمَيْنَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، وامْرَأتُهُ أُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفِ بنِ أَسْعَدَ بنِ عامِرِ بنِ بَياضَةَ بنِ سُبَيْعِ بنِ جُعْثُمَةَ بنِ سَعْدِ بنِ مُلَيْحِ ابنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزاعَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: هُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفٍ.

وَذَكَرَ عَبْدَ الله بنَ مَسْعُودِ[1] بنِ شَمْخِ بنِ مَخْزُومِ بنِ صاهِلَةَ بنِ كاهَلَ بنِ الحارِثِ بنِ تَمِيمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ، حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ، وقالَ في نَسَبِهِ كاهَلَ: قَيَّدَهُ الوَقَّشِيُّ بِفَتْحِ الهاءِ مِنْ كاهَلَ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِالفِعْلِ مِنْ كاهَلَ يُكاهِلُ، كَما قالَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرَجُلٍ اسْتَأْذَنَهُ في الجِهادِ واسْمُهُ جاهِمَةُ[2]، فقالَ: «هَلْ في

(١) «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٩٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٨٤): «بن مسعود بن غافل بن حبيب ابن شمخ بن فار بن مخزوم».

(٢) هو جاهمة بن العباس السلمي، مترجم في «أسد الغابة» (١: ٣١٥).

أهْلِك مِنْ كاهِلٍ؟»؛ أي: مِنْ قويٍّ على التَّصرُّف. والاكتِهال: القُوّةُ.

وَقالَ أبُو عُبَيْدٍ: كاهَلَ: أيْ أسَنَّ[1]. وقالَ ابنُ الأعْرابيّ: إنّما لَفْظُ الحَدِيثِ: «هَلْ في أهْلِك مِنْ كاهِنٍ؟» وغَيّرَهُ الرّاوي لَهُ، فقالَ: مِنْ كاهِلٍ، قالَ: وكاهِنُ الرَّجلِ، هُوَ الّذي يُخلِفُه الرّجُلُ في أهْلِهِ يَقُومُ بِأمْرِهِمْ بَعده، يُقالُ مِنْهُ: كَهَنَ يَكْهُنُ كَهانةً.

وَذَكَرَ في نَسَبِهِ أيْضًا شَمْخًا، وهُوَ مَنْ شَمَخَ بِأنْفِهِ: إذا رَفَعَهُ عِزّةً. وأُمُّ عَبْدِ الله[2] هِيَ: أُمُّ عَبْدٍ بِنْتُ سَوْدٍ[3] بنِ قَرِينٍ[4] بنِ صاهِلةَ، هُذَلِيّةٌ.

وَذَكَرَ مَسْعُودًا القارِيَّ، وهُوَ: مسعودُ بنُ ربيعةَ، ورفعَ نسبَهُ إلى الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ، وهُمُ القارةُ، وفيهِمْ جَرى المَثَلُ[5]: «قَدْ أنْصَفَ القارةَ مَنْ راماها».

قالَ الرّاجِزُ: [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمى ومَنْ والاها	أنّا نَرُدُّ الخيلَ عن هَواها
نَرُدُّها دامِيةً كُلاها	قَدْ أنْصَفَ القارةَ مَنْ راماها
إنّا إذا ما فِئةٌ نَلْقاها	نَرُدُّ أُولاها على أُخْراها

وَسُمِّيَ بَنُو الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ: قارةً؛ لِقَوْلِ الشّاعِرِ فيهم في بَعْضِ الحُرُوبِ[6]: [من الوافر]

---

(١) «غريب الحديث» (١: ١٢، ٣٢٢).

(٢) في (أ): «عبد مناف».

(٣) كذا في النسخ. وفي «تهذيب الكمال» (١٦: ١٢٢): عبد ودّ بن سواد، ومثله في «أسد الغابة» (٣: ٣٨٤)، (٧: ٣٦٣).

(٤) كذا في النسخ. وفي «جمهرة ابن الكلبي» (ص: ١٣١)، وابن حزم: (ص: ١٩٧): «قريم».

(٥) المثل في «الأمثال» لأبي عبيد: (ص: ١٣٧)، و«المستقصى» للزمخشري: (٢: ١٨٩)، و«لسان العرب» (قور).

(٦) انظر: «اللسان» (قور). والقارة: قومٌ عُرِفوا بالحِذْق في الرماية.

دَعُونــا قــارةً لا تَذْعَرُونا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إجْفالِ الظَّلِيمِ

هَكَذا أنْشَدَهُ أبُو عُبَيْدٍ في كِتابِ «الأنْسابِ».

وأنْشَدَهُ قاسِمٌ في «الدَّلائِلِ»: [من الوافر]

ذَرُونا قــارةً لا تَذْعَرُونا فتَنْبَتِكَ القَرابةُ والذِّمامُ[1]

وكانُوا رُماةَ الحَدَقِ[2]، فمَنْ راماهُمْ فقَدْ أنْصَفَهُمْ، والقارةُ: أرْضٌ كَثِيرةُ الحِجارةِ، وجَمْعُها: قُورٌ، فكان مَعْنى المَثَلِ عندَ بعضِهِم: أنّ القارةَ لا تَنْفَدُ حِجارَتُها إذا رُمِيَ بِها، فمَنْ راماها فقَدْ أنْصَفَ.

❊ ❊ ❊

(١) فتنبتك: فتَنْقطع.

(٢) الحَدَق: واحِدُها حَدَقة، وهو السواد المستدير وسط العين، ويُقال للقوم المُصيبين في الرماية: رُماة الحَدَق.

[إسْلامُ حاطِبٍ، وأبي حُذَيْفةَ، وإسْلامُ واقِدٍ، وشَيْءٌ عَنْهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحاطِبُ بنُ عَمْرِو بنِ عبدِ شمسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ ابنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ. وأبو حُذَيْفةَ، واسْمُهُ: مُهَشِّمٌ ـ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ. وواقِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عُرَيْنِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعِ بنِ حَنْظَلةَ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ ابنِ تَميمٍ، حَليفُ بَني عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: جاءَتْ بِهِ باهِلةُ، فباعُوهُ مِنَ الخَطّابِ بنِ نُفيلٍ، فتَبَنّاهُ، فلَمّا أنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥] قالَ: أنا واقِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ، فيما قالَ أبو عَمْرٍو المَدَنيُّ.

[إسْلامُ بَني البُكَيْرِ، وعَمّارِ بنِ ياسِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخالِدٌ، وعامِرٌ، وعاقِلٌ، وإياسٌ بَنُو البُكَيْرِ بنِ عَبْدِ ياليلَ ابنِ ناشِبِ بنِ غِيَرَةَ بنِ سَعْدِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، حَلْفاءُ بَني عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ. وعَمّارُ بنُ ياسِرٍ، حَليفُ بَني مَخْزُومِ بنِ يَقَظةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمّارُ بنُ ياسِرٍ عَنْسِيٌّ مِنْ مَذْحِجَ.

[إسْلامُ صُهَيْبٍ، ونَسَبُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وصُهَيْبُ بنُ سِنانٍ أحَدُ النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ، حَليفُ بَني تَيْمِ بنِ مُرّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: النَّمِرُ بنُ قاسِطِ بنِ هِنْبِ بنِ أَفْصى بنِ جَدِيلةَ بنِ أَسَدِ بن رَبيعةَ بنِ نِزارٍ، ويُقالُ: أَفْصى بنُ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلةَ بنِ أَسَدٍ، ويُقالُ: صُهَيْبٌ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ جُدْعانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، وَيُقالُ: إنَّهُ رُومِيٌّ. فقالَ بَعْضُ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ: إنَّما كانَ أَسِيرًا في أَرْضِ الرُّومِ، فاشْتُرِيَ مِنْهُمْ. وجاءَ في الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ».

مباداة رَسُولِ اللهِ ﷺ قومَه وما كانَ مِنْهُم

[أَمْرُ اللهِ لَهُ ﷺ بِمُباداةِ قَوْمِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ دَخَلَ النّاسُ في الإسْلامِ أَرْسالًا مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ، حَتّى فشا ذِكْرُ الإسْلامِ بِمَكّةَ، وتُحُدِّثَ بِهِ، ثُمَّ إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَصْدَعَ بِما جاءَهُ مِنْهُ، وأَنْ يُبادِيَ النّاسَ بِأَمْرِهِ، وأَنْ يَدْعُوَ إلَيْهِ، وكانَ بَيْنَ ما أَخْفى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ واسْتَتَرَ بِهِ إلى أَنْ أَمَرَهُ اللهُ تَعالى بِإظْهارِ دِينِهِ؛ ثَلاثُ سِنِينَ ـ فيما بَلَغَنِي ـ مِنْ مَبْعَثِهِ، ثُمَّ قالَ اللهُ تَعالى لَهُ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقالَ تَعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢١٥]، ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٩].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ المُفْرَداتِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: اصْدَعْ: افْرُقْ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ. قالَ أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ ـ واسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بنُ خالِدٍ ـ يَصِفُ أُتُنَ وحْشٍ وفَحْلَها:

وَكَأَنَّهُنَّ رِبابَةٌ وكَأَنَّهُ ... يَسَرٌ يُفِيضُ على القِداحِ ويَصْدَعُ

أيْ يُفَرِّقُ على القِداحِ ويُبَيِّنُ أنْصِباءَها. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وقالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

أنْتَ الحَلِيمُ والأمِيرُ المُنْتَقِمْ تَصْدَعُ بِالحَقِّ وتَنْفي مَنْ ظَلمْ

وَهذانِ البَيْتانِ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

[خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ بِأصْحابِهِ إلى شِعابِ مَكّةَ، وما فعَلَهُ سَعْدٌ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذا صَلَّوْا ذَهَبُوا في الشِّعابِ، فاسْتَخْفَوْا بِصَلاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، فبَيْنا سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ في نَفَرٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في شِعْبٍ مِنْ شِعابِ مَكّةَ، إذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وهُمْ يُصَلُّونَ، فناكَرُوهُمْ، وعابُوا عَلَيْهِمْ ما يَصْنَعُونَ حَتّى قاتَلُوهُمْ، فضَرَبَ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنَ المُشْرِكِينَ بِلَحْيِ بَعِيرٍ، فشَجَّهُ، فكانَ أوّلَ دَمٍ هُرِيقَ في الإسْلامِ.

[إظْهارُ قَوْمِهِ ﷺ العَداوةَ لَهُ، وحَدَبُ عَمِّهِ أبي طالِبٍ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا بادى رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ بِالإسْلامِ وصَدَعَ بَهْ كَما أمَرَهُ اللهُ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، ولَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ ـ فيما بَلَغَني ـ حَتّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وعابَها، فلَمّا فعَلَ ذلك أعْظَمُوهُ وناكَرُوهُ، وأجْمَعُوا خِلافَهُ وعَداوَتَهُ، إلّا مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعالى مِنْهُمْ بِالإسْلامِ، وهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخْفُونَ، وحَدِبَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمُّهُ أبو طالِبٍ، ومَنَعَهُ وقامَ دُونَهُ، ومَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ على أمْرِ اللهِ، مُظْهِرًا لِأمْرِهِ، لا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ، فلَمّا رَأتْ قُرَيْشٌ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لا يُعْتِبُهُمْ مِنْ شَيْءٍ أنْكَرُوهُ عَلَيْهِ؛ مِنْ فِراقِهِمْ وعَيْبِ آلِهَتِهِمْ، ورَأَوْا

أَنَّ عَمَّهُ أبا طالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ، وقامَ دُونَهُ، فلَمْ يُسْلِمْهُ لَهُمْ، مَشى رِجالٌ مِنْ أشْرافِ قُرَيْشٍ إلى أبي طالِبٍ؛ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا رَبيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ. وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ أبي سُفيانَ: صَخْرٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو البَخْتَرِيِّ، واسْمُهُ: العاصِ بنُ هِشامِ بنِ الحارِثِ ابنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو البَخْتَرِيِّ: العاصِ بنُ هاشِمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والأسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيِّ ابنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ. وأبو جَهْلٍ، واسْمُهُ: عَمْرٌو، وكانَ يُكَنّى: أبا الحَكَمِ بنَ هِشامِ بنِ المُغيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ. والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ. ونُبَيهٌ ومُنَبِّهٌ ابْنَا الحَجّاجِ بنِ عامِرِ بنِ حُذَيْفَةَ ابنِ سَعْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ. والعاصِ بنُ وائِلٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: العاصِ بنُ وائِلِ بنِ هاشِمِ بنِ سَعِيدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو ابنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ.

[وَفْدُ قُرَيْشٍ مَعَ أبي طالِبٍ في شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أوْ مَنْ مَشى مِنْهُمْ. فقالُوا: يا أبا طالِبٍ، إنَّ ابنَ أخِيكَ

قَدْ سَبَّ آلِهَتَنا، وعابَ دِينَنا، وسَفَّهُ أَحْلامَنا، وضَلَّلَ آباءَنا، فإمّا أنْ تَكُفَّهُ عَنّا، وإمّا أنَّ تُخَلِّيَ بَيْنَنا وبَيْنَهُ؛ فإنَّكَ على مِثْلِ ما نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلافِهِ، فنَكْفيكَهُ. فقالَ لَهُمْ أبو طالِبٍ قَوْلًا رَفيقًا، وردَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فانْصَرَفُوا عَنْهُ.

[اسْتِمْرارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في دَعْوَتِهِ، ورُجُوعُ وفْدِ قُرَيْشٍ إلى أبي طالِبٍ ثانِيةً]

وَمَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ على ما هُوَ عَلَيْهِ؛ يُظْهِرُ دِينَ اللهِ، ويَدْعُو إلَيْهِ، ثُمَّ شَرى الأمْرُ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ حَتّى تَباعَدَ الرِّجالُ وتَضاغَنُوا، وأكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَها، فتَذامَرُوا فيهِ، وحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ، ثُمَّ إنَّهُمْ مَشَوْا إلى أبي طالِبٍ مَرّةً أُخْرى، فقالُوا لَهُ: يا أبا طالِبٍ، إنَّ لَكَ سِنًّا وشَرَفًا ومَنْزِلةً فينا، وإنّا قَدِ اسْتَنْهَيْناكَ مِنِ ابنِ أخِيكَ فلَمْ تَنْهَهُ عَنّا، وإنّا واللهِ لا نَصْبِرُ على هذا؛ مِنْ شَتْمِ آبائِنا، وتَسْفيهِ أحْلامِنا، وعَيْبِ آلِهَتِنا، حَتّى تَكُفَّهُ عَنّا، أوْ نُنازِلَهُ وإيّاكَ في ذلك، حَتّى يَهْلِكَ أحَدُ الفَرِيقَيْنِ، أوْ كَما قالُوا لَهُ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ، فعَظُمَ على أبي طالِبٍ فِراقُ قَوْمِهِ وعَداوَتُهُمْ، ولَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإسْلامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ ولا خِذْلانِهِ.

[طَلَبُ أبي طالِبٍ إلى الرَّسُولِ ﷺ الكَفَّ عَنِ الدَّعْوةِ، وجَوابُهُ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأخْنَسِ، أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ قُرَيْشًا حِينَ قالُوا لِأبي طالِبٍ هَذِهِ المَقالةَ، بَعَثَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لَهُ: يا ابنَ أخِي، إنَّ قَوْمَكَ قَدْ جاؤُونِي، فقالُوا لِي كَذا وكَذا، لِلَّذِي كانُوا قالُوا لَهُ، فأبْقِ عَلَيَّ وعلى نَفْسِكَ، ولا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأمْرِ ما لا أُطِيقُ. قالَ: فظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَّهُ قَدْ بَدا لِعَمِّهِ فيهِ بَداءٌ أنَّهُ خاذِلُهُ ومُسْلِمُهُ، وأنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ والقِيامِ مَعَهُ. قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا عَمِّ،

واللهِ لَوْ وضَعُوا الشَّمْسَ في يَمِينِي، والقَمَرَ في يَسارِي على أنْ أتْرُكَ هذا الأمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أوْ أهْلِكَ فيهِ؛ ما تَرَكْتُهُ». قالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فبَكى ثُمَّ قامَ، فلَمّا ولّى ناداهُ أبو طالِبٍ، فقالَ: أقْبِلْ يا ابْنَ أخِي، قالَ: فأقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقالَ: اذْهَبْ يا ابْنَ أخِي، فقُلْ ما أحْبَبْتَ، فواللهِ لا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أبَدًا.

[مَشْيُ قُرَيْشٍ إلى أبي طالِبٍ ثالِثَةً بِعُمارةَ بنِ الوَلِيدِ المَخْزُومِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ قُرَيْشًا حِينَ عَرَفُوا أنَّ أبا طالِبٍ قَدْ أبى خِذْلانَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وإسْلامَهُ، وإجْماعَهُ لِفِراقِهِمْ في ذلك وعَداوَتِهِمْ؛ مَشَوْا إلَيْهِ بِعُمارةَ بنِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، فقالُوا لَهُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: يا أبا طالِبٍ، هذا عُمارةُ بنُ الوَلِيدِ، أنْهَدُ فتًى في قُرَيْشٍ وأجْمَلُهُ، فخُذْهُ فلَكَ عَقْلُهُ ونَصْرُهُ، واتَّخِذْهُ ولَدًا فهُوَ لَكَ، وأسْلِمْ إلَيْنا ابنَ أخِيكَ هذا الَّذي قَدْ خالَفَ دِينَكَ ودِينَ آبائِكَ، وفَرَّقَ جَماعةَ قَوْمِكَ، وسَفَّهُ أحْلامَهُمْ، فنَقْتُلَهُ؛ فإنَّما هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ، فقالَ: واللهِ لَبِئْسَ ما تَسُومُونَنِي! أتُعْطُونَنِي ابنَكُمْ أغْذُوهُ لَكُمْ، وأُعْطِيكُمُ ابنِي تَقْتُلُونَهُ؟! هذا واللهِ ما لا يَكُونُ أبَدًا. قالَ: فقالَ المُطْعِمُ ابنُ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ: واللهِ يا أبا طالِبٍ، لَقَدْ أنْصَفَكَ قَوْمُكَ، وجَهَدُوا على التَّخَلُّصِ مِمّا تَكْرَهُهُ، فما أراكَ تُرِيدُ أنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا. فقالَ أبو طالِبٍ لِلْمُطْعِمِ: واللهِ ما أنْصَفُونِي، ولَكِنَّكَ قَدْ أجْمَعْتَ خِذْلانِي ومُظاهَرةَ القَوْمِ عَلَيَّ، فاصْنَعْ ما بَدا لَكَ، أوْ كَما قالَ. فحَقِبَ الأمْرُ، وحَمِيَتِ الحَرْبُ، وتَنابَذَ القَوْمُ، وبادى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

[شِعْرُ أبي طالِبٍ في التَّعْرِيضِ بِالمُطْعِمِ ومَنْ خَذَلَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ]

فَقالَ أبو طالِبٍ عِنْدَ ذلك، يُعَرِّضُ بِالمُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، ويَعُمُّ مَنْ خَذَلَهُ

مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، ومَنْ عاداهُ مِنْ قَبائِلِ قُرَيْشٍ، ويَذْكُرُ ما سَألُوهُ، وما تَباعَدَ مِنْ أمرِهِم:

ألا قُلْ لِعَمْـرٍو والوَلِيدِ ومُطْعِمٍ: ... ألا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حِياطَتِكُمْ بَكْرُ
مِنَ الخُورِ حَبْحـابٌ كَثِيرٌ رُغاؤُهُ ... يُرَشُّ على السّـاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ
تَخَلَّفَ خَلْفَ الوِرْدِ لَيْسَ بِلاحِقٍ ... إذا ما عَلا الفيفـاءَ قِيلَ لَهُ: وبْرُ
أرى أخَوَيْنـا مِـنْ أبينـا وأُمِّنا ... إذا سُـئِلا قالا: إلى غَيْرِنا الأمْرُ
بَـلى لَهُما أمْـرٌ ولَكِـنْ تَجَرْجَما ... كَما جَرْجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ الصَّخْرُ
أخُصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... هُمـا نَبَذانا مِثْلَ مـا يُنْبَذُ الجَمْرُ
هُما أغْمَـزا لِلْقَـوْمِ في أخَوَيْهِما ... فَقَدْ أصْبَحـا مِنْهُمْ أكُفُّهُما صِفْرُ
هُمـا أشْرَكا في المَجْدِ مَنْ لا أبا لَهُ ... مِنَ النّاسِ إلّا أنْ يُـرَسَّ لَهُ ذِكْرُ
وَتَيْـمٌ ومَخْـزُومٌ وزُهْـرَةُ مِنْهُمُ ... وكانُوا لَنـا مَوْلًى إذا بُـغِيَ النَّصرُ
فَـواللهِ لا تَنْفَـكُّ مِنّـا عَداوَةٌ ... ولا مِنْهُمُ ما كانَ مِنْ نَسْـلِنا شَفْرُ
فَقَدْ سَفُهَتْ أحْلامُهُمْ وعُقُولُهُمْ ... وكانُوا كَجَفْرٍ بِئْسَ ما صَنَعَتْ جَفْرُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها بَيْتَيْنِ أقْذَعَ فيهِما.

[ذِكْرُ ما فتَنَتْ بَهْ قُرَيْشٌ المُؤْمِنِينَ وعَذَّبَتْهُمْ على الإيمانِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ قُرَيْشًا تَذامَرُوا بَيْنَهُمْ على مَنْ في القَبائِلِ مِنْهُمْ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذينَ أسْلَمُوا مَعَهُ، فوَثَبَتْ كُلُّ قَبيلَةٍ على مَنْ فيهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ يُعَذِّبُونَهُمْ، ويَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، ومَنَعَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أبِي طالِبٍ، وقَدْ قامَ أبو طالِبٍ حِينَ رَأى قُرَيْشًا يَصْنَعُونَ ما يَصْنَعُونَ في بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ، فدَعاهُمْ إلى ما هُوَ عَلَيْهِ؛ مِنْ مَنْعِ

رَسُولِ اللهِ ﷺ، والقِيامِ دُونَهُ، فاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، وقامُوا مَعَهُ، وأجابُوهُ إلى ما دَعاهُمْ إلَيْهِ، إلّا ما كانَ مِنْ أبي لَهَبٍ عَدُوِّ اللهِ المَلْعُونِ.

[شِعْرُ أبي طالِبٍ في مَدْحِ قَوْمِهِ لِحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ]

فَلَمّا رَأى أبو طالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ ما سَرَّهُ في جَهْدِهِمْ مَعَهُ، وحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ ويَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ، ويَذْكُرُ فضْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيهِمْ، ومَكانَهُ مِنْهُمْ؛ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ، ولِيَحْدَبُوا مَعَهُ على أمْرِهِ، فقالَ:

إذا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبْدُ مَنافٍ سِرُّها وصَمِيمُها
وَإنْ حُصِّلَتْ أشْرافُ عَبْدِ مَنافِها ... ففي هاشِمٍ أشْرافُها وقَدِيمُها
وَإنْ فخَرَتْ يَوْمًا فإنَّ مُحَمَّدًا ... هُوَ المُصْطَفى مِنْ سِرِّها وكَرِيمُها
تَداعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّها وسَمِينُها ... عَلَيْنا فلَمْ تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها
وَكُنّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها
وَنَحْمِي حِماها كُلَّ يَوْمِ كَرِيهةٍ ... ونَضْرِبُ عَنْ أجْحارِها مَنْ يَرُومُها
بِنا انْتَعَشَ العُودُ الذَّواءُ وإنَّما ... بِأكْنافِنا تَنْدى وتَنْمى أُرُومُها

تَحَيُّرُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ فيما يَصِفُ بِهِ القُرْآنَ

[اجْتِماعُهُ بِنفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيُبَيِّتُوا ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ، واتِّفاقُ قُرَيْشٍ أنْ يَصِفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِالسّاحِرِ، وما أنْزَلَ الله فيهِمْ]

ثُمَّ إنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرةِ اجْتَمَعَ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وكانَ ذا سِنٍّ فيهِمْ، وقَدْ حَضَرَ المَوْسِمُ، فقالَ لَهُمْ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّهُ قَدْ حَضَرَ هذا المَوْسِمُ، وإنَّ وُفُودَ العَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فيهِ، وقَدْ سَمِعُوا بِأمْرِ صاحِبِكُمْ هذا،

فأجْمِعُوا فيهِ رَأْيًا واحِدًا، ولا تَخْتَلِفُوا فيُكَذِّبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ويَرُدَّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا، قالُوا: فَأَنْتَ يا أبا عَبْدِ شَمْسٍ، فقُلْ وأقِمْ لَنا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ، قالَ: بَلْ أَنْتُمْ فقُولُوا أَسْمَعْ، قالُوا: نَقُولُ: كاهِنٌ، قالَ: لا واللهِ ما هُوَ بِكاهِنٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنا الكُهّانَ، فما هُوَ بِزَمْزَمَةِ الكاهِنِ ولا سَجْعِهِ، قالُوا: فنَقُولُ: مَجْنُونٌ، قالَ: ما هُوَ بِمَجْنُونٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنا الجُنُونَ وعَرَفْناهُ، فما هُوَ بِخَنْقِهِ، ولا تَخالُجِهِ، ولا وسْوَسَتِهِ، قالُوا: فَنَقُولُ: شاعِرٌ، قالَ: ما هُوَ بِشاعِرٍ؛ لَقَدْ عَرَفْنا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ، وهَزَجَهُ، وقَرِيضَهُ، ومَقْبُوضَهُ، ومَبْسُوطَهُ، فما هُوَ بِالشِّعْرِ، قالُوا: فنَقُولُ: ساحِرٌ، قالَ: ما هُوَ بِساحِرٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنا السُّحّارَ وسِحْرَهُمْ، فما هُوَ بِنَفْثِهِمْ ولا عَقْدِهِمْ، قالُوا: فما نَقُولُ يا أبا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قالَ: واللهِ إنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلاوةً، وإنَّ أصْلَهُ لَعَذْقٌ، وإنَّ فرْعَهُ لَجَناةٌ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: لَغَدْقٌ ـ وما أَنْتُمْ بِقائِلِينَ مِنْ هذا شَيْئًا إلّا عُرِفَ أَنَّهُ باطِلٌ، وإنَّ أَقْرَبَ القَوْلِ فيهِ لَأَنْ تَقُولُوا: ساحِرٌ؛ جاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وأبيهِ، وبَيْنَ المَرْءِ وأخِيهِ، وبَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجَتِهِ، وبَيْنَ المَرْءِ وعَشِيرَتِهِ، فتُفَرِّقُوا عَنْهُ بِذلك. فجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسُبُلِ النّاسِ حِينَ قَدِمُوا المَوْسِمَ، لا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إلّا حَذَّرُوهُ إيّاهُ، وذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى في الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ وفي ذلك مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ [المدثر: ١١-١٦]، أيْ: خَصِيمًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَنِيدٌ: مُعانِدٌ مُخالِفٌ. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

وَنَحْنُ ضَرّابُونَ رَأْسَ العُنَّدِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا * إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ [المدثر: ١٧-٢٢].

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَسَرَ: كَرَّهَ وجْهَهُ. قالَ العَجّاجُ:

مُضَبَّرُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهَسا

يَصِفُ كَراهِيَةَ وجْهِهِ. وهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٣-٢٥].

[ما أَنْزَلَ اللهُ في النَّفَرِ الَّذينَ كانُوا مَعَ المُغِيرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَنْزَلَ اللهُ تَعالى في النَّفَرِ الَّذينَ كانُوا مَعَهُ يُصَنِّفُونَ القَوْلَ في رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفيما جاءَ بِهِ مِنَ اللهِ تَعالى:﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٠-٩٣].

قالَ ابنُ هِشامٍ: واحِدةُ العِضِينَ: عِضةٌ، يَقُولُ: عَضَّوْهُ: فرَّقُوهُ. قالَ رُؤْبةُ ابنُ العَجّاجِ:

وَلَيْسَ دِيــنُ اللهِ بِالمُعَضّى

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

[تَفَرُّقُ النَّفَرِ في قُرَيْشٍ يُشَوِّهُونَ رِسالةَ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَعَلَ أُولَئِكَ النَّفَرُ يَقُولُونَ ذلك في رَسُولِ اللهِ ﷺ

لِمَنْ لَقُوا مِنَ النّاسِ، وصَدَرَتِ العَرَبُ مِنْ ذلك المَوْسِمِ بِأمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فانْتَشَرَ ذِكْرُهُ في بِلادِ العَرَبِ كُلِّها.

[شِعْرُ أبي طالِبٍ في اسْتِعْطافِ قُرَيْشٍ]

فَلَمّا خَشِيَ أبو طالِبٍ دَهْماءَ العَرَبِ أنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، قالَ قَصِيدَتَهُ الَّتي تَعَوَّذَ فيها بِحَرَمِ مَكّةَ وبِمَكانِهِ مِنْها، وتَوَدَّدَ فيها أشْرافَ قَوْمِهِ، وهُوَ على ذلك يُخْبِرُهُمْ وغَيْرَهُمْ في ذلك مِنْ شِعْرِهِ أنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ولا تارِكِهِ لِشَيْءٍ أبَدًا حَتّى يَهْلِكَ دُونَهُ، فقالَ:

وَلَمّا رَأيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهِمُ ... وقَدْ قَطَعُوا كُلَّ العُرى والوَسائِلِ
وَقَدْ صارَحُونا بِالعَداوةِ والأذى ... وقَدْ طاوَعُوا أمْرَ العَدُوِّ المُزايِلِ
وَقَدْ حالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنا أظِنّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنا بِالأنامِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْراءَ سَمْحةٍ ... وأبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُراثِ المَقاوِلِ
وَأحْضَرْتُ عِنْدَ البَيْتِ رَهْطِي وإخْوَتِي ... وأمْسَكْتُ مِنْ أثْوابِهِ بِالوَصائِلِ
قِيامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتاجَهُ ... لَدى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نافِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الأشْعَرُونَ رِكابَهُمْ ... بِمُفْضى السُّيُولِ مِنْ إسافٍ ونائِلِ
مُوَسَّمةَ الأعْضادِ أوْ قَصَراتِها ... مُخَيَّسةً بَيْنَ السَّدِيسِ وبازِلِ
تَرى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزِينةً ... بِأعْناقِها مَعْقُودةً كالعَثاكِلِ
أعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ مِنْ كُلِّ طاعِنٍ ... عَلَيْنا بِسُوءٍ أوْ مُلِحٍّ بِباطِلِ
وَمِنْ كاشِحٍ يَسْعى لَنا بِمَعِيبةٍ ... ومِنْ مُلْحِقٍ في الدِّينِ ما لَمْ نُحاوِلِ
وَثَوْرٍ ومَنْ أرْسى ثَبِيرًا مَكانَهُ ... وراقٍ لِيَرْقى في حِراءٍ ونازِلِ
وَبِالبَيْتِ حَقِّ البَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكّةٍ ... وبِاللهِ إنَّ اللهَ لَيْسَ بِغافِلِ

وَبِالحَجَرِ المُسْــوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَهُ إذا اكْتَنَفُــوهُ بِالضُّحى والأصائِلِ
وَمَوْطِئِ إبْراهِيمَ في الصَّخْرِ رَطْبَةً على قَدَمَيْــهِ حافيًا غَــيْرَ ناعِلِ
وَأَشْواطِ بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ إلى الصّفا وما فيهِمــا مِنْ صُــورةٍ وتَماثِلِ
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ راكِبٍ ومِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ ومِنْ كُلِّ راجِلِ
وَبِالمَشْــعِرِ الأقْصى إذا عَمَدُوا لَهُ إلالٌ إلى مُفْــضى الشِّراج القَوابِلِ
وَتَوْقافِهِــمْ فَوْقَ الجِبالِ عَشِــيَّةً يُقِيمُونَ بِالأيْدِي صُدُورَ الرَّواحِلِ
وَلَيْلَةِ جَمْــعٍ والمَنــازِلِ مِنْ مِنًى وهَلْ فَوْقَها مِــنْ حُرْمَةٍ ومَنازِلِ؟
وَجَمْــعٍ إذا ما المُقْرَبــاتِ أجَزْنَهُ سِراعًا كَما يَخْرُجْنَ مِنْ وقْعِ وابِلِ
وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرى إذا صَمَدُوا لَهَا يَؤُمُّــونَ قَذْفًا رَأْسَــها بِالجَنادِلِ
وَكِنْدَةَ إذْ هُمْ بِالحِصابِ عَشِــيَّةً تُجِيزُ بِهِمْ حُجّــاجُ بَكْرِ بنِ وائِلِ
حَلِيفانِ شَــدّا عَقْدَ ما احْتَلَفا لَهُ ورَدّا عَلَيْــهِ عاطِفاتِ الوَســائِلِ
وَحَطْمِهِمُ سُــمْرَ الصِّفاحِ وسَرْحَهُ وشِــبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعــامِ الجَوافِلِ
فَهَلْ بَعْدَ هذا مِــنْ مَعاذٍ لِعائِذٍ؟ وهَلْ مِنْ مُعِيــذٍ يَتَّقِي اللهَ عاذِلِ؟
يُطــاعُ بِنا العِــدى ووَدُّوا لَوَ انَّنا تُسَــدُّ بِنــا أبْــوابُ تُــرْكٍ وكابُلِ
كَذَبْتُــمْ وبَيْتِ اللهِ نَــتْرُكُ مَكّةَ ونَظْعَــنُ إلّا أمْرُكُــمْ في بَلابِلِ
كَذَبْتُمْ وبَيْــتِ اللهِ نُبْزى مُحَمَّدًا ولَمّــا نُطاعِــنْ دُونَــهُ ونُناضِلِ
وَنُسْــلِمُهُ حَــتّى نُــصَرَّعَ حَوْلَهُ ونَذْهَــلَ عَنْ أبنائِنــا والحَلائِلِ
وَيَنْهَضَ قَــوْمٌ في الحَدِيدِ إلَيْكُمُ نُهُوضَ الرَّوايا تَحْتَ ذاتِ الصَّلاصِلِ
وَحَتّى تَرى ذا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الأنْكَبِ المُتَحامِلِ
وَإنّــا لَعَمْرُ اللهِ إنْ جَــدَّ ما أرى لَتَلْتَبِسَــنْ أسْــيافُنا بِالأماثِــلِ
بِكَفَّيْ فتًى مِثْلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ أخِي ثِقَــةٍ حامِي الحَقِيقةِ باسِــلِ

شُـهُورًا وأيّامًـا وحَـوْلًا مُجَرَّمًا عَلَيْنا وتَـأْتِي حَجّةٌ بَعْـدَ قابِلِ

وَمـا تَرْكُ قَوْمٍ، لا أبا لَكَ، سَـيِّدًا يَحُوطُ الذِّمارَ غَـيْرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ

وَأبْيَضَ يُسْتَسْـقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمـالَ اليَتامى عِصْمَـةً لِلْأَرامِلِ

يَلُـوذُ بِهِ الهُلّافُ مِنْ آلِ هاشِـمٍ فهُمْ عِنْـدَهُ في رَحْمَـةٍ وَفَواضِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أجْرى أَسِيدٌ وبِكْرُهُ إلى بُغْضِنـا وجَزَّآنـا لِآكِلِ

وَعُثْمانُ لَمْ يَرْبَـعْ عَلَيْنا وقُنْفُذٌ ولَكِنْ أطاعَا أمْـرَ تِلْكَ القَبائِلِ

أطاعا أُبَيًّـا وابنَ عَبْـدِ يَغُوثِهِمْ ولَـمْ يَرْقُبـا فينـا مَقالَـةَ قائِلِ

كَمـا قَدْ لَقِينا مِنْ سُـبَيْعٍ ونَوْفَلٍ وكُلٌّ تَـوَلّى مُعْرِضًـا لَـمْ يُجامِلِ

فَإنْ يُلْقِيـا أوْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْهُما نَكِلْ لَهُما صاعًا بِصاعِ المُكايِلِ

وَذاكَ أبو عَمْـرٍو أبى غَيْرَ بُغْضِنا لِيَظْعَنَنـا في أهْلِ شـاءٍ وجامِلِ

يُناجِي بِنـا في كُلِّ مُمْسًى ومُصْبَحٍ فنـاجِ أبا عَمْـرٍو بِنا ثُـمَّ خاتِلِ

وَيُـؤْلِي لَنا بـاللهِ ما إنْ يَغُشُّـنا بَلى قَدْ نَـراهُ جَهْرَةً غَـيْرَ حائِلِ

أضاقَ عَلَيْـهِ بُغْضُنـا كُلَّ تَلْعةٍ مِنَ الأرْضِ بَيْنَ أخْشُبٍ فمَجادِلِ

وَسـائِلْ أبا الوَلِيدِ: مـاذا حَبَوْتَنا بِسَـعْيِكَ فينا مُعْرِضًا كالمُخاتِلِ

وَكُنْتَ امْـرَأً مِمَّنْ يُعـاشُ بِرَأْيِهِ ورَحْمَتُـهُ فينـا ولَسْـتَ بِجاهِلِ

فَعُتْبَةُ لا تَسْـمَعْ بِنا قَوْلَ كاشِـحٍ حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغاوِلِ

وَمَرَّ أبو سُـفيانَ عَـنِّيَ مُعْرِضًا كَما مَرَّ قَيْلٌ مِـنْ عِظامِ المَقاوِلِ

يَفِـرُّ إلى نَجْـدٍ وبَـرْدِ مِياهِـهِ ويَزْعُمُ أنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغافِلِ

وَيُخْبِرُنـا فِعْـلَ المُناصِـحِ أنَّهُ شَـفِيقٌ ويُخْفِي عارِماتِ الدَّواخِلِ

أمُطْعِمُ لَمْ أخْذُلْـكَ في يَوْمِ نَجْدةٍ ولا مُعْظِمٍ عِنْـدَ الأُمُورِ الجَلائِلِ

وَلا يَـوْمَ خَصْـمٍ إذا أتَـوْكَ ألِدّةً أُولِي جَدَلٍ مِنَ الخُصُومِ المَساجِلِ

أَمُطْعِمُ إنَّ القَوْمَ سـامُوكَ خُطّةً ... وإنِّي مَـتى أُوكَلْ فلَسْـتُ بِوائِلِ
جَزى اللهُ عَنّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... عُقُوبـةَ شَرٍّ عاجِلًا غَـيْرَ آجِلِ
بِميزانِ قِسْـطٍ لا يُخِسُّ شَـعِيرةً ... لَهُ شـاهِدٌ مِنْ نَفْسِـهِ غَيْرُ عائِلِ
لَقَدْ سَـفُهَتْ أحْلامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا ... بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بِنـا والغَياطِلِ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤابَةِ هاشِـمٍ ... وآلِ قُـصَيٍّ في الخُطُـوبِ الأوائِلِ
وَسَـهْمٌ ومَخْـزُومٌ تَمالَـوْا وألَّبُوا ... عَلَيْنا العِدا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وخامِلِ
فَعَبْدُ مَنافٍ أنْتُـمُ خَيْرُ قَوْمِكُم ... فلا تُشْرِكُـوا في أمْرِكُمْ كُلَّ واغِلِ
لَعَمْرِي لَقَـدْ وَهَنْتُـمُ وعَجَزْتُمُ ... وجِئْتُـمْ بِأمْرٍ مُخْطِـئٍ لِلْمَفاصِلِ
وَكُنْتُمْ حَدِيثًـا حَطْبَ قِدْرٍ وأنْتُمُ ... أَلانَ حِطـابُ أقْـدُرٍ ومَراجِـلِ
لِيَهْنِئْ بَنِي عَبْـدِ مَنافٍ عُقُوقُنا ... وخِذْلانُنـا وتَرْكُنـا في المَعاقِلِ
فَإنْ نَـكُ قَوْمًا نَتَّئِرْ مـا صَنَعْتُمُ ... وتَحْتَلِبُوهـا لِقْحـةً غَـيْرَ باهِلِ
وَسـائِطُ كانَتْ في لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... نَفاهُـمْ إلَيْنا كُلُّ صَقْـرٍ حُلاحِلِ
وَرَهْطُ نُفيلٍ شَرُّ مَنْ وطِئَ الحَصى ... وألْأَمُ حـافٍ مِنْ مَعَـدٍّ وناعِلِ
فَأبْلِـغْ قُصَيًّا أنْ سَـيُنْشَرُ أمْرُنا ... وبَشِّرْ قُصَيًّـا بَعْدَنـا بِالتَّخاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْـلًا قُصَيًّا عَظِيمةٌ ... إذا ما لَجَأْنا دُونَهُـمْ في المَداخِلِ
وَلَوْ صَدَقُـوا ضَرْبًا خِلالَ بُيُوتِهِمْ ... لَكُنّا أُسًى عِنْدَ النِّسـاءِ المَطافِلِ
فَـكُلُّ صَدِيقٍ وابنِ أُخْـتٍ نَعُدُّهُ ... لَعَمْرِي وَجَدْنا غِبَّـهُ غَيْرَ طائِلِ
سِوى أنَّ رَهْطًا مِنْ كِلابِ بنِ مُرّةٍ ... بَـراءٌ إلَيْنا مِـنْ مَعَقّـةِ خاذِلِ
وَهَنّـا لَهُمْ حَـتّى تَبَـدَّدَ جَمْعُهُمْ ... ويَحْـسُرَ عَنّـا كُلُّ بـاغٍ وجاهِلِ
وَكانَ لَنـا حَوْضُ السِّـقايةِ فيهِمُ ... ونَحْنُ الكُدى مِنْ غالِبٍ والكَواهِلِ
شَـبابٌ مِنَ المُطَيِّبِينَ وهاشِـمٍ ... كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أيْدِي الصَّياقِلِ

فَما أدْرَكُوا ذَحْلًا ولا سَفَكُوا دَمًا ... ولا حالَفُوا إلّا شِرارَ القَبائِلِ
بِضَرْبٍ تَرى الفِتْيانَ فيهِ كَأَنَّهُمْ ... ضَوارِي أُسُودٍ فوْقَ لَحْمٍ خَرادِلِ
بَنِي أَمةٍ مَحْبُوبةٍ هِنْدِكِيّةٍ ... بَنِي جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بنِ عاقِلِ
وَلَكِنَّنا نَسْلٌ كِرامٌ لِسادةٍ ... بِهِمْ نُعِيَ الأقْوامُ عِنْدَ البَواطِلِ
وَنِعْمَ ابنُ أُخْتِ القَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ ... زُهَيْرٌ حُسامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمائِلِ
أشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البَهالِيلِ يَنْتَمِي ... إلى حَسَبٍ في حَوْمةِ المَجْدِ فاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وجْدًا بِأحْمَدٍ ... وإخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِّ المُواصِلِ
فَلا زالَ في الدُّنْيا جَمالًا لِأهْلِها ... وَزَيْنًا لِمَنْ والاهُ رَبُّ المَشاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ في النّاسِ أيُّ مُؤَمَّلٍ ... إذا قاسَهُ الحُكّامُ عِنْدَ التَّفاضُلِ؟
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عادِلٌ غَيْرُ طائِشٍ ... يُوالِي إلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغافِلِ
فَوَاللهِ لَوْلا أنْ أجِيءَ بِسُنّةٍ ... تُجَرُّ على أشْياخِنا في المَحافِلِ
لَكُنّا اتَّبَعْناهُ على كُلِّ حالَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنا ولا يُعْنى بِقَوْلِ الأباطِلِ
فَأصْبَحَ فينا أحْمَدٌ في أرُومةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرةُ المُتَطاوِلِ
حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وحَمَيْتُهُ ... وَدافَعْتُ عَنهُ بالذُّرا والكَلاكِلِ
فَأيَّدَهُ رَبُّ العِبادِ بِنَصْرِهِ ... وأظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ باطِلِ
رِجالٌ كِرامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَماهُمُ ... إلى الخَيْرِ آباءٌ كِرامُ المَحاصِلِ
فَإنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ صُقَيْبَةً ... فلا بُدَّ يَوْمًا مَرّةً مِنْ تَزايُلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: هذا ما صَحَّ لِي مِنْ هَذِهِ القَصِيدةِ، وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ أكْثَرَها.

[دَعا ﷺ لِلنّاسِ حِينَ أقْحَطُوا، فنَزَلَ المَطَرُ، ووَدَّ لَوْ أنَّ أبا طالِبٍ حَيٌّ فرأى ذلك]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ، قالَ: أقْحَطَ أهْلُ المَدِينةِ، فأتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فشَكَوْا ذلك إلَيْهِ، فصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِنْبَرَ فاسْتَسْقى، فما لَبِثَ أنْ جاءَ مِنَ المَطَرِ ما أتاهُ أهْلُ الضَّواحِي يَشْكُونَ مِنْهُ الغَرَقَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا»، فانْجابَ السَّحابُ عَنِ المَدِينةِ فصارَ حَوالَيْها كالإكْلِيلِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أدْرَكَ أبو طالِبٍ هذا اليَوْمَ لَسَرَّهُ»، فقالَ لَهُ بَعْضُ أصْحابِهِ: كَأنَّكَ يا رَسُولَ اللهِ أرَدْتَ قَوْلَهُ:

وَأبْيَضَ يُسْتَسْقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمالَ اليَتامى عِصْمةً لِلْأرامِلِ

قالَ: «أجَلْ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَوْلُهُ «وَشِبْرِقَهُ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[الأسْماءُ الَّتِي ورَدَتْ في قَصِيدةِ أبِي طالِبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والغَياطِلُ: مِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنُ هُصَيْصٍ، وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ. ومُطْعِمُ بنُ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ. وزُهَيْرُ ابنُ أبِي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وأُمُّهُ عاتِكةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَسِيدٌ، وبِكْرُهُ: عَتّابُ بنُ أَسِيدِ بنِ أبِي العِيصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ. وعُثْمانُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ، أخُو طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ. وقُنْفُذُ بنُ عُمَيْرِ بنِ جُدْعانَ بنِ عُمَرَ بنِ كَعْبِ

ابنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرّةَ. وأبو الوَلِيدِ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ. وأُبَيٌّ الأخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ الثَّقَفيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما سُمِّيَ: الأخْنَسَ؛ لِأنَّهُ خَنَسَ بِالقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وإنَّما اسْمُهُ: أُبَيٌّ، وهُوَ مِنْ بَنِي عِلاجٍ، وهُوَ عِلاجُ بنُ أبي سَلَمةَ بنِ عَوْفِ بنِ عُقْبةَ.

والأسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ بنِ وهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابٍ. وسُبَيْعُ ابن خالِدٍ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ فِهْرٍ. ونَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بن قُصَيٍّ، وهُوَ ابنُ العَدَوِيّةِ، وكانَ مِنْ شَياطِينِ قُرَيْشٍ، وهُوَ الَّذي قَرَنَ بَيْنَ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ الله عَنْهُما في حَبْلٍ حِينَ أسْلَما، فبِذلك كانا يُسَمَّيانِ القَرِينَيْنِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلام يَوْمَ بَدْرٍ.

وَأبو عَمْرٍو قَرَظةُ بنُ عَبْدِ عَمْرِو بنِ نَوْفَلِ بن عَبْدِ مَنافٍ.

«وَقَوْمٌ عَلَيْنا أظِنّةٌ»: بَنُو بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ.

فهَؤُلاءِ الَّذينَ عَدَّدَ أبو طالِبٍ في شِعْرِهِ مِنَ العَرَبِ.

[انْتِشارُ ذِكْرِ الرَّسُولِ في القَبائِلِ، ولا سِيَّما في الأوْسِ والخَزْرَجِ]

فَلَمّا انْتَشَرَ أمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في العَرَبِ، وبَلَغَ البُلْدانَ، ذُكِرَ بِالمَدِينةِ، ولَمْ يَكُنْ حَيٌّ مِنَ العَرَبِ أعْلَمَ بِأمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ ذُكِرَ وقَبْلَ أنْ يُذْكَرَ مِنْ هذا الحَيِّ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ؛ وذلك لِما كانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ أحْبارِ اليَهُودِ، وكانُوا لَهُمْ حُلَفاءَ، ومَعَهُمْ في بِلادِهِمْ، فلَمّا وقَعَ ذِكْرُهُ بِالمَدِينةِ، وتَحَدَّثُوا بِما بَيْنَ قُرَيْشٍ فيهِ مِنَ الِاخْتِلافِ. قالَ أبو قَيْسِ بنُ الأسْلَتِ أخُو بَنِي واقِفٍ.

[نَسَبُ أبي قَيْسِ بن الأَسْلَتِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: نَسَبَ ابنُ إسْحاقَ أبا قَيْسٍ هذا ههُنا إلى بَنِي واقِفٍ، ونَسَبَهُ في حَدِيثِ الفيلِ إلى خَطْمةَ؛ لِأنَّ العَرَبَ قَدْ تَنْسُبُ الرَّجُلَ إلى أخِي جَدِّهِ الَّذي هُوَ أشْهَرُ مِنْهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ: أنَّ الحَكَمَ بنَ عَمْرٍو الغِفارِيَّ مِنْ ولَدِ نُعَيْلةَ أخِي غِفارٍ، وهُوَ غِفارُ بنُ مُلَيْلٍ، ونُعَيْلةُ بنُ مُلَيْلِ بنِ ضَمْرةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ، وقَدْ قالُوا: عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ السُّلَمِيُّ، وهُوَ مِنْ ولَدِ مازِنِ ابنِ مَنْصُورٍ وسُلَيْمِ بنِ مَنْصُورٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فأبو قَيْسِ بنُ الأسْلَتِ مِنْ بَنِي وائِلٍ، ووائِلٌ، وواقِفٌ، وخَطْمةُ إخْوةٌ مِنَ الأوْسِ.

[شِعْرُ ابنِ الأسْلَتِ في الدِّفاعِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ أبو قَيْسِ بنُ الأسْلَتِ ـ وكانَ يُحِبُّ قُرَيْشًا، وكانَ لَهُمْ صِهْرًا؛ كانَتْ عِنْدَهُ أرْنَبُ بِنْتُ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ، وكانَ يُقِيمُ عِنْدَهُمُ السِّنِينَ بِامْرَأتِهِ ـ قَصِيدةً يُعَظِّمُ فيها الحُرْمةَ، ويَنْهى قُرَيْشًا فيها عَنِ الحَرْبِ، ويَأْمُرُهُمْ بِالكَفِّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، ويَذْكُرُ فضْلَهُمْ وأحْلامَهُمْ، ويَأْمُرُهُمْ بِالكَفِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويُذَكِّرُهُمْ بَلاءَ اللهِ عِنْدَهُمْ، ودَفْعَهُ عَنْهُمُ الفيلَ وكَيْدَهُ عَنْهُمْ، فقالَ:

يا راكِبًا إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... مُغَلْغَلةً عَنِّي لُؤَيَّ بنَ غالِبِ
رَسُولَ امْرِئٍ قَدْ راعَهُ ذاتُ بَيْنِكُمْ ... على النَّأْيِ مَحْزُونٍ بِذلك ناصِبِ

وَقَــدْ كانَ عِنْدِي للهمُــومِ مَعَرَّسٌ ... فلَــمْ أقْضِ مِنْها حاجَــتِي ومَآرِبِي
نُبَيِّتُكُــمْ شَرْجَــيْنِ كُلُّ قَبِيلَــةٍ ... لَهَا أزْمَلٌ مِنْ بَــيْنِ مُذْكٍ وحاطِبِ
أُعِيذُكُمُ باللهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ ... وشَرِّ تَباغِيكُــمْ ودَسِّ العَقارِبِ
وَإظْهــارِ أخْلاقٍ ونَجْوى سَــقِيمةٍ ... كَوَخْزِ الأشــافي وقْعُها حَقُّ صائِبِ
فَذَكِّرْهُــمْ بــاللهِ أوَّلَ وهْلَــةٍ ... وإحْلالِ أحْرامِ الظِّباءِ الشَّــوازِبِ
وَقُلْ لَهُــمْ واللهُ يَحْكُــمُ حُكْمَهُ ... ذَرُوا الحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ في المَراحِبِ
مَــتى تَبْعَثُوهــا تَبْعَثُوها ذَمِيمةً ... هِيَ الغُولُ لِلْأقْصَــيْنَ أوْ لِلْأقارِبِ
تُقَطِّــعُ أرْحامًــا وتُهْلِــكُ أُمَّــةً ... وتَبْرِي السَّدِيفَ مِنْ سَنامٍ وغارِبِ
وَتَسْــتَبْدِلُوا بِالأتْحَمِيَّــةِ بَعْدَهــا ... شَــلِيلًا وأصْداءً ثِيابَ المُحارِبِ
وَبِالمِسْــكِ والكافُورِ غُبْرًا سَوابِغًا ... كَأنَّ قَتِيرَيْهــا عُيُــونُ الجَنــادِبِ
فَإيّاكُمُ والحَــرْبَ لا تَعْلَقَنَّكُمْ ... وحَوْضًا وخِيمَ الماءِ مُرَّ المَشــارِبِ
تَزَيَّــنُ لِلْأقْــوامِ ثُــمَّ يَرَوْنَها ... بِعاقِبَــةٍ إذْ بَيَّنَــتْ أُمَّ صاحِــبِ
تُحَرِّقُ لا تُشْــوِي ضَعِيفًــا وتَنْتَحِي ... ذَوِي العِزِّ مِنْكُمْ بِالحُتُوفِ الصَّوائِبِ
ألَمْ تَعْلَمُوا ما كانَ في حَرْبِ داحِسٍ ... فتَعْتَبِرُوا أوْ كانَ في حَرْبِ حاطِبِ؟
وَكَمْ قَدْ أصابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ ... طَوِيلِ العِمادِ ضَيْفُــهُ غَيْرُ خائِبِ
عَظِيــمِ رَمادِ النّــارِ يُحْمَــدُ أمْرُهُ ... وذِي شِيمَــةٍ مَحْضٍ كَرِيمِ المَضارِبِ
وَماءٍ هُرِيــقَ في الضَّــلالِ كَأنَّما ... أذاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبــا والجَنائِبِ
يُخَبِّرُكُــمْ عَنْها امْــرُؤٌ حَقُّ عالِمٍ ... بِأيّامِهــا والعِلْمُ عِلْــمُ التَّجارِبِ
فَبِيعُوا الحِرابَ مِلْمُحارِبِ واذْكُرُوا ... حِســابَكُمُ واللهُ خَيْرُ مُحاسِــبِ
وَلِيُّ امْرِئٍ فاخْتــارَ دِينًا فلا يَكُنْ ... عَلَيْكُمْ رَقِيبًــا غَيْرُ رَبِّ الثَّواقِبِ
أقِيمُوا لَنــا دِينًــا حَنِيفًــا فأنْتُمُ ... لَنــا غايَةٌ قَــدْ يُهْتَــدى بِالذَّوائِبِ

وَأَنْتُمْ لِهٰذا النّاسِ نُورٌ وعِصْمةٌ تُؤَمُّونَ والأحْلامُ غَيْرُ عَوازِبِ
وَأَنْتُمْ، إذا ما حُصِّلَ النّاسُ، جَوْهَرٌ لَكُمْ سُرّةُ البَطْحاءِ شُمُّ الأرانِبِ
تَصُونُونَ أجْسادًا كِرامًا عَتِيقةً مُهَذَّبةَ الأنْسابِ غَيْرَ أشائِبِ
تَرى طالِبَ الحاجاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ عَصائِبَ هَلْكَى تَهْتَدِي بِعَصائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الأقْوامُ أنَّ سَراتَكُمْ على كُلِّ حالٍ خَيْرُ أَهْلِ الجَباجِبِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا وأعْلاهُ سُنّةً وأقْوَلُهُ لِلْحَقِّ وسْطَ المَواكِبِ
فَقُومُوا فصَلُّوا رَبَّكُمْ وتَمَسَّحُوا بِأرْكانِ هذا البَيْتِ بَيْنَ الأخاشِبِ
فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلاءٌ ومَصْدَقٌ غَداةَ أبي يَكْسُومَ هادِي الكَتائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمْسِي ورَجْلُهُ على القاذِفاتِ في رُؤُوسِ المَناقِبِ
فَلَمّا أتاكُمْ نَصْرُ ذِي العَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودُ المَلِيكِ بَيْنَ سافٍ وحاصِبِ
فَوَلَّوْا سِراعًا هارِبِينَ ولَمْ يَؤُبْ إلى أهْلِهِ مِلْحُبْشِ غَيْرُ عَصائِبِ
فَإنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وتَهْلِكْ مَواسِمٌ يُعاشُ بِها، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كاذِبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي بَيْتَهُ: «وَماءٍ هُرِيقَ»، وبَيْتَهُ: «فَبِيعُوا الحِرابَ»، وقَوْلَهُ: «وَلِيُّ امْرِئٍ فاخْتارَ»، وقَوْلَهُ:

على القاذِفاتِ في رُؤُوسِ المَناقِبِ

أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ وغَيْرُهُ.

[حَرْبُ داحِسٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأمّا قَوْلُهُ:

أَلَمْ تَعْلَمُوا ما كانَ في حَرْبِ داحِسٍ؟

فَحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ: أَنَّ داحِسًا فرَسٌ كانَ لِقَيْسِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَذِيمةَ بنِ رَواحةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ مازِنِ بنِ قُطَيْعةَ بنِ عَبْسِ بنِ بَغِيضِ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، أَجْراهُ مَعَ فرَسٍ لِحُذَيْفةَ بنِ بَدْرِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ جُؤَيَّةَ بنِ لَوْذانَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَدِيِّ بنِ فَزارةَ بنِ ذُبْيانَ بنِ بَغِيضِ ابنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، يُقالُ لَها: الغَبْراءُ. فدَسَّ حُذَيْفةُ قَوْمًا وأَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا وجْهَ داحِسٍ إنْ رَأَوْهُ قَدْ جاءَ سابِقًا، فجاءَ داحِسٌ سابِقًا فضَرَبُوا وجْهَهُ، وجاءَتِ الغَبْراءُ. فلَمّا جاءَ فارِسُ داحِسٍ أَخْبَرَ قَيْسًا الخَبَرَ، فوَثَبَ أَخُوهُ مالِكُ بنُ زُهَيْرٍ فلَطَمَ وجْهَ الغَبْراءِ، فقامَ حَمَلُ بنُ بَدْرٍ فلَطَمَ مالِكًا، ثُمَّ إنَّ أبا الجُنَيْدِبِ العَبْسِيَّ لَقِيَ عَوْفَ بنَ حُذَيْفةَ فقَتَلَهُ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزارةَ مالِكًا فقَتَلَهُ، فقالَ حَمَلُ بنُ بَدْرٍ أَخُو حُذَيْفةَ بنِ بَدْرٍ:

قَتَلْنـــا بِعَوْفٍ مالِكًا وهـــوَ ثَأْرُنا ... فإنْ تَطْلُبُوا مِنّا سِوى الحَقِّ تَنْدَمُوا

وَهذا البَيْتُ في أَبْياتٍ لَهُ.

وقالَ الرَّبِيعُ بنُ زِيادٍ العَبْسِيُّ:

أَفَبَعْدَ مَقْتَـــلِ مالِكِ بنِ زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأَطْهارِ؟

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

فَوَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَ عَبْسٍ وفَزارةَ، فقُتِلَ حُذَيْفةُ بنُ بَدْرٍ وأَخُوهُ حَمَلُ ابنُ بَدْرٍ، فقالَ قَيْسُ بنُ زُهَيْرِ بنِ جَذِيمةَ يَرْثِي حُذَيْفةَ، وجَزِعَ عَلَيْهِ:

كَمْ فارِسٍ يُدْعى ولَيْسَ بِفارِسٍ ... وعلى الهَباءةِ فـــارِسٌ ذُو مَصْدَقِ

فابْكُوا حُذَيْفةَ لَـــنْ تُرَثُّوا مِثْلَهُ ... حَـــتّى تَبِيـــدَ قَبائِـــلُ لَـــمْ تُخْلَقِ

وَهذانِ البَيْتانِ في أبْياتٍ لَهُ.

وقالَ قَيْس بنُ زُهَيْرٍ:

على أنَّ الفَتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغى والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وخِيمُ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ.

وقالَ الحارِثُ بنُ زُهَيْرٍ أخُو قَيْسِ بنِ زُهَيْرٍ:

تَرَكْتُ على الهَباءةِ غَيْرَ فخرٍ حُذَيْفةَ عِنْدَهُ قِصَدُ العَوالِي

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أرْسَلَ قَيْسٌ داحِسًا والغَبْراءَ، وأرْسَلَ حُذَيْفةُ الخَطّارَ والحَنْفاءَ، والأوَّلُ أصَحُّ الحَدِيثَيْنِ، وهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَنَعَني مِنِ اسْتِقْصائِهِ قَطْعُهُ حَدِيثَ سِيرةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

[حَرْبُ حاطِبٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأمّا قَوْلُهُ: «حَرْبُ حاطِبٍ»، فيعْنِي: حاطِبَ بنَ الحارِثِ ابنِ قَيْسِ بنِ هَيْشَةَ بنِ الحارِثِ بنِ أُمَيّةَ بنِ مُعاوِيةَ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بن عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، كانَ قَتَلَ يَهُودِيًّا جارًا لِلْخَزْرَجِ، فخَرَجَ إلَيْهِ يَزِيدُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ أحْمَرَ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ـ وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: ابنُ فُسْحُمَ، وفُسْحُمُ أُمُّهُ، وهِيَ امْرَأةٌ مِنَ القَيْنِ بن جَسْرٍ ـ لَيْلًا في نَفَرٍ مِنْ بَنِي الحارِثِ ابنِ الخَزْرَجِ فقَتَلُوهُ، فوَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، فاقْتَتَلُوا قِتالًا

شَدِيدًا، فكانَ الظَّفَرُ لِلْخَزْرَجِ على الأوْسِ، وقُتِلَ يَوْمئِذٍ سُوَيْدُ بنُ صامِتِ ابنِ خالِدِ بنِ عَطِيّةَ بنِ حَوْطِ بنِ حَبِيبِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، قَتَلَهُ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ البَلَوِيُّ، واسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ ابنِ الخَزْرَجِ. فلَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ خَرَجَ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وخَرَجَ مَعَهُ الحارِثُ بنُ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ، فوَجَدَ الحارِثُ بنُ سُوَيْدٍ غِرّةً مِنَ المُجَذَّرِ فقَتَلَهُ بِأبيهِ. وسَأذْكُرُ حَدِيثَهُ في مَوْضِعِهِ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

ثُمَّ كانَتْ بَيْنَهُم حُرُوبٌ مَنَعَنِي مِنْ ذِكْرِها واسْتِقْصاءِ هذا الحَدِيثِ ما ذَكَرْتُ في حَدِيثِ حَرْبِ داحِسٍ.

[شِعْرُ حَكِيمِ بنِ أُمَيّةَ في صَدِّ قَوْمِهِ عَنْ عَداوةِ النَّبِيِّ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَكِيمُ بنُ أُمَيّةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الأوْقَصِ السُّلَمِيُّ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ وقَدْ أسْلَمَ، يُوَرِّعُ قَوْمَهُ عَمّا أجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ عَداوةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَ فيهِمْ شَرِيفًا مُطاعًا:

هَلْ قائِلٌ قَوْلًا هُوَ الحَقُّ قاعِدٌ ... عَلَيْهِ؟ وهَلْ غَضْبانُ لِلرُّشْدِ سامِعُ؟
وَهَلْ سَيِّدٌ تَرْجُو العَشِيرةُ نَفْعَهُ ... لِأقْصى المَوالِي والأقارِبِ جامِعُ؟
تَبَرَّأْتُ إلّا وجْهَ مَنْ يَمْلِكُ الصَّبا ... وأهْجُرُكُمْ ما دامَ مُدْلٍ ونازِعُ
وَأُسْلِمُ وجْهِي لِلْإلَهِ ومَنْطِقِي ... ولَوْ راعَنِي مِنَ الصَّدِيقِ رَوائِعُ

ذِكْرُ ما لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ

[سُفَهاءُ قُرَيْشٍ ورَمْيُهُ ﷺ بِالسِّحْرِ والجُنُونِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ قُرَيْشًا اشْتَدَّ أمْرُهُمْ لِلشَّقاءِ الَّذي أصابَهُمْ في

عَداوةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ، فأغْرَوْا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ سُفَهاءَهُمْ، فكَذَّبُوهُ وآذَوْهُ، ورَمَوْهُ بِالشِّعْرِ والسِّحْرِ والكَهانةِ والجُنُونِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ مُظْهِرٌ لِأَمْرِ اللهِ لا يَسْتَخْفي بِهِ، مُبادٍ لَهُمْ بِما يَكْرَهُونَ مِنْ عَيْبِ دِينِهِمْ، واعْتِزالِ أَوْثانِهِمْ، وفِراقِهِ إيّاهُمْ على كُفْرِهِمْ.

[حَديثُ ابنِ العاصِ عَنْ أَكْثَرِ ما رَأى قُرَيْشًا نالَتْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ، قالَ: قُلْتُ لَهُ: ما أَكْثَرُ ما رَأَيْتَ قُرَيْشًا أصابُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيما كانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَداوَتِهِ؟ قالَ: حَضَرْتُهُمْ وقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرافُهُمْ يَوْمًا في الحِجْرِ، فذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالُوا: ما رَأَيْنا مِثْلَ ما صَبَرْنا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هذا الرَّجُلِ قَطُّ؛ سَفَّهَ أَحْلامَنا، وشَتَمَ آباءَنا، وعابَ دِينَنا، وفَرَّقَ جَماعَتَنا، وسَبَّ آلِهَتَنا، لَقَدْ صَبَرْنا مِنْهُ على أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَما قالُوا.

فبَيْنا هُمْ في ذلك؛ إذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فأقْبَلَ يَمْشِي حَتّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طائِفًا بِالبَيْتِ، فلَمّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ القَوْلِ، قالَ: فعَرَفْتُ ذلك في وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: ثُمَّ مَضى، فلَمّا مَرَّ بِهِمُ الثّانِيةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِها، فعَرَفْتُ ذلك في وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثّالِثةَ فغَمَزُوهُ بِمِثْلِها، فوَقَفَ، ثُمَّ قالَ: «أَتَسْمَعُونَ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَما والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ». قالَ: فأخَذَتِ القَوْمَ كَلِمَتُهُ حَتّى ما مِنْهُمْ رَجُلٌ إلّا كَأَنَّما على رَأْسِهِ طائِرٌ واقِعٌ، حَتّى إنَّ أَشَدَّهُمْ فيهِ وصاةً قَبْلَ ذلك لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ ما يَجِدُ مِنَ القَوْلِ، حَتّى إنَّهُ لَيَقُولَ: انْصَرِفْ يا أَبا القاسِمِ؛

فواللهِ ما كُنْتَ جهُولًا.

قالَ: فانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتّى إذا كانَ الغَدُ اجْتَمَعُوا في الحِجْرِ وأنا مَعَهُمْ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ ما بَلَغَ مِنْكُمْ، وما بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتّى إذا باداكُمْ بِما تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ! فبَيْنَما هُمْ في ذلك طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فوَثَبُوا إلَيْهِ وثْبَةَ رَجُلٍ واحِدٍ، وأحاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ: أنْتَ الَّذي تَقُولُ كَذا وكَذا؟ لِما كانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ ودِينِهِمْ، فيقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، أنا الَّذي أقُولُ ذلك».

قالَ: فلَقَدْ رَأيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أخَذَ بِمَجْمَعِ رِدائِهِ، قالَ: فقامَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ دُونَهُ وهُوَ يَبْكِي ويَقُولُ: أتَقْتُلُونَ رَجُلًا أنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. فإنَّ ذلك لَأشَدُّ ما رَأيْتُ قُرَيْشًا نالُوا مِنْهُ قَطُّ.

[بَعْضُ ما نالَ أبا بَكْرٍ في سَبِيلِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ أبي بَكْرٍ، أنَّها قالَتْ: لَقَدْ رَجَعَ أبو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ وقَدْ صَدَعُوا فرْقَ رَأْسِهِ مِمّا جَبَذُوهُ بِلِحْيَتِهِ، وكانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ.

[أشَدُّ ما أُوذِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ أشَدَّ ما لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ: أنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا، فلَمْ يَلْقَهُ أحَدٌ مِنَ النّاسِ إلّا كَذَّبَهُ وآذاهُ، لا حُرٌّ ولا عَبْدٌ، فرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى مَنْزِلِهِ، فتَدَثَّرَ مِنْ شِدّةِ ما أصابَهُ، فأنْزَلَ الله تَعالى عَلَيْهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

إسْلامُ حَمْزَةَ رَحِمَهُ الله

[أذاةُ أبي جَهْلٍ لِلرَّسُولِ ﷺ، ووُقُوفُ حَمْزَةَ على ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ كانَ واعِيةً: أنَّ أبا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفا، فآذاهُ وشَتَمَهُ، ونالَ مِنْهُ بَعْضَ ما يَكْرَهُ؛ مِنَ العَيْبِ لِدِينِهِ، والتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ، فلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ومَوْلاةٌ لِعَبْدِ اللهِ بنِ جُدْعانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ في مَسْكَنٍ لَها تَسْمَعُ ذلك، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فعَمَدَ إلى نادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الكَعْبةِ، فجَلَسَ مَعَهُمْ، فلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ الله عَنْهُ أنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ، راجِعًا مِنْ قَنَصٍ لَهُ، وكانَ صاحِبَ قَنَصٍ يَرْمِيهِ ويَخْرُجُ لَهُ، وكانَ إذا رَجَعَ مِنْ قَنَصِهِ لَمْ يَصِلْ إلى أَهْلِهِ حَتّى يَطُوفَ بِالكَعْبةِ، وكانَ إذا فعَلَ ذلك لَمْ يَمُرَّ على نادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إلّا وقَفَ وسَلَّمَ وتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وكانَ أعَزَّ فتًى في قُرَيْشٍ، وأَشَدَّ شَكِيمةً، فلَمّا مَرَّ بِالمَوْلاةِ، وقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِهِ، قالَتْ لَهُ: يا أبا عُمارةَ، لَوْ رَأَيْتَ ما لَقِيَ ابنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ آنِفًا مِنْ أبي الحَكَمِ بن هِشام: وَجَدَه هُهُنا جالِسًا فآذاهُ وسَبَّهُ، وبَلَغَ مِنْهُ ما يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ولَمْ يُكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

[إيقاعُ حَمْزَةَ بِأبي جَهْلٍ، وإسْلامُهُ]

فاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الغَضَبُ لِما أرادَ اللهُ بِهِ مِنْ كَرامَتِهِ، فخَرَجَ يَسْعى ولَمْ يَقِفْ على أحَدٍ، مُعِدًّا لِأبي جَهْلٍ إذا لَقِيَهُ أنْ يُوقِعَ بِهِ، فلَمّا دَخَلَ المَسْجِدَ نَظَرَ إلَيْهِ جالِسًا في القَوْمِ، فأقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتّى إذا قامَ على رَأْسِهِ رَفَعَ القَوْسَ

فضَرَبَهُ بِها، فشَجَّهُ شَجّةً مُنْكرةً، ثُمَّ قالَ: أتَشْتُمُهُ وأنا على دِينِهِ أقُولُ ما يَقُولُ؟ فرُدَّ ذلك عَلَيَّ إنِ اسْتَطَعْتَ. فقامَتْ رِجالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إلى حَمْزةَ لِيَنْصُرُوا أبا جَهْلٍ، فقالَ أبو جَهْلٍ: دَعُوا أبا عُمارةَ؛ فإنِّي واللهِ قَدْ سَبَبْتُ ابنَ أخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا. وتَمَّ حَمْزةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على إسْلامِهِ، وعلى ما تابَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فلَمّا أسْلَمَ حَمْزةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَزَّ وامْتَنَعَ، وأنَّ حَمْزةَ سَيَمْنَعُهُ، فكَفُّوا عَنْ بَعْضِ ما كانُوا يَنالُونَ مِنْهُ.

قَوْلُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ في أمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

[ما دارَ بَيْنَ عُتْبةَ وبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ زِيادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قالَ:

حُدِّثْتُ أنَّ عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ ـ وكانَ سَيِّدًا ـ قالَ يَوْمًا وهُوَ جالِسٌ في نادِي قُرَيْشٍ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ في المَسْجِدِ وحْدَهُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، ألا أقُومُ إلى مُحَمَّدٍ فأُكَلِّمَهُ وأعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا؛ لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَها فنُعْطِيَهِ أيَّها شاءَ، ويَكُفُّ عَنّا؟ ـ وذلك حِينَ أسْلَمَ حَمْزةُ، ورَأَوْا أصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَزِيدُونَ ويَكْثُرُونَ ـ فقالُوا: بَلى يا أبا الوَلِيدِ، قُمْ إلَيْهِ فكَلِّمْهُ، فقامَ إلَيْهِ عُتْبةُ حَتّى جَلَسَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا ابنَ أخِي، إنَّكَ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السِّطةِ في العَشِيرةِ، والمَكانِ في النَّسَبِ، وإنَّكَ قَدْ أتَيْتَ قَوْمَكَ بِأمْرٍ عَظِيمٍ، فرَّقْتَ بِهِ جَماعَتَهُمْ، وسَفَّهْتَ بِهِ أحْلامَهُمْ، وعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ ودِينَهُمْ،

وكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضى مِنْ آبائِهِمْ، فاسْمَعْ مِنِّي أعْرِضْ عَلَيْكَ أُمورًا تَنْظُرُ فيها لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْها بَعْضَها. قالَ: فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْ يا أبا الوَلِيدِ، أَسْمَعْ»، قالَ: يا ابنَ أخِي، إنْ كُنْتَ إنَّما تُرِيدُ بِما جِئْتَ بِهِ مِنْ هذا الأَمْرِ مالًا، جَمَعْنا لَكَ مِنْ أمْوالِنا حَتّى تَكُونَ أكْثَرَنا مالًا، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْناكَ عَلَيْنا، حَتّى لا نَقْطَعَ أمْرًا دُونَكَ، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْناكَ عَلَيْنا، وإنْ كانَ هذا الَّذي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَراهُ لا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبنا لَكَ الطِّبَّ، وبَذَلْنا فيهِ أمْوالَنا حَتّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ؛ فإنَّهُ رُبَّما غَلَبَ التّابِعُ على الرَّجُلِ حَتّى يُداوى مِنْهُ، أوْ كَما قالَ لَهُ. حَتّى إذا فرَغَ عُتْبَةُ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قالَ: «أقَدْ فرَغْتَ يا أبا الوَلِيدِ؟» قالَ: نَعَمْ، قالَ: «فاسْمَعْ مِنِّي»، قالَ: أفْعَلُ، فقالَ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ * وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ ثُمَّ مَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ فيها يَقْرَؤُها عَلَيْهِ، فلَمّا سَمِعَها مِنْهُ عُتْبَةُ أنْصَتَ لَها، وألْقى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِما يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى السَّجْدةِ مِنْها، فسَجَدَ ثُمَّ قالَ: «قَدْ سَمِعْتَ يا أبا الوَلِيدِ ما سَمِعْتَ، فأنْتَ وذاكَ».

[ما أشارَ بِهِ عُتْبةُ على أصْحابِهِ]

فَقامَ عُتْبةُ إلى أصْحابِهِ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ باللهِ، لَقَدْ جاءَكُمْ أبو الوَلِيدِ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذي ذَهَبَ بِهِ. فلَمّا جَلَسَ إلَيْهِمْ قالُوا: ما وراءَكَ يا أبا الوَلِيدِ؟ قالَ: وَرائِي أنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا واللهِ ما سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، واللهِ

ما هُوَ بِالشِّعْرِ، ولا بِالسِّحْرِ، ولا بِالكَهانَةِ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي واجْعَلُوها بِي، وخَلُّوا بَيْنَ هذا الرَّجُلِ وبَيْنَ ما هُوَ فيهِ، فاعْتَزِلُوه؛ فواللهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فإنْ تُصِبْهُ العَرَبُ فقَدْ كُفيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وإنْ يَظْهَرْ على العَرَبِ فمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وكُنْتُمْ أَسْعَدَ النّاسِ بِهِ، قالُوا: سَحَرَكَ واللهِ يا أبا الوَلِيدِ بِلِسانِهِ، قالَ: هذا رَأْيِي فيهِ، فاصْنَعُوا ما بَدا لَكُمْ.

ما دارَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبَيْنَ رُؤَساءِ قُرَيْشٍ وتَفْسِيرٌ لِسُورةِ الكَهْفِ

[اسْتِمْرارُ قُرَيْشٍ على تَعْذِيبِ مَنْ أَسْلَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ الإسْلامَ جَعَلَ يَفْشُو بِمَكَّةَ في قَبائِلِ قُرَيْشٍ في الرِّجالِ والنِّساءِ، وقُرَيْشٌ تَحْبِسُ مَنْ قَدَرَتْ على حَبْسِهِ، وتَفْتِنُ مَنِ اسْتَطاعَتْ فِتْنَتَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ إنَّ أشْرافَ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلةٍ، كما حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، وعَنْ عِكْرِمةَ مَوْلى ابنِ عَبّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قالَ:

اجْتَمَعَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، والنَّضْرُ ابنُ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ، وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هِشامٍ، والأَسْوَدُ ابنُ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدٍ، وزَمْعةُ بنُ الأَسْوَدِ، والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيّةَ، والعاصِ بنُ وائِلٍ، ونُبَيهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجّاجِ السَّهْمِيّانِ، وأُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، أوْ مَنِ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ، قالَ: اجْتَمِعُوا بَعْدَ غُرُوبِ

الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الكَعْبَةِ، ثُمَّ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إلى مُحَمَّدٍ فكَلِّمُوهُ وخاصِمُوهُ حَتّى تُعْذِرُوا فيه. فبَعَثُوا إلَيْهِ: إنَّ أشْرافَ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فأْتِهِمْ. فجاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيعًا، وهُوَ يَظُنُّ أنْ قَدْ بَدا لَهُمْ فيما كَلَّمَهُمْ فيهِ بَداءٌ، وكانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبُّ رُشْدَهُمْ، ويَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتّى جَلَسَ إلَيْهِمْ، فقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ، إنّا قَدْ بَعَثْنا إلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ، وإنّا واللهِ ما نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ العَرَبِ أدْخَلَ على قَوْمِهِ مِثْلَ ما أدْخَلْتَ على قَوْمِكَ؛ لَقَدْ شَتَمْتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وشَتَمْتَ الآلِهَةَ، وسَفَّهْتَ الأحْلامَ، وفَرَّقْتَ الجَماعَةَ، فما بَقِيَ أمْرٌ قَبِيحٌ إلّا قَدْ جِئْتَهُ فيما بَيْنَنا وبَيْنَكَ - أوْ كَما قالُوا لَهُ - فإنْ كُنْتَ إنَّما جِئْتَ بِهذا الحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مالًا، جَمَعْنا لَكَ مِنْ أمْوالِنا حَتّى تَكُونَ أكْثَرَنا مالًا، وإنْ كُنْتَ إنَّما تَطْلُبُ بِهِ الشَّرَفَ فينا، فنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنا، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْناكَ عَلَيْنا، وإنْ كانَ هذا الَّذي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَراهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ - وكانُوا يُسَمُّونَ التّابِعَ مِنَ الجِنِّ: رَئِيًّا، فرُبَّما كانَ ذلك - بَذَلْنا لَكَ أمْوالَنا في طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، أوْ نُعْذِرَ فيكَ، فقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئْتُ بِما جِئْتُكُمْ بِهِ أطْلُبُ أمْوالَكُمْ، ولا الشَّرَفَ فيكُمْ، ولا المُلْكَ عَلَيْكُمْ، ولَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولًا، وأنْزَلَ عَلَيَّ كِتابًا، وأمَرَنِي أنْ أكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا ونَذِيرًا، فبَلَّغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي، ونَصَحْتُ لَكُمْ، فإنْ تَقْبَلُوا مِنِّي ما جِئْتُكُمْ بِهِ، فهُوَ حَظُّكُمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لِأمْرِ اللهِ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ»، أوْ كَما قالَ ﷺ.

قالُوا: يا مُحَمَّدُ، فإنْ كُنْتَ غَيْرَ قابِلٍ مِنّا شَيْئًا مِمّا عَرَضْناهُ عَلَيْكَ، فإنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أنَّهُ لَيْسَ مِنَ النّاسِ أحَدٌ أضْيَقَ بَلَدًا، ولا أقَلَّ ماءً، ولا أشَدَّ عَيْشًا

مِنّا، فسَلْ لَنا رَبَّكَ الَّذي بَعَثَكَ بِما بَعَثَكَ بِهِ، فلْيُسَيِّرْ عَنّا هَذِهِ الجِبالَ الَّتِي قَدْ ضَيَّقَتْ عَلَيْنا، ولْيَبْسُطْ لَنا بِلادَنا، ولْيُفَجِّرْ لَنا فيها أَنهارًا كَأنْهارِ الشّامِ والعِراقِ، ولْيَبْعَثْ لَنا مَنْ مَضى مِنْ آبائِنا، ولْيَكُنْ فيمَنْ يُبْعَثُ لَنا مِنْهُمْ قُصَيُّ بنُ كِلابٍ؛ فإنَّهُ كانَ شَيْخَ صِدْقٍ، فنَسْألَهُمْ عَمّا تَقُولُ: أَحَقٌّ هُوَ أمْ باطِلٌ؟ فإنْ صَدَّقُوكَ وصَنَعْتَ ما سَألْناكَ صَدَّقْناكَ، وعَرَفْنا بِهِ مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللهِ، وأنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولًا كَما تَقُولُ. فقالَ لَهُمْ صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ: «ما بِهذا بُعِثْتُ إلَيْكُمْ، إنَّما جِئْتُكُمْ مِنَ الله بِما بَعَثَنِي بِهِ، وقَدْ بَلَّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إلَيْكُمْ، فإنْ تَقْبَلُوهُ فهُوَ حَظُّكُمْ في الدُّنْيا والآخِرةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لِأمْرِ الله تعالى حَتّى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وبَيْنَكُمْ».

قالُوا: فإذا لَمْ تَفْعَلْ هذا لَنا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ؛ سَلْ رَبَّكَ أنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِما تَقُولُ، ويُراجِعُنا عَنْكَ، وسَلْهُ فلْيَجْعَلْ لَكَ جِنانًا وقُصُورًا وكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وفِضّةٍ يُغْنِيكَ بِها عَمّا نَراكَ تَبْتَغِي؛ فإنَّكَ تَقُومُ بِالأسْواقِ كَما نَقُومُ، وتَلْتَمِسُ المَعاشَ كَما نَلْتَمِسُهُ، حَتّى نَعْرِفَ فضْلَكَ ومَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إنْ كُنْتَ رَسُولًا كَما تَزْعُمُ.

فقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما أنا بِفاعِلٍ، وما أنا بِالَّذي يَسْأَلُ رَبَّهُ هذا، وما بُعِثْتُ إلَيْكُمْ بِهذا، ولَكِنَّ الله بَعَثَنِي بَشِيرًا ونَذِيرًا ـ أوْ كَما قالَ ـ فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فهُوَ حَظُّكُمْ في الدُّنْيا والآخِرةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لِأمْرِ اللهِ حَتّى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وبَيْنَكُمْ»، قالُوا: فأسْقِطِ السَّماءَ عَلَيْنا كِسَفًا كَما زَعَمْتَ أنَّ رَبَّكَ إنْ شاءَ فعَلَ؛ فإنّا لا نُؤْمِنُ لَكَ إلّا أنْ تَفْعَلَ. قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذلك إلى اللهِ؛ إنْ شاءَ أنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ

فعَلَ»، قالُوا: يا مُحَمَّدُ، أفَما عَلِمَ رَبُّكَ أنّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ ونَسْأَلُكَ عَمّا سَأَلْناكَ عَنْهُ، ونَطْلُبُ مِنْكَ ما نَطْلُبُ، فيتَقَدَّمَ إلَيْكَ فيُعْلِمَكَ ما تُراجِعُنا بِهِ، ويُخْبِرَكَ ما هُوَ صانِعٌ في ذلك بِنا إذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ ما جِئْتَنا بِهِ! إنَّهُ قَدْ بَلَغْنا أنَّكَ إنَّما يُعَلِّمُكَ هذا رَجُلٌ بِاليَمامةِ يُقالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وإنّا واللهِ لا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أبَدًا، فقَدْ أعْذَرْنا إلَيْكَ يا مُحَمَّدُ، وإنّا واللهِ لا نَتْرُكُكَ وما بَلَغْتَ منّا حَتّى نُهْلِكَكَ، أوْ تُهْلِكَنا. وقالَ قائِلُهُمْ: نَحْنُ نَعْبُدُ المَلائِكَةَ، وهِيَ بَناتُ الله. وقالَ قائِلُهُمْ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى تَأْتِيَنا بالله والمَلائِكَةِ قَبِيلًا.

[حَديثُ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي أُمَيّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ]

فَلَمّا قالُوا ذلك لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قامَ عَنْهُمْ، وقامَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ـ وهُوَ ابنُ عَمَّتِهِ؛ فهُوَ لِعاتِكةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ فقالَ لَهُ: يا مُحَمَّدُ، عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ ما عَرَضُوا فلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَألُوكَ لِأنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِها مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللهِ كَما تَقُولُ، ويُصَدِّقُوكَ ويَتَّبِعُوكَ فلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَألُوكَ أنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ ما يَعْرِفُونَ بِهِ فضْلَكَ عَلَيْهِمْ، ومَنْزِلَتَكَ مِنَ اللهِ، فلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَألُوكَ أنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بَعْضَ ما تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ العَذابِ، فلَمْ تَفْعَلْ ـ أوْ كَما قالَ لَهُ ـ فَواللهِ لا أُومِنُ بِكَ أبَدًا حَتّى تَتَّخِذَ إلى السَّماءِ سُلَّمًا، ثُمَّ تَرْقى فيهِ وأنا أنْظُرُ إلَيْكَ حَتّى تَأْتِيَها، ثُمَّ تَأْتِي مَعَكَ أرْبَعةٌ مِنَ المَلائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أنَّكَ كَما تَقُولُ، وايْمُ اللهِ، لَوْ فعَلْتَ ذلك ما ظَنَنْتُ أنِّي أُصَدِّقُكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أهْلِهِ حَزِينًا أَسِفًا؛ لِما فاتَهُ مِمّا كانَ يَطْمَعُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَوْهُ، ولِما رَأى مِنْ مُباعَدَتِهِمْ إيّاهُ.

[ما تَوَعَّدَ بِهِ أبو جَهْلٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ]

فَلَمّا قامَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قالَ أبو جَهْلٍ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أبى إلّا ما تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنا، وشَتْمِ آبائِنا، وتَسْفيهِ أحْلامِنا، وشَتْمِ آلِهَتِنا، وإنِّي أُعاهِدُ اللهَ لَأَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ ما أُطِيقُ حَمْلَهُ ـ أوْ كَما قالَ ـ فإذا سَجَدَ في صَلاتِهِ فضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ، فأسْلِمُونِي عِنْدَ ذلك أوِ امْنَعُونِي، فلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذلك بَنُو عَبْدِ مَنافٍ ما بَدا لَهُمْ، قالُوا: واللهِ لا نُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أبَدًا، فامْضِ لِما تُرِيدُ.

[ما حَدَثَ لِأَبِي جَهْلٍ حِينَ هَمَّ بِإلْقاءِ الحَجَرِ على الرَّسُولِ ﷺ]

فَلَمّا أصْبَحَ أبو جَهْلٍ، أخَذَ حَجَرًا كَما وصَفَ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ، وغَدا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَما كانَ يَغْدُو، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ وقِبْلَتُهُ إلى الشّامِ، فكانَ إذا صَلّى صَلّى بَيْنَ الرُّكْنِ اليَمانِي والحَجَرِ الأسْوَدِ، وجَعَلَ الكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الشّامِ، فقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ فجَلَسُوا في أنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ ما أبو جَهْلٍ فاعِلٌ، فلَمّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ احْتَمَلَ أبو جَهْلٍ الحَجَرَ، ثُمَّ أقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتّى إذا دَنا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَزِمًا مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ مَرْعُوبًا قَدْ يَبِسَتْ يَداهُ على حَجَرِهِ، حَتّى قَذَفَ الحَجَرَ مِنْ يَدِهِ، وقامَتْ إلَيْهِ رِجالُ قُرَيْشٍ، فقالُوا لَهُ: ما لَكَ يا أبا الحَكَمِ؟ قالَ: قُمْتُ إلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ ما قُلْتُ لَكُمُ البارِحَةَ، فلَمّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فحْلٌ مِنَ الإبِلِ، لا واللهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هامَتِهِ، ولا مِثْلَ قَصَرَتِهِ ولا أنْيابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، فهَمَّ بِي أنْ يَأْكُلَنِي.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذُكِرَ لِي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ذلك جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، لَوْ دَنا لَأَخَذَهُ».

[نَصِيحةُ النَّضْرِ لِقُرَيْشٍ بِالتَّدَبُّرِ فيما جاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ]

فَلَمّا قالَ لَهُمْ ذلك أبو جَهْلٍ، قامَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عَلْقَمةَ ابن عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ.

قـالَ ابنُ هِشـامٍ: ويُقالُ: النَّضْرُ بنُ الحـارِثِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ كَلَدةَ بنِ عَبْدِ مَنافٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّهُ واللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أمْرٌ ما أتَيْتُمْ لَهُ بِحِيلةٍ بَعْدُ، قَدْ كانَ مُحَمَّدٌ فيكُمْ غُلامًا حَدَثًا أرْضاكُمْ فيكُمْ، وأصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وأعْظَمَكُمْ أمانةً، حَتّى إذا رَأيْتُمْ في صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وجاءَكُمْ بِما جاءَكُمْ بِهِ، قُلْتُمْ: ساحِرٌ، لا واللهِ ما هُوَ بِساحِرٍ، لَقَدْ رَأيْنا السَّحَرةَ ونَفْثَهُمْ وعَقْدَهُمْ، وقُلْتُمْ: كاهِنٌ، لا واللهِ ما هُوَ بِكاهِنٍ، قَدْ رَأيْنا الكَهَنةَ وتَخالُجَهُمْ وسَمِعْنا سَجْعَهُمْ، وقُلْتُمْ: شاعِرٌ، لا واللهِ ما هُوَ بِشاعِرٍ، قَدْ رَأيْنا الشِّعْرَ، وسَمِعْنا أصْنافَهُ كُلَّها: هَزَجَهُ ورَجَزَهُ، وقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، لا واللهِ ما هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأيْنا الجُنُونَ، فما هُوَ بِخَنْقِهِ، ولا وسْوَسَتِهِ، ولا تَخْلِيطِهِ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فانْظُرُوا في شَأْنِكُمْ؛ فإنَّهُ واللهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أمْرٌ عَظِيمٌ.

[ما كانَ يُؤْذِي بِهِ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ رَسُولَ اللهِ ﷺ]

وَكانَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ مِنْ شَياطِينِ قُرَيْشٍ، ومِمَّنْ كانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، ويَنْصِبُ لَهُ العَداوةَ، وكانَ قَدْ قَدِمَ الحِيرةَ، وتَعَلَّمَ بِها أحادِيثَ مُلُوكِ الفُرْسِ، وأحادِيثَ رُسْتُمَ وأسْبِنْدِيارَ، فكانَ إذا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا فذَكَّرَ فيهِ باللهِ، وحَذَّرَ قَوْمَهُ ما أصابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ مِنْ نِقْمةِ اللهِ،

خَلَفَهُ في مَجْلِسِهِ إذا قامَ، ثُمَّ قالَ: أنا واللهِ ـ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، فهَلُمَّ إلَيَّ، فأنا أُحَدِّثُكُمْ أحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فارِسَ ورُسْتُمَ وأَسْبِنْدِيارَ، ثمَّ يَقُول: بِماذا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهُوَ الَّذي قالَ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ ابنُ عَبّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما يَقُولُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: نَزَلَ فيهِ ثَمانِ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٥]، وكُلُّ ما ذُكِرَ فيهِ مِنَ الأساطِيرِ مِنَ القُرْآنِ.

[أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ النَّضْرَ وابنَ أبي مُعَيْطٍ إلى أحْبارِ يَهُودَ يَسْألانِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ]

فَلَمّا قالَ لَهُمْ ذلك النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بَعَثُوهُ، وبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ إلى أحْبارِ يَهُودَ بِالمَدِينةِ، وقالُوا لَهُما: سَلاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وصِفا لَهُمْ صِفَتَهُ، وأخْبِراهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فإنَّهُمْ أَهْلُ الكِتابِ الأُوَلِ، وعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنا مِنْ عِلْمِ الأنْبِياءِ، فخَرَجا حَتّى قَدِما المَدِينَةَ، فسَألا أحْبارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ووَصَفا لَهُمْ أَمْرَهُ، وأَخْبَراهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وقالا لَهُمْ: إنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْراةِ، وقَدْ جِئْناكُمْ لِتُخْبِرُونا عَنْ صاحِبِنا هذا، فقالَتْ لَهُما أحْبارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ؛ فإنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وإنْ لَمْ يَفْعَلْ فالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فرَوْا فيهِ رَأْيَكُمْ؛ سَلُوهُ عَنْ فِتْيةٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ الأَوَّلِ: ما كانَ أَمْرُهُمْ؟ فإنَّهُ قَدْ كانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ، وسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها: ما كانَ نَبَؤُهُ؟ وسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ:

ما هِيَ؟ فإذا أخْبَرَكُمْ بِذلك فاتَّبِعُوهُ؛ فإنَّهُ نَبِيٌّ، وإنْ لَمْ يَفْعَلْ فهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فاصْنَعُوا في أمْرِهِ ما بَدا لَكُمْ. فأقْبَلَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ، وعُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطِ بنِ أبي عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ، حَتّى قَدِما مَكّةَ على قُرَيْشٍ، فقالا: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ جِئْناكُمْ بِفَصْلِ ما بَيْنَكُمْ وبَيْنَ مُحَمَّدٍ؛ قَدْ أخْبَرَنا أحْبارُ يَهُودَ أنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أشْياءَ أمَرُونا بِها، فإنْ أخْبَرَكُمْ عَنْها فهُوَ نَبِيٌّ، وإنْ لَمْ يَفْعَلْ فالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فرَوْا فيهِ رَأْيَكُمْ.

[سُؤالُ قُرَيْشٍ لَهُ ﷺ عَنْ أسْئِلةٍ وإجابَتُهُ لَهُمْ]

فَجاؤُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، أخْبِرْنا عَنْ فِتْيةٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ الأوَّلِ قَدْ كانَتْ لَهُمْ قِصّةٌ عَجَبٌ، وعَنْ رَجُلٍ كانَ طَوّافًا قَدْ بَلَغَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها، وأخْبِرْنا عَنِ الرُّوحِ: ما هِيَ؟ قالَ: فقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُخْبِرُكُمْ بِما سَألْتُم عَنْهُ غَدًا»، ولَمْ يَسْتَثْنِ، فانْصَرَفُوا عَنْهُ، فمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ خَمْسَ عَشْرةَ لَيْلَةً لا يُحْدِثُ اللهُ إلَيْهِ في ذلك وحْيًا، ولا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ، حَتّى أرْجَفَ أهْلُ مَكّةَ، وقالُوا: وعَدَنا مُحَمَّدٌ غَدًا، واليَوْمَ خَمْسَ عَشْرةَ لَيْلَةً قَدْ أصْبَحْنا مِنْها لا يُخْبِرُنا بِشَيْءٍ مِمّا سَألْناهُ عَنْهُ، وحَتّى أحْزَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُكْثُ الوَحْيِ عَنْهُ، وشَقَّ عَلَيْهِ ما يَتَكَلَّمُ بِهِ أهْلُ مَكّةَ، ثُمَّ جاءَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ بِسُورةِ أصْحابِ الكَهْفِ، فيها مُعاتَبَتُهُ إيّاهُ على حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وخَبَرُ ما سَألُوهُ عَنْهُ مِنْ أمْرِ اللهِ الفِتْيةَ، والرَّجُلِ الطَّوّافِ، والرُّوحِ.

[ما أنْزَلَ اللهُ في قُرَيْشٍ حِينَ سَألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فغابَ عَنْهُ الوَحْيُ مُدّةً]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذُكِرَ لِي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِجِبْرِيلَ حِينَ جاءَهُ:

«لَقَدِ احْتَبَسْتَ عَنِّي يا جِبْرِيلُ حَتّى سُؤْتُ ظَنًّا»، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، فافْتَتَحَ السُّورةَ ـ تبارَكَ وتَعالى ـ بِحَمْدِهِ، وذِكْرِ نُبُوّةِ رَسُولِهِ، لِما أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ ذلك، فقالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف: ١]، يَعْني: مُحَمَّدًا ﷺ، إِنَّكَ رَسُولٌ مِنِّي، أيْ: تَحْقيقٌ لِما سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ نُبُوَّتِكَ، ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ * قَيِّمًا ﴾، أيْ: مُعْتَدِلًا، لا اخْتِلافَ فيهِ، ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾، أيْ: عاجِلَ عُقُوبَتِهِ في الدُّنْيا، وعَذابًا أَليمًا في الآخِرةِ، أيْ: مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الَّذي بَعَثَ رَسُولًا، ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢-٣]، أيْ: دارَ الخُلْدِ، لا يَموتُونَ فيها الَّذينَ صَدَّقُوكَ بِما جِئْتَ بِهِ مِمّا كَذَّبَكَ بِهِ غَيْرُهُمْ، وعَمِلُوا بِما أَمَرْتَهم بِهِ مِنَ الأَعْمالِ، ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف: ٤]، يَعْني: قُرَيْشًا في قَوْلِهِمْ: إِنّا نَعْبُدُ المَلائِكَةَ، وهِيَ بَناتُ اللهِ، ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ﴾ الَّذينَ أَعْظَمُوا فِراقَهُمْ وعَيْبَ دِينِهِمْ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥]، أيْ: لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ، ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا * فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٥-٦]، أيْ: لِحُزْنِهِ عَلَيْهِمْ حِينَ فاتَهُ ما كانَ يَرْجُو مِنْهُمْ، أيْ: لا تَفْعَلْ. قالَ ابنُ هِشامٍ: باخِعٌ نَفْسَكَ، أيْ: مُهْلِكٌ نَفْسَكَ فيما حَدَّثَني أبو عُبَيْدَةَ.

قالَ ذُو الرُّمَّةِ:

ألا أَيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ   لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ

وَجَمْعُهُ: باخِعُونَ وبَخَعةٌ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وتَقُولُ العَرَبُ: قَدْ بَخَعْتُ لَهُ نُصْحِي ونَفْسِي، أيْ: جَهَدْتُ لَهُ.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أيْ: أيُّهُمْ أتْبَعُ لِأمْرِي، وأعْمَلُ بِطاعَتِي.

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨]، أيِ: الأرْضِ، وإنَّ ما عَلَيْها لَفانٍ وزائِلٌ، وإنَّ المَرْجِعَ إلَيَّ، فأجْزِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، فلا تَأْسَ ولا يَحْزُنْكَ ما تَسْمَعُ وتَرى فيها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الصَّعِيدُ: الأرْضُ، وجَمْعُهُ: صُعُدٌ. قالَ ذُو الرُّمّةِ يَصِفُ ظَبْيًا صَغِيرًا:

كَأنَّهُ بِالضُّحى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبّابةٌ في عِظامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والصَّعِيدُ أيْضًا: الطَّرِيقُ. وقَدْ جاءَ في الحَدِيثِ: «إيّاكُمْ والقُعُودَ على الصُّعُداتِ»، يُرِيدُ: الطُّرُقَ. والجُرُزُ: الأرْضُ الَّتِي لا تُنْبِتُ شَيْئًا، وجَمْعُها: أجْرازٌ. ويُقالُ: سَنةٌ جُرُزٌ، وسُنُونَ أجْرازٌ: وهِيَ الَّتِي لا يَكُونُ فيها مَطَرٌ، وتَكُونُ فيها جُدُوبةٌ ويُبْسٌ وشِدّةٌ. قالَ ذُو الرُّمّةِ يَصِفُ إبِلًا:

طَوى النحزُ والأجْرازُ ما في بُطُونِها فما بَقِيَتْ إلّا الضُّلُوعُ الجَراشِعُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

[ما أَنْزَلَهُ الله تَعالى في قِصّةِ أصْحابِ الكَهْفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَ قِصّةَ الخَبَرِ فيما سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ شَأْنِ الفِتْيةِ، فقالَ:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]، أيْ: قَدْ كانَ مِنْ آياتِي فيما وضَعْتُ على العِبادِ مِنْ حُجَجِي ما هُوَ أعْجَبُ مِنْ ذلك.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والرَّقِيمُ: الكِتابُ الَّذي رُقِمَ فيهِ بِخَبَرِهِمْ، وجَمْعُهُ: رُقُمٌ. قالَ العَجّاجُ:

وَمُسْتَقَرُّ المُصْحَفِ المُرَقَّمِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٠-١٢]، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ] [الكهف: ١٣]، أيْ: بِصِدْقِ الخَبَرِ عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤]، أيْ: لَمْ يُشْرِكُوا بِي كَما أشْرَكْتُمْ بِي ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والشَّطَطُ: الغُلُوُّ ومُجاوَزةُ الحَقِّ. قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ ابنِ ثَعْلَبَةَ:

لا يَنْتَهُونَ ولا يَنْهى ذَوِي شَطَطٍ   كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيهِ الزَّيْتُ والفَتَلُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾ [الكهف: ١٥].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أيْ: بِحُجّةٍ بالِغةٍ.

﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا * وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا * وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾ [الكهف: ١٥-١٧].

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَزاوَرُ: تَمِيلُ، وهُوَ مِنَ الزَّوَرِ. وقالَ امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ:

وَإنِّي زَعِيمٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا   بِسَيْرٍ تَرى مِنْهُ الفُرانِقَ أزْوَرا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ أبو الزّحفِ الكُلَيبيُّ يَصِفُ بَلَدًا:

جَأْبُ المُنَدّى عَنْ هَوانا أزْوَرُ   يُنْضِي المَطايا خِمْسُهُ العَشَنْزَرُ

وَهذانِ البَيْتانِ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

﴿ تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾: تُجاوِزُهُمْ وتَتْرُكُهُمْ عَنْ شِمالِها. قالَ ذُو الرُّمّةِ:

إلى ظُعنٍ يَقرِضْنَ أقْوازَ مُشْرِفٍ   شِمالًا وعَنْ أيْمانِهِنَّ الفَوارِسُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والفَجْوةُ: السَّعةُ، وجَمْعُها: الفِجاءُ. قالَ الشّاعِرُ:

أَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزاةً ومَنْقَصةً حتّى أُبِيحُوا وخَلَّوْا فجْوةَ الدّارِ

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، أيْ: في الحُجّةِ على مَنْ عَرَفَ ذلك مِنْ أُمُورِهِمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ، مِمَّنْ أمَرَ هَؤُلاءِ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ في صِدْقِ نُبُوَّتِكَ بِتَحْقِيقِ الخَبَرِ عَنْهُمْ.

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الوَصِيدُ: الباب. قالَ العَبْسِيُّ ـ واسْمُهُ عُبَيْدُ بنُ وهْبٍ ـ:

بِأرْضِ فلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عَلَيَّ ومَعْرُوفي بِها غَيْرُ مُنْكَرِ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ. والوَصِيدُ أيْضًا: الفِناءُ، وجَمْعُهُ: وصائِدُ، ووُصُدٌ، ووُصْدانٌ، وأُصُدٌ، وأُصْدانٌ.

﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ [الكهف: ١٧-٢١] أهْلُ السُّلْطانِ والمُلْكِ مِنْهُمْ: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۞ سَيَقُولُونَ ﴾ [الكهف: ٢١-٢٢]، يَعْنِي: أحْبارَ يَهُودَ الّذينَ أمَرُوهُمْ بِالمَسْألةِ عَنْهُمْ: ﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ ﴾، أيْ: لا عِلْمَ لَهُمْ، ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾، أيْ: لا تُكابِرْهُمْ، ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾؛ فإنَّهُمْ لا عِلْمَ لَهُمْ بِهِمْ. ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر

﴿رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، أيْ: ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَألُوكَ عَنْهُ كَما قُلْتَ في هذا: إنِّي مُخْبِرُكُمْ غَدًا، واسْتَثْنِ شِيئَةَ الله، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ لِخَيْرٍ مِمّا سَألْتُمُونِي عَنْهُ، ﴿رَشَدًا﴾؛ فإنَّكَ لا تَدْرِي ما أنا صانِعٌ في ذلك.

﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، أيْ: سَيَقُولُونَ ذلك. ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، أيْ: لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمّا سَألُوكَ عَنْهُ.

[ما أنْزَلَ اللهُ تَعالى في خَبَرِ الرَّجُلِ الطَّوّافِ]

وَقالَ فيما سَألُوهُ عَنْهُ مِنْ أمْرِ الرجل الطوّاف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣-٨٥] حَتّى انْتَهى إلى آخِرِ قِصّةِ خَبَرِهِ.

وَكانَ مِنْ خَبَرِ ذِي القَرْنَيْنِ: أنَّهُ أُوتِيَ ما لَمْ يُؤْتَ أحَدٌ غَيْرُهُ، فمُدَّتْ لَهُ الأسْبابُ حَتّى انْتَهى مِنَ البِلادِ إلى مَشارِقِ الأرْضِ ومَغارِبِها، لا يَطَأُ أرْضًا إلّا سُلِّطَ على أهْلِها، حَتّى انْتَهى مِنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ إلى ما لَيْسَ وراءَهُ شَيْءٌ مِنَ الخَلْقِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني مِنْ يَسُوقُ الأحادِيثَ عَنِ الأعاجِمِ فيما تَوارَثُوا مِنْ عِلْمِهِ: أنَّ ذا القَرْنَيْنِ كانَ رَجُلًا مِنْ أهْلِ مِصْرَ، اسْمُهُ: مَرْزُبانُ ابنُ مَرْذُبَةَ اليُونانِيُّ، مِنْ ولَدِ يُونانَ بنِ يافِثَ بنِ نُوحٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُهُ: الإسْكَنْدَرُ، وهُوَ الَّذي بَنى الإسْكَنْدَرِيَّةَ فنُسِبَتْ إلَيْهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَني ثَوْرُ بنُ يَزِيدَ، عَنْ خالِدِ بنِ مَعْدانَ الكَلاعِيِّ ـ وكانَ رَجُلًا قَدْ أدْرَكَ ـ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ، فقالَ: «مَلِكٌ مَسَحَ الأرْضَ مِنْ تَحْتِها بِالأسْبابِ». وقالَ خالِدٌ: سَمِعَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ: يا ذا القَرْنَيْنِ، فقالَ عُمَرُ: اللهُمَّ غَفْرًا، أما رَضِيتُمْ أنْ تَسَمَّوْا بِالأنْبياءِ حَتّى تَسَمَّيْتُمْ بِالمَلائِكةِ؟!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: اللهُ أعْلَمُ أيُّ ذلك كانَ، أقالَ ذلك رَسُولُ اللهِ ﷺ أمْ لا؟ فَإنْ كانَ قالَهُ، فالحَقُّ ما قالَ.

[ما أنْزَلَ اللهُ تَعالى في أمْرِ الرُّوحِ]

وَقالَ تَعالى فيما سَألُوهُ عَنْهُ مِنْ أمرِ الرُّوحِ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

[سُؤالُ يَهُودِ المَدِينةِ لِلرَّسُولِ ﷺ عَنِ المُرادِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، أنَّهُ قالَ: لَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، قالَتْ أحْبارُ يَهُودَ: يا مُحَمَّدُ، أرَأيْتَ قَوْلَكَ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ إيّانا تُرِيدُ أمْ قَوْمَكَ؟ قالَ: «كُلًّا»، قالُوا: فَإنَّكَ تَتْلُو فيما جاءَكَ: أنّا قَدْ أُوتِينا التَّوْراةَ فيها بَيانُ كُلِّ شَيْءٍ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّها في عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ، وعِنْدَكُمْ في ذلك ما يَكْفِيكُمْ لَوْ أقَمْتُمُوهُ». قالَ:

فأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ فيما سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]، أيْ: أنَّ التَّوْراةَ في هذا مِنْ عِلْمِ الله قَلِيلٌ.

[ما أنْزَلَ الله تعالى بِشَأْنِ طَلَبِهِمْ تَسْيِيرَ الجِبالِ]

قالَ: وأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ فيما سَأَلَهُ قَوْمُهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الجِبالِ، وَتَقْطِيعِ الأَرْضِ، وبَعْثِ مَنْ مَضى مِنْ آبائِهِمْ مِنَ المَوْتى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١]، أيْ: لا أَصْنَعُ مِنْ ذلك إلّا ما شِئْتُ.

[ما أنْزَلَهُ الله تعالى رَدًّا على قَوْلِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ: خُذْ لِنَفْسِكَ]

وَأنْزَلَ عَلَيْهِ في قَوْلِهِمْ: خُذْ لِنَفْسِكَ، ما سَأَلُوهُ أنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ، أنْ يَجْعَلَ لَهُ جِنانًا وقُصُورًا وكُنُوزًا، ويَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكًا يُصَدِّقُهُ بِما يَقُولُ، ويَرُدُّ عَنْهُ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [الفرقان: ٧-١٠]، أيْ: مِنْ أنْ تَمْشِيَ في الأَسْواقِ وتَلْتَمِسَ المَعاشَ، ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾.

وَأنْزَلَ عَلَيْهِ في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ

فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]، أيْ: جَعَلْتُ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ بَلاءً لِتَصْبِرُوا، ولَوْ شِئْتُ أنْ أجْعَلَ الدُّنْيا مَعَ رُسُلِي فلا يُخالِفُوا لَفَعَلْتُ.

[ما أنْزَلَهُ تَعالى رَدًّا على قَوْلِ ابنِ أبي أُمَيَّةَ]

وَأنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فيما قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٤].

قالَ ابنُ هِشامٍ: اليَنْبُوعُ: ما نَبَعَ مِنَ الماءِ مِنَ الأرْضِ وغَيْرِها، وجَمْعُهُ: يَنابِيعُ. قالَ ابنُ هَرْمَةَ ـ واسْمُهُ: إبْراهِيمُ بنُ عَلِيٍّ الفِهْرِيُّ ـ:

وَإذا هَرَقْتَ بِكُلِّ دارٍ عَبْرَةً ... نُزِفَ الشُّؤُونُ ودَمْعُكَ اليَنْبُوعُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

والكِسَفُ: القِطَعُ مِنَ العَذابِ، وواحِدَتُهُ: كِسْفَةٌ، مِثْلُ: سِدْرَةٍ وسِدَرٍ. وهِيَ أيْضًا واحِدةُ الكِسْفِ. والقَبِيلُ يَكُونُ مُقابَلَةً ومُعايَنَةً، وهُوَ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]، أيْ: عِيانًا.

وَأنْشَدَنِي أبو عُبَيْدَةَ لِأعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

أُصالِحُكُمْ حَتّى تَبُوؤُوا بِمِثْلِها ... كَصَرْخَةِ حُبْلى يَسَّرَتْها قَبِيلُها

يَعْنِي: القابِلَةَ؛ لِأَنَّها تُقابِلُها وتَقْبَلُ ولَدَها. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

ويُقالُ: القَبِيلُ: جَمْعُهُ قُبُلٌ، وهِيَ الجماعاتُ، وفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١]، فقُبُلٌ: جَمْعُ قَبِيلٍ، مِثْلُ سُبُلٍ: جَمْعُ سَبِيلٍ، وسُرُرٍ: جَمْعُ سَرِيرٍ، وقُمُصٍ: جَمْعُ قَمِيصٍ.

والقَبِيلُ أيْضًا في مَثَلٍ مِنَ الأمْثالِ، وهُوَ قَوْلُهُمْ: ما يَعْرِفُ قَبِيلًا مِنْ دَبِيرٍ، أيْ: لا يَعْرِفُ ما أَقْبَلَ مِمّا أَدْبَرَ، قالَ الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ:

تَفَرَّقَتِ الأُمُورُ بِوِجْهَتَيْهِمْ ... فما عَرَفُوا الدَّبِيرَ مِنَ القَبِيلِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

ويُقالُ: إنَّما أُرِيدَ بِهذا القَبِيلِ: الفَتْلُ، فما فُتِلَ إلى الذِّراعِ فهُوَ القَبِيلُ، ومافُتِلَ إلى أطْرافِ الأصابِعِ فهُوَ الدَّبِيرُ، وهُوَ مِنَ الإقْبالِ والإدْبارِ الَّذي ذَكَرْتُ. ويُقالُ: فتْلُ المِغْزَلِ. فإذا فُتِلَ المِغْزَلُ إلى الرُّكْبةِ فَهُوَ القَبِيلُ، وإذا فُتِلَ إلى الوَرِكِ فهُوَ الدَّبِيرُ. والقَبِيلُ أيْضًا: قَوْمُ الرَّجُلِ.

والزُّخْرُفُ: الذَّهَبُ. والمُزَخْرَفُ: المُزَيَّنُ بِالذَّهَبِ. قالَ العَجّاجُ:

مِنْ طَلَلٍ أمْسى تَخالُ المُصْحَفا ... رُسُومَهُ والمُذْهَبَ المُزَخْرَفا

وَهذانِ البَيْتانِ في أُرْجُوزةٍ لَهُ. ويُقالُ أيْضًا لِكُلِّ مُزَيَّنٍ: مُزَخْرَفٌ.

[ما أنْزَلَهُ الله تَعالى رَدًّا على قَوْلِهِمْ: إنَّما يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِاليَمامةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأنْزَلَ عَلَيْهِ في قَوْلِهِمْ: إنّا قَدْ بَلَغَنا أنَّكَ إنَّما يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِاليَمامةِ، يُقالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، ولَنْ نُؤْمِنَ بِهِ أبَدًا: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ

أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

[ما أنْزَلَهُ تَعالى في أبي جَهْلٍ وما هَمَّ بِهِ]

وَأنْزَلَ عَلَيْهِ فيما قالَ أبو جَهْلِ بنِ هِشامٍ، وما هَمَّ بِهِ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۞ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ٩-١٩].

قالَ ابنُ هِشامٍ: لَنَسْفَعًا: لَنَجْذِبَنْ ولَنَأْخُذَنْ. قالَ الشّاعِرُ:

قَوْمٌ إذا سَمِعُوا الصُّراخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سافِعِ

والنّادِي: المَجْلِسُ الَّذي يَجْتَمِعُ فيهِ القَوْمُ ويَقْضُونَ فيهِ أُمُورَهُمْ، وفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وهُوَ النَّدِيُّ. قالَ عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ:

اذْهَبْ إلَيْكَ فإنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَهْلِ النَّدِيِّ وأَهْلِ الجُودِ والنّادِي

وَفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]. وجَمْعُهُ: أنْدِيةٌ. فلْيَدْعُ أهْلَ نادِيهِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، يُرِيدُ: أهْلَ القَرْيةِ. قالَ سَلامةُ بنُ جَنْدَلٍ أحَدُ بَنِي سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ:

يَوْمانِ يَـوْمُ مَقاماتٍ وأنْدِيةٍ ويَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تَأْوِيبِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ:

لا مَهاذِيــرَ في النديِّ مكاثيـ ـــر ولا مُصْمِتِينَ بِالإفْحامِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. ويُقالُ: النّادِي: الجُلَساءُ.

والزَّبانِيةُ: الغِلاظُ الشِّدادُ، وهُمْ في هذا المَوْضِعِ: خَزَنةُ النّارِ. والزَّبانِيةُ أيْضًا في الدُّنْيا: أعْوانُ الرَّجُلِ الَّذينَ يَخْدُمُونَهُ ويُعِينُونَهُ، والواحِدُ: زِبنِيةٌ. قالَ ابنُ الزِّبَعْرى في ذلك:

مَطاعِيمُ في المَقْرى مَطاعِينُ في الوَغى زَبانِيــةٌ غُلْــبٌ عِظــامٌ حُلُومُها

يَقُولُ: شِدادٌ. وهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ. وقالَ صَخْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ الهُذَلِيُّ، وهُوَ صَخْرُ الغَيِّ:

وَمِــنْ كَبِــيرٍ نَفَــرٌ زَبانِيَهْ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ.

[ما أنْزَلَهُ تَعالى فيما عَرَضُوهُ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ أمْوالِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ فيما عَرَضُوا عَلَيْهِ مِنْ أمْوالِهِمْ: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧].

[اسْتِكْبارُ قُرَيْشٍ عَنْ أنْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ ﷺ]

فَلَمّا جاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِما عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ، وعَرَفُوا صِدْقَهُ فيما حَدَّثَ، ومَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فيما جاءَهُمْ بِهِ؛ مِنْ عِلْمِ الغُيُوبِ حِينَ سَألُوهُ عَمّا سَألُوا عَنْهُ، حالَ الحَسَدُ مِنْهُمْ لَهُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اتِّباعِهِ وتَصْدِيقِهِ، فَعَتَوْا على اللهِ

وتَرَكُوا أمْرَهُ عِيانًا، ولجُّوا فيما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ، فقالَ قائِلُهُمْ: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦]، أي: اجْعَلُوهُ لَغْوًا وباطِلًا، واتَّخِذُوهُ هُزُوًا لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بِذلك؛ فإنَّكُمْ إنْ ناظَرْتُمُوهُ أوْ خاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ.

[تَهَكُّمُ أبي جَهْلٍ بالرَّسُولِ ﷺ، وتَنْفيرُ النّاسِ عَنْهُ]

فَقالَ أبو جَهْلٍ يَوْمًا وهُوَ يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وما جاءَ بِهِ مِنَ الحَقِّ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أنَّما جُنُودُ اللهِ الَّذينَ يُعَذِّبُونَكُمْ في النّارِ ويَحْبِسُونَكُمْ فيها تِسْعةَ عَشَرَ، وأنْتُمْ أكْثَرُ النّاسِ عَدَدًا وكَثْرَةً، أفيُعْجِزُ كُلَّ مئةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ؟ فأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ في ذلك مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخِرِ القِصّةِ، فلَمّا قالَ ذلك بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، جَعَلُوا إذا جَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالقُرْآنِ وهُوَ يُصَلِّي يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، ويَأْبَوْنَ أنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فكانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إذا أرادَ أنْ يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَ ما يَتْلُو مِنَ القُرْآنِ وهُوَ يُصَلِّي، اسْتَرَقَ السَّمْعَ دُونَهُمْ فرَقًا مِنْهُمْ، فإنْ رَأى أنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيةَ أذاهُمْ فلَمْ يَسْتَمِعْ، وإنْ خَفَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ، فظَنَّ الَّذي يَسْتَمِعُ أنَّهُمْ لا يَسْتَمِعُونَ شَيْئًا مِنْ قِراءَتِهِ، وسَمِعَ هُوَ شَيْئًا دُونَهُمْ، أصاخَ لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ.

[سَبَبُ نُزُولِ آيةِ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ ﴾ إلَخْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني داوُدُ بنُ الحُصَيْنِ مَوْلى عَمْرِو بنِ عُثْمانَ، أنَّ عِكْرِمةَ مَوْلى ابنِ عَبّاسٍ حَدَّثَهُمْ، أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما

حَدَّثَهُمْ: إِنَّما أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيةُ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] مِنْ أجْلِ أُولَئِكَ النَّفرِ. يقُولُ: لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ فيتَفَرَّقُوا عَنْكَ، ولا تُخافِتْ بِها فلا يَسْمَعْها مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَها مِمَّنْ يَسْتَرِقُ ذلك دُونَهُمْ؛ لَعَلَّهُ يَرْعَوِي إلى بَعْضِ ما يَسْمَعُ فينْتَفِعَ بِهِ.

أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالقُرْآنِ

[عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، وما نالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ في سَبِيلِ جَهْرِهِ بِالقُرْآنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، قالَ: كانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قالَ: اجْتَمَعَ يَوْمًا أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالُوا: واللهِ ما سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هذا القُرْآنَ يُجْهَرُ لَها بِهِ قَطُّ، فمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ فَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: أنا، قالُوا: إنّا نَخْشاهُمْ عَلَيْكَ، إنَّما نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إنْ أرادُوهُ، قالَ: دَعُونِي؛ فإنَّ اللهَ سَيَمْنَعُنِي. قالَ: فَغَدا ابنُ مَسْعُودٍ حَتّى أتى المَقامَ في الضُّحى، وقُرَيْشٌ في أنْدِيَتِها، حَتّى قامَ عِنْدَ المَقامِ ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، رافِعًا بِها صَوْتَهُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، قالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَها يَقْرَؤُها. قالَ: فتَأَمَّلُوهُ، فجَعَلُوا يَقُولُونَ: ماذا قالَ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ قالَ: ثُمَّ قالُوا: إنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فقامُوا إلَيْهِ، فجَعَلُوا يَضْرِبُونَ في وجْهِهِ، وجَعَلَ يَقْرَأُ حَتّى بَلَغَ مِنْها ما شاءَ اللهُ أنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلى أصْحابِهِ وقَدْ أَثَّرُوا في وجْهِهِ، فقالُوا لَهُ: هذا الَّذي خَشِينا عَلَيْكَ، فقالَ: ما كانَ أعْداءُ الله أهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الآنَ، ولَئِنْ شِئْتُمْ لَأُغادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِها غَدًا، قالُوا: لا، حَسْبُكَ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ ما يَكْرَهُونَ.

قِصّةُ اسْتِماعِ قُرَيْشٍ إلى قِراءةِ النَّبِيِّ ﷺ

[أبو سُفيانَ وأبو جَهْلٍ والأخْنَسُ، وحَدِيثُ اسْتِماعِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ، وأبا جَهْلِ بنَ هِشامٍ، والأخْنَسَ بنَ شَرِيقِ ابنِ عَمْرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفِيَّ حَلِيفَ بَنِي زُهْرةَ، خَرَجُوا لَيْلةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ في بَيْتِهِ، فأخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فيهِ، وكُلٌّ لا يَعْلَمُ بِمَكانِ صاحِبِهِ، فباتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتّى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فتَلاوَمُوا، وقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لا تَعُودُوا؛ فلَوْ رَآكُمْ بَعْضُ سُفَهائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ في نَفْسِهِ شَيْئًا. ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتّى إذا كانَتِ اللَّيْلَةُ الثّانِيَةُ، عادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إلى مَجْلِسِهِ، فباتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتّى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ ما قالُوا أوَّلَ مَرّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتّى إذا كانَتِ اللَّيْلَةُ الثّالِثَةُ أخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فباتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتّى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لا نَبْرَحُ حَتّى نَتَعاهَدَ ألا نَعُودَ، فتَعاهَدُوا على ذلك، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

[ذَهابُ الأخْنَسِ إلى أبي سُفيانَ يَسْألُهُ عَنْ مَعْنى ما سَمِعَ]

فَلَمّا أصْبَحَ الأخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ أخَذَ عَصاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أتى أبا سُفيانَ في بَيْتِهِ، فقالَ: أخْبِرْنِي يا أبا حَنْظَلةَ عَنْ رَأْيِكَ فيما سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فقالَ: يا أبا ثَعْلَبَةَ، واللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أشْياءَ أعْرِفُها وأعْرِفُ ما يُرادُ بِها، وسَمِعْتُ

أشْياءَ ما عَرَفْتُ مَعْناها وَلا ما يُرادُ بِها، قالَ الأَخْنَسُ: وأنا والَّذي حَلَفْتَ بِهِ كَذلك.

[ذَهابُ الأَخْنَسِ إلى أبي جَهْلٍ يَسْأَلُهُ عَنْ مَعْنى ما سَمِعَ]

قالَ: ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتّى أتى أبا جَهْلٍ، فدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فقالَ: يا أبا الحَكَمِ، ما رَأْيُكَ فيما سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فقالَ: ماذا سَمِعْتُ؟ تَنازَعْنا نَحْنُ وبَنُو عَبْدِ مَنافٍ الشَّرَفَ؛ أَطْعَمُوا فأَطْعَمْنا، وحَمَلُوا فحَمَلْنا، وأَعْطَوْا فأَعْطَيْنا، حَتّى إذا تَجاذَيْنا على الرُّكَبِ وكُنّا كَفَرَسَيْ رِهانٍ، قالُوا: مِنّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الوَحْيُ مِنَ السَّماءِ، فمَتى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ؟! واللهِ لا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا ولا نُصَدِّقُهُ. قالَ: فقامَ عَنْهُ الأَخْنَسُ وتَرَكَهُ.

[تَعَنُّتُ قُرَيْشٍ في عَدَمِ اسْتِماعِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، وما أَنْزَلَهُ تَعالى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا تَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، ودَعاهُمْ إلى اللهِ، قالُوا يَهْزَؤُونَ بِهِ: ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾: لا نَفْقَهُ ما تَقُولُ، ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾: لا نَسْمَعُ ما تَقُولُ، ﴿ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾: قَدْ حالَ بَيْنَنا وبَيْنَكَ، ﴿ فَٱعْمَلْ ﴾: بِما أَنْتَ عَلَيْهِ، ﴿ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥]: بِما نَحْنُ عَلَيْهِ، إنّا لا نَفْقَهُ عَنْكَ شَيْئًا. فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]، أيْ: كَيْفَ فهِمُوا تَوْحِيدَكَ رَبَّكَ إنْ كُنْتُ جَعَلْتُ على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وفي آذانِهِمْ وقْرًا، وبَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ حِجابًا بِزَعْمِهِمْ، أيْ: إنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذلك، ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ

ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧]، أيْ: ذلك ما تَواصَوْا بِهِ مِنْ تَرْكِ ما بَعَثْتُكَ بِهِ إلَيْهِمْ، ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨]، أيْ: أخْطَؤُوا المَثَلَ الَّذي ضَرَبُوا لَكَ، فلا يُصِيبُونَ بِهِ هُدًى، ولا يَعْتَدِلُ لَهُمْ فيهِ قَوْلٌ، ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩]، أيْ: قَدْ جِئْتَ تُخْبِرُنا أنّا سَنُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِنا إذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا، وذلك ما لا يَكُونُ ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥١]، أيِ: الَّذي خَلَقَكُمْ مِمّا تَعْرِفُونَ؛ فلَيْسَ خَلْقُكُمْ مِنْ تُرابٍ بِأعَزَّ مِنْ ذلك عَلَيْهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهِدٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ الله عَنهُما، قالَ: سَألْتُهُ عَنْ قَوْلِ الله تَعالى: ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾: ما الَّذي أرادَ اللهُ بِهِ؟ فقالَ: المَوْتُ.

ذِكْرُ عُدْوانِ المُشْرِكِينَ على المُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ أسْلَمَ بِالأذى والفِتْنَةِ

[قَسْوةُ قُرَيْشٍ على مَنْ أسْلَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّهُمْ عَدَوْا على مَنْ أسْلَمَ واتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أصْحابِهِ، فوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ على مَنْ فيها مِنَ المُسْلِمِينَ، فجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ ويُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ والجُوعِ والعَطَشِ، وبِرَمْضاءِ مَكَّةَ إذا اشْتَدَّ الحَرُّ، مَنِ اسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ، يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَنُ مِنْ شِدَّةِ البَلاءِ

الَّذي يُصِيبُهُ، ومِنْهُمْ مِنْ يَصْلُبُ لَهُمْ، ويَعْصِمُهُ الله مِنْهُمْ.

[ما كانَ يَلْقاهُ بِلالٌ بَعْدَ إسْلامِهِ، وما فعَلَهُ أبو بَكْرٍ في تَخْلِيصِهِ]

وَكانَ بِلالٌ مَوْلى أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُما لِبَعْضِ بَنِي جُمَحَ، مُوَلَّدًا مِنْ مُوَلَّدِيهِمْ، وهُوَ بِلالُ بنُ رَباحٍ، وكانَ اسْمُ أُمِّهِ: حَمامةَ، وكانَ صادِقَ الإسْلامِ، طاهِرَ القَلْبِ، وكانَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ يُخْرِجُهُ إذا حَمِيَتِ الظَّهِيرةُ، فيطْرَحُهُ على ظَهْرِهِ في بَطْحاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بالصَّخْرةِ العَظِيمةِ فَتُوضَعُ على صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لا واللهِ لا تَزالُ هَكَذا حَتّى تَمُوتَ، أوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وتَعْبُدَ اللّاتَ والعُزّى، فيقُولُ وهُوَ في ذلك البَلاءِ: أحَدٌ أحَدٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي هِشامُ بنُ عُرْوةَ، عَنْ أبيهِ، قالَ: كانَ ورَقةُ ابنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وهُوَ يُعَذَّبُ بِذلك، وهُوَ يَقُولُ: أحَدٌ أحَدٌ، فيقُولُ: أحَدٌ أحَدٌ واللهِ يا بِلالُ، ثُمَّ يُقْبِلُ على أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ومَنْ يَصْنَعُ ذلك بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحَ، فيقُولُ: أحْلِفُ باللهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ على هذا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنانًا، حَتّى مَرَّ بِهِ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بنُ أبي قُحافةَ رَضِيَ الله عَنْهُ يَوْمًا وهُمْ يَصْنَعُونَ ذلك بِهِ، وكانَتْ دارُ أبي بَكْرٍ في بَنِي جُمَحَ، فقالَ لِأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ: ألا تَتَّقِي الله في هذا المِسْكِينِ؟ حَتّى مَتى؟ قالَ: أنْتَ الَّذي أفْسَدْتَهُ فأنْقِذْهُ مِمّا تَرى، فقالَ أبو بَكْرٍ: أفْعَلُ، عِنْدِي غُلامٌ أسْوَدُ أجْلَدُ مِنْهُ وأقْوى على دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ، قالَ: قَدْ قَبِلْتُ، فقالَ: هُوَ لَكَ. فأعْطاهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ غُلامَهُ ذلك، وأخَذَهُ فأعْتَقَهُ.

[مَنْ أعْتَقَهُمْ أبو بَكْرٍ مَعَ بِلالٍ]

ثُمَّ أعْتَقَ مَعَهُ على الإسْلامِ قَبْلَ أنْ يُهاجِرَ إلى المَدِينةِ سِتَّ رِقابٍ، بِلالٌ

سابِعُهُمْ: عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا، وقُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونةَ شَهِيدًا، وأُمُّ عُبَيْسٍ، وزِنِّيرةُ، وأُصِيبَ بَصَرُها حِينَ أعْتَقَها، فقالَتْ قُرَيْشٌ: ما أذْهَبَ بَصَرَها إلّا اللّاتُ والعُزّى، فقالَتْ: كَذَبُوا وبَيْتِ اللهِ، ما تَضُرُّ اللّاتُ والعُزّى وما تَنْفَعانِ، فرَدَّ اللهُ بَصَرَها.

وَأعْتَقَ النَّهْدِيَّةَ وبِنْتَها، وكانَتا لِامْرَأةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ، فمَرَّ بِهِما وقَدْ بَعَثَتْهُما سَيِّدَتُهُما بِطَحِينٍ لَها وهِيَ تَقُولُ: واللهِ لا أُعْتِقُكُما أبَدًا، فقالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: حِلٌّ يا أُمَّ فُلانٍ، فقالَتْ: حِلٌّ، أنْتَ أفْسَدْتَهُما فأعْتِقْهُما، قالَ: فَبِكَمْ هُما؟ قالَتْ: بِكَذا وكَذا، قالَ: قَدْ أخَذْتُهُما وهُما حُرَّتانِ، ارْجِعا إلَيْها طَحِينَها، قالَتا: أوَنَفْرُغُ مِنْهُ يا أبا بَكْرٍ ثُمَّ نَرُدُّهُ إلَيْها؟ قالَ: وذلك إنْ شِئْتُما.

وَمَرَّ بِجارِيَةِ بَنِي مُؤَمِّلٍ ـ حَيٌّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ ـ وكانَتْ مُسْلِمةً، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ يُعَذِّبُها لِتَتْرُكَ الإسْلامَ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ وهُوَ يَضْرِبُها، حَتّى إذا مَلَّ قالَ: إنِّي أعْتَذِرُ إلَيْكِ، إنِّي لم أتْرُككِ إلّا مَلالةً، فتَقُولُ: كَذلك فعَلَ اللهُ بِكَ. فابْتاعَها أبو بَكْرٍ، فأعْتَقَها.

[لامَ أبو قُحافةَ ابنَهُ لِعِتْقِهِ مَنْ أعْتَقَ فرَدَّ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أبِي عَتِيقٍ، عَنْ عامِرِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أهْلِهِ، قالَ: قالَ أبو قُحافةَ لِأبِي بَكْرٍ: يا بُنَيَّ، إنِّي أراكَ تُعْتِقُ رِقابًا ضِعافًا، فلَوْ أنَّكَ إذْ فعَلْتَ ما فعَلْتَ أعْتَقْتَ رِجالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ ويَقُومُونَ دُونَكَ؟ قالَ: فقالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: يا أبَتِ، إنِّي إنَّما أُرِيدُ ما أُرِيدُ للهِ عَزَّ وجَلَّ.

قالَ: فيتَحَدَّثُ أَنَّهُ ما نَزَلَ هَؤُلاءِ الآياتُ إلّا فيهِ، وفيما قالَ لَهُ أبوهُ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٢١].

[تَعْذِيبُ قُرَيْشٍ لابنِ ياسِرٍ، وتَصْبِيرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ، وبِأبيهِ وَأُمِّهِ ـ وكانُوا أهْلَ بَيْتِ إسْلامٍ ـ إذا حَمِيَتِ الظَّهِيرةُ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضاءِ مَكّةَ، فيمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيقُولُ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: «صَبْرًا آلَ ياسِرٍ؛ مَوْعِدُكُمُ الجَنّةُ». فأمّا أُمُّهُ فقَتَلُوها وهِيَ تَأْبى إلّا الإسْلامَ.

[ما كانَ يُعَذِّبُ بِهِ أبو جَهْلٍ مَنْ أسْلَمَ]

وَكانَ أبو جَهْلٍ الفاسِقُ الَّذي يُغْرِي بِهِمْ في رِجالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، إذا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ ومَنَعةٌ، أنَّبَهُ وأخْزاهُ، وقالَ: تَرَكْتَ دِينَ أبيكَ وهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَكَ، ولَنُفَيِّلَنَّ رَأْيَكَ، ولَنَضَعَنَّ شَرَفَكَ. وإنْ كانَ تاجِرًا، قالَ: واللهِ لَنُكَسِّدَنَّ تِجارَتَكَ، ولَنُهْلِكَنَّ مالَكَ، وإنْ كانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وأغْرى بِهِ.

[سُئِلَ ابنُ عَبّاسٍ عَنْ عُذْرِ مَنِ امْتَنَعَ عَنِ الإسْلامِ لِسَبَبِ تَعْذِيبِهِ فأجازَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حَكِيمُ بنُ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، قالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ: أكانَ المُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ العَذابِ ما يُعْذَرُونَ بِهِ في تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قالَ: نَعَمْ واللهِ، إنْ كانُوا لَيَضْرِبُونَ أحَدَهُمْ ويُجِيعُونَهُ ويُعَطِّشُونَهُ، حَتّى ما يَقْدِرُ أنْ يَسْتَوِيَ جالِسًا

مِنْ شِدّةِ الضُّرِّ الَّذي نَزَلَ بِهِ، حَتّى يُعْطِيَهُمْ ما سَألُوهُ مِنَ الفِتْنةِ، حَتّى يَقُولُوا لَهُ: آللّاتُ والعُزّى إلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ فيقُولُ: نَعَمْ، حَتّى إنَّ الجُعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ، فيقُولُونَ لَهُ: أهذا الجُعَلُ إلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ؟ فيقُولُ: نَعَمْ، افْتِداءً مِنْهُمْ مِمّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ.

[رَفْضُ هِشامٍ تَسْلِيمَ أخِيهِ لِقُرَيْشٍ لِيَقْتُلُوهُ على إسْلامِهِ، وشِعْرُهُ في ذَلِكَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بنُ عُكّاشَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي أحْمَدَ، أنَّهُ حُدِّثَ، أنَّ رِجالًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مَشَوْا إلى هِشامِ بنِ الوَلِيدِ حِينَ أسْلَمَ أخُوهُ الوَلِيدُ بنُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وكانُوا قَدْ أجْمَعُوا على أنْ يَأْخُذُوا فِتْيةً مِنْهُمْ كانُوا قَدْ أسْلَمُوا، مِنْهُمْ: سَلَمةُ بنُ هِشامٍ، وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ. قالَ: فقالُوا لَهُ ـ وَخَشُوا شَرَّهُمْ ـ: إنّا قَدْ أرَدْنا أنْ نُعاتِبَ هَؤُلاءِ الفِتْيةَ على هذا الدِّينِ الَّذي أحْدَثُوا، فإنّا نَأْمَنُ بِذلك في غَيْرِهِمْ. قالَ: هذا، فعَلَيْكُمْ بِهِ، فعاتِبُوهُ وإيّاكُمْ ونَفْسَهُ، [وأنْشَأَ يَقُولُ]:

ألا لا يُقْتَلَنَّ أخِي عُيَيْسٍ فيبْقى بَيْنَنا أبَدًا تَلاحِي

احْذَرُوا على نَفْسِهِ، فأُقْسِمُ باللهِ، لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَأَقْتُلَنَّ أشْرَفَكُمْ رَجُلًا. قالَ: فقالُوا: اللهُمَّ الْعَنْهُ، مَنْ يُغَرِّرُ بهذا الحَدِيث، فوَاللهِ لَوْ أُصِيبَ في أيْدِينا لَقُتِلَ أشْرَفُنا رَجُلًا. قالَ: فتَرَكُوهُ ونَزَعُوا عَنْهُ. قالَ: وكانَ ذلك مِمّا دَفَعَ اللهُ بِهِ عَنْهُمْ.

ذِكْرُ الهِجْرةِ الأُولى إلى أرْضِ الحَبَشةِ

[إشارةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ على أصْحابِهِ بِالهِجْرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ ما يُصِيبُ أصْحابَهُ مِنَ البَلاءِ،

وما هُوَ فيهِ مِنَ العافيةِ بِمَكانِهِ مِنَ اللهِ، ومِنْ عَمِّهِ أبي طالِبٍ، وأنَّهُ لا يَقْدِرُ على أنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فيهِ مِنَ البَلاءِ، قالَ لَهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إلى أرْضِ الحَبَشةِ؛ فإنَّ بِها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أحَدٌ، وهِيَ أرْضُ صِدْقٍ، حَتّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فرَجًا مِمّا أنْتُمْ فيهِ». فخَرَجَ عِنْدَ ذلك المُسْلِمُونَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى أرْضِ الحَبَشةِ مَخافةَ الفِتْنةِ، وفِرارًا إلى اللهِ بِدِينِهِمْ، فكانَتْ أوَّلَ هِجْرةٍ كانَتْ في الإسْلامِ.

[مَنْ هاجَرُوا الهِجْرةَ الأُولى إلى الحَبَشةِ]

وَكانَ أوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بن عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابن قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ: عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ رُقَيّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ومِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: أبو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ ابنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ: سَهْلةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، أحَد بَنِي عامِرِ ابنِ لُؤَيٍّ، ولَدَتْ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشةِ مُحَمَّدَ بنَ أبي حُذَيْفةَ.

ومِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدٍ.

ومِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ.

ومِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ.

ومِنْ بَنِي مَخْزُومِ بن يَقَظَةَ بنِ مُـرّةَ: أبو سَلَمَـةَ بنُ عَبْدِ الأسَـدِ بنِ هِلالِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

ومِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ.

ومِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: عامِرُ بنُ رَبِيعةَ، حَلِيفُ آلِ الخَطّابِ، مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ، قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مِنْ عَنَزَةَ بنِ أسَدِ بنِ رَبِيعةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ لَيْلى بِنْتُ أبي حَثْمةَ بنِ حُذافةَ بنِ غانِمِ بنِ عامِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ.

ومِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: أبو سَبْرةَ بنُ أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بن عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، ويُقالُ: بَلْ أبو حاطِبِ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ ابنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، ويُقالُ: هُوَ أوَّلُ مَنْ قَدِمَها.

ومِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: سُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ، وهُوَ سُهَيْلُ بنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ.

فَكانَ هَؤُلاءِ العَشْرةُ أوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، فيما بَلَغَنِي.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ عَلَيْهِمْ عُثْمانُ بنُ مَظْعُونٍ، فيما ذَكَرَ لِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتَتابَعَ المُسْلِمُونَ حَتّى اجْتَمَعُوا بِأرْضِ الحَبَشَةِ، فكانُوا بِها، مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِأهْلِهِ مَعَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ لا أهْلَ لَهُ مَعَهُ.

[مَنْ خَرَجَ إلى أرْضِ الحَبَشَةِ مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

ومِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ: جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بنِ النُّعْمانِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ قُحافةَ ابنِ خَثْعَمٍ، ولَدَتْ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشَةِ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ، رَجُلٌ.

[مَنْ خَرَجَ إلى أرْضِ الحَبَشَةِ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ]

وَمِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بنِ أبي العـاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأتُه رُقَيّةُ ابنةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعَمْرُو بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ بن مُحَرِّثِ بنِ خُمْلِ بنِ شِقِّ بنِ رَقَبَةَ بنِ مُخْدِجٍ الكِنانِيُّ، وأخُوهُ خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أمِينةُ بِنْتُ خَلَفِ بنِ أسْعَدَ بنِ عامِرِ ابنِ بَياضةَ بنِ سُبَيْعِ بنِ جُعْثُمةَ بنِ سَعْدِ بنِ مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزاعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: هُمَيْنةُ بِنْتُ خَلَفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَدَتْ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشَةِ سَعِيدَ بنَ خالِدٍ، وأَمَةَ بِنْتَ خالِدٍ، فَتَزَوَّجَ أَمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، فوَلَدَتْ لَهُ عَمْرَو بنَ الزُّبَيْرِ، وخالِدَ بنَ الزُّبَيْرِ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابِ ابنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدٍ، وأخُوهُ عُبَيْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ حَبِيبةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ، وقَيْسُ بنُ عَبْدِ اللهِ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ بَرَكةُ بِنْتُ يَسارٍ، مَوْلاةُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ، ومُعَيْقِيبُ بنُ أبي فاطِمةَ. وهَؤُلاءِ آلُ سَعِيدِ بنِ العاصِ، سَبْعةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُعَيْقِيبٌ مِنْ دَوْسٍ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، أبو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وأبو مُوسى الأشْعَرِيُّ، واسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ، حَلِيفُ آلِ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ، رَجُلانِ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابِرِ بنِ وهبِ بنِ نَسِيبِ بنِ مالِكِ بنِ الحارِثِ بنِ مازِنِ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمةَ بنِ خَصَفةَ ابنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ، حَلِيفٌ لَهُمْ، رَجُلٌ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ، والأَسْوَدُ بنُ نَوْفَلِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدٍ، ويَزِيدُ بنُ زَمعةَ بنِ الأَسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، وعَمْرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ، أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ: طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ أبي كَبِيرِ بنِ عَبْدِ بن قُصَيٍّ، رَجُلٌ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، وسُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حَرْمَلَةَ بنِ مالِكِ بنِ عُمَيْلَةَ بنِ السَّبّاقِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، وجَهْمُ بنُ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ حَرْمَلَةَ بِنْتُ عَبْدِ الأسْوَدِ بنِ جُذَيْمةَ بنِ أُقَيْشِ ابنِ عامِرِ بنِ بَياضةَ بنِ سُبَيْعِ بنِ جُعْثُمةَ بنِ سَعْدِ بنِ مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزاعةَ، وابناهُ عَمْرُو بنُ جَهْمٍ وخُزَيْمةُ بنُ جَهْمٍ، وأبو الرُّومِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، وفِراسُ بنُ النَّضْرِ بنِ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عَلْقَمةَ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ ابنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، وعامِرُ بنُ أبي وقّاصٍ ـ وأبو وقّاصٍ مالِكُ ابنُ أُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ ـ والمُطَّلِبُ بنُ أزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفِ ابنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، مَعَهُ امْرَأتُهُ رَمْلةُ بِنْتُ أبي عَوْفِ بنِ ضُبَيْرةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، ولَدَتْ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشةِ عَبْدَ اللهِ ابنَ المُطَّلِبِ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي هُذَيْلٍ]

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ هُذَيْلٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودِ بنِ الحارِثِ بنِ شَمْخِ بنِ مَخْزُومِ بنِ صاهِلةَ بنِ كاهَلِ بنِ الحارِثِ بنِ تَمِيمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ. وأَخُوهُ: عُتْبةُ بنُ مَسْعُودٍ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَهْراءَ]

وَمِنْ بَهْراءَ: المِقْدادُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ بنِ ثُمامةَ بنِ مَطْرُودِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ الشَّرِيدِ بنِ أَبِي أَهْوَزَ بنِ أَبِي فائِشِ بنِ دُرَيْمِ بنِ القَيْنِ بنِ أَهْوَدَ بنِ بَهْراءَ بنِ عَمْرِو بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: هَزْلُ بنُ فاسِ بنِ ذَرٍّ، ودَهِيرُ بنُ ثَوْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ يُقالُ لَهُ: المِقْدادُ بنُ الأسْوَدِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ بنِ وهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ؛ وذلك أَنَّهُ تَبَنّاهُ في الجاهِلِيّةِ، وحالَفَهُ سِتّةُ نَفَرٍ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي تَيْمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: الحارِثُ بنُ خالِدِ بنِ صَخْرِ بنِ عامِرِ بنِ عَمْرِو ابنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ رَيْطةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ جَبَلةَ بنِ عامِرِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، ولَدَتْ لَهُ بِأَرْضِ الحَبَشةِ مُوسى بنَ الحارِثِ، وعائِشةَ بِنْتَ الحارِثِ، وزَيْنَبَ بِنْتَ الحارِثِ، وفاطِمةَ بِنْتَ الحارِثِ، وعَمْرَو ابنَ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، رَجُلانِ.

[مَنْ رَحَلَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقظَـةَ بنِ مُـرّةَ: أبو سَلَمـةَ بنُ عَبْدِ الأسَـدِ بنِ هِلالِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، ومَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ سَلَمةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، ولَدَتْ لَهُ بِأرْضِ الحَبَشةِ زَيْنَبَ بِنْتَ أبي سَلَمةَ، واسْمُ أبي سَلَمةَ: عَبْدُ اللهِ، واسْمُ أُمِّ سَلَمةَ: هِنْدٌ، وشَمّاسُ بنُ عُثْمانَ ابنِ الشَّرِيدِ بنِ سُوَيْدِ بنِ هَرْمِيِّ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ.

[اسْمُ الشَّمّاسِ وشَيْءٌ عَنْهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ شَمّاسٍ: عُثْمانُ، وإنَّما سُمِّيَ: شَمّاسًا؛ لِأنَّ شَمّاسًا مِن الشَّمامِسةِ قَدِمَ مَكّةَ في الجاهِلِيّةِ، وكانَ جَمِيلًا، فعَجِبَ النّاسُ مِنْ جَمالِهِ، فقالَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ ـ وكانَ خالَ شَمّاسٍ ـ: أنا آتِيكُمْ بِشَمّاسٍ أحْسَنَ مِنْهُ، فجاءَ بِابنِ أُخْتِهِ عُثْمانَ بنِ عُثْمانَ، فسُمِّيَ: شَمّاسًا، فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ وغَيْرُهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَبّارُ بنُ سُفيانَ بنِ عَبْدِ الأسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وأخُوهُ عَبْدُ اللهِ بنُ سُفيانَ، وهِشامُ بنُ أبي حُذَيْفةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وسَلَمةُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ حُلَفاءِ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ: مُعَتِّبُ بنُ عَوْفِ بنِ عامِرِ بنِ الفَضْلِ بنِ عَفِيفِ بنِ

كُلَيْبِ بن حُبْشِيَّةَ بنِ سَلُولَ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزاعةَ، وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: عَيْهامةُ، ثَمانِيةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: حُبْشِيَّةُ بنُ سَلُولَ، وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: مُعَتِّبُ ابنُ حَمْراءَ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وابنُهُ السّائِبُ بنُ عُثْمانَ، وأَخَواهُ: قُدامةُ ابنُ مَظْعُونٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ مَظْعُونٍ، وحاطِبُ بنُ الحارِثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ ابنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ المُجَلَّلِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وابناهُ: مُحَمَّدُ ابنُ حاطِبٍ، والحارِثُ بنُ حاطِبٍ، وهُما لِبِنْتِ المُجَلَّلِ، وأَخُوهُ حَطّابُ بنُ الحارِثِ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فُكَيْهةُ بِنْتُ يَسارٍ، وسُفيانُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ ابنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، مَعَهُ ابناهُ: جابِرُ بنُ سُفيانَ، وجُنادةُ بنُ سُفيانَ، ومَعَهُ امْرَأَتُهُ حَسَنةُ، وهِيَ أُمُّهُما، وأَخُوهُما مِنْ أُمِّهِما شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنةَ، أَحَدُ الغَوْثِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: شُرَحْبِيلُ بنُ عَبْدِ اللهِ أَحَدُ الغَوْثِ بنِ مُرٍّ، أَخِي تَمِيمِ ابنِ مُرٍّ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُثْمانُ بنُ رَبِيعةَ بنِ أَهْبانَ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: خُنَيْسُ بنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ ابنِ سَعْدِ بنِ سَهْلٍ، وهِشامُ بنُ العاصِ بنِ وائِلِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: العاصِ بنُ وائِلِ بنِ هاشِمِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَيْسُ بنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وأبو قَيْسِ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وعَبْدُ اللهِ ابنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، والحارِثُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، ومَعْمَرُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ ابنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وبِشْرُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، [وأخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقالُ لَهُ: سَعِيدُ بنُ عَمْرٍو، وسَعِيدُ بنُ الحارِثِ ابنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ]، والسّائِبُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وعُمَيْرُ بنُ رِئابِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ مُهَشِّمِ بنِ سَعْدِ ابنِ سَهْمٍ، ومَحْمِيّةُ بنُ الجَزاءِ، حَلِيفٌ لَهُمْ، مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، أرْبَعةَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: مَعْمَرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ نَضْلةَ بنِ عَبْدِ العُزّى ابنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَدِيٍّ، وعُرْوةُ بنُ عَبْدِ العُزّى ابنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَدِيٍّ، وعَدِيُّ بنُ نَضْلةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَدِيٍّ، وابنُهُ النُّعْمانُ ابنُ عَدِيٍّ، وعامِرُ بنُ رَبِيعةَ، حَلِيفٌ لِآلِ الخَطّابِ، مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ لَيْلى بِنْتُ أبي حَثْمةَ بنِ غانِمٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: أبو سَبْرةَ بنُ أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ مَخْرَمَةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ ابنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وسَلِيطُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وأخُوهُ السَّكْرانُ بنُ عَمْرٍو، مَعَهُ امْرَأتُهُ سَوْدةُ بِنْتُ زَمعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، ومالِكُ بنُ زَمعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ عَمْرةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بنِ وقْدانَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ ابنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وحاطِبُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وسَعْدُ بنُ خَوْلةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ثَمانِيةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَعْدُ بنُ خَوْلةَ مِنَ اليَمَنِ.

[مَنْ هاجَرَ إلى الحَبَشةِ مِنْ بَنِي الحارِثِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ، وهُوَ عامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الجَرّاحِ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وَسُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ، وهُوَ سُهَيْلُ بنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ

ابنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، ولَكِنَّ أُمَّهُ غَلَبَتْ على نَسَبِهِ، فهُوَ يُنْسَبُ إلَيْها، وهِيَ دَعْدُ بِنْتُ جَحْدَمِ بنِ أُمَيّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وكانَتْ تُدْعى بَيْضاءَ، وعَمْرُو بنُ أبي سَرْحِ بنِ رَبيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وعِياضُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادِ بنِ رَبيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، ويُقالُ: بَلْ رَبيعةُ بنُ هِلالِ بنِ مالِكِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وعَمْرُو ابنُ الحارِثِ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادِ بنِ رَبيعةَ بنِ هِلالِ بنِ مالِكِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وعُثْمانُ بنُ عَبْدِ غَنْمِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادِ بنِ رَبيعةَ بنِ هِلالِ ابنِ مالِكِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وسَعْدُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ بنِ لَقِيطِ بنِ عامِرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، والحارِثُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ بنِ لَقِيطِ بنِ عامِرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ. ثَمانِيةُ نَفَرٍ.

[عَدَدُ المُهاجِرِينَ إلى الحَبَشةِ]

فَكانَ جَمِيعُ مَنْ لَحِقَ بِأَرْضِ الحَبَشةِ وهاجَرَ إلَيْها مِنَ المُسْلِمِينَ - سِوى أبنائِهِمُ الَّذينَ خَرَجُوا بِهِمْ مَعَهُمْ صِغارًا ووُلِدُوا بِها - ثَلاثةً وثَمانِينَ رَجُلًا، إنْ كانَ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ فيهِمْ، وهُوَ يُشَكُّ فيهِ.

[شِعْرُ عَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ في الهِجْرةِ إلى الحَبَشةِ]

وَكانَ مِمّا قِيلَ مِنَ الشِّعْرِ في الحَبَشةِ: أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ الحارِثِ بنِ قَيْسِ ابنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ حِينَ أَمِنُوا بِأَرْضِ الحَبَشةِ، وحَمِدُوا جِوارَ النَّجاشِي، وعَبَدُوا اللهَ لا يَخافُونَ على ذلك أحَدًا، وقَدْ أحْسَنَ النَّجاشِي جِوارَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِهِ، قالَ:

يا راكِبًـا بَلِّغَنْ عَـنّي مُغَلْغَلةً مَنْ كانَ يَرْجُو بَلاغَ اللهِ والدِّينِ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْ عِبادِ اللهِ مُضْطَهَدٍ بِبَطْـنِ مَكّةَ مَقْهُـورٍ ومَفْتُونِ
أنّـا وجَدْنـا بِلادَ اللهِ واسِـعةً تُنْجِي مِنَ الذُّلِّ والمَخْزاةِ والهُونِ
فَلا تُقِيمُـوا على ذلِّ الحَياةِ وخِزْ يٍ في المَماتِ وعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُونِ
إنّـا تَبِعْنا رَسُـولَ اللهِ واطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ وعالُـوا في المَوازِينِ
فاجْعَلْ عَذابَكَ بِالقَوْمِ الَّذينَ بَغَوْا وعائِذًا بِـكَ أنْ يَعْلُوا فيطْغُونِي

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ أيْضًا، يَذْكُرُ نَفيَ قُرَيْشٍ إيّاهُمْ مِنْ بِلادِهِمْ، ويُعاتِبُ بَعْضَ قَوْمِهِ في ذلك:

أبَتْ كَبِدِي، لا أكْذِبَنْكَ، قِتالَهُم عَـلَيَّ وتَأْبـاهُ عَـلَيَّ أنامِـلِي
وَكَيْـفَ قِتـالِي مَعْـشَرًا أدَّبُوكُمُ على الحَـقِّ ألّا تَأْشِـبُوهُ بِباطِـلِ؟
نَفَتْهُمْ عِبادُ الجِنِّ مِنْ حُرِّ أرْضِهِمْ فأضْحَوْا على أمْرٍ شَـدِيدِ البَلابِلِ
فَإنْ تَـكُ كانَتْ في عَـدِيٍّ أمانةٌ عَدِيِّ بنِ سَعْدٍ عَنْ تُقًى أوْ تَواصُلِ
فَقَدْ كُنْـتُ أرْجُو أنَّ ذلك فيكُمُ بِحَمْـدِ الَّذي لا يُطَّـبى بِالجَعائِلِ
وبُدّلت شِـبْلًا شِـبْلَ كُلِّ خَبِيثةٍ بِذِي فجَرٍ مَأْوى الضِّعافِ الأرامِلِ

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ أيْضًا:

وَتِلْـكَ قُرَيْشٌ تَجْحَـدُ اللهَ حَقَّهُ كَما جَحَدَتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ
فَـإنْ أنا لَـمْ أُبْرِقْ فلا يَسَـعَنَّنِي مِـنَ الأرْضِ بَرٌّ ذُو فضاءٍ ولا بَحْرُ
بِـأرْضٍ بِهـا عَبْـدُ الإلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ ما في النَّفْـسِ إذْ بُلِغَ النَّقْرُ

فَسُمِّيَ عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ يَرْحَمُهُ اللهُ لَبَيْتِهِ الَّذي قالَ: «المُبْرِقُ».

[شِعْرُ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ في ذلك]

وَقالَ عُثْمانُ بنُ مَظْعُونٍ يُعاتِبُ أُمَيّةَ بنَ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ ابنِ جُمَحَ، وهُوَ ابنُ عَمِّهِ، وكانَ يُؤْذِيهِ في إسْلامِهِ، وكانَ أُمَيّةُ شَرِيفًا في قَوْمِهِ في زَمانِهِ ذلك:

أَتَيْمَ بنَ عَمْرٍو لِلَّذِي جاءَ بِغْضةً ... ومِنْ دُونِهِ الشَّرْمانُ والبَرْكُ أكْتَعُ
أأخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكّةَ آمِنًا ... وأسْكَنْتنِي في صَرْحِ بَيْضاءَ تَقْذَعُ
تَرِيشُ نِبالًا لا يُواتِيكَ رِيشُها ... وتَبْرِي نِبالًا رِيشُها لَكَ أجْمَعُ
وَحارَبْتَ أقْوامًا كِرامًا أعِزّةً ... وأهْلَكْتَ أقْوامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ
سَتَعْلَمُ إنْ نابَتْكَ يَوْمًا مُلِمّةٌ ... وأسْلَمَكَ الأوْباشُ ما كُنْتَ تَصْنَعُ

وَتَيْمُ بنُ عَمْرٍو ـ الَّذي يَدْعُو عُثْمانُ ـ جُمَحُ، كانَ اسْمُهُ: تَيْمًا.

إرْسالُ قُرَيْشٍ إلى الحَبَشةِ في طَلَبِ المُهاجِرِينَ إلَيْها

وَذَكَرَ[١] أبا حُذَيْفةَ بنَ عُتْبَةَ. قالَ ابنُ هِشام: واسْمُهُ: مِهْشَمٌ[٢]. وهُوَ وهْمٌ عِنْدَ أهْلِ النَّسَبِ، فإنّ مِهْشَمًا إنّما هُوَ أبُو حُذَيْفةَ بنُ المُغِيرةِ أخُو هاشِمٍ وهِشامٍ ابنَي المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ[٣] بنِ مَخْزُومٍ[٤]. وأمّا أبو حُذَيفة بنُ عُتبةَ فاسمُهُ: قَيْسٌ، فيما ذَكَرُوا.

وذَكَرَ[٥] أسْماءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ امْرَأةَ جَعْفَرِ بنِ أبِي طالِبٍ. وعُمَيْسٌ أبُوها هُوَ:

(١) انظر «السيرة» (٣: ٨٨). (ج)

(٢) ذكر هذا ابن حزم في «الجمهرة» (ص: ٧٧). وانظر: «أسد الغابة» (٦: ٧١).

(٣) في (ف): «عمرو».

(٤) انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢٩٩-٣٠٠).

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٩٠). (ج)

ابنُ مَعَدِّ بنِ الحارثِ بنِ تَيْمِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ قُحافةَ بنِ عامِرِ بنِ رَبيعةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ بِشْرِ بنِ وهْبِ اللهِ بنِ شَهْرانِ بنِ عِفْرِسِ بنِ حَلْفِ[1] بنِ أَفْتَلَ، وهُوَ: جَماعةُ خَثْعَمِ بنِ أَنْمارٍ، على الِاخْتِلافِ في أَنْمارٍ هذا، وقَدْ تَقَدَّمَ.

وأُمّها: هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الحارثِ مِنْ كِنانةَ، [وهِيَ أُخْتُ مَيْمُونةَ بِنْتِ الحارثِ الهِلالِيّةِ[2]، زَوْجِ النّبيّ ﷺ، أُمّهُما واحِدةٌ، وأُخْتُ لُبابةَ][3] أُمِّ الفَضْلِ امْرَأةِ العَبّاسِ، وكُنّ تسعَ أخوات، فيهن، قال [رسول الله][4] ﷺ: «الأخَواتُ مُؤْمِنات»[5]، وكانَتْ قَبل جعفر عند حمزة بن عَبْدِ المُطّلِبِ، فوَلَدَتْ لَهُ أمةَ الله، ثُمّ كانَتْ عِنْدَ شَدّادِ بنِ الهادِ[6]، فوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الله، وعَبْدَ الرّحْمَنِ.

وقَدْ قِيلَ: بَلِ الّتِي كانَتْ عِنْدَ حَمْزةَ، ثُمّ عِنْدَ شَدّادٍ هِيَ أُخْتُها: سَلْمى، لا أَسْماءَ، وتَزَوّجَها بَعْدَ جعفرٍ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فوَلَدَتْ لَهُ مُحَمّدَ بن أَبِي بَكْرٍ، وتَزَوّجَها بَعْدَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ، فوَلَدَتْ لَهُ يَحْيى.

وقالَ ابنُ الكَلْبِيّ: وَلَدَتْ لَهُ مَعَ يَحْيى عَوْنَ بنَ عَلِيٍّ[7]، ولَمْ يُخْتَلفْ [في][8] أَنّها ولَدَتْ لِجَعْفَرٍ ابنًا اسْمُهُ: عَوْنٌ، ووَلَدَتْ لَهُ أَيْضًا عَبْدَ الله بنَ جَعْفَرٍ،

---

(١) انظر الضبط في: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٩١٣).

(٢) هي أختها لأمّ.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) ليس في (أ).

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى»: كتاب الفضائل، أم الفضل رضي الله عنها، رقم (٨٣٢٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (ج)

(٦) في (ف): «الهادي».

(٧) «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ٣١).

(٨) عن (أ).

وكانَ جَوادَ العَرَبِ[١] في الإسْلامِ. وبَناتُ عُمَيْسٍ: أسْماءُ وسَلامةُ وسَلْمى، وهُنّ أخَواتُ مَيْمُونةَ، وسائِرُ أخَواتِها لِأُمّ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في السّابِقِينَ إلى الإسْلامِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ: عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسِ بنِ الحارِثِ[٢] بنِ عَدِيِّ بنِ سُعَيدِ بنِ سَهْمٍ، وحَيْثُما تكرَّر نسبُ بني عَدِيٍّ ابنِ سعدِ بنِ سَهْمٍ يَقُولُ فيهِ ابنُ إسْحاقَ: سُعَيْد، والنّاسُ على خِلافِهِ، إنّما هُوَ سَعْدٌ، وسَيَأْتِي في شِعْرِ عَبْدِ الله بنِ قَيْسٍ[٣] شاهِدٌ على ذَلِكَ، وإنّما سُعَيْد بنُ سَهْمٍ أخُو سَعْدٍ، وهُوَ جَدُّ آلِ عَمْرِو بنِ العاصِ بنِ وائِلِ بنِ هاشِمِ بنِ سُعَيْدِ ابنِ سَهْمٍ.

وفي سَهْمٍ: سُعَيدٌ آخَرُ، وهُوَ ابنُ سَعْدٍ المَذْكُورُ، وهُوَ جَدُّ المُطّلِبِ بنِ أبِي وَداعةَ، واسْمُ أبِي وَداعةَ: عَوْفُ بنُ صُبَيْرةَ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَعْدٍ.

وقَدْ قِيلَ في صُبَيْرةَ: ضُبَيْرةَ، بالضّادِ المُعْجَمةِ. وهُوَ الّذِي كانَ شابًّا جَمِيلًا، يَلْبَسُ حُلّةً ويَقُولُ لِلنّاسِ: هَلْ تَرَوْنَ بِي بَأْسًا؟ إعْجابًا بِنَفْسِهِ، فأصابَتْهُ المَنِيّةُ بَغْتةً، فقالَ الشّاعِرُ فيهِ[٤]: [من مجزوء الكامل]

مَنْ يَأْمَنُ الحَدَثانِ بَعْدَ صُبَيْـ ـــرةَ القُرَشِـــيِّ[٥] ماتـــا
سَـــبَقَتْ مَنِيَّتُـــهُ المَشِـــيـ ــــبَ وكانَ مِيتَتُه[٦] افْتِلاتا

(١) في (أ): «من أجواد».
(٢) كذا، ولم أجده في «السيرة»، والمذكور فيها: (١: ٣٢٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٠٦): «عبد الله بن الحارث بن قيس»، وهو ممن هاجر إلى الحبشة.
(٣) سيأتي في شعر عبد الله بن الحارث في «السيرة» (١: ٣٣١).
(٤) الشعر في «أسد الغابة»، ترجمة الحارث بن هبيرة: (١: ٣٩٨).
(٥) في حاشية (أ): «السهمي».
(٦) في غير (أ): «منيته».

وذَكَرَ عامِرَ بنَ رَبيعةَ[١]، وقالَ: هُوَ مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ. عَنْزٌ بسُكُونِ النُّونِ، ويُذْكرُ عَنْ عَلِيِّ بنِ المَدِينِيِّ أنّهُ قالَ فيهِ: عَنَزٌ، بِفَتْحِ النّونِ. والسُّكُونُ أعْرَفُ.

ذَكَرَ أهْلُ النَّسَبِ أنّ وائِلًا كانَ إذا وُلِدَ لَهُ ولدٌ، خَرَج مِن خِبائه، فما وقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ سَمّاهُ بِهِ، فلَمّا وُلِدَ لَهُ بَكْرٌ وقَعَتْ عَيْنُهُ على بَكْرٍ مِنَ الإبِلِ، فسَمّاهُ بِهِ، فلَمّا وُلِدَ لَهُ تَغْلِبُ رَأى نَفْسَيْنِ يَتغالَبانِ، فسَمّاهُ: تَغْلِب. فلَمّا وُلِدَ لَهُ عَنْزٌ، رَأى عَنْزًا ـ وهِيَ الأُنْثى مِنَ المَعْزِ ـ فسَمّاهُ: عَنْزًا، فلَمّا وُلِدَ لَهُ الشُّخَيْصِ خَرَجَ فرَأى شَخْصًا على بُعْدٍ صَغِيرًا، فسَمّاهُ: الشُّخَيْصَ. فهَؤُلاءِ الأرْبَعُ هُمْ قَبائِلُ وائِلٍ، وهُمْ مُعْظَمُ رَبِيعةَ[٢].

وهُوَ عامِرُ بنُ رَبِيعةَ العَنْزِيُّ العَدَوِيُّ حَلِيفٌ لَهُمْ، ويُقالُ: هُوَ عامِرُ بنُ رَبِيعةَ ابنِ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرِ بنِ سَعْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ بنِ رُفَيْدَةَ بنِ عَنْزِ بنِ وائِلِ بنِ قاسِطٍ، وقِيلَ: عامِرُ بنُ رَبِيعةَ [بنِ مالِكِ بنِ عامِرِ بنِ رَبِيعةَ][٣] بنِ حُجَيْرِ بنِ سَلامانَ بنِ هِنْبِ بنِ أفْصى بنِ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلةَ بنِ أسَدِ ابنِ رَبِيعةَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ[٤].

وذَكَرَ[٥] عامِرَ بنَ فُهَيْرةَ مَوْلـى أبِي بَكْرٍ، وفُهَيْرةُ أُمّهُ، وهِيَ تَصْغِيرُ فِهْرٍ ـ لِأنّ الفِهْرَ مُؤَنّثةٌ ـ وكانَ عَبْدًا أسودَ للطُّفَيلِ[٦] بنِ الحارِثِ بنِ سَخْبَرةَ، اشتراه أبُو بَكْرٍ فأعْتَقَهُ، وأسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ النّبِيّ ﷺ دارَ الأرْقَمِ.

وسَيَأْتِي في الكِتابِ نُبَذٌ مِنْ أخْبارِهِ، مِنْها: أنّهُ قَتَلَهُ عامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ يَوْمَ بِئْرِ

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٨٩). (ج)

(٢) انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ٤٨٥)، و«الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٦).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) انظر: «أسد الغابة» (٣: ١٢١)، و«جمهرة الكلبي» (ص: ٤٨٤)، وابن حزم: (ص: ٣٠٠).

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٨٥). (ج)

(٦) هو الطفيل بن عبد الله بن الحارث، وقد يُنسب إلى جده. انظر: «أسد الغابة» (٣: ٧).

مَعُونةَ، فلَمّا طَعَنَهُ خَرَجَ مِنَ الطّعْنةِ نُورٌ. وكانَ عامِرٌ يَقُولُ: مَنْ رَجُلٌ لَمّا طَعَنْتُهُ رُفِعَ حَتّى حالَتِ السّماءُ دُونَهُ؟ هَذِهِ رِوايةُ البَكّائِيِّ عَنِ ابنِ إسْحاقَ.

وفي رِوايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عَنِ ابنِ إسْحاقَ: أنّ عامِرًا سَألَ رَسُولَ الله ﷺ حين قَدِمَ عَلَيْهِ، وقالَ: يا مُحَمّدُ، مَنْ رَجُلٌ مِنْ أصْحابِك لَما طَعَنْتُهُ رُفِعَ إلى السّماءِ؟ فقال: «هو عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ»[١].

ورَوى هِشامُ بنُ عُرْوةَ عَنْ أبِيهِ: أنّ عامِرًا الْتُمِسَ في القَتْلى يَوْمَئِذٍ فلَمْ يُوجَدْ، فكانُوا يَرَوْنَ أنّ المَلائِكةَ رَفَعَتْهُ، أوْ دفنَتْهُ[٢]. ذكره ابنُ المبارَكِ[٣].

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٤] قَوْلَ الله سُبْحانَهُ وتعالى: ﴿اصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] والمَعْنى: اصْدَعْ بِالّذِي تُؤْمَرُ بِهِ، ولَكِنّهُ لَمّا عَدّى الفِعْلَ إلى الهاءِ حَسُنَ حَذْفُها، وكان الحذفُ هنا أحْسَنَ مِنْ ذِكْرِها؛ لِأنّ «ما» فيها مِنَ الإبْهامِ أكْثَرُ مِمّا يقْتَضِيهِ «الّذِي»، وقَوْلُهُمْ: «ما» مَعَ الفِعْلِ بتَأْوِيلِ المَصْدَرِ، راجِعٌ إلى مَعْنى «الذي» إذا تَأمّلْتَهُ؛ وذَلِكَ أنّ «الّذي» [يَصْلُحُ في كُلِّ مَوْضِعٍ][٥] تَصْلُحُ فيهِ «ما» الّتِي يُسَمُّونَها[٦]: المَصْدَرِيّةَ، نَحْوَ قَوْلِ الشّاعِرِ[٧]: [من مجزوء الوافر]

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢: ١٨٤-١٨٦).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٣: ٣٥٢-٣٥٣).

(٣) انظر: «نتائج الفكر» للسهيلي: (ص: ١٨٠-١٩٢).

(٤) انظر «السيرة» (٤: ٦). (ج)

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) في (ب): «سموها».

(٧) هو الفِنْدُ الزِّمّاني، واسمه: شَهْل بن شَيبان، وكان أحد فرسان رَبِيعة. والبيت من شواهد «مغني اللبيب» (ص: ٧٣٢)، وفي «الأغاني» (٨٢: ٩٥٢٣)، و«أمالي القالي» (١: ٢٦٠)، =

عَســى الأيّامُ أنْ يَرْجِعْـ ــنَ قَوْمًا كالّــذِي كانُوا

أيْ: كَما كانُوا، فقَوْلُه عَزّ وجَلّ إذًا: ﴿ اصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ إمّا أنْ يَكُونَ مَعْناهُ [بالّذِي تُؤْمَرُ بِهِ مِنَ التّبْلِيغ ونَحْوِهِ، وإمّا أنْ يَكُونَ مَعْناهُ][(١)]: اصْدَعْ بالأمْرِ الّذِي تُؤْمَرُهُ، كَما تَقُولُ: عَجِبْتُ من الضَّربِ الذي تضرِبُه، فتكون «ما» ههنا عِبارةً عَنِ الأمْرِ الّذِي هُوَ أمْرُ الله تَعالى، ولا يَكُونُ لِلْباءِ فيهِ دُخُولٌ، ولا تَقْدِيرٌ، وعلى الوَجْهِ الأوّلِ تَكُونُ «ما» مَعَ صِلَتِها عِبارةً عَمّا هُوَ فِعْلٌ لِلنّبيّ ﷺ.

والأظْهَرُ أنّها مَعَ صِلَتِها عِبارةٌ عَنِ الأمْرِ الّذِي هُوَ قَوْلُ الله ووَحْيُهُ، بِدَلِيلِ حَذْفِ الهاءِ الرّاجِعةِ إلى «ما»، وإنْ كان بِمَعْنى «الّذِي» في الوَجْهَيْنِ جَمِيعًا؛ إلّا أنّك إذا أرَدْت مَعْنى الأمْرِ، لَمْ تَحْذِفْ إلّا الهاءَ وحْدَها، وإذا أرَدْت مَعْنى المَأْمُورِ بِهِ، حَذَفْتَ باءً وهاءً، فحَذْفٌ واحِدٌ أيسرُ من حذفَيْنِ، مَعَ أنّ صَدْعَهُ وبَيانَهُ إذا عَلّقْتَهُ بأمْرِ الله ووَحْيِهِ كانَ حَقِيقةً، وإذا عَلّقْتَهُ بالفِعْلِ الّذِي أُمِرَ بِهِ كانَ مَجازًا، وإذا صَرّحْتَ بِلَفْظِ «الّذِي» لَمْ يَكُنْ حَذْفُها بذَلِكَ الحُسْنِ، وتَأَمَّلْهُ في القُرْآنِ تَجِدْهُ كَذَلِكَ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: ١٩]، و﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، و ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ٢] ولَمْ يَقُلْ: خَلَقْتُهُ، وحَذَفَ الهاءَ في ذَلِكَ كُلِّهِ، وقالَ في «الذي»: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٢١]، و ﴿ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ﴾ [الحج: ٢٥]، وما أشْبَهَ ذَلِكَ [بالهاء][(٢)]، وإنّما كانَ الحَذْفُ مَعَ «ما» أحْسَنَ لِما قَدّمْناهُ مِنْ إبْهامِها، فالّذِي فيها مِنَ الإبْهامِ قَرّبَها مِنْ «ما» الّتِي هِيَ شَرْطٌ لَفْظًا ومَعْنًى، ألا تَرى أنّ «ما» إذا كانَتْ

= و«شرح الحماسة» للمرزوقي: (١: ٣٠٢).

(١) ليس في (أ).

(٢) عن (أ) وحدها.

شَرْطًا تَقُولُ[1] فيها: ما تَصْنَعْ أَصْنَعْ مِثْلَهُ، ولا تَقُولُ: ما تَصْنَعُهُ؛ لِأَنَّ الفِعْلَ قَدْ عَمِلَ فيها، فلَمّا ضارَعَتْها هَذِهِ الَّتِي هِيَ مَوْصُولةٌ، وهِيَ بِمَعْنى الَّذِي، أُجْرِيَتْ في حَذْفِ الهاءِ مُجْراها في أَكْثَرِ الكَلامِ.

وهَذِهِ تَفْرِقةٌ في عَوْدِ الضَّمِيرِ على «ما»، وعلى «الَّذِي» يَشْهَدُ لَها[2] التَّنْزِيلُ، والقِياسُ الَّذِي ذَكَرْناهُ مِنَ الإِبْهامِ، ومَعَ هَذا لَمْ نَرَ أَحَدًا نَبَّهَ على هَذِهِ التَّفْرِقةِ، ولا أَشارَ إِلَيْها، وقارِئُ القُرْآنِ مُحْتاجٌ إلى هذا.

وقَدْ يَحْسُنُ حَذْفُ الضَّمِيرِ العائِدِ على «الَّذِي»؛ لِأَنَّهُ أَوْجَزُ، ولَكِنَّهُ[3] لَيْسَ كَحُسْنِهِ مَعَ «مَنْ»، و«ما»، ففي التَّنْزِيلِ: ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨] فإِنْ كانَ الفِعْلُ مُتَعَدِّيًا إلى مفعولَيْن، كانَ إِبْرازُ الضَّمِيرِ أَحْسَنَ مِنْ حَذْفِهِ، لِئَلّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الفِعْلَ واقِعٌ على المَفْعُولِ الواحِدِ، وأَنَّهُ مُقْتَصَرٌ عَلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ﴾ [الحج: ٢٥]، و ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وشَرَحَ[4] ابنُ هِشامٍ مَعْنى قَوْلِهِ: «اصْدَعْ» شَرْحًا صَحِيحًا، وتَتِمَّتُهُ: أَنَّهُ صَدْعٌ على جِهةِ البَيانِ، وتَشْبِيهٌ لِظُلْمةِ الشَّكِّ والجَهْلِ بِظُلْمةِ اللَّيْلِ، والقُرْآنُ نُورٌ [نَزَل][5] فصَدَعَ بِهِ تِلْكَ الظُّلْمةَ، ومِنْهُ سُمِّيَ الفَجْرُ: صَدِيعًا، لِأَنَّهُ يَصْدَعُ ظُلمةَ اللَّيلِ، وقال الشَّمّاخُ[6]: [من الوافر]

---

(١) في (ف): «فنقول».
(٢) في (ف): «له».
(٣) في (ف): «ولكن».
(٤) انظر «السيرة» (٣: ٣٢). (ج)
(٥) عن (ب).
(٦) «ديوانه» (ص: ٤٤٧)، وهو كذلك في «ديوان عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي» (ص: ١٤٦). (ج)

تَرى السِّــرْحانَ مُفْتَرِشًا يَدَيْهِ   كَأَنَّ بَيــاضَ لَبَّتِــهِ صَدِيــعُ

على هَذا تأَوَّلَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ المَعانِي[١].

وقالَ قاسِمُ بنُ ثابتٍ: الصَّدِيعُ في هَذا البَيْتِ: ثَوْبٌ تَلْبَسُهُ النَّوّاحةُ أَسْوَدُ، تَحْتَهُ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وتَصْدَعُ الأَسْوَدَ عِنْدَ صَدْرِها فيَبْدُو الأَبْيَضُ، وأَنْشَدَ[٢]: [من الرجز]

كَأَنَّهُــنَّ إِذْ ورَدْنَ لِيعــا   نَوّاحةٌ مُجْتابــةٌ صَدِيعا

[ليعٌ: اسمُ طريق][٣].

مُبادَأَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ[٤]

ذكَرَ[٥] في الحَدِيثِ: أَنَّ أَبا طالِبٍ حَدِبَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقامَ دُونَهُ. أَصْلُ الحَدَبِ: انْحِناءٌ في الظَّهْرِ، ثُمّ اسْتُعِيرَ فيمَنْ عَطَفَ على غَيْرِهِ، ورَقّ لَهُ، كَما قالَ النّابِغةُ[٦]: [من الكامل]

حَدِبَتْ عَلَيَّ بُطُونُ ضِنّةَ كُلُّها   إِنْ ظالِمًــا فيهــا وإِنْ مَظْلُوما

وَمِثْلُ ذَلِكَ الصّلاةُ، أَصْلُها: انْحِناءٌ وانْعِطافٌ؛ مِنَ الصَّلَوَيْنِ، وهُما عِرْقانِ في الظَّهْرِ إلى الفَخِذَيْنِ، ثُمّ قالُوا: صَلّى عَلَيْهِ، أيِ: انْحَنى عَلَيْهِ رحمةً، ثُمّ سَمَّوُا الرَّحْمةَ حُنُوًّا وصَلاةً إذا أرادُوا المُبالَغةَ فيها، فقَوْلُك: صَلّى اللهُ على

---

(١) في (أ)، (ب)، (هـ): «المغازي».

(٢) في (أ): «وأنشد يقول».

(٣) ليس في (ب)، (ج).

(٤) (ب): «لقومه». وبادى فلانًا بأمر مباداةً: كاشفه وجاهره.

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٣٤). (ج)

(٦) «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ١٠٣). (ج)

مُحَمّدٍ، هُوَ أرَقُّ وأبْلَغُ مِنْ قَوْلِك: رَحِمَ اللهُ مُحَمّدًا. فالحُنُوُّ والعطفُ والصلاةُ أصلُها في المَحْسُوساتِ، ثمَّ عُبِّرَ بِها عَنْ هَذا المَعْنى مُبالَغةً وتَوْكِيدًا، كَما قالَ الشّاعِرُ[1]: [من الطويل]

فَما زِلْتُ في لِينِي لَهُ وتَعَطُّفي عَلَيْهِ كَما تَحْنُو على الوَلَدِ الأُمُّ

وَمِنْهُ قِيلَ: صَلّيْتُ على المَيّتِ، أيْ: دَعَوْتُ لَهُ دُعاءَ مَنْ يَحْنُو عَلَيْهِ، وينعطِفُ[2] عَلَيْهِ، ولِذَلِكَ لا تَكُونُ الصَّلاةُ بِمَعْنى الدُّعاءِ على الإطْلاقِ، لا تَقُولُ: صَلّيْتُ على العَدُوِّ، أيْ: دَعَوْتُ عَلَيْهِ، إنّما يُقالُ: صَلّيْتُ عَلَيْهِ في مَعْنى الحُنُوِّ، والرّحْمةِ، والتعَطُّفِ؛ لِأنّها في الأصْلِ: انْعِطافٌ، ومِنْ أجْلِ ذَلِكَ عُدِّيَتْ في اللّفْظِ بـ«على»، فتَقُولُ: صَلّيْتُ عَلَيْهِ؛ أيْ: حَنَوْتُ عَلَيْهِ، ولا تَقُولُ في الدُّعاءِ إلّا: دَعَوْتُ لَهُ، فتُعَدِّي الفِعْلَ بِاللّامِ، إلّا أنْ تُرِيدَ الشّرَّ والدُّعاءَ على العَدُوّ، فهَذا فرْقُ ما بَيْنَ الصّلاةِ والدّعاءِ.

وأهْلُ اللّغةِ لَمْ يُفرِّقُوا، ولَكِنْ قالُوا: الصّلاةُ بِمَعْنى الدّعاءِ إطْلاقًا، ولَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ حالٍ وحالٍ، ولا ذكروا التعدِّيَ بحرفِ «اللّام»، ولا بحرفِ «على»، ولا بدّ مِنْ تَقْيِيدِ العِبارةِ، لِما ذَكَرْناهُ، وقَدْ يَكُونُ الحَدَبُ أيْضًا مُسْتَعْمَلًا في مَعْنى المُخالَفةِ إذا قُرِنَ بالقَعْسِ؛ كقول الشاعر[3]: [من الطويل]

وإنْ حَدِبُوا، فاقْعَسْ، وإنْ هُمْ تَقاعَسُوا
لِيَنْتَزِعُوا ما خَلْفَ ظَهْرِكَ فاحْدَبِ

---

(١) معن بن أوس شاعر مُخضرم. انظر البيت في: «الأغاني» (١٢: ٤٢٢٦)، و«نتائج الفكر» للسهيلي: (ص: ٩).

(٢) ما عدا (ب): «ويتعطف».

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي. «الشعر والشعراء» لابن قتيبة: (٢: ٧٢٠). (ج)

وَكَقَوْلِ الآخَرِ[١]: [من البسيط]

وَلَـنْ يُنَهْنِـهَ قَوْمًـا أَنْـتَ خائِفُهُـمْ
كَمِثْـلِ وقْمِـكَ جُهّـالًا بِجُهّـالِ[٢]

فاقْعَسْ إذا حَدِبُوا، واحْدَبْ إذا قَعِسُـوا
ووازِنِ الـشّـرَّ مِـثْـقـالًا بِـمِـثْـقـالِ

أَنْشَدَهُ الجاحِظُ في كِتابِ «الحَيَوانِ» لَهُ[٣].

فَصْلٌ

وذَكَرَ مَجِيءَ النَّفَرِ مِنْ قُرَيْشٍ إلى أَبِي طالِبٍ في أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وذَكَرَ أَنْسابَهُمْ، وذَكَرَ[٤] فيهِمْ أَبا البَخْتَرِيِّ بنَ هِشام، قالَ: واسْمُهُ: العاصِي بنُ هِشام، [وقالَ ابنُ هِشام: هُوَ العاصِي بنُ هاشِمٍ][٥]، والّذِي قالَهُ ابنُ إسْحاقَ هُوَ قَوْلُ ابنِ الكَلْبِيِّ[٦]، والّذِي قالَهُ ابنُ هِشامٍ هُوَ قَوْلُ الزُّبَيْرِ بنِ أَبِي بَكْرٍ وقَوْلُ مُصْعَبٍ، وهَكَذا وجَدْتُ في حاشيةِ الشَّيخِ [أبي بحرٍ][٧]: «سفيانُ بنُ العاصي رحمه الله»[٨].

---

(١) «الحيوان» (١: ١٤)، و«البيان» (٣: ٣٣٤)، و«مجالس ثعلب» (ص: ٤٩١).

(٢) وَقَمَه وَقْمًا: أذلَّه وقهَره.

(٣) في (أ): «في كتاب «الحيوان» أيضًا».

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٣٤). (ج)

(٥) ليس في (ب).

(٦) في «جمهرة النسب» لابن الكلبي: (ص: ٧٤): «العاص بن هاشم».

(٧) ليس في (هـ)، (ف).

(٨) في كتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢١٣): «العاصي بن هاشم». وفي (ص: ٤٣١): «أبو البختري بن هشام». وفي «جمهرة ابن حزم» (ص: ١١٧): «بن هاشم».

فَصْلٌ

وذَكَرَ[١] قَوْلَ النَّبيِّ ﷺ: «واللهِ لَوْ وضَعُوا الشَّمْسَ في يَمِينِي، والقَمَرَ في شِمالِي، على أنْ أدَعَ هَذا الَّذِي جِئْتُ بِهِ، ما تَرَكْتُهُ»، أوْ كَما قالَ. خَصَّ الشَّمْسَ بِاليَمِينِ؛ لِأنّها الآيةُ المُبْصِرةُ، وخَصَّ القَمَرَ بالشِّمالِ لِأنّها الآيةُ المَمْحُوّةُ، وقَدْ قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه لِرَجُلٍ قالَ لَهُ: إنِّي رَأيْتُ في المَنامِ كَأنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ يَقْتَتِلانِ، ومَعَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما نُجُومٌ. فقالَ عُمَرُ: «مَعَ أيِّهِما كُنْتَ؟» فقالَ: مَعَ القَمَرِ، قالَ: «كُنْتَ مَعَ الآيةِ المَمْحُوّةِ، اذْهَبْ، فلا تَعْمَلْ لِي عَمَلًا». وكانَ عامِلًا لَهُ، فعَزَلَهُ، فقُتِلَ الرّجُلُ يوم صِفّينَ مَعَ مُعاوِيةَ، واسْمُهُ: حابِسُ بنُ سَعْدٍ[٢].

وخَصّ رَسُولُ الله ﷺ النَّيِّرَيْنِ حِينَ ضَرَبَ المَثَلَ بِهِما؛ لِأنّ نُورَهُما مَحْسُوسٌ، والنّورَ الّذِي جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ الله ـ وهُوَ الّذِي أرادُوهُ على تَرْكِهِ ـ هُوَ[٣] لا مَحالةَ أشْرَفُ مِنَ النُّورِ المَخْلُوقِ، قال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢] فاقْتَضَتْ بَلاغةُ النّبُوّةِ ـ لَمّا أرادُوهُ على تَرْكِ النُّورِ الأعْلى ـ أنْ يُقابِلَهُ بِالنُّورِ الأدْنى، وأنْ يَخُصَّ أعْلى النَّيِّرَيْنِ، وهِيَ الآيةُ المُبْصِرةُ، بِأشْرَفِ اليَدَيْنِ، وهِيَ اليُمْنى.

بَلاغةٌ لا مِثْلُها[٤] بلاغةٌ، وحِكْمةٌ لا يَجْهَلُ اللّبِيبُ فَضْلَها.

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٣٦). (ج)

(٢) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١: ٣٧٥-٣٧٦).

(٣) في (أ): «وهو».

(٤) في (أ): «لا مثل لها».

وَقَوْلُ[١] ابنِ إسْحاقَ: ظَنّ رَسُولُ الله ﷺ أنْ قَدْ بَدا لِعَمِّهِ [فيه بَداءٌ][٢]؛ أيْ: ظَهَرَ لَهُ رَأْيٌ، فَسُمِّي الرَّأْيُ بَداءً؛ لِأَنَّهُ [شَيْءٌ][٣] يَبْدُو بَعْدَما خَفِي، والمصدرُ: البَدْوُ والبُدُوُّ، والِاسْمُ: البَداءُ[٤]، ولا يُقالُ في المَصْدَرِ: بَدا لَهُ بُدُوٌّ، كَما لا يُقالُ: ظَهَرَ لَهُ ظُهُورٌ بِالرَّفْعِ؛ لِأَنّ الّذِي يَظْهَرُ ويَبْدُو ههُنا هُوَ الِاسْمُ، نَحْوُ البَداءِ، وأنْشَدَ أبُو عَلِيٍّ[٥]: [من الطويل]

لَعَلّـك والمَوْعُودُ حَقٌّ وفاؤُهُ بَدا لَك في تِلْكَ القَلُوصِ بَداءُ

ومِنْ أجْلِ أنّ البُدُوَّ[٦] هُوَ الظُّهُورُ، كانَ البَداءُ في وصْفِ الباري سُبْحانَهُ وتعالى مُحالًا؛ لِأَنّهُ لا يَبْدُو لَهُ شَيْءٌ كانَ غائِبًا[٧] عَنْهُ، والنَّسْخُ لِلْحُكْمِ لَيْسَ بِبَداءٍ كَما تَوَهّمَتِ الجَهَلةُ[٨] مِنَ الرّافِضةِ واليَهُودِ، وإنّما هُوَ تَبْدِيلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ بِقَدَرٍ قَدّرَهُ، وعِلْمٍ قديمٍ عَلِمَهُ[٩].

وقَدْ يَجُوزُ أنْ يُقالَ: بَدا لَهُ أنْ يَفْعَلَ كَذا، ويَكُونُ مَعْناهُ: أرادَ. وهَذا مِنَ

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٣٥). (ج)

(٢) عن (د) وحدها.

(٣) ليس في (ب)، (د).

(٤) (ب): «البداوة».

(٥) أنشده أبو علي الفارسي في كتاب «الشعر» له: (١: ٢٢٥)، (٢: ٥٠٦). والبيت لمحمد بن بَشِير الخارجي العَدْواني شاعر أموي، وهو في «الأغاني» (١٦: ٥٨٩٩)، و«الخصائص» (١: ٣٤٠)، و«أمالي ابن الشجري» (١: ٣٠٦). وانظره في ملحقات «ديوان الشماخ» (ص: ٤٢٧).

(٦) في (أ): «البداء».

(٧) في (أ): «نائيًا».

(٨) في (أ): «الجهال».

(٩) انظر: «شرح الكوكب المنير» لابن النجار: (٣: ٥٣٦).

المَجازِ الَّذِي لا سَبِيلَ إلى إطْلاقِهِ إلّا بِإذْنٍ[١] مِنْ صاحِبِ الشَّرْعِ.

وقَدْ صَحّ في ذَلِكَ ما خَرّجَهُ البُخارِيُّ في حديثِ الثَّلاثةِ: الأعمى، والأقرعِ، والأبْرَصِ، وأنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قالَ: «بَدا للهِ أن يَبتليَهم»[٢]. فبَدا ههُنا بِمَعْنى: أرادَ، وذَكَرْنا الرّافِضةَ؛ لِأنّ ابنَ أعْيَنَ ومَنِ اتّبَعَهُ مِنْهُمْ، يُجِيزُونَ البَداءَ على الله تَعالى، ويَجْعَلُونَهُ والنّسْخَ شَيْئًا واحِدًا، واليَهُودَ لا تُجيزُ[٣] النَّسْخَ يَحْسَبُونَهُ بَداءً، ومِنْهُمْ مَنْ أجازَ البَداءَ كالرّافِضةِ.

ويُرْوى أنّ عَلِيًّا رضيُ الله عنه صَلّى يَوْمًا، ثُمّ ضَحِكَ، فسُئِلَ عَنْ ضَحِكِهِ، فقالَ: «تَذَكّرْتُ أبا طالِبٍ حِينَ فُرِضَتِ الصّلاةُ، ورَآنِي أُصَلّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بنَخْلةَ، فَقالَ: ما هَذا الفِعْلُ الّذِي أرى؟ فلَمّا أخْبَرْناهُ، قالَ: هذا حَسَنٌ، ولَكِنْ لا أَفْعَلُهُ أبَدًا؛ لأنّي لا أُحِبُّ أنْ تَعْلُوَنِي اسْتِي. فلما تَذَكّرْتُ الآنَ قَوْلَهُ ضَحِكْتُ».

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٤] قَوْلَ المَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ لِأبِي طالِبٍ: هَذا عُمارةُ بنُ الوليد [أنهدُ][٥] فتًى في قُرَيْشٍ وأجْمَلُهُ، فخُذْهُ مَكانَ ابنِ أخِيك.

أنْهَدُ، أيْ: أقْوى وأجْلَدُ، ويُقالُ: فرَسٌ نَهْدٌ لِلّذِي يَتَقَدّمُ الخَيْلَ، وأصْلُ هَذِهِ الكَلِمةِ: التّقَدُّمُ، ومِنْهُ يُقالُ: نَهَدَ ثَدْيُ الجارِيةِ: إذا بَرَزَ قُدُمًا[٦].

---

(١) في (أ): «إلا بأن»، وفي حاشيتها: «بأمر» بدل «بإذن».

(٢) «فتح الباري»، كتاب الأنبياء: (٦: ٥٠٠-٥٠١).

(٣) في (أ): «لا يجيزون».

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٣٦). (ج)

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) في (أ): «إذا برز وبدا».

وعُمارةُ بنُ الوَلِيدِ هَذا المَذْكُورُ هُوَ الّذِي أرْسَلَتْهُ قُرَيْشٌ مَعَ عَمْرِو بنِ العاصِ إلى أرْضِ الحَبَشةِ فسُحِرَ هُناكَ وجُنّ، وسَنَزِيدُ في خَبَرِهِ شَيْئًا بَعْدَ هَذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وَذَكَرُوا أنَّ أبا طالِبٍ قالَ لَهُمْ حِينَ سَألُوهُ أنْ يَأْخُذَ عُمارةَ بَدَلًا مِنْ مُحَمّدٍ ﷺ: أرَأيْتُمْ ناقةً تَحِنُّ إلى غَيْرِ فصِيلِها وتَرْأمُهُ؟! لا أُعْطِيكُمْ ابنِي تقتلونه أبدًا، وآخذُ[١] ابنَكُمْ أكْفُلُهُ وأغْذُوهُ. وهُوَ مَعْنى ما ذَكَرَه ابنُ إسْحاقَ.

وقالَ[٢] ابنُ إسْحاقَ: فحَقِبَ الأمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ. يُرِيدُ: اشْتَدَّ، وهُوَ مِنْ قَوْلِك: حَقِبَ البَعِيرُ: إذا راغَ[٣] عَنْهُ الحَقَبُ مِنْ شِدّةِ الجَهْدِ والنّصَبِ، وإذا عَسُرَ عَلَيْهِ البَوْلُ أيْضًا لِشَدِّ الحَقَبِ على ذَلِكَ المَوْضِعِ، فيُقالُ مِنْهُ: حَقِبَ البَعِيرُ، ثُمّ يُسْتَعْمَلُ في الأمْرِ إذا عَسُر.

وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: فَشَرِيَ الأمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ أيِ: انْتَشَرَ[٤] الشَّرّ، ومِنْهُ الشَّرى، وهِيَ قُرُوحٌ تَنْتَشِرُ على البَدَنِ، يُقالُ مِنْهُ: شَرِيَ الجِلدُ يَشْرى شرًى.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٥] شِعْرَ أبِي طالِبٍ [وهو][٦]:

ألا قُلْ لِعَمْرٍو والوَلِيدِ... إلى آخِرِ الشِّعْرِ، وَفيهِ: [من الطويل]

---

(١) في (أ): «وآخذ فيكم ابنكم».

(٢) انظر «السيرة» (٣: ٣٦). (ج)

(٣) أي: حاد ومال. والحَقبُ: الحزام الذي يلي خَصْر البعير.

(٤) في (د): «أي: انتشر، ومنه انتشر الشر».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٣٧). (ج)

(٦) عن (أ).

ألا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حِياطَتِكُمْ بَكْرُ

أيْ[١]: إنّ بَكْرًا مِنَ الإبِلِ أَنْفَعُ لِي مِنْكُمْ، فلَيْتَهُ[٢] لِي بَدَلًا مِنْ حِياطَتِكُمْ، كَما قالَ طَرَفةُ في عَمْرِو بنِ هِنْدٍ: [من الوافر]

لَيْتَ[٣] لَنا مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبّتِنا تَخُورُ[٤]

وَقَوْلُهُ: مِنَ الخُورِ حَبْحابُ. الخُورُ: الضِّعافُ، والحَبْحابُ بِالحاءِ: الصّغِيرُ. وفي حاشِيةِ كِتابِ الشّيْخِ: جَبْجابٌ بِالجِيمِ، وفَسّرَهُ فقالَ: هُوَ الكَثِيرُ الهَذْرِ.

وفي الشِّعْرِ: [من الطويل]

إذا ما عَلا[٥] الفَيْفاءَ قِيلَ لَهُ: وبْرُ

أيْ: يُشَبَّهُ بِالوَبْرِ، لِصِغَرِهِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ أرادَ: يَصْغُرُ[٦] في العَيْنِ لِعُلُوِّ المَكانِ وبُعْدِهِ. والفَيْفاءُ فَعْلاءُ، ولَوْلا قَوْلُهُمُ: الفَيْفُ، لَكانَ حَمْلُهُ على بابِ الفَضْفاضِ[٧] والجَرْجارِ أَوْلى، ولَكِنْ سُمِعَ الفَيْفُ، فعُلِمَ أنّ الألِفَيْنِ زائِدَتانِ، وأنّهُ مِنْ بابِ قَلِقَ، وسَلِسَ الّذِي ضُوعِفَتْ فيهِ فاءُ الفِعْلِ دُونَ عَيْنِهِ، وهِيَ أَلْفاظٌ يَسِيرةٌ نَحْو: قَلَقٍ، وسَلَسٍ، وثُلُثٍ، وسُدُسٍ.

---

(١) في (ب): «أي: بكرٌ...».
(٢) في (أ): «فليت».
(٣) في (أ): «فليت». وفي حاشية (هـ): «لعله فليت». والبيت مستقيم، ومع حذف الفاء فيه خَرم، وهو جائز في أبحُر، منها الوافر، وعليه بيتُ طرَفة. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٢).
(٤) الرَّغُوث: النعجة المُرضع. وخارت: صَوَّتت، وأصل الخُوار للبقرة.
(٥) في (ف): «عدا».
(٦) في (أ)، (هـ): «بصغر»، وفي (ب): «صغر».
(٧) في (ف): «القضقاض».

وقَدِ اعْتَنَيْنا بِجَمْعِها مِنَ الكَلامِ، ولَعَلّ لَها مَوْضِعًا تُذْكَرُ فيهِ مِنْ هَذا الكِتابِ، إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

ولا تكُونُ أَلِفُ «فيْفاء» لِلْإلْحاقِ فيُصْرَفُ؛ لِأَنّهُ لَيْسَ في الكَلامِ: فَعْلالٌ. فإنْ قِيلَ: يَكُونُ مُلْحَقًا بِفَضْفاضٍ[1] وبابِهِ. قُلْنا: فَضْفاضٌ[2] ثُنائِيٌّ مُضاعَفٌ، فلا يُلْحَقُ بِهِ الثُّلاثِيّ، كَما لا يُلْحَقُ الرُّباعِيّ بِالثُّلاثِيّ، ولا الأكثر بالأقلّ، وقد حُكِي فيْفاةٌ بِالقَصْرِ، ولَيْسَتْ أَلِفُها لِلتّأْنيثِ؛ إذْ لا يُجْمَعُ بَيْنَ عَلامَتَيْ تَأْنِيثٍ، فَهِيَ إذًا مِنْ بابِ «أَرْطاةٍ» ونَحْوِها، كَأنّها[3] مُلْحَقةٌ بِسَلْهَبةٍ.

وفيه: [من الطويل]

كَما جَرْجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقَ الصَّخْرُ[4]

وتَركَ صَرْفَ «عَلَقَ»[5]، إمّا لِأَنّهُ جَعَلَهُ اسْمَ بُقْعةٍ، وإمّا لِأَنّهُ اسْمُ عَلَمٍ، وتَرْكُ صَرْفِ الِاسْمِ العَلَمِ شائِعٌ في الشِّعْرِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ مُؤَنَّثًا، ولا أَعْجَمِيًّا[6]، نَحْوُ قَوْلِ عَبّاسِ بنِ مِرْداسٍ[7][8]: [من المتقارب]

وَما كانَ حِصْــنٌ ولا حابِسٌ ... يَفُوقــانِ مِرْداسَ فــي مَجْمَعِ

---

(١) في (ف): «بقضقاض».

(٢) في (ف): «قضقاض».

(٣) في (أ): «كأنها كلمة ملحقة»، وفي (د): «فهي ملحقة»، وفي (ج): «فكأنها ملحقة».

(٤) تجرجم: سقط وانحدر.

(٥) في (أ): «أي علق».

(٦) اعتنى السهيلي بهذه المسألة في كتابه «الأمالي» (ص: ٢٦).

(٧) بعده في (ف): «في مجمع».

(٨) البيت في «أمالي السهيلي» (ص: ٢٧)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي: (٥: ٦٩٥)، و«خزانة الأدب» (١: ١٤٧، ٢٥٣).

وَنَحْوُ قَوْلِ الآخَرِ[١]: [من مجزوء الخفيف]

يا مَنْ جَفانِــي ومَلّا نَســيتَ أهْلًا وسهلا
وماتَ مرحــبُ لما رأيــتُ مالِــيَ قــلّا

فَلَمْ[٢] يَصْرِفْ «مَرْحَبًا»، [وسَيأْتِي في هَذا الكِتابِ شَواهِدُ كَثِيرةٌ على هَذا، ونَشْرَحُ][٣] العِلَّةَ فيهِ[٤] إنْ شاءَ الله، ولَوْ رُوِيَ: مِنْ رأس ذي عَلَقِ الصَّخرُ - بِحَذْفِ التّنْوينِ لِالتِقاءِ السّاكِنِينَ - لَكانَ حَسَنًا، كَما قُرِئَ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ * اللهُ الصَّمَدُ » [الإخلاص: ١-٢] بِحَذْفِ التَّنوين مِن «أحد»، وهي روايةٌ عن أَبِي عَمْرِو ابنِ العَلاءِ[٥]، وقالَ الشّاعِرُ[٦]: [من المتقارب]

حُمَيْدُ الّذِي أمَجٌ دارُهُ

وَقالَ آخَرُ[٧]: [من المتقارب]

---

(١) البيت في «الأمالي» كذلك: (ص: ٢٧)، و«مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٢٦٢).
(٢) في (ف): «ولم».
(٣) ما بين المعقوفين سقط من (هـ).
(٤) في (أ): «فيها».
(٥) هذه القراءة منسوبة إلى نصر بن عاصم، وغير واحد، ونُسبت في «السبعة» إلى أبي عمرو إحدى الروايات عنه. انظر: «أخبار النحويين البصريين» للسيرافي: (ص: ٣٨)، و«القراءات السبعة» (ص: ٧٠١)، و«البحر المحيط» (٨: ٥٢٨)، و«خزانة الأدب» (١١: ٣٧٦).
(٦) البيت لحميدِ الأمَجِيّ، شاعر أموي، ويُنسب إلى غيره، وعجُزه:
«أخو الخمر ذو الشيبة الأصلعُ»
وهو في «نوادر أبي زيد» (ص: ٣٦٨)، و«المقتضب» (٢: ٣١٣)، و«الخزانة» عرَضًا: (١١: ٣٧٦).
وأَمَجٌ: بلد بالقرب من المدينة، ومنها حميد هذا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت.
(٧) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وصدرُه وهو في حاشية (أ): =

وَلا ذاكِرَ الله إلّا قَلِيلا

وَأنْشَدَ قَوْلَ أبِي طالِبٍ: [من الطويل]

إذا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنافٍ سِرُّها وصَمِيمُها

قَوْلُهُ: سِرُّها؛ أيْ: أوْسَطُها[١]، وسِرُّ الوادِي وسَرارَتُهُ: وَسَطُهُ. وقَدْ تَقَدّمَ[٢] مَتى يَكُونُ الوَسَطُ مَدْحًا، وأنّ ذَلِكَ في مَوْضِعَيْنِ: في وصْفِ الشُّهُودِ، وفي النَّسَبِ، وبَيَّنّا السِّرَّ[٣] في ذَلِكَ.

وَقالَ: [من الطويل]

ونَضْرِبُ عَنْ أحْجارِها مَنْ يَرُومُها

أيْ: نَدْفَعُ عَنْ حُصُونِها ومَعاقِلِها، وإنْ كانَتِ الرّوايةُ: «أجْحارِها» بِتَقْدِيمِ الجِيمِ، فهُوَ جَمْعُ جُحْرٍ [والجُحْرُ][٤] ههُنا مُسْتَعارٌ، وإنّما يُرِيدُ: عن بُيوتِها ومساكِنِها.

وَذَكَرَ[٥] خَبَرَ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ وقَوْلَهُ فيما جاءَ بِهِ النّبِيُّ ﷺ مِنَ الوَحْيِ والقُرْآنِ: قَدْ سَمِعْنا الشِّعْرَ فما هُوَ بِهَزَجِهِ، ولا رَجَزِهِ.

= فألفيتُه غير مُستعتِبِ

وهو من «شواهد سيبويه» (١: ١٦٩)، و«الخصائص» (١: ٣١١)، وفي «الخزانة» (١١: ٣٧٤-٣٨٢).

(١) في (ف): «وسطها».

(٢) انظر: (٢: ٢٠٣).

(٣) في (ب): «السبب».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٣٩). (ج)

والهَزَجُ: مِنْ أعارِيضِ الشِّعْرِ، مَعْرُوفٌ عن[١] العَرُوضِيِّينَ، ولا أعْرِفُ لَهُ اشْتِقاقًا إلّا أنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ في وصْفِ الذُّبابِ: هَزِجٌ، أيْ: مُتَرَنِّمٌ.

وأمّا الرّجَزُ: فيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ مِنْ رَجَزْتُ الحِمْلَ: إذا عَدَلْتَهُ بالرِّجازةِ، وهي[٢] شَيْءٌ يُعْدَلُ بهِ الحِمْلُ، وكَذَلِكَ الرّجَزُ في الشِّعْرِ أشْطارٌ مُعتدِلةٌ، ويَحْتَملُ أنْ يَكُونَ مِنْ رَجزَتِ النّاقةُ: إذا أصابَتْها رِعْدةٌ عِنْدَ قِيامِها، كَما قالَ[٣]:

[من الكامل]

حَتّى تَقُــومَ تَكَلُّفَ الرَّجْزاءِ

فالمُرْتَجِزُ كَأنّهُ مُرْتَعِدٌ عِنْدَ إنْشادِهِ؛ لِقِصَرِ الأبياتِ.

وَقَوْلُهُ: قَدْ سَمِعْنا الكُهّانَ، فما هُوَ بزَمْزَمةِ الكاهِنِ، ولا سَجْعِهِ[٤].

الزَّمْزَمةُ: صَوْتٌ ضَعِيفٌ كَنَحْوِ ما كانَتِ الفُرْسُ تَفْعَلُهُ عِنْدَ شُرْبِها الماءَ. ويُقالُ أيْضًا: زَمْزَمَ الرَّعْدُ، وهُوَ صَوْتٌ لَهُ قَبْلَ الهَدْرِ، وكَذَلِكَ الكُهّانُ، كانَتْ لَهُمْ زَمْزَمةٌ، واللهُ أعْلَمُ بِكَيْفيّتِها. وأمّا زَمْزَمةُ الفُرْسِ، فكانَتْ[٥] مِنْ أُنُوفِهِمْ.

وَقَوْلُ الوَلِيدِ: «إنّ أصْلَهُ لَعَذْقٌ، وإنّ فَرْعَهُ لَجَناةٌ». اسْتِعارةٌ مِنَ النّخْلةِ الّتِي ثبتَ[٦] أصلُها، وقوِيَ وطاب فرْعُها إذا جُنِي، والنّخْلةُ هِيَ: العَذْقُ بِفَتْحِ العَيْنِ.

---

(١) في (ف): «عند».

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) هو أبو النجم، «ديوانه» (ص: ١٦)، وقبله:

تجدُ القيام كأنّما هو نَجْدةٌ

يصف الناقة بالبَدانة، فهي لا تستطيع القيام لثِقَل عَجِيزتها.

(٤) في (أ): «ولا بسجعه».

(٥) في (أ): «فكأنها من أنوفهم»، وفي (د)، (هـ): «وأما زمزمة الفرس فمن...».

(٦) في (أ)، (ج): «نبت».

وروايةُ ابنِ إسْحاقَ أفْصَحُ مِنْ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ؛ لِأنّها اسْتِعارةٌ تامّةٌ يُشْبِهُ آخِرُ الكَلامِ أوّلَهُ، وروايةُ ابنِ هِشامٍ: إنّ أصْلَهُ لَغَدِقٌ، [من الغَدَق][1] وهُوَ الماءُ الكَثِيرُ، ومِنْهُ يُقالُ: غَيْدَقَ الرّجُلُ: إذا كَثُرَ بُصاقُهُ، وأحَدُ أعْمامِ النّبيِّ ﷺ كانَ يُسَمّى: الغَيْداقَ لِكَثْرةِ عَطائِهِ، والغيداقُ أيْضًا: ولَدُ الضَّبِّ، وهُوَ أكْبَرُ مِنَ الحِسْلِ. قالَهُ قُطْرُبٌ في كِتابِ «اشتقاق الأسْماءِ» لَهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[2] ابنُ إسْحاقَ قَوْلَ الله تَعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] الآياتِ الّتِي نَزَلَتْ في الوَلِيدِ، وفيها[3] لَهُ تَهْدِيدٌ ووَعِيدٌ شَدِيدٌ؛ لِأنّ مَعْنى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾؛ أيْ: دَعْنِي وإيّاهُ، فسَتَرى ما أصْنَعُ [بِهِ][4]، كَما قالَ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] وهي كلمة يقولها المُغْتاظُ إذا اشْتَدّ غَيْظُهُ [وغَضَبُهُ][5]، وكَرِهَ أنْ يُشْفَع لِمَنِ اغْتاظَ عَلَيْهِ. فمَعْنى الكَلامِ: أيْ لا شَفاعةَ تَنْفَعُ لِهَذا الكافِرِ، ولا اسْتِغْفارَ مِنْك يا مُحَمّدُ، ولا مِنْ غَيْرِك.

وقَوْلُهُ: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١٣]؛ أيْ: مُقِيمِينَ مَعَهُ غَيْرَ مُحْتاجِينَ إلى الأسْفارِ والغَيْبة عنه؛ لأنّ مالَهُ كان ممدودًا، والمالُ المَمْدُودُ عِنْدَهُمْ: اثْنا عَشَرَ ألْفَ دِينارٍ فصاعدًا.

---

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر «السيرة» (٣: ٣٩). (ج)

(٣) ليس في (أ).

(٤) ليس في (ب).

(٥) عن (ب).

وقوله: ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴾ [المدثر: ١٤]؛ أيْ: هَيَّأت لَهُ، وقَدّمْتُ لَهُ مُقَدّماتٍ اسْتِدْراجًا له.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧] هِيَ عَقَبةٌ في جَهَنّمَ، يُقالُ لَها: الصَّعُودُ، مَسِيرةُ سبعين سَنَةً، يُكَلَّفُ الكافِرُ أنْ يَصْعَدَها، فإذا صَعِدَها بَعْدَ عَذابٍ طَوِيلٍ صُبَّ مِنْ أعْلاها، ولا يَتَنَفّسُ، ثُمّ لا يَزالُ كَذَلِكَ أبَدًا، كَذَلِكَ جاءَ في التّفْسِيرِ.

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر: ١٩]؛ أيْ: لُعِنَ كَيْفَما كانَ تَقْدِيرُهُ، فـ«كَيْفَ» ههُنا مِنْ حُرُوفِ الشّرْطِ. وقِيلَ مَعْنى (قُتِلَ)؛ أيْ: هُوَ: أهْلٌ أنْ يُدْعى عَلَيْهِ بِالقَتْلِ.

وقَدْ فسّرَ ابنُ هِشامٍ «بَسَرَ» والبَسْرُ أيْضًا: القَهْرُ، والبَسْرُ أيْضًا حَمْلُ الفَحْلِ على[1] النّاقةِ قَبْلَ وقْتِ الضِّرابِ.

وفَسّرَ ﴿ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١]، وجَعَلَهُ مِنْ عَضَّيْتُ؛ أيْ: فَرَّقْتُ. قال رُؤْبةُ[2]: [من الرجز]

وَلَيْسَ دينُ اللهِ بالمُعَضّى

وفي الحَدِيثِ: «لا تَعْضِيةَ في مِيراثٍ إلّا ما احْتَمَلَهُ القَسْمُ»[3]، ومَعْنى هَذا

---

(١) «الفحل على» ليس في: (ف).

(٢) «ديوانه» (ص: ٨١)، مِن أُرجوزته التي مطلعها:

دانيتُ أروى والدُّيونُ تُقْضى

(٣) أخرجه الدارقطني. انظر: «تفسير القرطبي» (٥: ٤٧-٤٨)، السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢٢٥)، ومعرفة السنن والآثار له أيضًا (١٤/ ٢٣٨)، ويقول أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢: ٧): «يعني: أن يموت الرجل، ويَدَع شيئًا إن قسمَ بين ورثته إذا أراد بعضُهم القِسمة كان في ذلك =

الحَدِيثِ مُوافِقٌ لِمَذْهَبِ ابنِ القاسِمِ[١] ورَأْيِهِ في كُلِّ ما لا يُنْتَفَعُ بِهِ إذا قُسِمَ، أَوْ كانَ فيهِ ضَرَرٌ على الشَّرِيكَيْنِ، وهُوَ خِلافُ رَأْيِ مالِكٍ، وحُجَّةُ مالِكٍ: قَوْلُ الله سبحانه: ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧].

وَقَدْ قِيلَ في عِضِينَ: [إنه][٢] جمع عِضةٍ[٣]، وهي السِّحرُ، وأَنشَدوا[٤]: [من المتقارب]

أعــوذُ بربِّــي مــن النافِثــا ... تِ في عُقَــدِ العاضِهِ المُعْضِهِ

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: يا لِلْعَضِيهةِ، ويا لِلْأَفِيكةِ[٥]!

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٦] قَصِيدةَ أَبِي طالِبٍ إلى آخِرِها، وفيها: [من المتقارب]

= ضرر عليه، يقول: فلا يقسم ذلك، والتعْضِية: التفريق».

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم، أبو عبد الله العُتَقيّ، صاحب الإمام مالك، عالم الديار المصرية ومُفتيها، كان ثقة مأمونًا، وُلد سنة (١٣٢هـ) وتوفي سنة (١٩١هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩: ١٢٠-١٢٥). وانظر: «تفسير القرطبي» (٥: ٤٧) عند آية النساء (٦)، فقد ذكر رأي مالك وابن القاسم في هذه المسألة.

(٢) ليس في (ب).

(٣) وأصله: «العضيهة»، فحُذفت لامُه.

(٤) البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ١٨١)، و«تفسير القرطبي» (١٠: ٥٩)، و«الدر المصون» (٧: ١٨٣)، و«اللسان» (عضه).

(٥) كُسرت هذه اللام على معنى: اعجَبوا لهذه العَضِيهة، فإذا نُصبت اللامُ فمعناه الاستغاثة، يُقال ذلك عند التعجُّب مِن الإفك العظيم.

والعَضِيهة: البُهتان، وهو أن يَعْضَه الإنسان، ويقول فيه ما ليس فيه.

والأفِيكة: الإفك، وهو الكذب.

(٦) انظر «السيرة» (٣: ٤١). (ج)

وأبْيَضَ عَضْبٍ[١] مِنْ تُراثِ المَقاوِلِ

وقَد شَرَحْنا المَقاوِلَ والأقْيالَ فيما تَقَدَّمَ[٢].

وتُراثٌ أصْلُهُ: وُراثٌ مِنْ وَرِثْتُ، ولَكِنْ لا تُبـدَلُ هَـذِهِ الواوُ تاءً إلّا في مَواضِعَ مَحْفُوظَةٍ، وعِلَّتُها: كَثْرةُ وُجُودِ التّاءِ في تَصارِيفِ الكَلِمةِ، فالتُّراثُ مالٌ قَدْ تُوُورِثَ، وتَوارَثَهُ قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ، فالتّاءُ مُسْتَعْمَلَةٌ في التَّوْرِيثِ والتَّوارُثِ، وكَذَلِكَ تُجاهُ البَيْتِ، [التّاءُ][٣] مُسْتَعْمَلَةٌ في التّوَجُّهِ والتَّوْجِيهِ ونَحْوِهِ حتى أَلِفوها، فلَمّا أَلْفَوْها في تَصارِيفِ الكَلِمةِ [لَمْ يُنْكَرْ[٤] قَلْبُ الواوِ إلَيْها، كَما فعَلُوا في رَيْحـانٍ، وهو من الرّوح لكثرةِ الياءِ في تَصارِيفِ الكَلِمةِ][٥]، كَما قَدّمْنا قَبْلُ.

وهو[٦] في «تُراثٍ» وبابِهِ أبْعَدُ؛ لأنّ التاء المَأْلُوفةَ في مادّةِ الكَلِمةِ زائِدةٌ، وياءُ «رَيْحانٍ» لَيْسَتْ كَذَلِكَ، وكَذَلِكَ التُّكَأةُ مِنْ تَوَكّأت، وتَتْرى مِنَ التّواتُرِ، والتَّوْلَجُ[٧] مِنَ التّوَلُّجِ والمُتّلِجِ، لأنّهُمْ يَقُولُونَ: اتّلَجَ بِالتّشْدِيدِ، فتَصِيرُ الواوُ [تاءً][٨] لِلإدْغامِ، حَتّى يقولوا: [مُتَّلِجٌ][٩] فيجعلونها تاءً دونَ الإدغامِ، وهذا أشْبَهُ

(١) فيما عدا (أ): «عضبًا». وسيفٌ عَضْبٌ: قاطع.
(٢) انظر: (١: ٢١٧).
(٣) ليس في (د). وفي (ب): «بالثاء».
(٤) في (ف): «ينكروا».
(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٦) في (ف): «وهي».
(٧) التَّوْلَجُ: كِناسُ الظبي أو الوحش الذي يَلِج فيه.
(٨) ليس في (ب)، وفيها: «بالإدغام».
(٩) في «اللسان»: «وقد اتَّلَج الظبيُ في كِناسه، وأتْلَجه فيه الحَرُّ، أي: أولَجَه».

بِقِياسِ «رَيْحانٍ» وبابِهِ؛ لأنّ التّاءَ الأُولى مِنْ «مُتّلِج» أصْلِيّةٌ، وهِيَ في «مُتّلِجٍ» إذا خُفِّفَتْ أصْلِيّـةٌ أيْضًا، فهِيَ هِـيَ. فقِفْ على هـذا الأصل؛ فإنه سرُّ الباب.

وأراد بالمَقاول: آباءَه، شبَّههم بالمُلوكِ، ولم يَكُونُوا مُلُوكًا، ولا كانَ فيهِمْ مِنْ مَلِكٍ، بِدَليلِ حَدِيثِ أَبِي سُفْيانَ حِينَ قالَ لَهُ هِرَقْلُ[١]: «هَلْ كانَ في آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فقالَ: لا». ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ هَذا السَّيْفُ الّذِي ذَكَرَ أبُو طالِبٍ [مِنْ][٢] هِباتِ المُلُوكِ لِأبِيهِ، فقَدْ وهَبَ ابنُ ذِي يَزَنَ لِعَبْدِ المُطّلِبِ هِباتٍ جَزْلَةً حِينَ وفَدَ عَلَيْهِ مَعَ قُرَيْشٍ، يُهَنِّؤُونَهُ بِظَفْرِهِ بِالحَبَشَةِ، وذَلِكَ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ الله ﷺ بعامَيْنِ.

وَقَوْلُهُ[٣]: [من الطويل]

«مُوَسَّمَةَ الأعْضادِ أوْ قَصَراتِها»

يَعْنِي: موسومةً في أعضادِها، ويُقالُ لِذَلِكَ الوَسْمِ: السِّطاعُ، والخِباطُ في الفَخِذِ، والرَّقْمةُ أيْضًا في العَضُدِ، ويُقالُ لِلْوَسْمِ في الكَشْحِ: الكِشاحُ، [ولِما][٤] في قَصَرةِ العُنُقِ: العِلاطُ، والعَلْطَتانِ والشِّعْبُ[٥] أيْضًا في العُنُقِ، وهُوَ كالمِحْجَنِ، وفي العُنُقِ وسْمٌ آخَرُ أيْضًا يُقالُ لَهُ: قَيْدُ الفَرَسِ. قالَ الرّاجِزُ[٦]: [من الرجز]

كُومٌ على أعْناقِها قَيْدُ الفَرَسْ   تَنْجُو إذا اللّيْلُ تَدانى والتَبَسْ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب بدء الوحي: (١: ٣١).

(٢) ليس في (أ).

(٣) انظر «السيرة» (٣: ٤١). (ج)

(٤) ليس في (ب).

(٥) ضُبطَ في «اللسان» بكسر الشين وفتحها.

(٦) الرجز في «المخصص» (٧: ١٥٥)، و«اللسان» (قيد) غير منسوب. والكُوم: القطعة من الإبل.

ولِوُسُومِ الإبلِ أسْماءٌ كَثِيرةٌ، وبابٌ طَويلٌ، ذَكَرَ أبُو عُبَيْدٍ أكْثَرَهُ في كِتابِ «الإبلِ»، فمِنْها: المُشَيْطَنةُ، والمُفَعّاةُ، والقَرْمةُ، وهِيَ في الأنْفِ، وكَذَلِكَ الجُرْفُ، والخُطّافُ، وهِيَ في العُنُقِ، والدّلْوُ، والمُشْطُ، والفِرْتاجُ، والثُّؤْثُورُ، والدِّماعُ في مَوْضِعِ الدَّمْعِ، والصُّداغُ في مَوْضِعِ الصُّدْغِ، واللِّجامُ مِنَ الخَدِّ إلى العَيْنِ، يُقالُ مِنْهُ: بَعِيرٌ مَلْجُومٌ، والهِلالُ[1]، والخِراشُ، وهُوَ مِنَ الصُّدْغِ إلى الذَّقَنِ.

وَقَوْلُهُ: «أوْ قَصَراتِها»، جَمْعُ قَصَرةٍ، وهِيَ أصْلُ العُنُقِ، وخَفْضُها بالعَطْفِ على الأعْضادِ، ولا يَجُوزُ أنْ تَكُونَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ كَما تَقُولُ: هُوَ ضارِبُ الرّجُلِ وزَيْدًا في بابِ اسْمِ الفاعِلِ؛ لِأنّ قَوْلَهُ: «مُوَسَّمةَ الأعْضادِ» مِنْ بابِ الصّفةِ المُشَبَّهةِ، وهِيَ لا تَعْمَلُ إلّا مُظهَرةً، واسْمُ الفاعِلِ يُضْمَرُ إذا عُطِفَ على المَخْفُوضِ، وذَلِكَ أنّ الصِّفةَ لا تَعْمَلُ بالمَعْنى، وإنّما تَعْمَلُ بِشَبَهٍ لَفْظِيٍّ بَيْنَها وبَيْنَ اسْمِ الفاعِلِ، فإذا زالَ اللّفْظُ، ورَجَعَ إلى الإضْمارِ، لَمْ تَعْمَلْ.

وتُخالِفُ اسْمَ الفاعِلِ أيْضًا؛ لِأنّ مَعْمُولَها لا يَتَقَدّمُ عَلَيْها كَما يَتَقَدّمُ المَفْعُولُ على اسْمِ الفاعِلِ، وذَلِكَ أنّ مَنْصُوبَها فاعِلٌ في المَعْنى، والفاعِلُ لا يَتَقَدّمُ، والصّفةُ لا يُفْصَلُ بَيْنَها وبَيْنَ مَنْصُوبِها بالظّرْفِ، ويَجُوزُ ذَلِكَ في اسْمِ الفاعِلِ، والصِّفةُ لا تَعْمَلُ إلّا بِمَعْنى الحالِ، واسْمُ الفاعِلِ يَعْمَلُ بِمَعْنى الحالِ والاسْتِقْبالِ، نَعَمْ، ويَعْمَلُ بِمَعْنى المُضِيِّ إذا دَخَلَتْ عَلَيْهِ الألِفُ واللّامُ.

ولَوْ رُوِيَ: مُوَسَّمةَ الأعْضادَ، بِنَصْبِ الدّالِ، على مَعْنى: مُوَسَّمةً الأعْضادَ، بالتّنْوِينِ، وحَذَفَهُ لِالتِقاءِ السّاكِنَيْنِ، لَجازَ، كَما رُوِيَ في شِعرِ حُنْدُجٍ[2]: [من الطويل]

---

(١) الهلال: سِمة للإبل على هيئته.

(٢) هو امرؤ القيس، قيل: اسمه حُندج، وامرؤ القيس لقب له. انظر: «الخزانة» (١: ٣٣٠)، =

كَبِكْرِ مُقاناةِ البَياضُ [بِصُفرةٍ][(١)]

بالنَّصبِ، وبالرَّفع[(٢)] أيضًا؛ أي: البياضُ منها على نِيَّةِ التَّنْوينِ في «مُقاناةٍ»، وحَذْفُهُ لِالتِقاءِ السّاكِنَيْنِ، وأمّا الخَفْضُ، فلا خَفاءَ بِهِ. وإذا كانَتِ «القَصَراتُ» مَخْفُوضةً بِالعَطْفِ على «الأعْضادِ»، ففيهِ شاهِدٌ لِمَنْ قالَ: هُوَ حَسَنُ وجْهِه، كَما رَوى سِيبَوَيْهِ حِينَ أنْشَدَ[(٣)]: [من الطويل]

كُمَيْتا الأعالِـي جَوْنَتا مُصْطَلاهُما

= والبيت في «ديوانه» (ص: ١٦)، وعجزه:

غذاهــا نميــرُ المــاءِ غيــرَ مُحَلَّلِ

وفي «الديوان»: «كَبِكْر المُقاناة». والبِكر: أول بيضة تبيضها النعامة. والمُقاناة: المُخالطة. ونَمِير الماء: ما نَجَع في شاربه وإنْ لم يكن عذبًا، والنَّمِير أيضًا: الصافي. وغير محلَّل: لا يحُلُّهُ أحدٌ فيصفرّ ويتغير.

يقول: إن هذه المرأة كبيضة النعامة الأولى، فبياضُها تُخالطه صُفرة، ثم رجع إلى وصف المرأة، فقال: إنها نشأت بأرض مريئة. هذا، وانظر البيت، وما قِيل في إعرابه في: كتاب «الشعر» لأبي علي: (٢: ٤٢٦).

(١) عن (أ)، (ب).

(٢) في (ب)، (هـ): «والرفع».

(٣) البيت للشمّاخ، وصدرُه:

أقامتْ على رَبْعَيهِما جارَتا صَفا

والرَّبْع: الدار والمنزل. والضمير المثنّى المضاف إليه يعود إلى الدِّمْنتين في البيت قبله:

أَمِنْ دِمْنَتين عَرَّس الرَّكبُ فيهما … بحقلِ الرُّخامى قد أنى لِبَلاهُما؟

والدِّمنة: الموضع الذي أثَّر فيه الناس بنزولهم وإقامتهم فيه. وجارتا صفا: أراد بهما الأُثْفِيَّتين تُوضعان قريبًا مِن الجَبل ليكون حجارة ثالثة لهما. ثم قال: كُميتا الأعالي، يصف الأُثْفِيَّتين بأن أعلاهما بلون الكُميت، وهو الحَجر نفسه؛ لأنّ النار لم تصل إليه، فأما أسفلُهما، فقد اسودّ مِن إيقاد النار بينهما.

والبيت في «الكتاب» (١: ١٠٢)، و«خزانة الأدب» (٤: ٢٩٣).

وفي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ[(١)]: «صِفْرُ رِدائِها، ومِلْءُ كسائِها»، مِثل: حَسَنةُ وجهِها، [أعْنِي: مِثْلَ صِفْرِ رِدائِها][(٢)]. وفي «الأمالِي» مِنْ صِفةِ النّبيِّ ﷺ[(٣)]: «شَثْنُ الكَفَّيْنِ، طَوِيلُ أصابِعِهِ».

وقوله: «ترى الوَدْعَ فيها». الوَدْعُ والوَدَعُ ـ بالسُّكُونِ والفَتْحِ ـ: خَرَزاتٌ تُنْظَمُ، وتَتَحَلّى بِها النّساءُ والصِّبْيانُ، كَما قالَ [الشاعر][(٤)]: [من البسيط]

[والحِلْمُ حِلْمُ صَبِيٍّ[(٥)] يَمْرُسُ الوَدَعَهْ

وَقالَ][(٦)] الشّاعِرُ: [من البسيط]

إنَّ الـرُّواةَ بِلا فهْـمٍ لِما حَفِظُوا ... مِثْلُ الجِمالِ عَلَيْها يُحْمَلُ الوَدَعُ
لا الوَدْعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الجِمالِ لَهُ ... ولا الجِمالُ بِحَمْلِ الوَدْعِ تَنْتَفِعُ

ويُقالُ: إنّ هَذِهِ الخَرَزاتِ يَقْذِفُها البَحْرُ، وأنّها حَيَوانٌ في جَوْفِ البَحْرِ، فإذا قَذَفَها ماتَتْ، ولَها بَرِيقٌ، ولَوْنٌ حَسَنٌ، وتَصْلُبُ صَلابةَ الحَجَرِ، فتُثْقَبُ[(٧)]،

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح (٥١٨٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٨). (ج)
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (هـ).
(٣) «أمالي القالي» (٢: ٦٧)، مِن حديثٍ نعتَ فيه عليٌّ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ، ولفظه: «شَثْن الكفَّين والقدمين، طويل أصابِعها». والشَّثْن: الخَشِن الغليظ، وهذا في صفة النبي ﷺ، يعني: أنه ليس فيه استرخاء.
(٤) في (ب): كما قال الشاعر وهو في الأصمعيات لرجل من تميم، وصدرُه:
السِّـنُّ من جَلْفَزيـزٍ عَـوْزَمٍ خَلَقٍ
والجَلفزيزُ من النساء: العَجوز الهَرِمة، وهي مع ذلك مطبوعة على العمل، والعَوْزَم: القوية الشديدة. ويروى: يَمْرُث. وكلاهما بمعنًى؛ أي: يلعب بها.
(٥) في (ب)، (د): «فتاة».
(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٧) في (ف): «فتنقب».

ويُتّخذُ مِنْها القَلائِدُ، واسْمُها مُشْتَقٌّ مِنْ ودَعْتُهُ؛ أيْ: تَرَكْتُهُ؛ لِأنّ البحرَ يَنصبُّ[١] عَنْها ويَدَعُها، فهِيَ وَدَعٌ مِثْلُ: قَنَصٍ[٢] ونَقَضٍ[٣]. وإذا قُلْت: الوَدْعُ ـ بِالسّكُونِ ـ فهِيَ مِنْ بابِ ما سُمِّيَ بِالمَصْدَرِ.

وَقَوْلُهُ: «والرُّخامَ»؛ أيْ: ما قُطِعَ مِنَ الرُّخامِ، فنُظِمَ، وهُوَ حَجَرٌ أبْيَضُ ناصِعٌ.

والعَثاكِلُ: أرادَ العَثاكِيلَ، فحَذَفَ الياءَ ضَرُورةً، كَما قالَ ابنُ مُضاضٍ: «وفيه العَصافِرُ»[٤]، أرادَ: العَصافيرَ، وفي أوَّلِ القَصِيدةِ[٥]: [من الطويل]

وقَدْ حالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنا أظِنّةً

هو جَمْعُ ظَنِينٍ؛ أيْ: مُتَّهَمٌ، ولَوْ كانَ بِالضّادِ مَعَ قَوْلِهِ: «عَلَيْنا»، لَعادَ مَعْناهُ مَدْحًا لَهُمْ، كَأنّهُ قالَ: أشِحّةً عَلَيْنا، كَما أنْشَدَ عَمْرُو بنُ بَحْرٍ[٦]: [من الطويل]

لَقَد كُنْتُ في قَوْمٍ عَلَيْكَ أشِحّةٍ
بنفسِكَ إلّا أنّ مَنْ طاحَ طائِحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خاطُوا عَلَيْك جلودَهُمْ
وهل يدفعُ الموتَ النُّفوسُ الشَّحائحُ؟!

---

(١) في (ف)، (د): «ينضب». ومعنى ينضَب عنها: ينحَسِر.

(٢) في (ج)، (أ): «قَبَض».

(٣) في (هـ): «نَقَض، يريد أنه فعل هذا بمعنى اسم المفعول، وينفُض بالفاء كذلك بمعنى مفعول».

(٤) في النسخ: «وفيها». وقد سبق البيت (٢: ٢٠).

(٥) في (أ): «وفي القصيدة».

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والبيتان في «البيان والتبيين» (١: ٥٠). (ج)

وَفيها: [من الطويل]

وثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسى ثَبِيرًا مَكانَهُ   وراقٍ لِيَرْقى في حِراءٍ ونازِلِ

ثَوْرٌ: جَبَلٌ من جبال مَكَّةَ، وثَبِيرٌ: جَبَلٌ مِنْ جِبالِها. ذَكَرُوا أنّ ثَبِيرًا كانَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ ماتَ[1] في ذَلِكَ الجَبَلِ، فعُرِفَ بِهِ الجَبَلُ، كَما عُرِفَ أَبُو قُبَيس بقُبَيس ابنِ شالِخَ رَجُلٍ مِنْ جُرْهُمٍ، كانَ قَدْ وشى بَيْنَ عَمْرِو بنِ مُضاضٍ، وبَيْنَ ابنةِ عَمّهِ مَيّـةَ، فنَذَرَتْ ألّا تُكَلِّمَهُ، وكانَ شَدِيدَ الكَلَفِ بها، فحَلَفَ لَيَقْتُلَنَّ قُبَيْسًا، فهَرَبَ مِنْهُ في الجَبَلِ المَعْرُوفِ بِهِ، وانْقَطَعَ خَبَرُهُ، فإمّا ماتَ، وإمّا تَرَدّى مِنْهُ، فسُمِّيَ الجَبَلُ: أبا قُبَيْسٍ. وهُوَ خَبَرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَهُ ابنُ هِشامٍ في [غَيْرِ][2] هَذا الكِتابِ.

وَقَوْلُهُ: «وراقٍ لِيَرْقى»، قَدْ تَقَدّمَ[3] القَوْلُ فيهِ، وأَصَحُّ الرّوايَتَيْنِ: [من الطويل]

وراقٍ لِيَرْقى في حِراءٍ ونازِلِ

قالَ البَرْقِيُّ: هَكَذا رَواهُ ابنُ إسْحاقَ وغَيْرُهُ، وهُوَ الصّوابُ.

قالَ المُؤَلّفُ: فالوَهْمُ إذًا فيهِ مِنِ ابنِ هِشامٍ، أَوْ مِنَ البَكّائِيِّ، والله أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: «وبالحَجَرِ الأسْوَدِ»[4]، فيهِ زحافٌ يُسمّى: الكفَّ، وهو حذفُ النّونِ مِنْ «مَفاعِيلُنْ»، وهُوَ بَعْدَ الواوِ مِنَ «الأسْوَدِ»، ونَحْوُه قَوْلُ حُنْدُجٍ[5]: [من الطويل]

ألا رُبَّ يَوْمٍ لَك مِنْهُنّ صالِحٍ

---

(١) (ب)، (ج): «فمات».

(٢) ليس في (أ).

(٣) انظر: (٢: ٣٤٥).

(٤) في مطبوعة «السيرة»: «وبالحجر المُسودِّ». وعليها فلا كفَّ.

(٥) البيت من معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ١٠). (ج)

وَمَوْضِعُ الزِّحافِ بَعْدَ اللّامِ مِنْ «لك».

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

«إذا اكْتَنَفُوهُ بِالضّحى والأصائِلِ»

الأصائِلُ: جَمْعُ أصِيلةٍ، والأُصُلُ: جَمْعُ أصِيلٍ، وذَلِكَ أنّ فعائِلَ جَمْعُ فَعِيلةٍ، والأصِيلةُ: لُغةٌ مَعْرُوفةٌ في الأصِيلِ، وظَنّ بَعْضُهُمْ أنّ أصائِلَ: جَمْعُ آصالٍ على وزْنِ أفْعالٍ، وآصالٌ: جَمْعُ أُصُلٍ، نَحْوُ: أطْنابٍ وطُنُبٍ، وأُصُلٌ: جَمْعُ أصِيلٍ، مِثْلُ: رُغُفٍ جَمْعُ رَغِيفٍ، فأصائِلُ على قَوْلِهِمْ[1]: جَمْعُ جَمْعِ الجَمْعِ. وهَذا خَطَأٌ بَيِّنٌ مِنْ وُجُوهٍ، مِنْها: أنّ جَمْعَ جَمْعِ الجَمْعِ لَمْ يُوجَدْ قَطّ في الكَلامِ، فَيَكُونُ هَذا نَظِيرَهُ، ومِن جِهةِ القِياس إذا[2] كانُوا لا يَجْمَعُونَ الجَمْعَ الّذي لَيْسَ لِأدْنى العَدَدِ، فأحْرى ألّا يَجْمَعُوا[3] جَمْعَ الجَمْعِ.

وأبْيَنُ خَطَأٍ في هَذا القَوْلِ غَفْلَتُهُمْ عَنِ الهَمْزةِ الّتِي [هِيَ][4] فاءُ الفِعْلِ في أصِيلٍ وأُصُلٍ، وكَذَلِكَ هِيَ فاءُ الفِعْلِ في أصائِلَ؛ لِأنّها فعائِلُ، وتَوَهّمُوها زائِدةً كالّتِي في أقاوِيلَ، ولَوْ كانَتْ كَذَلِكَ لكانَتِ الصّادُ فاءَ الفِعْلِ، وإنّما هِيَ عَيْنُهُ، [كَما][5] هِيَ في أصِيلٍ وأُصُلٍ، فَلَوْ كانَتْ أصائِلُ جَمْعَ آصالٍ، مِثْلَ: أقوالٍ وأقاوِيلَ[6] لاجْتَمَعَتْ هَمْزةُ الجَمْعِ مَعَ هَمْزةِ الأصْلِ، ولَقالُوا فيهِ: أواصِيلُ بِتَسْهِيلِ الهَمْزةِ الثّانِيةِ.

---

(١) في (أ): «على وِزان قولهم».

(٢) في (ف): «إذ».

(٣) في (ب)، (هـ)، و«تاج العروس»: جمع جمع والجمع.

(٤) ليس في (أ).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) في (ف): «أقاويل وأقوال».

ووَجْهٌ آخَرُ مِنَ الخَطَأِ بَيِّنٌ أيْضًا، وهُوَ أنّ أفاعِيلَ جَمْعُ أفْعالٍ، لا بُدّ مِنْ ياءٍ قَبْلَ آخِرِهِ، كَما في أقاوِيلَ، فكانَ يَكُونُ أواصِيلَ، ولَيْسَ في أصائِلَ حَرْفُ مَدٍّ ولِينٍ قَبْلَ آخِرِهِ، إنّما[1] هِيَ هَمْزَةُ فعائِلَ.

ومِنَ الخَطَأِ في قَوْلِهِمْ أيْضًا: أنْ جَعَلُوا أُصُلًا جَمْعًا كَثِيرًا، مِثْلَ: رُغُفٍ، ثُمّ زَعَمُوا أنَّ آصالًا جَمْعٌ لَهُ، فهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قالَ في رُغُفٍ: أرْغافٍ. فإنْ قِيلَ: فجَمْعُ أيِّ شَيْءٍ هِيَ آصالٌ؟ قُلْنا: جَمْعُ أُصُلٍ الّذِي هُوَ اسْمٌ مُفْرَدٌ في مَعْنى الأصِيلِ، لا جَمْعُ أُصُلٍ الّذِي هُوَ جَمْعٌ. فإنْ قِيلَ: فهَلْ يُقالُ: أُصُلٌ واحِدٌ، كَما يُقالُ: أصِيلٌ[2] واحِدٌ؟

قُلْنا: قَدْ قالَ بَعْضُ أرْبابِ اللّغةِ ذَلِكَ، واسْتَشْهَدُوا بِقَوْلِ الأعْشى[3]: [من البسيط]

يَوْمًا بِأطْيَبَ مِنْها نَشْـرَ رائِحةٍ ولا بِأحْسَنَ مِنْها إذْ دَنا الأُصُلُ

أيْ: دَنا الأصِيلُ، فإنْ صَحَّ أنّ الأُصُلَ بِمَعْنى الأصِيلِ، وإلّا فآصالٌ جَمْعُ أصِيلٍ على حَذْفِ الياءِ الزّائِدةِ، مِثْلُ: طَوِيٍّ وأطْواءٍ، ولا أعْرِفُ أحَدًا قالَ هَذا القَوْلَ - أعْنِي: جَمْعَ جَمْعِ الجَمْعِ - غَيْرَ الزَّجّاجِيِّ، وابنِ عَزِيزٍ[4].

وَقَوْلُهُ: «ومَوْطِئِ إبْراهِيمَ»، يَعْنِي: مَوْضِعَ قَدَمِهِ حِينَ غسَلَتْ كَنَّتُهُ[5] رَأْسَهُ

---

(١) في (ف): «وإنما».

(٢) في (ف): «الأصيل».

(٣) البيت من معلقة الأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٠٣). (ج)

(٤) في (ف): «عُزير» بهذا الضبط. وهو أبو بكر محمد بن عَزيز السجستاني، بزاءين مُعجمتين، وقيل: الثانية مهمَلة تُوفي سنة (٣٣٠هـ). انظر: «طبقات المفسرين» للداودي: (٢: ١٩٣-١٩٤).

(٥) الكَنّة: امرأة الابن.

وهُوَ راكِبٌ، فاعْتَمَدَ بِقَدَمِهِ على الصّخْرةِ حِينَ أمالَ رَأْسَهُ لِيُغْسَلَ، وكانَتْ سارةُ قَدْ أخَذَتْ عَلَيْهِ عَهْدًا حِينَ اسْتَأْذَنَها في أنْ يُطالِعَ تَرِكَتَهُ[١] بِمَكّةَ، فحَلَفَ لَها ألّا يَنْزِلَ عَنْ دابّتِهِ، ولا يَزِيدَ على السّلامِ، واسْتِطْلاعِ الحالِ، غَيْرةً مِنْ سارةَ عَلَيْهِ مِنْ هاجَرَ، فحِينَ اعْتَمَدَ على الصّخْرةِ أبْقى [الله][٢] فيها أثَرَ قَدَمِهِ آيةً، قالَ الله سُبْحانَهُ وتعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ أيْ: مِنْها مَقامُ إبْراهِيمَ، ومَنْ جَعَلَ مَقامًا بَدَلًا مِنْ آياتٍ، قالَ: المَقامُ جَمْعُ مَقامةٍ. وقِيلَ: بَلْ هُوَ أثَرُ قَدَمِهِ حِينَ رَفَعَ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ وهُوَ قائِمٌ عَلَيْهِ.

وقَوْلُهُ: « بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ»: هُوَ كَنَحْوِ ما تَقَدّمَ في بَطْنِ المَكّتَيْنِ، والحمَّتينِ، وعُنَيْزَتَيْنِ، مِمّا ورَدَ مُثَنًّى مِنْ أسْماءِ المَواضِعِ، وهُوَ واحِدٌ في الحَقِيقةِ، وذَكَرْنا العِلّةَ في مَجِيئِهِ مُثَنًّى ومَجْمُوعًا في الشِّعْرِ[٣]، والحمدُ لِله، وفيها قَوْلُهُ: [من الطويل]

وَبِالمَشْعَرِ الأقْصى إذا قَصَدُوا لَهُ   إلالًا[٤]......................

البَيْتَ.

فالمَشْعَرُ الأقْصى: عَرَفةُ، وإلالٌ: جَبَلُ عَرَفةَ. قال النابغة[٥]: [من الطويل]

---

(١) في (أ)، (هـ): «تريكته». والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: (٦: ٣٩٦). وتركته ـ بكسر الراء وتُسْكَن ـ أراد أن يتفقّد حال ما تركه هناك.

(٢) ليس في (أ).

(٣) انظر فيما سبق: (٢: ٢١٨).

(٤) في طبعة «السيرة»: «إلالُ». وما في النُّسخ نراه صوابًا، فـ«بالمشعر» معطوفٌ على المجرور قَبْلَه في الأبيات السابقة على هذا البيت، وليس خبرًا مقدَّمًا، حتى يظنَّ أنّ «إلالٌ» مبتدأ مؤخَّر. ونصَب «إلالًا» على أنه مفعول لـ«قَصدوا»، أو لـ«عَمدوا»، كما في «السيرة».

(٥) «ديوانه» (ص: ٣٦)، وهو عجزُ بيت، صدرُه:

بمُصطَحباتٍ من لَصافٍ وثَبْرةٍ (ج)

يَزُرْنَ إلالًا سَـيْرُهُنَّ التّدافُعُ

وَسُمِّيَ: إلالًا؛ لِأنّ الحَجِيجَ إذا رأوه ألُّوا في السّيْرِ؛ أيِ: اجْتَهَدُوا فيهِ؛ لِيُدْرِكُوا المَوْقِفَ، قالَ الرّاجِزُ[١]: [من الرجز]

مُهْرَ أبِي الحَبْحابِ لا تَشَـلِّي بـارَكَ فيـكَ اللهُ مِـنْ ذِي ألِّ

والشِّراجُ: جَمْعُ شَرْجٍ، وهُوَ مَسِيلُ الماءِ، والقَوابِلُ: المُتَقابِلَةُ. وفيها قَوْلُهُ: «وحَطْمِهِمْ سُمْرَ الصِّفاحِ»: الصِّفاح جَمْعُ صَفْحٍ، وهُوَ سَطْحُ الجَبَلِ، والسُّمْرُ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ أرادَ بِها[٢] السَّمُرَ[٣]، يُقالُ فيهِ: سَمُر، وسُمْر بِسُكُونِ المِيمِ، ويَجُوزُ نَقْلُ ضَمّةِ المِيمِ إلى ما قَبْلَها إلى السّينِ، كَما قالُوا في حَسُنَ: حُسْنَ، وكَذا وقَعَ في الأصْلِ بِضَمّ السّينِ، غَيْرَ أنّ هَذا النّقْلَ إنّما يَقَعُ غالِبًا فيما يُراد به المدحُ، أو الذَّمُّ، نَحْوُ: حَسُنَ وقَبُحَ، كَما قالَ[٤]: «حُسْنَ[٥] ذا أدَبًا»؛ أيْ: حَسُنَ ذا أدَبًا، وجائِزٌ أنْ يُرادَ بِالسُّمْرِ هٰهُنا: جَمْعُ أسْمَرَ وسَمْراءَ، ويَكُونَ وصْفًا لِلنّباتِ والشّجَرِ، كَما يُوصَفُ بِالدُّهْمةِ إذا كانَ مُخْضَرًّا، وفي التّنْزِيلِ: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، أيْ: خَضْراوانِ إلى السَّوادِ.

---

(١) الرجز في «إصلاح المنطق» لابن السِّكيت: (ص: ٢٣)، و«اللسان» (ألل، وبرك، وشلل)، منسوبًا إلى أبي الخُضْري اليربوعي يمدح عبد الملِك بن مروان، وكان أجرى مُهرًا فسبق. ومعنى «لا تشلِّي»: دعاء؛ أي: لا شَلِلْت.

(٢) في (ف): «به».

(٣) السَّمُر: شجَر عِظام مِن شجر العِضاه، ترعاه الإبل. والعِضاه: كلُّ شجَر له شوك، صَغُر، أو كبُر.

(٤) بعض بيت، وهو بتمامه:

لا يمنَعُ الناسُ منّي ما أردْتُ ولا أُعطِيهُمُ ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا

وقد نُسِبَ لغيرِ واحد، وهو في «الأصمعيات» (ص: ٥٦) منسوبًا لسهم بن حنظلة. وانظر: «خزانة الأدب» (٤: ١٢٣-١٢٥).

(٥) فيما عدا (د): «وحسن».

وَقَوْلُهُ: «وشِبْرِقَهُ». هُوَ نَباتٌ يُقال ليابِسِه: الضَّريعُ، ولرَطْبِهِ: الشِّبرِقُ.

وقوله: «نُبْزى[١] مُحَمّدًا»؛ أيْ: نُسْلَبُهُ ونُغْلَبُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: «نُهُوضَ الرّوايا»، هِيَ الإبِلُ [التي][٢] تَحْمِلُ الماءَ، واحِدَتُها: راوِيةٌ، والأسْقِيةُ[٣] أيْضًا يُقالُ [لَها][٤]: رَوايا، وأصْلُ هَذا الجَمْعِ: رَواوِيّ[٥]، ولَكِنّهُمْ قَلَبُوا الكَسْرةَ فتحةً بعدما قَدّمُوا الياءَ قَبْلَها، فصارَ[٦] وزْنُهُ: فوالِعَ، وإنّما قَلَبُوهُ كَراهِيَةَ اجْتِماعِ واوَيْنِ، واوُ فواعِلَ، والواوُ الّتِي هِيَ عَيْنُ الفِعْلِ، ووَجْهٌ آخرُ: وهُوَ أنّ الواوَ الثّانِيةَ قِياسُها أنْ تَنْقَلِبَ هَمْزةً في الجَمْعِ لِوُقُوعِ[٧] الألِفِ بَيْنَ واوَيْنِ، فلَمّا انْقَلَبَتْ هَمْزةً قَلَبُوها ياءً، كَما فعَلُوا في خَطايا وبابِهِ، مِمّا الهَمْزةُ فيهِ مُعْتَرِضةٌ في الجَمْعِ.

«والصَّلاصِلُ»: المَزاداتُ لَها صَلْصَلةٌ بِالماءِ، وَ قَوْلُهُ فيها: «غَيْرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ»، وهُوَ مُخَفَّفٌ مِنْ «ذَرِبٍ»، والذَّرِبُ اللّسانُ: الفاحِشُ[٨] المَنْطِقِ،

(١) البيت في «اللسان» (بزا)، وفيه: يُبْزى محمد، وقال شَمِر: «معناه: يُقهر ويُستذل، فأراد: لا يُبزى، فحَذف «لا» مِن جواب القَسَم، وهي مُراده، أي: لا يُقهر، ولم نقاتل عنه ونُدافع».

(٢) عن (ب).

(٣) الأسْقِية: جمع سِقاء، وهي وعاءٌ مِن جِلد يُحمل فيه الماء. يريد أن الراوية تُطلق على الوعاء، وعلى البعير؛ لقُربه منه.

(٤) ليس في (أ).

(٥) انفردت (د) بعده بالآتي: «ثم تصير في القياس: رَوائي، مثل: جَوائل جمع جَوْل». وهو ثابت في (ط)، ولا أدري كيف جمع جَوْل على جوائل، ولعله: جوائل جمع جائلة.

(٦) في غير (أ): «وصار».

(٧) في (أ): «كراهة». زِيد في حاشيتها قَبله بخطٍّ مخالف: «كراهة».

(٨) في (أ): «الفاجر».

والمُواكِلُ: الّذِي لاجِدَّ عنده، فهو يكِلُ أمورَهُ[١] إلى غيره.

وَفيها قَوْلُهُ: «ثِمالَ اليَتامى»؛ أيْ: يَثْمُلُهُمْ، ويَقُومُ[٢] بِهِمْ، يُقالُ: هُوَ ثِمالُ مالٍ؛ أيْ: يَقُومُ بِهِ.

وَفيها قَوْلُهُ: «لِيُظْعِنَنا في أهْلِ شاءٍ وجامِلِ»، الشّاءُ والشَّوِيّ: اسْمٌ [لِلْجَمْع][٣] مِثْلُ: الباقِرِ والبَقِيرِ، ولا واحِدَ لِلشّاءِ، والشَّوِيِّ مِنْ لَفْظِهِ، وإذا قالُوا في الواحِدة[٤]: شاةٌ، فلَيْسَ مِنْ هَذا؛ لِأنّ لامَ الفِعْلِ في شاةٍ هاءٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ في التّصْغِيرِ: شُوَيْهةٌ، وفي الجَمْعِ: شِياهٌ، والجامِلُ: اسْمُ جَمْعٍ بِمَنْزِلةِ الباقِرِ.

وَقَوْلُهُ: «وكُنْتُمْ زَمانًا[٥] حَطْبَ قِدْرٍ»، حَطْبٌ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ مِثْلُ رَكْبٍ، ولَيْسَ بِجَمْعٍ، لِأنّك تَقُولُ في تَصْغِيرِهِ: حُطَيْبٌ ورُكَيْبٌ.

وَقَوْلُهُ: «حِطابُ أقْدُرِ»: هُوَ جَمْعُ حاطِبٍ، فلا يُصَغَّرُ، إلّا أنْ تَرُدَّهُ إلى الواحِدِ، فتَقُولَ: حُوَيْطِبُونَ. ومَعْنى البَيْتِ، أيْ: كُنْتُمْ مُتَّفِقِينَ [لا تَحْطِبُونَ][٦] إلّا لِقِدْرٍ واحِدةٍ، فأنْتُمُ[٧] الآنَ بِخِلافِ ذَلِكَ.

وَفيها قَوْلُهُ: «مِنَ الأرْضِ بَيْنَ أخْشُبٍ فَمَجادِلِ». أرادَ: الأخاشِبَ، وهِيَ جِبالُ مَكّةَ، وجاءَ بِهِ على أخْشُبٍ؛ لِأنّهُ في معنى أجْبُلٍ، مع أنّ الاسمَ قَدْ يُجْمَعُ على حَذْفِ الزّوائِدِ كَما يُصَغّرُونَهُ كَذَلِكَ.

---

(١) في (أ): «أمرًا»، وفي (د): «الأمور»، وفي (ج): «أمره».

(٢) في (ب): «فيقوم».

(٣) ليست في (ب).

(٤) في (ف): «الواحد».

(٥) في «السيرة»: «وكنتم حديثًا».

(٦) ليس في (ب).

(٧) في (أ): «وأنتم».

والمَجادِلُ: جَمْعُ مِجْدَلٍ وهُوَ: القَصْرُ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ ما بَيْنَ جِبالِ مَكَّةَ، فقُصُورِ الشّامِ، أوِ العِراقِ[١]، والفاءُ مِنْ قَوْلِهِ: «فمَجادِلِ» تُعْطِي الاتِّصالَ بِخِلافِ الواوِ، كَقَوْلِهِ: «بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ»[٢]، وتَقُولُ: مُطِرْنا بَيْنَ مَكَّةَ فالمَدِينةِ، إذا اتَّصَلَ المَطَرُ مِنْ هَذه إلى هَذِهِ، ولَوْ كانَتِ الواوَ لَمْ تُعْطِ هَذا المَعْنى.

وَقَوْلُهُ: «أُولِي جَدَلٍ مِنَ الخُصُومِ المَساجِلِ»، يُرْوى بِالجِيمِ وبِالحاءِ، فمَنْ رَواهُ بِالجِيمِ فهُوَ مِنَ المُساجَلةِ في القَوْلِ، وأصْلُهُ مِن[٣] اسْتِقاءِ الماءِ بِالسَّجْل وصَبِّهِ، فكَأَنَّهُ جَمْعُ مَساجِلَ على تَقْدِيرِ حَذْفِ الألِفِ الزّائِدةِ مِنْ مَفاعِلَ، أوْ جَمْعُ مِسْجَلٍ - بِكَسْرِ المِيمِ - وهُوَ [مِنْ][٤] نَعْتِ الخُصُومِ.

ومَنْ رَواهُ: «المَساحِلِ» بِالحاءِ، فهُوَ جَمْعُ مِسْحَلٍ، وهُوَ اللِّسانُ، ولَيْسَ بِصِفةٍ لِلْخُصُومِ، إنّما هُوَ مَخْفُوضٌ بِالإضافةِ؛ أيْ: خُصَماءُ الألْسِنةِ، وقالَ ابنُ أحْمَرَ[٥]: [من البسيط]

«ومِنْ خَطِيبٍ إذا ما انْساح مِسْحَلُهُ»

أيْ: لِسانُهُ، وهُوَ أيْضًا مِنَ السَّحْلِ، وهُوَ الصَّبُّ، ومِنْهُ حَدِيثُ أيُّوبَ حِينَ فُرِّجَ عَنْهُ: «فجاءَتْ سَحابةٌ فسَحَلَتْ في بَيْدَرِهِ ذَهَبًا، وجاءَتْ أُخْرى فسَحَلَتْ في البَيْدَرِ الآخَرِ فِضّةً».

---

(١) في (أ)، (د): «والعراق».

(٢) من بيت لامرئ القيس في صدر معلقته:

قِفا نَبكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ

«ديوانه» (ص: ٨)، وهو من شواهد «الكتاب» (٤: ٢٠٥).

(٣) في (أ): «في».

(٤) ليس في (أ).

(٥) «ديوانه» (ص: ٧٠). (ج)

فَصْلٌ

وقال فيها[1]: [من البسيط]

لقد سَفِهَتْ أحلامُ قومٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بِنا والغَياطِلِ

قَيْضًا؛ أيْ: مُعاوَضةً، ومِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِذِي الجَوْشَنِ: «إنْ شِئْت قايَضْتُك بِهِ المُخْتارةَ مِنْ دُروع بَدرٍ». فقال: ما كنتُ لأقيضَهُ اليَوْمَ بِشَيْءٍ[2]. يَعْنِي: فرَسًا يُقالُ لَهُ: ابنُ القَرْحاءِ.

وقالَ أبُو الشِّيصِ[3]: [من الكامل]

لا تُنْكِرِي صَدِّي ولا إعْراضِي لَيْسَ المُقِلُّ عَنِ الزّمانِ براضِ
بُدِّلْتُ مِنْ بُرْدِ الشَّبابِ مُلاءةً خَلَقًا، وبِئْسَ مَثُوبةُ المُقْتاضِ

والغَياطِلُ: بَنُو سَهْمٍ، لِأنّ أُمَّهُم الغَيْطَلةُ، وقَدْ تَقَدّمَ نَسَبُها[4]. وقِيلَ: إنّ بَنِي سَهْمٍ سُمُّوا بِالغَياطِلِ؛ لِأنّ رَجُلًا مِنْهُمْ قَتَلَ جانًّا طافَ بِالبَيْتِ سَبْعًا، ثُمّ خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ فقَتَلَهُ، فأظْلَمَتْ مَكّةُ، حَتّى فزِعُوا مِنْ شِدّةِ الظُّلْمةِ الّتِي أصابَتْهُمْ.

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٤٤). (ج)

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد: (٣: ٩٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣: ٤٨٤)، (٤: ٦٤). وذو الجوشن مذكورٌ في الصحابة، وقيل: اسمه أوس بن الأعرّ، أو شُرحبيل بن الأعرّ. انظر: «أسد الغابة» (٢: ٢٧١).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن رَزِين، شاعرٌ عباسي، والبيتان مِن قصيدةٍ أوردها ابن المعتز في «طبقات الشعراء» (ص: ٧٥)، وانظر أخباره في: «الأغاني» (١٧: ٦٢٥١)، وما بعدها، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة: (ص: ٨٤٣).

(٤) انظر: (٢: ٢٧٣).

والغَيْطَلةُ[١]: الظُّلْمةُ الشّدِيدةُ، والغَيْطَلةُ أيْضًا: الشّجَرُ المُلْتَفّ، والغَيْطَلةُ: اخْتِلاطُ الأصْواتِ، والغَيْطَلةُ: البَقَرةُ الوَحْشِيّةُ، والغَيْطَلةُ: غَلَبةُ النُّعاسِ.

وقَوْلُهُ: «يُخِسُّ شَعِيرةً»، أيْ: يُنْقِصُ، والخَسِيسُ: النّاقِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ورُوِيَ[٢] في غَيْرِ السّيرةِ: يَحُصُّ - بِالصّادِ والحاءِ مُهْمَلةً - مِنْ حَصّ الشَّعْرَ: إذا أذْهَبَهُ.

وقَوْلُهُ: «مِنْ كُلّ طِمْلٍ وخامِلٍ»: الطِّمْلُ: اللِّصُّ، كَذا وجَدْتُهُ في حاشيةِ «كِتابِ أبِي بَحْرٍ»، وفي «العَيْنِ»: الطِّمْلُ: الرّجُلُ الفاحِشُ[٣]، والطِّمْلُ والطِّمْلالُ: الفَقِيرُ، والطِّمْلُ: الذِّئْبُ.

وقَوْلُهُ: «لِقْحةً غَيْرَ باهِلٍ». الباهِلُ: النّاقةُ الّتِي لا صِرارَ على أخْلافِها، فهِيَ مُباحةُ الحَلْبِ، يُقالُ: ناقةٌ مَصْرُورةٌ: إذا كانَ على خِلْفِها[٤] صِرارٌ يَمْنَعُ الفَصِيلَ مِنْ أنْ يَرْضَعَ، ولَيْسَتِ المُصَرّاةُ مِنْ هَذا، إنّما هِيَ الّتِي جُمِعَ لَبَنُها في ضَرْعِها، فهُوَ مِنَ الماءِ الصَّرى[٥].

وقَدْ غَلِطَ أبُو عَلِيّ[٦] في[٧] «البارِعِ»، فجَعَلَ المُصَرّاةَ بِمَعْنى: المَصْرُورةَ، وله وجهٌ بعيد، وذلك أن يُحتجَّ لَهُ بِقَلْبِ إحْدى الرّاءَيْنِ ياءً، مِثْلَ: قَصَّيْتُ أظْفارِي، غَيْرَ أنّهُ بَعِيدٌ في المَعْنى.

---

(١) في (أ): «والغيطلة أيضًا».

(٢) كذا في (أ)، وفي (هـ): «وقد روي»، وفي غيرهما: «ويروى».

(٣) «العين» (٧: ٤٣٢)، ولم أجد ما بعده، وهو في «مختصر الزبيدي» (٢: ٢٧٨).

(٤) الخِلْف بالكسر: حَلَمة ضَرْع الناقة، وجمعُه: أخلاف وخُلوف.

(٥) الماء الصَّرى: ما طال مكثُهُ ففسد، ولبَنٌ صَرى: متغيِّر الطعم، والفِعل: صَرِي يَصْرى.

(٦) هو أبو علي القالي، ومعجمه «البارع» مطبوع، ولكن أغلبه مفقود ولم يصلنا منه إلا اليسير. (ج)

(٧) بعده في (ف): «هذا».

وقالَتِ امْرَأةُ المُغِيرةِ[(١)] تُعاتِبُ زَوْجَها، وتَذْكُرُ أنّها جاءَتْهُ كالنّاقةِ الباهِلِ، أي التِي لا صِرارَ على أخْلافِها: «أطْعَمْتُك مَأْدُومِي، وأبْثَثْتُكَ مَكْتُومِي، وجِئْتُك باهِلًا غَيْرَ ذاتِ صِرارٍ»[(٢)].

وفي الحَدِيثِ: «لا تُورِدُوا الإبِلَ بُهَّلًا؛ فإنّ الشّياطِينَ تَرْضَعُها». أيْ: لا أصِرّةَ عَلَيْها.

وَفيها قَوْلُهُ: [من الطويل]

بَراءٌ إلَيْنا مِنْ مَعَقّةِ خاذِلِ

يُقالُ: قَوْمٌ بُراءٌ، وبَراءٌ بِالفَتْحِ، وبِراءٌ بِالكَسْرِ، [فأمّا بِراءٌ بِالكَسْرِ][(٣)]، فجَمْعُ بَرِيءٍ، مِثْلُ كَرِيمٍ وكِرامٍ، وأمّا بَراءٌ فمَصْدَرٌ، مِثْلُ سَلامٍ، والهَمْزةُ[(٤)] فيهِ، وفي الّذِي قَبْلَهُ لامُ الفِعْلِ. ويُقالُ: رَجُلٌ بَراءٌ ـ بفتح الباء ـ ورَجُلانِ بَراءٌ، وإذا كَسَرْتَها، أوْ ضَمَمْتَها لَمْ يَجُزْ إلّا في الجَمْعِ، أمّا[(٥)] بُراءٌ ـ بِضَمّ الباءِ ـ فالأصْلُ فيهِ بُرَآءُ، مِثْلُ: كُرَماءُ، فاسْتَثْقَلُوا اجْتِماعَ الهَمْزَتَيْنِ، فحَذَفُوا الأُولى، وكانَ وزْنُهُ فُعَلاءَ، فلَمّا حَذَفُوا الّتِي هِيَ لامُ الفِعْلِ صارَ وزْنُهُ فُعاءَ، وانْصَرَفَ لِأنّهُ أشْبَهَ فُعالًا،

---

(١) نسبه أبو عُبيد إلى امرأة دُريد بن الصِّمّة. انظر: «اللسان» و«تاج العروس» (بهل).

(٢) قال ابن الأعرابي: «قولها: «أطعمتك مأدومي» أي: لم أدخر عنك شيئًا من مالي، «وأبثثتك مكتومي» أي أخبرتك بسري، أي: لم أكن في ريبة قط فأسترها عنك، «وأتيتك باهلًا غير ذات صِرار» والباهل: الناقة التي أُطلق صرارها، أي: كنتُ مطلقةً من الرجال، أي: لم يملكني ولم يصررني أحد عليك». «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت: (١: ١٧١). (ج)

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) في (ف): «فالهمزة».

(٥) في (ف): «وأما».

والنّسَبُ إلَيْهِ إذا سَمّيْتَ بِهِ: بُراوِيّ، والنّسَبُ إلى الآخَرَيْنِ بَرائِيّ، وبِرائِيّ[١].
وزَعَمَ بَعْضُهُمْ أنه مِن باب: فَرِيرٍ[٢]، وفُرارٍ، وعَرْقٍ وعُراقٍ، ولَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا.
وقالَ النّحّاسُ: لا يعرف البصريُّون بُراءُ بضَمِّ الباءِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٣] حَدِيثَ اسْتِسْقاءِ رَسُولِ الله ﷺ بِالمَدِينَةِ، وهُوَ حَدِيثٌ مَرْوِيٌّ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرةٍ، وبِألْفاظٍ مُخْتَلِفةٍ[٤].

وَقَوْلُهُ: «حَتّى أتاهُ أهْلُ الضّواحِي يَشْكُونَ الغَرَقَ». الضَّواحِي: جَمْعُ ضاحِيةٍ، وهِيَ الأرْضُ البَرازُ الّتِي لَيْسَ فيها ما يُكِنُّ مِنَ المَطَرِ، ولا مَنْجاةَ مِنَ السّيُولِ، وقِيلَ: ضاحِيةُ كُلِّ بَلَدٍ: خارِجُهُ.

وقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «اللهُمَّ حَوالَيْنا، ولا عَلَيْنا»، كَقَوْلِهِ في حَدِيثٍ آخَرَ: «اللهُمّ مَنابِتَ الشَّجَرِ، وبُطُونَ الأوْدِيةِ، وظُهُورَ الآكامِ»، فلَمْ يَقُلِ: اللهُمَّ ارْفَعْهُ عَنّا. وهُوَ مِنْ حُسْنِ الأدَبِ في الدّعاءِ؛ لِأنّها رَحْمةُ اللهِ، ونِعْمَتُهُ المَطْلُوبةُ مِنْهُ، فكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْهُ رَفْعُ نِعْمَتِهِ، وكَشْفُ رَحْمَتِهِ، وإنما يُسألُ ـ سُبْحانَهُ ـ كَشْفَ البَلاءِ، والمَزِيدَ مِنَ النَّعْماءِ؟ وفي هذا تَعْلِيمُ كَيْفيّةِ الِاسْتِصْحاء.

---

(١) بعده في (ف): «بالهمز».

(٢) الفَرير: ولد البقرة، وجمعُه: فُرار. والعَرْق: القطعة المتجمِّعة مِن اللحم، وجمعها: عُراق، وفُعال جمعٌ عزيزٌ. انظره في: «اللسان» (عرق).

(٣) انظر «السيرة» (٣: ٤٦). (ج)

(٤) أخرجه البخاري: أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، رقم (١٠١٤)، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧)، من حديث أنس رضي الله عنه. (ج)

وقالَ: «اللهمّ مَنابتَ الشّجَرِ»، ولَمْ يَقُلِ: اصْرِفْها إلى مَنابِتِ الشّجَرِ؛ لِأنّ الرّبَّ أعْلَمُ بِوَجْهِ اللُّطْفِ، وطَرِيقِ المَصْلَحةِ؛ كان ذلك بمطرٍ كثيرٍ، أوْ بِنَدًى وطَلٍّ، أوْ كَيْفَ شاءَ.

وكَذَلِكَ «بُطُونُ الأوْدِيةِ»، والقَدْرُ الّذي يُحْتاجُ إلَيْهِ مِنْ مائِها.

فَصْلٌ

فإنْ قِيلَ: كَيْفَ قالَ أبُو طالِبٍ: [من الطويل]

وَأبْيَضَ يُسْتَسْقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ

وَلَمْ يَرَه قَطُّ استَسْقى، وإنما كان استسقاؤه عَلَيْهِ السّلامُ بِالمَدِينةِ في سَفَرٍ، وفي حَضَرٍ، وفيها شُوهِدَ ما كانَ مِنْ سُرْعَةِ إجابةِ اللهِ لَهُ.

فالجَوابُ: أنّ أبا طالِبٍ قَدْ شاهَدَ مِنْ ذَلِكَ أيْضًا في حَياةِ عَبْدِ المُطّلِبِ ما دَلّهُ على ما قالَ.

رَوى أبُو سلْيمانَ حَمْدُ بنُ مُحَمّدِ بن إبْراهِيمَ البُسْتِيُّ النَّيسابُورِيُّ[1]، أنّ رُقَيْقة بِنْتَ أبِي صَيْفيّ بنِ هاشِمٍ قالَتْ: تَتابَعَتْ على قُرَيْشٍ سِنُو جَدْبٍ قَدْ أقْحَلَتِ[2] الظِّلْفَ، وأرقَّتِ[3] العَظْمَ، فبَيْنا أنا راقِدةٌ اللهُمَّ أوْ مُهَوِّمةٌ[4] ومَعِي صِنْوِي[5]، إذا أنا بِهاتِفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ صَحِلٍ[6] يَقُولُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّ هذا النبيَّ

---

(١) هو أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ). (ج)

(٢) أي: أيبست.

(٣) يُروى أيضًا: أدقّت العظم؛ أي: جعلته ضعيفًا من الجهد. انظر: «أسد الغابة» (٧: ١١٣).

(٤) في (أ)، (هـ)، (ف): «مهمومة». والتَّهْويم: النوم الخفيف.

(٥) الصِّنْو: الأخ الشقيق. «العين» (٧: ١٥٨). (ج)

(٦) الصَّحَلُ: حدة الصوت مع بَحَح. «لسان العرب» (صحل). (ج)

إلمبعوثَ منكم، هذا إبّانُ[١] نُجُومِهِ، فَحَيَّهَلًا[٢] بِالحَيا والخِصْبِ، ألا فانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طُوالًا عُظامًا[٣] أبْيَضَ بَضًّا، أشَمّ العِرْنِينِ، لَهُ فخْرٌ يَكْظِمُ[٤] عَلَيْهِ، ألا فلْيَخْلُصْ[٥] هُوَ ووَلَدُهُ، ولْيَدْلِفْ[٦] إلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، ألا فلْيَشُنُّوا[٧] مِنَ الماءِ، ولْيَمَسُّوا مِنَ الطِّيبِ، ولْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ سَبْعًا، ألا وفيهِمُ الطَّيبُ الطّاهِرُ لِداتُهُ[٨]، ألا فلْيَسْتَسقِ الرّجُلُ، ولْيُؤَمِّنِ القَوْمُ، ألا فغِثْتُمْ[٩] إذًا أبَدًا ما عِشْتُمْ وشِئْتُم.

قالَتْ: فأصْبَحْتُ مَذْعُورةً قَدْ قَفّ[١٠] جِلْدِي، ووَلِهَ[١١] عَقْلِي، فاقْتَصَصْتُ رؤيـاي، فَوالحُرمـةِ والحَـرَمِ إنْ بَقِيَ أبْطَحِيٌّ إلّا قالَ: هَذا شَيْبَةُ الحَمْـدِ، وتَتامّتْ[١٢] عِنْدَهُ قُرَيْشٌ، وانْقَضّ[١٣] إلَيْهِ النّاسُ مِنْ كُلّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَشَنُّوا،

---

(١) أي: وقت ظهوره.

(٢) حَيَّهَلا: كلمة تعجيل. والحيا: المطر.

(٣) العُظام: أبلغ مِن العظيم، وكذلك الجِسام أبلغ من الجَسِيم. والبضّ: الرقيق البَشْرة. والأوطَف: الطويل. والأشمُّ: المرتفع. والعِرْنين: ما صَلُب مِن عَظم الأنف، حيث يكون الشَّمَم، وهو ارتفاع قَصَبة الأنف في استواء.

(٤) أي: يُخفيه، ولا يفاخر به.

(٥) أي: ليتميّز من الناس وينفرد منهم.

(٦) أي: ليُقبل عليه، ويهبط إليه.

(٧) يُروى بالسِّين والشِّين؛ أي: فَلْيَصُبُّوا. والمراد الاغتسال.

(٨) في (أ)، (ج)، (هـ): «لذاته». واللِّدات: جمع لِدة، يقول الخطابي: «يريد مَوالده جعل المصدر اسمًا، ثم جَمَعه، يقال: وُلِد ولادةً ولِدةً».

(٩) أي: أتاكم الغوث والغيث. يقال: غِيثَتِ الأرضُ فهي مَغِيثة، أصابها المطر.

(١٠) أي: قَفَّ شعرُ جِلدي فَقامَ مِن الفزع.

(١١) الولَهُ: ذهاب العقل.

(١٢) أي: جاءوا كلهم.

(١٣) أي: هبطوا إليه.

ومَسُّوا، واسْتَلَمُوا، واطَّوَّفُوا، ثُمّ ارْتَقَوْا أبا قُبَيْسٍ، وطَفِقَ القَوْمُ يَدِفُّونَ[١] حَوْلَهُ، ما إنْ يُدْرِكْ سَعْيَهُمْ مَهَلَةٌ، حَتّى قَرّوا بِذِرْوَةِ الجَبَلِ، واسْتَكَفُّوا[٢] جَنابَيْهِ[٣]، فقامَ عَبْدُ المُطَّلِبِ، فاعْتَضَدَ[٤] ابنَ ابنِهِ مُحَمّدًا، فرَفَعَهُ على عاتِقِهِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ قَدْ أيْفَعَ، أوْ قَدْ كَرَبَ[٥]، ثُمّ قالَ: اللهمّ سادَّ الخَلّةِ[٦]، وكاشِفَ الكُرْبَةِ، أنْتَ عالِمٌ غَيْرُ مُعَلَّمٍ، ومَسْؤولٌ غَيْرُ مُبَخَّلٍ[٧]، وهذه عِبِدّاؤك[٨]، وإماؤك بِعَذِراتِ[٩] حَرَمِك يَشْكُونَ إلَيْك سَنَتَهُمْ، فاسْمَعَنَّ اللهمّ، وأمْطِرَنَّ عَلَيْنا غَيْثًا مَرِيعًا[١٠] مُغْدِقًا، فما رامُوا[١١] البَيْتَ، حَتّى انْفَجَرَتِ[١٢] السّماءُ بِمائِها، وكَظَّ[١٣] الوادِي بِثَجِيجِهِ.

---

(١) الدَّفيف: العَدْوُ، والسَّير اللَّيِّن، ودفَّ الماشي: خفَّ على وجه الأرض. والمَهْلُ ـ بالسكون وبالتحريك ـ: السكينة والتُّؤَدة والرِّفق.

(٢) أي: التفُّوا.

(٣) كذا في (أ)، وفي (هـ): «جانبه»، وفي غيرهما: «جَنابتيه». وجَنابَيْه: حَوالَيْه، أي: التفُّوا حواليهِ.

(٤) أي: احتضنهُ.

(٥) أي: قرُب. وأيفَع الغلام فهو يافِعٌ: ارتفع، ولم يبلُغ.

(٦) أي: الحاجة.

(٧) بَخّله: رماه بالبخل، ونسبه إليه.

(٨) العِبِدّاء ـ ممدود ويُقصَر ـ: من أسماء الجمع، أراد: عبادك.

(٩) العَذِرات: الأفنِية، جمع عَذِرة، وهو الفِناء.

(١٠) كذا في النُّسخ: «مَرِيعًا» بالياء، وفي «غريب الخطابي»: «مُربعًا»، أي: مُنبتًا للربيع. والمُغدِق: المُرْوي، أي: كثيرٌ عَذْب.

(١١) (ب)، (ج)، (ف): «والبيت». بزيادة الواو، ورام يَريم: بَرِحَ. وأكثر ما يُستعمل هذا الفعل في النفي.

(١٢) في (أ) و«أسد الغابة»: «تفجرت». والمعنى واحد.

(١٣) كظَّ الوادي بالماء: ضاق مِن كثرته. والثَّجيج: الماء المنصب بكثر. وكَظَّ بثَجِيجِهِ: امتلأ بِسَيْلِه.

رَواهُ أَبُـو سُلَيْمـانَ عَنِ ابنِ الأعْـرابِيِّ[١]، قالَ: حَدَّثَنـا حُمَيـدُ[٢] بنُ عَلِيِّ بنِ البَخْتَرِيِّ، حدثنا يَعْقُوبُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عِيسى بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ حُمَيْدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عوفٍ، حدثنا عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عِمْرانَ، عَنِ ابنِ حُوَيِّصةَ، قالَ تحَدَّثَ مَخْرَمةُ بنُ نوفلٍ[٣] عَنْ أُمِّهِ رُقَيْقةَ بِنْتِ أَبِي صَيْفيٍّ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ.

ورَواهُ بِإسْنادٍ آخَرَ إلى رُقَيْقةَ، وفيهِ: «ألا فانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا وسِيطًا عُظامًا جُسامًا[٤]، أَوْطَفَ الأَهْدابِ، وأنّ عَبْدَ المُطّلِبِ قامَ ومَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أيْفَعَ أو كَرَب»، وذكَرَ القِصّةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ هِشامٍ كُلَّ مَنْ سَمّاهُ أبُو طالِبٍ في قَصِيدَتِهِ، أَوْ أشارَ إلَيْهِ، وعَرّفَ بِهِمْ تَعْرِيفًا مُسْتَغْنِيًا عن المزيد.

وذَكَرَ[٥] قَصِيدةَ أَبِي قَيْسٍ صَيْفيِّ بنِ الأسْلَتِ، واسْمُ الأسْلَتِ: عامِرٌ، والأسْلَتُ: هُوَ الشّدِيدُ الفَطَسُ، يُقالُ: سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ.

ومِنَ السّلْتِ حَدِيثُ بِشْرِ بنِ عاصِمٍ حِينَ أرادَ عُمَرُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ، فلَمّا

---

(١) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٤٣٥-٤٣٧)، و«أسد الغابة» (٧: ١١١-١١٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ١٥) وما بعدها، و«سبل الهدى والرشاد» للصالحي: (٢: ١٧٨-١٧٩).

(٢) في (د): «محمد»، وفي (أ)، (ب)، (هـ)، (ف): «حمد»، والمثبت عن (ج)، والخطابي، و«دلائل النبوة» للبيهقي.

(٣) في (ف): «نفيل».

(٤) في (ف): «جسيمًا».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٤٨). (ج)

كَتَبَ لَهُ عَهْدَهُ أبى أَنْ يَقْبَلَهُ، وقالَ: لا حاجةَ لِي بِهِ؛ إنّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ[١]: «إنّ الوُلاةَ يُجاءُ بِهِمْ يَوْمَ القِيامةِ، فيَقِفُونَ على جِسْرِ جَهَنّمَ، فمَنْ كانَ مُطاوِعًا[٢] لِله تَناوَلَهُ اللهُ بيَمِينِهِ حَتّى يُنْجِيَهُ، ومَنْ كانَ عاصِيًا لله انْخَرَقَ بِهِ الجِسْرُ إلى وادٍ مِنْ نارٍ يلْتَهِبُ[٣] التِهابًا». قالَ: فأرْسَلَ عُمَرُ إلى أَبِي ذَرٍّ، وإلى سَلْمانَ، فقالَ لِأَبِي ذَرّ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: نَعَمْ واللهِ، وبَعْدَ الوادِي وادٍ آخَرُ مِنْ نارٍ. قالَ: وسَأَلَ سَلْمانَ، فكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِشَيْءٍ، فقالَ عُمَرُ: مَنْ يَأْخُذُها بِما فيها؟ فقالَ أَبُو ذَرٍّ: «مَنْ سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ وعَيْنَيْهِ، وأَضْرَعَ[٤] خَدَّهُ إلى الأَرْضِ». ذَكَرَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ[٥].

وَأَوّلُها: [من الكامل]

يا راكِبًا إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ[٦]

...البَيْتَ.

المُغَلْغَلَةُ: الدّاخِلةُ إلى أقْصى ما يُرادُ بُلُوغُهُ مِنْها، ومِنْهُ تَغَلْغَلَ في البِلادِ: إذا بالَغَ في الدُّخُولِ فيها، وأَصْلُهُ: تَغَلّلَ ومُغَلّلةٌ، ولَكِنْ قَلَبُوا إحْدى اللّامَيْنِ غَيْنًا، كَما فعَلُوا في كَثِيرٍ مِنَ المُضاعَفِ، وأَصْلُهُ مِنَ الغَلَلِ والغِلالةِ، فأمّا الغَلَلُ: فما يَسْتُرُ[٧] النّباتُ والشّجَرُ، وأمّا الغِلالةُ فساتِرةٌ لِما تَحْتَها.

---

(١) ليس في (ب).
(٢) في «مصنف ابن أبي شيبة»: مِطْواعًا، ويقال: طاوعَهُ وأطاعه، بمعنًى.
(٣) في (ف): «يتلهب».
(٤) أي: أذلّه.
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢: ٢١٧).
(٦) في (ف): «فبلغا».
(٧) في (ف): «يستره».

وفيها: «نُبَيِّتُكُم شَرْجَيْنِ»؛ أيْ: فرِيقَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، و«نُبَيِّتُكُم» لَفْظٌ مُشْكِلٌ[١]، وَفي حاشِيةِ الشَّيْخِ: «نُبَيّتُكُمْ»، وهُوَ بَيِّنٌ في المَعْنى، وفيهِ زِحافُ خَرْمٍ، ولَكِنْ لا يُعابُ المَعْنى بِذَلِكَ، وأمّا لَفْظُ التّبييتِ في هَذا البَيْتِ، فبَعِيدٌ مِنْ مَعْناهُ، والأزْمَلُ: الصَّوْتُ، والمُذَكّي: الّذِي يُوقِدُ النّارَ، والحاطِبُ: الّذِي يَحْطِبُ لَها، ضُرِبَ هَذا مَثَلًا لِنارِ الحَرْبِ، كَما قال الآخَرُ[٢]: [من الوافر]

أرى خَلَلَ الرّمادِ ومِيضَ جَمْرٍ ويُوشِكُ أنْ يَكُونَ لَها ضِرامُ
فَإنّ النّارَ بِالعُودَيْنِ تُذْكى وإنّ الحربَ أوّلُها الكلامُ

وقوله: [من الطويل]

هي الغُولُ لِلأدْنَينَ[٣] ....

أيْ: هِيَ الهَلاكُ، يُقالُ: الغَضَبُ: غُولُ الحِلْمِ؛ أيْ: يُهْلِكُهُ، والغَوْلُ بفَتْحِ الغَيْنِ: وجَعُ البَطْنِ، قالَهُ البُخارِيّ[٤] في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عز وجل: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧].

وقوله: [من الطويل]

وإحلالِ إحرامِ الظِّباءِ الشّوازِبِ

أيْ: إنّ بَلَدَكُمْ بَلَدٌ حَرامٌ تَأْمَنُ فيهِ الظِّباءُ الشّوازِبُ؛ أي: الّتِي تَأْتِي[٥] مِنْ بُعدٍ لتأمَنَ فيه، فهي شازِبةٌ؛ أيْ: ضامِرةٌ مِنْ بُعْدِ المَسافةِ، ....

---

(١) في (ف): «مشكك».

(٢) هو نصر بن سيار. انظر: «البيان والتبيين» (١: ١٥٨).

(٣) كذا في النسخ، وكتب فوقه في (د): «للأقصين»، وهو لفظ «السيرة».

(٤) «فتح الباري» (٨: ٥٤٢).

(٥) في (ف): «تأتيه».

وإذا(١) لَمْ تَحِلُّوا بِالظِّباءِ فيهِ، فأحْرى ألّا تَحِلُّوا بِدِمائِكُمْ. وإحْرامُ الظِّباءِ: كَوْنُها في الحَرَمِ، يُقالُ لِمَنْ دَخَلَ في الشَّهْرِ الحَرامِ، أوْ في البَلَدِ الحَرامِ: مُحْرِمٌ.

والأتْحَمِيَّةُ: ثِيابٌ رِقاقٌ تُصْنَعُ باليَمَنِ. والشَّلِيلُ: دِرْعٌ قَصِيرةٌ، والأصْداءُ: جَمْعُ صَدَأ الحَدِيدِ. والقَتِيرُ: حَلَقُ الدِّرْعِ، شَبَّهَها بِعُيُونِ الجَرادِ. وأخَذَ هَذا المَعْنى التَّنُوخِيُّ(٢) فقالَ: [من الوافر]

كَأثْوابِ الأراقِمِ مَزَّقَتْها ... فخاطَتْها بِأعْيُنِها الجَرادُ

وَقَوْلُهُ في وصْفِ الحَرْبِ: [من الطويل]

تَزَيّنُ لِلْأقْوامِ ثُمّ يَرَوْنَها ... بِعاقِبَةٍ إذْ بَيّنتْ أُمَّ صاحِبِ

هُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بنِ مَعْدِيكَرِبَ(٣): [من الكامل]

الحَرْبُ أوّلُ ما تكُونُ فُتَيّةً ... تَسْعى بِزِينَتِها لِكُلّ جَهُولِ

حَتّى إذا اشْتَعَلَتْ وشَبَّ ضِرامُها ... ولَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذاتِ حلِيلِ(٤)

شَمْطاءَ جزّتْ رأسَها فتنكَّرتْ ... مكروهةً للشّمِّ والتّقبيلِ

---

(١) في (أ): «وإنْ».

(٢) هو أبو العلاء المعري، وتنوخ: بفتح التاء المنقوطة من فوقها باثنتين، وضم النون المخففة، وفي آخرها الخاء المعجمة، هذه النسبة إلى تنوخ، وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديمًا بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر، وأقاموا هناك فسُمّوا: تنوخًا، وجماعة منهم نزلت معرة النعمان. «الأنساب» للسمعاني: (٣: ٩١). والبيت في «شروح سقط الزند» (١: ٣٠٥). (ج)

(٣) الأبيات في «الشعر والشعراء» (ص: ٣٧٣)، ونسبَها البخاري إلى امرئ القيس، ويقول ابن حجر: «والمحفوظ أن الأبيات المذكورة لعَمرو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزَّبيدي». وأحال على «الكامل» للمُبَرِّد وغيره، ولم أجدها في «الكامل».

(٤) في (ج): «خليل»، ومثله في «الشعر والشعراء». وقد ذكر ابن حجر الوجهين.

فَقَوْلُهُ: «أُمَّ صاحِبٍ»؛ أيْ: عَجُوزًا كَأُمِّ صاحِبٍ لَك؛ إذْ لا يَصْحَبُ الرّجُلَ إلّا رَجُلٌ في سِنِّه، وفي «جامِعِ البُخارِيّ»: «كانُوا إذا وقَعَتِ الفتنةُ يَأْمُرُونَ بِحِفْظِ هَذِهِ الأَبْياتِ»[١]، يَعْنِي: أَبْياتَ عَمْرٍو المُتَقَدِّمةَ.

وقَوْلُهُ: [من الطويل]

أَلَمْ تَعْلَمُوا ما كانَ في حَرْبِ داحِسٍ؟

نذكرُ مَعْنى «داحِسٍ» إذا ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ بَعْدَ هَذِهِ القَصِيدةِ إنْ شاءَ اللهُ.

وَقَوْلُهُ [فيها][٢]: [من الطويل]

ولِيُّ امرئٍ فاختارَ دِينًا فإنّما

أي: هو وليُّ امرئٍ اخْتارَ دِينًا، والفاءُ زائِدةٌ على أصْلِ[٣] أبِي الحَسَنِ [الأخفش][٤]، فإنه قالَ في قَوْلِهِمْ: زَيْدٌ[٥] فاضْرِبْ[٦]: الفاءُ مُعَلَّقةٌ؛ أيْ: زائِدةٌ. ومَنْ لا يَقُولُ بِهَذا القَوْلِ يَجْعَلُ الفاءَ عاطِفةً على فِعْلٍ مُضْمَرٍ، كأنه قال: وليُّ امرئٍ تَدَيَّنَ فاخْتارَ دِينًا، أوْ نَحْوَ هَذا.

وقَدْ تَقَدّمَ شَرْحُ باقِي القَصِيدةِ في آخِرِ قِصّةِ الحَبَشةِ.

وَقالَ فيها: «كَرِيمِ المَضارِبِ»، وفي حاشِيةِ [كِتابِ][٧] الشَّيْخِ: لَعَلّهُ «الضّرائِبِ»،

(١) في «فتح الباري»، كتاب الفتن: (١٣: ٤٧-٤٩).

(٢) ليس في (أ).

(٣) في (ف): «مذهب».

(٤) عن (د) وحدها.

(٥) في (ف): «زيدًا» وهو الوجه. (ج)

(٦) انظر: «مغني اللبيب» (١: ١٧٩) في زيادة الفاء، و«البحر المحيط» (٨: ٣٧١).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

يُرِيدُ: جَمْعَ ضَرِيبةٍ، ولا يَبْعُدُ أيْضًا أنْ يَكُونَ قالَ[١]: المَضارِب. يُرِيدُ أنّ مَضارِبَ سُيُوفِهِ غَيْرُ مَذْمُومةٍ، ولا راجِعةٍ عَلَيْهِ إلّا بِالثَّناءِ والحَمْدِ، والوَصْفِ بِالمَكارِمِ.

وَفيها قَوْلُهُ: «وماءٍ هُرِيقَ في الضَّلالِ». ويُرْوى: في الصِّلالِ جَمْعُ صَلّةٍ، وهِيَ الأرْضُ الّتِي [لا][٢] تُمْسِكُ الماءَ؛ أيْ: رُبَّ ماءٍ هُرِيقَ في الصِّلالِ مِنْ أجْلِ السَّرابِ[٣]؛ لِأنّهُ لا يُهَرِيقُ[٤] ماءً مِنْ أجْلِ السَّرابِ إلّا ضالٌّ غيرُ مُمَيِّز بمواضِع الماءِ.

وأذاعَتْ بِهِ، أيْ: بَدّدَتْهُ، فلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، وهَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلنّظَرِ في عَواقِبِ الأُمُورِ.

ويُرْوى: وما أُهَرِيقَ في أمْرِ [الضَّلالِ، ومَعْناهُ: والّذِي أُهَرِيقَ في أمْرِ][٥] الضّلالِ، فوَصَلَ ألِفَ القَطْعِ ضَرُورةً. ويُقالُ: أُرِيقَ الماءُ وهُرِيقَ وأُهَرِيقَ بِالجَمْعِ بَيْنَ الهَمْزةِ والهاءِ، وهِيَ أقَلُّها، ولِتَعْلِيلِها مَوْضِعٌ[٦] غَيْرُ هَذا.

وَقَوْلُهُ فيها: «بَيْنَ سافٍ وحاصِبٍ»: السّافي: الّذِي يَرْمِي بِالتُّرابِ، والحاصِبُ: الّذِي يَقْذِفُ بِالحَصْباءِ[٧].

وَفيها ذِكْرُ الجَباجِبِ، وهِيَ مَنازِلُ مِنًى، كَذا قالَ[٨] ابنُ إسْحاقَ، وقالَ

---

(١) مكانه في (أ): «يقال».
(٢) سقط من (أ).
(٣) في (أ): «الشراب» بالشين المعجمة، وهو تحريف.
(٤) في (د): «لا يُهرِيق في الأرض ماءً»، وفي (ج): «لا يُهرِيق ماءً في الأرض...».
(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب). وكلمة «الضلال» وحدها ساقطة من (أ)، (هـ).
(٦) بعده في (ف): «آخر».
(٧) في (أ): «الحصى». والحصى والحصباء: صغار الحجارة.
(٨) في (أ)، (هـ): «كذا ذكر».

البَرْقِيُّ: هِيَ حُفَرٌ بِمِنًى، يُجْمَعُ فيها دَمُ البُدْنِ والهَدايا، والعَرَبُ تُعَظِّمُها وتَفْخَرُ بها. وقِيلَ: الجَباجِبُ: الكُرُوشُ. يُقالُ لِلْكَرِشِ: جَبْجَبةٌ ـ بِفَتْحِ الجِيمِ ـ والّذِي تَقَدّمَ واحِدُهُ: جُبْجُبةٌ بِالضّمّ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[1] حَدِيثَ حَرْبِ داحِسٍ مُخْتَصَرًا، وداحِسٌ: اسْمُ فرَسٍ كانَ لِقَيْسِ بنِ زُهَيْرٍ[2]، ومَعْنى داحِسٍ: مَدْحُوسٌ؛ كَما قِيلَ: ماءٌ دافِقٌ؛ أيْ: مَدْفُوقٌ، والدَّحْسُ: إدْخالُ اليَدِ بِقُوّةٍ في ضَيِّقٍ، كَما رُوِيَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرّ بِغُلامٍ يَسْلُخُ شاةً، فأمَرَهُ أنْ يتنحّى ليُرِيَه، ثم دَحَس عَلَيْهِ السّلامُ بِيَدِهِ بَيْنَ الجِلْدِ واللّحْمِ، حَتّى بَلَغَ الإبْطَ، ثُمّ صَلّى ولَمْ يَتَوَضّأْ[3].

فَداحِسٌ سُمِّيَ بِهَذا الِاسْمِ؛ لِأنّ أُمّهُ كانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ثُمّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ اسْمُهُ: قِرْواشُ[4] بنُ عَوْفٍ، وكانَ اسْمُ الفَرَسِ: جَلْوى، وكانَ ذُو العُقّالِ فرَسًا عَتِيقًا لِحَوْطِ بنِ جابِرٍ[5]، فخَرَجَتْ بِهِ فتاتانِ [لَهُ][6] لِتَسْقِياهُ، فبَصُرَ بِجَلْوى، فأدْلى حِينَ رَآها، فضَحِكَ[7] غِلْمةٌ [كانُوا][8] هُنالِكَ، فاسْتَحْيَتِ الفَتاتانِ، ونَكَّسا رؤُوسَهما، فأفْلَتَ ذُو العُقّالِ حَتّى نَزا على جَلْوى، وقِيلَ ذَلِكَ

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٥٠). (ج)

(٢) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٢٥١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة: (١ : ٤٧).

(٤) انظر: «أنساب الخيل» لابن الكلبي: (ص: ٢٤)، و«الأغاني» (١٨ : ٦٤٧٩).

(٥) في «الأغاني»: «بن أبي جابر».

(٦) ليس في (ب).

(٧) في (ف): «فضحكت».

(٨) ليس في (أ).

لِحَوْطٍ فأَقْبَلَ مُغْضَبًا وهُوَ يَسْعى حَتّى ضَرَبَ بِيَدِهِ في التُّرابِ، ثُمّ دَحَسَها في رَحِمِ الفَرَسِ، فسَطا[١] عَلَيْها، فأَخْرَجَ ماءَ الفَحْلِ منها، واشْتَمَلَتِ الرَّحِمُ على بَقِيّةِ الماءِ، فحَمَلَتْ[٢] بِمُهْرٍ فسَمَّوْهُ: داحِسًا، مِن أجل الدَّحْسِ، وأَظْهَرُ ما فيهِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ: لابِنٍ، وتامِرٍ[٣]، وأَلّا يَكُونَ فاعِلًا بِمَعْنى مَفْعُولٍ، فهُوَ داحِسُ بنُ ذِي العُقّالِ بنِ أَعْوَجَ الّذي تُنْسَبُ إِلَيْهِ الخَيْلُ الأَعْوَجِيّةُ في قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وقَدْ تَقَدَّمَ غَيْرُ هَذا القَوْلِ. ابنُ سَبَلٍ، وكانَ لِغَنِيّ بن يَعْصُرَ، وفيه يُقال[٤]: [من الرجز]

إنّ الجَوادَ بنَ الجَوادِ بنِ سَبَلْ ... إنْ ديَّموا جادَ وإنْ جادُوا وبَلْ

وفي ذِي العُقّالِ يَقُولُ جَرِيرٌ: [من الكامل]

تُمْسِي جِيادُ الخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنا ... مِـنْ آلِ أَعْوَجَ أَوْ لِذِي العُقّالِ

وَأَنْشَدَ: [من الكامل]

أَفَبَعْـدَ مَقْتَلِ مالِكِ بْـنِ زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النّساءُ عَواقِبَ الأَطْهارِ؟!

وفيهِ إِقْواءٌ[٥]، وهُوَ حَذْفُ حرفٍ، وهو نِصْفُ سَبَبٍ مِنَ القسيم الأوّلِ، وقَدْ

---

(١) يُقال: سَطا الراعي على الناقة والفرس سَطْوًا وسُطُوًّا: أدخل يدَهُ في رَحِمها، فاستخرج منها ماء الفَحل.

(٢) في (ف): «وحملت».

(٣) أي: إن اسم الفاعل يُفيد النِّسبة، بمعنى: أنه صاحب شيء وإن لم يعالجهُ، فلابِنٌ وتامِرٌ بمعنى أنه صاحب لَبَن وتَمْر، لا أنه أحدث شيئًا مِن ذلك، وقد يكون المفيد للنسبة دالًّا على صنعته، نحو: لبّان وتمار. انظر: «الكتاب» (٣: ٣٨٢).

(٤) انظر: «أنساب الخيل» لابن الكلبي: (ص: ٤٢-٤٣)، و«تاج العروس» (سبل).

(٥) وهو ما يسمِّيه العروضيُّون: إقعاء، وهو اختلاف العَروض مِن بحر الكامل، ويَرَوْنه مَعِيبًا، وإن كان وقع لبعض فُحول الشعراء. انظر: «العيون الغامزة شرح الرامزة» للدماميني: (ص: ٢٧٣-٢٧٤).

تكَلّمْنا على مَعْنى الإقْواءِ قَبْلُ، وأمّا اخْتِلافُ القَوافي فيُسَمّى: إكفاءً وإقْواءً أيْضًا؛ لِأنّهُ مِنَ الكُفْءِ، فكَأنّهُ جَعَلَ الرّفْعَ كُفْءًا لِلْخَفْضِ، فسَوّى بَيْنَهُما. وفيها قوله:

تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأطْهارِ

كَقَوْلِ الأخْطَلِ[1]: [من البسيط]

قَوْمٌ إذا حارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّساءِ ولَوْ باتَتْ بِأطْهارِ

فَيُقالُ: إنّ حَرْبَ داحِسٍ دامَتْ ثمان عشْرةَ سَنةً، لَمْ تَحْمِلْ فيها أُنْثى؛ لِأنّهُمْ كانُوا لا يَقْرَبُونَ النِّساءَ ما دامُوا مُحارِبِينَ.

وذَكَرَ الأصْبَهانِيُّ أنّ حَرْبَ داحِسٍ كانَتْ بَعْدَ يَوْمِ جَبَلَةَ بِأرْبَعِينَ سَنةً. وقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُ يَوْمِ جَبَلَةَ[2]، وأنّ رَسُولَ الله ﷺ وُلِدَ في تِلْكَ الأيّامِ، وقالَ لَبِيدٌ[3]: [من الكامل]

وغَنِيتُ حَرْسًا قَبْلَ مَجْرى داحِسٍ لَوْ كانَ لِلنّفْسِ اللّجُوجِ خُلُودُ

وَكانَ لَبِيدٌ في حَرْبِ جَبَلَةَ ابنَ عَشْرِ سِنِينَ، وقَوْلُهُ: «حَرْسًا»؛ أيْ: وقْتًا مِنَ الدّهْرِ، ويُرْوى سَبْتًا[4]، والمَعْنى واحِدٌ، وكانَ إجْراءُ داحِسٍ والغَبْراءِ على ذاتِ الإصادِ ـ مَوْضِعٍ في بِلادِ فَزارةَ[5] ـ وكانَ آخِرُ أيّامِ حَرْبِ داحِسٍ[6] بِقَلَهى[7]

---

(١) «ديوانه» (ص: ١٣٠). (ج)

(٢) انظر: (٢: ٢٥٤).

(٣) «ديوانه» (ص: ٣٥). (ج)

(٤) في (أ)، (ب): «سنينًا من الدهر».

(٥) انظر: «معجم البلدان»: الإصاد.

(٦) في (أ): «داحس والغبراء».

(٧) كذا ضبط في «كتاب سيبويه» بفتحات (٤: ٢٥٦)، و«معجم البلدان»: قلهى. وذكر ياقوت =

مِنْ أَرْضِ قَيْسٍ، وهُناكَ اصْطَلَحَتْ عَبْسٌ ومَنُولةُ[١] ـ وهِيَ أُمُّ بَنِي فزارة: شَمْخٍ وعَدِيّ ومازِنٍ ـ فيُقالُ لِهَذا المَوْضِعِ: قَلَهى، وأمّا قَلَهيّا[٢] فمَوْضِعٌ بِالحِجازِ، وفيهِ اعْتَزَلَ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ حِينَ قُتِلَ عُثْمانُ، وأمَرَ ألّا يُحدَّثَ بشيء من أخبار النّاسِ، وألّا يَسْمَعَ مِنْها شَيْئًا حَتّى يَصْطَلِحُوا.

ويُقالُ: إنّ الحَنْفاءَ[٣] كانَتْ فرَسَ حُذَيْفةَ، وأنّها أُجْرِيَتْ مَعَ الغَبْراءِ ذَلِكَ اليَوْمَ، قالَ الشّاعِرُ: [من الطويل]

إذا كانَ غَيْرُ الله لِلْمَرْءِ عُدّةً ... أتَتْهُ الرّزايا مِنْ وُجُوهِ الفَوائِدِ
فَقَدْ جَرَّتِ الحَنْفاءُ حَتْفَ[٤] حُذَيْفةٍ ... وكانَ يَراها عُدّةً لِلشّدائِدِ

وَأمّا حَرْبُ حاطِبٍ التي ذَكَرَها، فهِيَ حَرْبٌ كانَتْ على يدي حاطِبِ[٥] ابنِ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ هَيْشةَ بنِ الأوْسِ، فنُسِبَتْ إلَيْهِ، وكانَتْ بينَ الأوسِ والخَزْرجِ[٦].

فَصْلٌ
فيما لَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَوْمِهِ

ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ، والواقِدِيُّ، والتّيْمِيُّ، وابنُ عُقْبةَ وغَيْرُهُمْ في هَذا البابِ

= أنّ من اللغويين من ضبطه بسكون اللام.

(١) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٢٥٥)، و«المعارف» لابن قتيبة: (ص: ٨٣).

(٢) انظر: «الكتاب» (٤: ٢٦٥).

(٣) في (هـ): «الخيفاء». وانظر: «اللسان» (حنف).

(٤) في (أ): «قتل».

(٥) في «جمهرة الكلبي» (ص: ٦٢٦)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٣٥): «حاطب بن قيس».

(٦) بعده في (ف): «مقاتلة ثانية».

أُمُورًا كَثِيرةً تَتقارَبُ أَلْفاظُها ومَعانِيها، وبَعْضُهُمْ يَزِيدُ على بَعْضٍ، فمِنْها حَثْوُ سُفَهائِهِم التُّرابَ على رَأْسِهِ، ومِنْها أَنَّهُمْ كانُوا يَنْضِدُونَ[١] الفَرْثَ، والأَفْحاثَ[٢]، والدِّماءَ على بابِهِ، ويَطْرَحُونَ رَحِمَ الشّاةِ في بُرْمَتِهِ، ومِنْها: بَصْقُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ في وجْهِهِ، ومِنْها: وطْءُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ على رَقَبَتِهِ وهُوَ ساجِدٌ عِنْدَ الكَعْبَةِ حَتّى كادَتْ عَيْناهُ تَبْرُزانِ، ومِنْها أَخْذُهُمْ بمُخَنَّقِهِ حِينَ اجْتَمَعُوا لَهُ عِنْدَ الحِجْرِ، وقَدْ ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ.

وزادَ غَيْرُهُ في الخَبَرِ أَنّهُمْ خَنَقُوهُ خَنْقًا شَدِيدًا، وقامَ أَبُو بَكْرٍ دونه فجبذُوا رَأْسَهُ ولِحْيَتَهُ حَتّى سَقَطَ أَكْثَرُ شَعْرِهِ.

وأَمّا السَّبُّ، والهَجْوُ، والتّلْقِيبُ، وتَعْذِيبُ أَصْحابِهِ وأَحِبّائِهِ[٣] وهُوَ يَنْظُرُ، فقَدْ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ ابنُ إسْحاقَ ما في الكِتابِ، وقَدْ قالَ أَبُو جَهْلٍ لِسُمَيّةَ أُمِّ عَمّارِ ابنِ ياسِرٍ: ما آمَنْتِ بِمُحَمّدٍ إلّا لِأَنّك عَشِقْتِه[٤] لِجمالِهِ، ثُمّ طَعَنَها[٥] بِالحَرْبةِ في قُبُلِها حَتّى قَتَلَها، والأَخْبارُ في هَذا المَعْنى كَثِيرةٌ.

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: «دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي»، فأَنْزَلَ الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١-٢].

قالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ في تَسْمِيَتِهِ إِيّاهُ بِالمُدَّثِّرِ: في هَذا المَقامِ مُلاطَفَةٌ

---

(١) أي: يجعلون بعضه فوق بعض.

(٢) في (أ): «والأقحاف، والأفحاث: جمع فِحْثٍ، وهي الكَرِش، أو هَفة ـ أي: شيء ـ أسفل الكَرِش إلى جَنبها، لا يخرج منها الفَرْث أبدًا، يكون للإبل والشاة والبقر. ويُقال لهذه الهَفة: القِبةُ. وفي الفِحْث لغات منها: حِفْث، وحِثْف».

(٣) في (أ)، (هـ): «وأحبابه». وأحباب: جمع حِبٍّ، وهو المُحِبُّ والمحبوب.

(٤) ما عدا (ج)، (د): «عَشِقْتيه». وهي لغة قليلة نبَّه عليها سيبويه: (٤: ٢٠٠).

(٥) في (أ): «وطعنها».

وتَأْنِيسٌ، ومِنْ عادةِ العَرَبِ إذا قَصَدَتِ المُلاطَفةَ أنْ تُسَمِّيَ المُخاطَبَ باسْمٍ مُشْتَقٍّ مِنَ الحالةِ الّتِي هُوَ فيها؛ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ لِحُذَيْفةَ: «قُمْ يا نَوْمانُ»[١]، وقَوْلِهِ لِعَلِيّ بنِ أبِي طالِبٍ وقَدْ تَرِبَ جَنْبُهُ[٢]: «قُمْ أبا تُرابٍ»[٣]. فلَوْ ناداهُ سُبْحانَهُ وهُوَ في تِلْكَ الحالِ[٤] مِنَ الكَرْبِ باسْمِهِ، أوْ بالأمْرِ المُجَرَّدِ مِنْ هَذِهِ المُلاطَفةِ لهالَهُ ذلك، ولكن لما بدأ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أنِسَ، وعَلِمَ أنّ رَبَّهُ راضٍ عنه، ألا تراهُ كيف قالَ عندما لقيَ من أهل الطّائفِ مِن شدّةِ البلاء والكَرْبِ ما لَقِيَ: «رَبِّ، إنْ لَمْ يَكُنْ بك غَضَبٌ عَلَيَّ فلا أُبالِي» إلى آخِرِ الدُّعاءِ[٥]؟ فكانَ مَطْلُوبُهُ رِضا رَبِّهِ، وبِهِ كانَتْ تَهُونُ عَلَيْهِ الشّدائِدُ.

فإنْ قِيلَ: كَيْفَ يَنْتَظِمُ[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾؟ وما الرّابِطُ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ، حَتّى يَلْتَئِما في قانون البلاغة، ويَتَشاكَلا في حُكْمِ الفَصاحةِ؟

قُلْنا: مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ السّلامُ ما وصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حِينَ قالَ: «أنا النّذِيرُ العُرْيانُ»[٧]، وهُوَ مَثَلٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ العربِ، يُقالُ لمَنْ أنذرَ بقُربِ العَدُوِّ، وبالَغَ في الإنْذارِ: هُوَ النّذِيرُ العُرْيانُ، وذَلِكَ أنّ النّذِيرَ الجادَّ يُجَرِّدُ ثَوْبَهُ، ويُشِيرُ بِهِ إذا خافَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد: (٣: ١٤١٥).

(٢) فوقه في (د): «وجهه».

(٣) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، «فتح الباري» (٧٠)، ومسلم: (٤: ١٨٧٤-١٨٧٥).

(٤) في (ف): «الحالة».

(٥) أخرجه الطبراني. انظر: «مجمع الزوائد» (٦: ٣٥). وسيأتي الحديث بكماله في خروج النبي ﷺ إلى الطائف.

(٦) بعده في (ف): «قوله».

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، «فتح الباري» (١٣: ٢٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل: (٤: ١٧٨٨).

أَنْ يَسْبِقَ العَدُوُّ صَوْتَهُ، وقَدْ قِيلَ: إنّ أَصْلَ المَثَلِ[١] لِرَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ سَلَبَهُ العَدُوُّ ثَوْبَهُ، وقَطَعُوا يَدَهُ، فانْطَلَقَ إلى قَوْمِهِ نَذِيرًا على تِلْكَ الحالِ، فقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «أنا النّذِيرُ العُرْيانُ»؛ [أيْ][٢]: مَثَلِي مَثَلُ ذَلِكَ. والتّدَثّرُ[٣] بِالثّيابِ مُضادٌّ لِلتّعَرِّي، فكانَ في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ـ والنّذِيرُ الجادُّ يُسَمّى: العُرْيانَ ـ تَشاكُلٌ بَيِّنٌ، والتِئامٌ بَدِيعٌ، وسَمانَةٌ في المَعْنى، وجَزالَةٌ في اللّفْظِ.

وَقَوْلُهُ بَعْدَ هَذا: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر: ٣]؛ أيْ: رَبَّك كَبِّرْ[٤]، لا غَيْرَهُ؛ أي: لا يَكْبُرُ عَلَيْك شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الخَلْقِ.

وفي تَقْدِيمِ المَفْعُولِ على فِعْلِ الأمْرِ إخْلاصٌ[٥]، ومِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ أيْ: لا نَعْبُدُ غيْرَك، ولَمْ يَقُلْ: نَعْبُدُك ونَسْتَعِينُك.

وفي الحَدِيثِ: «إذا قالَ العَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، يَقُولُ الله: أَخْلَصَ لِي عَبْدِي العِبادَةَ، واستعانَنِي عليها، فهذه بَيني وبينَ عبدي»[٦].

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٧] قَوْلَ عُتْبَةَ: «إنْ كان هذا رَئِيًّا تَراهُ». ولُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ: رِئِيّ بِكَسْرِ الرّاءِ، وكَذَلِكَ يَقُولُونَ في كلِّ فَعيلٍ عينُ الفعلِ فيه هَمْزَةٌ أَوْ غَيْرُها مِنْ حُرُوفِ

(١) في (ف): «هذا المثل».

(٢) ليس في (أ).

(٣) ما عدا (د): «والنذير».

(٤) في (أ)، (هـ): «فكبر».

(٥) في حاشية (أ): «اختصاص».

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة: (١: ٢٩٦)، وانظر: تحقيقي لـ«تفسير ابن كثير» (١: ١٣٤).

(٧) انظر «السيرة» (٣: ٥٨). (ج)

الحَلْقِ، يَكْسِرُونَ أوّلَهُ، مِثْلُ: رَحِيمٍ وشَهِيدٍ[1]. والرَّئِيّ: فعِيلٌ بِمَعْنى مَفْعُولٍ، ولا يَكُونُ إلّا مِنَ الجِنّ، ولا يَكُونُ فعِيلٌ بِمَعْنى مَفْعُولٍ في غَيْرِ الجِنّ، إلّا أنْ يُؤَثِّرَ فيهِ الفِعْلُ، نَحْوَ: جَرِيحٍ، وقَتِيلٍ، وذَبِيحٍ، وطَحِينٍ.

ولا يُقالُ مِنَ الشُّكْرِ: شَكِيرٌ، ولا ذَكَرْتُهُ فهُوَ ذَكِيرٌ، ولا فيمَنْ لُطِمَ: لَطِيمٌ إلّا أنْ تُغَيِّرَ مِنْهُ اللَّطْمةُ، كَما قالُوا: لَطِيمُ الشّيْطانِ. قالَ ابنُ الزُّبَيْرِ حين قُتِل عمرُو ابنُ سعيدٍ الأشدقُ: ألا إنّ أبا ذِبّانَ[2] قتَلَ لَطِيمَ الشّيطان: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩] وقالُوا مِنَ الحَمْدِ: حَمِيدٌ، ذَهَبُوا بِهِ مَذْهَبَ كَرِيمٍ[3]، وكَذَلِكَ قالُوا في الجِنِّ: رَئِيٌّ، وإنْ كانَتِ الرُّؤْيةُ لا تُؤَثِّرُ في المَرْئِيِّ؛ لأنهم ذهبوا به مذهبَ قَرِينٍ ونَجِيٍّ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[4] إسْلامَ حَمْزةَ. وأُمُّهُ: هالةُ بِنْتُ أُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ، وأُهَيْبٌ: عَمُّ آمِنةَ بِنْتِ وهْبٍ، تَزَوّجَها عَبْدُ المُطّلِبِ، وتزَوّجَ ابنُهُ عَبْدُ الله آمِنةَ في ساعةٍ واحِدةٍ، فوَلَدَتْ هالةُ لِعَبْدِ المُطّلِبِ حَمْزةَ، ووَلَدَتْ آمِنةُ لِعَبْدِ الله رَسُولَ الله ﷺ ثُمّ أرْضَعَتْهُما ثُوَيْبةُ، كما تقدَّم[5].

وزاد غيرُ ابنِ إسْحاقَ في إسْلامِ حَمْزةَ أنّهُ قالَ: لَمّا احْتَمَلَنِي الغَضَبُ،

---

(١) «الكتاب» (٤: ١٠٧-١٠٨).

(٢) أبو ذِبّان: كنية عبد الملك بن مروان، وكان يقال له: الأبخَر؛ لفساد كان في فمه. انظر: «المعارف» (ص: ٢٩٦، ٣٥٥)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ٨١)، و«اللسان» (ذبب).

(٣) بعده في (ب): «ونجيّ، يريد أن ذهبوا بحميد مذهب الصفة المشبَّهة».

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٥٦). (ج)

(٥) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٢: ٤٤٣).

وقُلْت: أنا على قَوْلِه، أدْرَكَنِي[١] النّدَمُ على فِراقِ دِينِ آبائِي وقَوْمِي، وبتُّ مِنَ الشّكِّ في أمْرٍ عَظِيمٍ، لا أكْتَحِلُ بنَوْمٍ، ثُمّ أتَيْتُ الكَعْبَةَ، وتَضَرّعْتُ إلى الله سُبْحانَهُ أنْ يَشْرَحَ صَدْرِي لِلْحَقِّ، ويُذْهِبَ عَنّي الرَّيْبَ، فما اسْتَتْمَمْتُ دُعائِي حَتّى زاحَ[٢] عَنِّي الباطِلُ، وامْتَلأَ قَلْبِي يَقِينًا، أوْ كَما قالَ، فغَدَوْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأخْبَرْتُهُ بما كانَ مِنْ أمْرِي، فدَعا لِي بِأنْ يُثَبِّتَنِي اللهُ، وقالَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطّلِبِ حِينَ أسْلَمَ[٣]: [من الوافر]

حَمِدْتُ الله حِيـنَ هَدى فُؤادِي ... إلى الإسْـلامِ والدِّيـنِ الحَنِيفِ

لِديـنٍ جـاءَ مِـنْ رَبٍّ عَزِيـزٍ ... خَبِيـرٍ بالعِبـادِ بِهِـمْ لَطِيـفِ

إذا تُـلِيَـتْ رَسـائِـلُـهُ عَلَيْنا ... تَحَـدَّرَ دَمْـعُ ذِي اللُّبِّ الحَصِيفِ

رَسـائِلُ جاءَ أحْمَدُ مِـنْ هُداها ... بِـآيـاتٍ مُـبَـيِّـنَـةِ الـحُـرُوفِ

وَأحْمَـدُ مُصْطَفًـى فِينـا مُطاعٌ ... فلا تَغْشَـوْهُ بِالقَـوْلِ العَنِيفِ[٤]

فَـلا واللهِ نُـسْـلِـمُـهُ لِـقَـوْمٍ ... ولَمّـا نَقْـضِ فيهِمْ بالسّـيُوفِ

وَنَتْـرُكُ مِنْهُـمُ قَتْلـى بِقـاعٍ ... عَلَيْهـا الطَّيْرُ كالـوِرْدِ العكُوفِ

وَقَـدْ خُبِّرْتُ ما صَنَعَـتْ ثَقِيفٌ ... بِـهِ فجَـزى القَبائِلَ مِـنْ ثَقِيفِ

إلَـهُ النّـاسِ شَـرَّ جَـزاءِ قَـوْمٍ ... ولا أسْـقاهُمُ صَـوْبَ الخَرِيفِ

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٥] ما سَألَهُ قَوْمُهُ مِنَ الآياتِ، وإزالةِ الجِبالِ عَنْهُمْ، وإنْزالِ المَلائِكةِ

---

(١) في (أ): «ثم أدركني».

(٢) في (ج): «زال».

(٣) الأبيات في «سبل الهدى» (٢: ٤٤٤).

(٤) في «سبل الهدى»: «الضعيف».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٦٥). (ج)

عَلَيْهِ، وغَيْرِ ذَلِكَ؛ جَهْلًا مِنْهُمْ بِحِكْمَةِ الله تَعالى في امْتِحانِ الخَلْقِ، وتَعَبُّدِهِمْ بِتَصْدِيقِ الرّسُلِ، وأنْ يَكُونَ إيمانُهُمْ عَنْ نَظَرٍ وفِكْرٍ في الأدِلّةِ، فيَقَعُ الثّوابُ على حَسَبِ ذَلِكَ، ولَوْ كُشِفَ الغِطاءُ، وحَصَلَ لَهُم العِلْمُ الضّرُورِيُّ، بَطَلَتِ الحِكْمَةُ [الّتِي](١) مِنْ أجْلِها يَكُونُ الثّوابُ والعِقابُ، إذْ لا يُؤْجَرُ الإنْسانُ على ما لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ، كَما لا يُؤْجَرُ على ما خُلِقَ فيهِ مِنْ لَوْنٍ، وشَعْرٍ، ونَحْوِ ذَلِكَ، وإنّما أعْطاهُمْ مِنَ الدّلِيلِ ما يَقْتَضِي النّظَرُ فيهِ العِلْمَ الكَسْبِيَّ، وذَلِكَ لا يَحْصُلُ إلّا بِفِعْلٍ مِنْ أفْعالِ القَلْبِ، وهُوَ النّظَرُ في الدّلِيلِ، وفي وجْهِ دِلالةِ المُعْجزةِ على صِدْقِ الرَّسُولِ، وإلّا فقَدْ كانَ قادِرًا ـ سُبْحانَهُ ـ أنْ يَأْمُرَهُمْ بِكَلامٍ يَسْمَعُونَهُ، ويُغْنِيَهُمْ عَنْ إرْسالِ الرّسُلِ إلَيْهِمْ، ولَكِنّهُ سُبْحانَهُ قَسَّمَ الأمْرَ بَيْنَ الدّارَيْنِ، فجَعَلَ الأمْرَ يُعْلَمُ في الدُّنْيا بِنَظَرٍ واسْتِدْلالٍ، وتَفَكُّرٍ واعْتِبارٍ؛ لِأنّها دارُ تَعَبُّدٍ واخْتِبارٍ، وجَعَلَ الأمْرَ يُعْلَمُ في الآخِرةِ بِمُعايَنةٍ واضْطِرارٍ، لا يُسْتَحَقُّ بِهِ ثَوابٌ ولا جَزاءٌ، وإنّما يَكُونُ الجَزاءُ فيها على ما سَبَقَ في الدّارِ الأُولى، حِكْمةً دبّرَها، وقَضِيّةً أحْكَمَها، وقَدْ قالَ سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ يُرِيدُ ـ فيما قالَ أهْلُ التّأْوِيلِ ـ أنّ التّكْذِيبَ بالآياتِ نَحْوَ ما سَألُوهُ مِنْ إزالةِ الجِبالِ عَنْهُمْ، وإنْزالِ المَلائكةِ، يُوجِبُ في حُكْمِ الله ألّا يُلَبِّثَ الكافِرِينَ بها، وأنْ يُعاجِلَهُمْ بالنِّقْمةِ، كَما فعَلَ بِقَوْمِ صالِحٍ، وبِآلِ فِرْعَوْنَ، فلَوْ أُعْطِيَتْ قُرَيْشٌ ما سَألُوهُ مِنَ الآياتِ، وجاءَهُمْ بما اقْتَرَحُوا، ثُمّ كَذّبُوا، لَمْ يُلَبَّثُوا، ولَكِنّ الله أكْرَمَ مُحَمّدًا في الأُمّةِ الّتِي أرْسَلَهُ إلَيْهِمْ؛ إذْ قَدْ سَبَقَ في عِلْمِهِ أنْ يُكَذِّبَ بِهِ مَنْ يُكَذِّبُ، ويُصَدّقَ بِهِ مَنْ يُصَدّقُ، وابْتَعَثَهُ رَحْمةً لِلْعالَمِينَ مِنْ بَرٍّ وفاجِرٍ، أمّا البَرُّ، فرَحْمَتُهُ إيّاهُمْ في الدّنْيا والآخِرةِ، وأمّا الفاجِرُ، فإنّهُمْ أمِنُوا مِنَ الخَسْفِ، والغَرَقِ، وإرْسالِ حاصِبٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السّماءِ، كَذَلِكَ قالَ بَعْضُ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

أَهْلِ التَّفْسِيرِ في قَوْلِهِ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسألوا ما سَأَلُوا مِنَ الآياتِ إِلّا تَعَنُّتًا واسْتِهْزاءً، لا على[1] جِهةِ الِاسْتِرْشادِ ودَفْعِ[2] الشَّكِّ، فقَدْ كانُوا رَأَوْا مِنْ دَلائِلِ النُّبُوّةِ ما فيهِ شِفاءٌ لِمَنْ أَنْصفَ، قالَ الله سُبْحانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وفي هَذا المَعْنى قِيلَ[3]: [من الكامل]

لَوْ لَـمْ تكُنْ فيهِ آيـاتٌ مُبَيِّنةٌ كانَتْ بَداهَتُهُ تُنْبيـكَ بِالخَبَرِ

وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ في غَيْرِ هَذِهِ الرِّوايةِ أَنَّهُمْ سَأَلُوه أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفا ذَهَبًا، فهَمَّ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَدْعُوَ الله لَهُمْ، فنَزَلَ عليه جِبْرِيلُ، فقالَ له: «قُل لَهُمْ: ما شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ فعَلْتُ ما سَأَلْتُمْ، ثُمّ لا يُلْبِثكُمْ إِنْ كَذّبْتُمْ بَعْدَ مُعايَنةِ الآيةِ». قالُوا[4]: لا حاجةَ لَنا بِها[5].

فَصْلٌ

وذَكَرَ[6] قَوْلَ عَبْدِ الله بنِ أَبِي أُمَيّةَ لَهُ ـ واسْمُ أَبِي أُمَيّةَ: حُذَيْفةُ ـ: «والله لا أُومِنُ بك حَتّى تَتّخِذَ سُلَّمًا إلى السَّماء»... إلى آخِرِ الكَلامِ. وقَدْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله بنُ أَبِي أُمَيّةَ قَبْلَ فتْحِ مَكّةَ، ومات شهيدًا في غزوةِ الطائفِ[7]، وسَيَأْتِي ذِكْرُ إِسْلامِه.

---

(١) في (أ): «لا من جهة».

(٢) في (أ): «ورفع».

(٣) هو الصحابي عبد الله بن رواحة، والبيت في «البيان والتبيين» (١: ١٥).

(٤) في (ف): «فقالوا».

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١: ٢٤٢، ٢٥٨).

(٦) انظر «السيرة» (٣: ٦٢). (ج)

(٧) «أسد الغابة» (٣: ١٧٧).

وَذَكَرَ خَبَرَ أَبِي جَهْلٍ، وما هَمَّ بِهِ مِنْ إِلْقاءِ الحَجَرِ على رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ ساجِدٌ، وقَدْ رَواهُ النَّسَوِيُّ بِإسْنادِه إلى أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ أَبُو جَهْلٍ، وذَكَرَ الحَدِيثَ إلى قَوْلِهِ: فنَكَصَ أَبُو جَهْلٍ على عَقِبَيْهِ[1]، فقالُوا: ما لَك؟ فقالَ: إنّ بَيْنِي وبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نارٍ وهَوْلًا وأَجْنِحةً، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَوْ دَنا لاختطفته المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا». وخَرّجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ[2].

وذَكَرَ النّسَوِيّ أيْضًا بِإسْنادِهِ إلى ابنِ عَبّاسٍ: أنّ أبا جهل قال له: ألم أنْهَك؟ فوالله ما بِمَكّةَ نادٍ أعَزُّ مِنْ نادِيَّ. فأنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۞ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[3] [العلق: ٩-١٨].

قالَ مُحَمّدُ بنُ يَزِيدَ: في الكَلامِ حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ: أَرَأيْتَ الّذِي يَنْهى عَبْدًا إذا صلّى؟ أمُصيبٌ هو أم مخطئٌ[4]؟ وكَذَلِكَ[5] [في][6] قَوْلِهِ: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [العلق: ١١] كَأنّهُ قالَ: ألَيْسَ الذي يَنْهاهُ بضالٍّ؟ وقوله: ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥]؛ أيْ: لَنَأْخُذَنّ بِها إلى النّارِ، وقِيلَ: مَعْنى السَّفْعِ ههُنا: إذْلالُهُ وقَهْرُهُ. والنّادِي، والنَّدِيُّ، والمُنْتَدى بِمَعْنًى واحِدٍ، وهُوَ: مَجْلِسُ القَوْمِ الّذِي يَتَنادَوْنَ إلَيْهِ.

وقالَ أَهْلُ التّفْسِيرِ فيهِ أقْوالًا مُتَقارِبةً، قالَ بَعْضُهُمْ: فلْيَدْعُ حَيَّهُ. وقالَ بَعْضُهُمْ: عَشِيرَتَهُ. وقالَ بَعْضُهُمْ: مَجْلِسَهُ.

---

(١) في (أ)، (هـ): «عقبه».

(٢) أخرجه النسائي في كتابي التفسير والملائكة من «سننه الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» للمِزِّي: (١٠: ٩٢)، ومسلم في كتاب صفة المنافقين: (٤: ٢١٥٤).

(٣) أخرجه النسائي في كتاب التفسير من «سننه الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٥: ١٣٢).

(٤) في (أ): «أم لا».

(٥) في (ف): «فكذلك».

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

وفي ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ مَعْنى: أخْبِرْنِي، ولِذَلِكَ قالَ سِيبَوَيْهِ: لَمْ يَجُزْ إلْغاؤُها كَما تُلْغى «عَلِمْتُ» إذا قُلْتَ: عَلِمْتُ أزَيْدٌ عِنْدَكَ أمْ عَمْرٌو، ولا يَجُوزُ هَذا في: أرَأيْت، ولا بُدّ مِنَ النَّصْبِ إذا قُلْتَ: أرَأيْتَ زَيْدًا، أبُو مَنْ هُوَ؟

قالَ سِيبَوَيْهِ: لِأنّ دُخُولَ مَعْنى «أخْبِرْنِي» فيها لا يَجْعَلُها بِمَنْزِلَةِ «أخْبِرْنِي» في جَمِيعِ أحْوالِها[١].

قالَ المُؤَلّفُ: وظاهِرُ القُرْآنِ يَقْضِي بِخِلافِ ما قالَ سِيبَوَيْهِ إلّا بَعْدَ البَيانِ، وذَلِكَ أنّها في القُرْآنِ مُلْغاةٌ؛ لِأنّ الِاسْتِفْهامَ هُوَ مَطْلُوبُها، وعَلَيْهِ وقَعَتْ في قَوْلِهِ: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَلَمْ يَعْلَم ﴾ [العلق: ١٣-١٤] فقَوْلُهُ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم ﴾ استفهام، وعليه وقعت: ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾، وكذلك: ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾، و﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٤٦-٤٧][٢]، فإنّ الِاسْتِفْهامَ واقِعٌ بَعْدَها، نَحْوُ: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وهَذا هُوَ الّذِي مَنَعَ سِيبَوَيْهِ في: أرَأيْتَ، وأرَأيْتَكَ، وألّا يُقالَ: أرأيتكَ أبُو مَنْ أنْتَ؟

وَأمّا البَيانُ، فالّذِي قالَهُ سِيبَوَيْهِ صَحِيحٌ، ولَكِنْ إذا ولِيَ الِاسْتِفْهامَ «أرأيتَ»، ولَمْ يَكُنْ لَها مَفْعُولٌ سِوى الجُمْلَةِ، وأمّا في هَذِهِ المَواضِعِ الّتِي في التّنْزِيلِ، فلَيْسَتِ الجُمْلَةُ المُسْتَفْهَمُ عَنْها هِيَ مَفْعُولَ «أرأيت»، إنّما مَفْعُولُها مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الشّرْطُ، ولا بُدّ مِنَ الشّرْطِ بَعْدَها في هَذِهِ الصّورةِ؛ لِأنّ المَعْنى: أرَأيْتُمْ صَنِيعَكُمْ إنْ كانَ كَذا وكَذا، كَما يَقُولُ القائِلُ: أرَأيْت إنْ لَقِيتَ العَدُوَّ أتُقاتِلُهُ أمْ لا؟

تَقْدِيرُ الكَلامِ: أرَأيْتَ رَأْيك أوْ صَنِيعَك إنْ لَقِيتَ العَدُوَّ؟ فحَرْفُ الشَّرْطِ[٣]،

---

(١) انظر: «الكتاب» (١: ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) بعده في (ف): «في الأنعام».

(٣) في (أ): «محذوف الشرط»، وفي (ب)، (هـ): «فحذف الشرط».

وهُوَ «إنْ» دَلَّ[١] على ذَلِكَ المَحْذُوفِ، ومُرْتَبِطٌ بِهِ، والجُمْلَةُ المُسْتَفْهَمُ عَنْها كَلامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُنْقَطِعٌ، إلّا أنّ فيهِ زِيادةَ بَيانٍ لِما يُسْتَفْهَمُ عَنْهُ، ولَوْ زالَ الشَّرْطُ، ووَلِيَها الِاسْتِفْهامُ لَقَبُحَ كَما قالَ سِيبَوَيْهِ، ويَحْسُنُ في «عَلِمْتَ»[٢]، و«هَلْ عَلِمْتَ؟»، و«هَلْ رَأيتَ؟»، وإنّما قُبْحُهُ مَعَ «أرَأيْتَ؟» خاصّةً، وهِيَ الّتِي دَخَلَها مَعْنى «أخْبِرْنِي»، فتَدَبَّرْهُ[٣]، والله أعلم.

فصْلٌ

وذَكَرَ[٤] حَدِيثَ النَّضْرِ بنِ الحارِثِ، وما نَزَلَ فيهِ مِنْ قَوْلِ الله عزَّ وجل: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥] واحِدُ الأساطِيرِ: أُسْطُورةٌ كَأُحْدُوثةٍ وأحادِيثَ، وهُوَ ما سَطَرَهُ الأوّلُونَ. وقِيلَ: أساطِيرُ: جَمْعُ أسْطار، وأسْطارٌ جَمْعُ: سَطَرٍ، بِفَتْحِ الطّاءِ. وأمّا سَطْرٌ ـ بِسُكُونِ الطّاءِ ـ فجَمْعُهُ: أسْطُرٌ، وجَمْعُ الجَمْعِ: أساطِرُ بغَيْرِ ياءٍ.

وذَكَرَ أنّ النّضْرَ بنَ الحارِثِ كانَ يُحدِّثُ قُرَيشًا بأحاديثِ رُستُمَ وأسبنديارَ[٥]، وما تَعَلَّمَ في بِلادِ الفُرْسِ مِنْ أخْبارِهِمْ، وذَكَرَ ما أنْزَلَ الله في ذَلِكَ مِنْ قوله، [وقد قيل فيه نَزلت][٦]: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وأمّا أحادِيثُ رُسْتُمَ، ففي «تاريخ الطّبَرِيِّ» أنّ رُسْتُمَ بنَ رِيسانَ كانَ يُحارِبُ كي يستاسب بنَ كي لهراسب، بعدما قَتَلَ أباهُ لهراسب بن كي أجو.

---

(١) في (ف): «دال».

(٢) في (أ): «أعلمت» وهمزة أفعل كأنها ملحقة.

(٣) انظر هذه المسألة في: «شرح الكافية» للرضي: (٤: ١٦١ـ١٦٢).

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٦٥). (ج)

(٥) في (ف) «وأسبندياذ».

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

و(كي) في أوائِلِ هَذِهِ الأسْماءِ عِبارةٌ عَنِ البَهاءِ[١]، ويُقالُ: عِبارةٌ عَنْ إدْراكِ الثّأْرِ، ويُقالُ لِهَؤُلاءِ المُلُوكِ: الكينية مِنْ أجْلِ هَذا. وكانَ رُسْتُمُ الّذِي يُقالُ لَهُ: رُسْتُم سيد[٢] بن رَيْسانَ [مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ][٣]، وكانَ كي يستاسب قَدْ غَضِبَ على ابنِهِ، فَسَجَنَهُ حَسَدًا لَهُ على ما ظَهَرَ مِنْ وقائِعِهِ في التُّرْكِ، حَتّى صارَ الذِّكْرُ لَهُ، فعِنْدَها ظَهَرَتِ التُّرْكُ على بلادِ فارِسَ، وسَبَوْا بِنْتَيْنِ ليستاسب، اسْمُ إحْداهُما: جُمانة، أوْ نَحْوُ هَذا، فلَمّا رَأى يستاسب ألّا يَدَيْنِ[٤] لَهُ بِقِتالِهِمْ أطْلَقَ ابنَهُ مِنَ السِّجْنِ، وهُوَ أسبنديار[٥]، ورَضِيَ عَنْهُ، ووَلّاهُ أمْرَ الجُيُوشِ، فنَهَدَ إلى رُسْتُمَ، وكانَتْ[٦] بَيْنَهُما مَلاحِمُ يَطُولُ ذِكْرُها، لَكِنّهُ قَتَلَ رُسْتُمَ، واسْتَباحَ عَساكِرَهُ، ودَوّخَ[٧] في بلادِ التّرْكِ، واسْتَخْرَجَ أُخْتَيْهِ مِنْ أيْدِيهِمْ، ثُمّ ماتَ أسبنديار[٨] قَبْلَ أبِيهِ، وكانَ مُلْكُ أبِيهِ نَحْوًا مِنْ مِئَةِ عامٍ.

ثُمّ عَهِدَ إلى بهمنَ بنِ أسبنديار[٩]، فوَلّاهُ الأمْرَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وبهمنُ بِلُغَتِهِمْ: الحَسَنُ النِّيّةِ، ودامَ مُلْكُهُ نَيِّفًا على مِئَةِ عامٍ، وكانَ لَهُ ابنانِ: ساسانِ ودارا.

وقَدْ أمْلَيْنا في أوّلِ الكِتابِ[١٠] طَرَفًا مِنْ حَدِيثِ ساسانَ وبَنِيهِ، وهُم السّاسانِيّةُ الّذِينَ قامَ عَلَيْهِم الإسْلامُ.

---

(١) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ٢١٣).

(٢) في (ف): «شيذ».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) أي: لا قدرة له. وانظر: «الكتاب» لسيبويه: (٢: ٣٤٧).

(٥) في (ف): «أسبندياذ».

(٦) في (ف): «فكانت».

(٧) في (أ): «دَوَّخ البلاد».

(٨) في (ف): «أسبندياذ».

(٩) في (ف): «أسبندياذ».

(١٠) انظر: (١: ١٧٨).

ورُسْتُمُ آخرُ مَذْكُورٌ أيْضًا قَبْلَ هَذا في أحادِيثِ كي قُباذ[١]، وكانَ قَبْلَ عَهْدِ سُلَيْمانَ، ثُمّ كانَ رُسْتُمُ وزِيرًا بَعْدَ كي قُباذ[٢] لِابنِهِ كي فاووس[٣]، وكانَتِ الجِنُّ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ، يُقالُ: إنّ سُلَيْمانَ أمَرَهُمْ بِذَلِكَ، فبَلَغَ مُلْكُهُ مِنَ العَجائِبِ ما لا يَكادُ أنْ يُصَدِّقَهُ ذَوُو العُقُولِ لِخُرُوجِها عَنِ المُعْتادِ، لَكِنَّ مُحَمّدَ بنَ جريرٍ الطَّبريَّ ذكَرَ منها أخبارًا عجيبةً.

وذَكَرَ أنّهُ هَمَّ بِما هَمَّ بِهِ نُمْرُودُ مِنَ الصّعُودِ إلى السّماءِ، فطَرَحَتْهُ الرّيحُ، وضَعْضَعَتْ أرْكانَهُ، وهَدَمَتْ بُنْيانَهُ، ثُمّ ثابَ[٤] إلَيْهِ بَعْضُ جُنُودِهِ، فصارَ كَسائِرِ المُلُوكِ يَغْلِبُ تارةً ويُغْلَبُ، بِخِلافِ ما كانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وسارَ بِجُنُودِهِ إلى اليَمَنِ فنَهَدَ إلَيْهِ عَمْرٌو ذُو الأذْعارِ، فهَزَمَهُ عَمْرٌو، وأخَذَهُ أسِيرًا، وحَبَسَهُ في مَحْبِسٍ حَتّى جاءَ رُسْتُمُ، وكانَ صاحِبَ أمْرِهِ، فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ عَمْرٍو، إمّا بِطَوْعٍ، وإمّا بِإكْراهٍ، ورَدّهُ إلى بِلادِ فارِسَ.

ولِابنِهِ شاوخس[٥] مَعَ قراسيات مَلِكِ التُّرْكِ خَبَرٌ عَجِيبٌ، وكانَ رُسْتُمُ هُوَ القَيِّمَ على شاوخس، والكافِلَ لَهُ في صِغَرِهِ، وكانَ آخِرُ أمْرِ شاوخس بَعْدَ عَجائِبَ أنْ قَتَلَهُ قراسيات، وقامَ ابنُهُ كي خسر[٦] يَطْلُبُ بِثَأْرِهِ، فدارَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ التُّرْكِ وقائِعُ وملاحمُ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِها، وكانَ الظّفَرُ لَهُ، فلَمّا ظَفِروا رَأى مِن أمَلِهِ في أعْدائِهِ ما مَلأَ عَيْنَهُ قُرّةً، وقَلْبَهُ مَسَرّةً، زَهِدَ في الدّنْيا، وأرادَ السّياحةَ

---

(١) في (ف): «قباد».

(٢) في (ف): «قباد».

(٣) في (ف): «قاووس».

(٤) في (أ): «ناب»، وفي (هـ): «أناب». وثاب: رجع.

(٥) في (ف): «شاوخش»، وكذا في الموضعين التاليين.

(٦) في (ف): «خشرو».

في الأَرْضِ، فتَعلَّقتْ بِهِ أبناءُ فارِسَ، وحَذَّرَتْهُ مِنْ شَتاتِ الشَّمْلِ بَعْدَهُ، وشَماتةِ الأعداء[١]، فاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ كي لهراسب بنَ كي أجو بن كي كينة[٢] بن كي فاووس[٣] المُتَقَدّمَ ذِكْرُهُ.

ولا أدْرِي: هَلْ رُسْتُمُ الّذي قَتَلَهُ أسبنديار[٤] هو رستم صاحِبُ كي فاووس، أو[٥] غَيْرُهُ؟ والظّاهِرُ أنّهُ لَيسَ بِهِ؛ لأنّ مُدّةَ ما بَيْنَ كي فاووس، وكي يستاسب بَعِيدةٌ جِدًّا، وأحْسَبُهُ كَما قَدّمْنا أنّهُ كانَ مِنَ التُّرْكِ، وهَذا كُلُّهُ كانَ في مُدّةِ الكينيةِ، وعِنْدَ اشْتِغالِهِمْ بِقِتالِ التُّركِ استعملوا بُخْتَ نَصَّر البابِلِيَّ على العِراقِ، فكانَ مِنْ أُمُورِهِ مَعَ بَنِي إسْرائِيلَ، وإثْخانِهِ فيهِمْ، وهَدْمِهِ لِبَيْتِ المَقْدِسِ، وإحْراقِهِ لِلتّوْراةِ، وقَتْلِهِ لِأوْلادِ الأنْبياءِ، واسْتِرْقاقِهِ لِنساءِ مُلُوكِهِمْ ولِذَرارِيِّهِمْ، مَعَ عَيْثِهِ في بلادِ العَرَبِ حِينَ جاسَ خِلالَ دِيارِهِمْ[٦]، ما هُوَ مَشْهُورٌ في كُتُبِ التّفاسِيرِ، ومَعْلُومٌ عِنْدَ أصْحابِ التّوارِيخِ.

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُخْتَصَرةٌ تَشْرَحُ لَك ما وقَعَ في كِتابِ ابنِ إسْحاقَ مِنْ ذِكْرِ رُسْتُمَ وأسبنديار[٧]، وكانت الكِينيّةُ قبلَ مُدّةِ عيسى بنِ مَرْيَمَ، أوّلُهُمْ مِن عَهْدِ إفريدون[٨] قَبْلَ مُوسى عليه السلام بمِئِينَ مِن السِّنينَ، وآخرُهم في مُدةِ

(١) في (ف): «العدو».

(٢) في (ف): «كبنة».

(٣) في (ف): «قاووس»، وكذا في الموضعين التاليين.

(٤) في (ف): «أسبندياذ».

(٥) في (ف): «أم».

(٦) في (أ): «الديار».

(٧) في (ف): «أسبندياذ».

(٨) في (ف): «إفريذون».

الإسكندرِ بنِ فلبس[(١)]، والإسْكَنْدَرُ هُوَ الّذِي سَلَبَ مُلْكَهُمْ، وقَتَلَ دارا بنَ دارا، وهُوَ آخِرُهُمْ، ثُمّ كانَتِ الأشْعانِيّةُ مَعَ مُلُوكِ الطّوائِفِ أرْبَعَ مِئةٍ وثَمانِينَ عامًا، وقِيلَ: أقَلّ مِنْ ذَلِكَ في قَوْلِ الطّبَرِيّ.

وفي قَوْلِ المَسْعُودِيِّ: خَمْس مِئةٍ وعَشْر سِنِينَ، وفي خِلالِ أمرهِم بُعث عيسى بنُ مَرْيَمَ عليه السلام، ثُمّ كانَتِ السّاسانِيّةُ نَحْوًا مِنْ ثَلاثِينَ مَلِكًا، حَتّى قامَ الإسْلامُ ففَضَّ خدَمَتَهُمْ[(٢)]، وخَضَدَ شَوْكَتَهُمْ، وهَدَمَ هَياكِلَهُمْ، وأطْفَأ نِيرانَهُم الّتِي كانُوا يعبدُون، وذلك كلُّه في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[(٣)] ابنُ إسْحاقَ إرْسالَ قُرَيْشٍ النَّضْرَ بنَ الحارِثِ، وعُقْبَةَ بنَ أبِي مُعَيْطٍ إلى يَهُودَ، وما رَجَعا بِهِ مِنْ عِنْدِهِمْ مِنَ الفَصْلِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ النّبِيّ ﷺ، فسَألُوهُ عَنِ الأُمُورِ الثّلاثةِ الّتِي قالَتِ اليَهُودُ: إنْ أخْبَرَكُمْ بها فهُوَ نَبِيٌّ، وإلّا فهُوَ مُتَقَوِّلٌ. فقالَ لَهُمْ: «سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا»، [ولَمْ يَقُلْ][(٤)]: إنْ شاءَ اللهُ. فأبْطَأ عَنْهُ الوَحْيُ في قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ خَمْسةَ عَشَرَ يَوْمًا[(٥)].

وفي سِيَرِ التّيميِّ، وموسى [بنِ عُقبةَ][(٦)]: أنّ الوَحْيَ إنّما أبْطَأ عَنْهُ ثَلاثةَ أيّامٍ،

(١) في (ف): «قليس».

(٢) أي: كسَر ودقَّ جمعَهم. والخَدَمة ـ بالتحريك ـ: سيرٌ غليظ مضغوط مِثل الحَلَقة يُشَدُّ في رُسغ البعير، ثم يُشَدُّ إليه سرائح نَعْله ـ أي: سُيورها ـ فإذا انفضَّت الخدمة انحلَّت السرائح، وسقطتِ النَّعل، فضُرب ذلك مثلًا لذَهاب ما كانوا عليه وتفرُّقهم.

(٣) انظر «السيرة» (٣: ٦٥). (ج)

(٤) ليست في (أ).

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٣٠١).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

ثُمّ جاءَه جِبْرِيلُ بِسُورةِ الكَهْفِ، وذَكَرَ افْتِتاحَ الرّبِّ سُبْحانَهُ بِحَمْدِ نَفْسِهِ، وذِكْرِ نُبُوّةِ نَبِيِّهِ، وحَمْدُهُ لِنَفْسِهِ سبحانه خَبَرٌ باطِنُهُ الأمْرُ والتّعْلِيمُ لِعَبْدِهِ كَيْفَ يَحْمَدُهُ، إذْ لَوْلا ذَلِكَ لاقْتَضَتِ الحالُ الوُقُوفَ [على تَسْمِيَتِهِ][1]، والعِباراتِ عَنْ جَلالِهِ، لِقُصُورِ كُلِّ عبارةٍ عمّا هُنالك مِنَ الجَلالِ، وأوْصافِ الكَمالِ، ولَمّا كانَ الحَمْدُ واجِبًا على العَبْدِ قُدِّمَ في هَذِهِ الآيةِ لِيَقْتَرِنَ في اللّفْظِ بِالحَمْدِ الّذِي هُوَ واجِبٌ عَلَيْهِ، ولِيَسْتَشْعِرَ العَبْدُ وُجُوبَ الحَمْدِ عَلَيْهِ، وفي سُورةِ الفُرْقانِ قالَ: ﴿ نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [فاتحة السورة] وبَدَأ بِذِكْرِ الفُرْقانِ الّذِي هُوَ الكِتابُ المُبارَكُ، قالَ الله سُبْحانَهُ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ [ص: ٢٩] فلما استفتَحَ[2] السُّورةَ بـ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾، بَدَأ بِذِكْرِ الفُرْقانِ، وهُوَ الكِتابُ المُبارَكُ][3]، ثُمّ قالَ: ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾، فانْظُرْ إلى تَقْدِيمِ ذِكْرِ ﴿ عَبْدِهِۦ ﴾ على ﴿ كِتَٰبٌ ﴾، وتَقْدِيمِ ذِكْرِ الكِتابِ عَلَيْهِ في آيةِ الفُرْقانِ، وما في ذَلِكَ مِنْ تَشاكُلِ[4] اللّفْظِ، والتِئامِ الكَلامِ، ترى الإعْجازَ ظاهِرًا، والحِكْمةَ باهِرةً، والبُرْهانَ واضِحًا، [والحمد لله][5].

وَأنْشَدَ[6] لِذِي الرُّمّةِ: [من البسيط]

كَأنّهُ بِالضُّحى تَرْمِي الصّعِيدَ بِهِ دَبّابةٌ في عِظامِ الرّأْسِ خُرْطُومُ

---

(١) عن (ج)، (د).

(٢) في (ج): «افتتح».

(٣) في (د): «وهذا كتاب»، وفي (ج): «وهو كتاب أنزلناه مبارك». وما أثبتناه الصواب، آية سورة (ص)، وفي الأنعام آيتان (٩٢، ١٥٥)، ولفظهما: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾، ولا يستقيم الاستشهاد بهما في حديث التقديم الذي أراده السهيلي.

(٤) في (ب): «نشاطة».

(٥) ليس في (أ)، (ج).

(٦) انظر «السيرة» (٣: ٦٨). (ج)

يَصِفُ ولَدَ الظَّبْيَةِ، والخُرْطُومُ: مِنْ أسْماءِ الخَمْرِ؛ أيْ: كَأَنَّهُ مِنْ نَشاطِهِ دَبّتِ الخَمْرُ في رَأْسِهِ.

وأنْشَدَ لَهُ أيْضًا: «طَوى النّحزُ والأجْرازُ...» البَيْتَ.

والنَّحْزُ[1]، والنَّخْسُ، والنَّحازُ: داءٌ يَأْخُذُ الإبِلَ. والنَّحِيزةُ: الغَريزةُ، [والنّحِيزةُ][2]: نَسِيجةٌ كالحِزامِ. والضّلُوعُ الجَراشِعُ: هُوَ[3] جَمْعُ جُرْشُع. قالَ صاحِبُ «العَيْنِ»[4]: الجُرْشُعُ: العَظِيمُ الصّدْرِ، فمَعْناهُ إذًا في البَيْتِ علىً هَذا: أنّ الضّلُوعَ مِنَ الهُزالِ قَدْ نَتَأَتْ[5]، وبَرَزَتْ كالصَّدرِ البارزِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[6] الرّقِيمَ، وفيهِ سِوى ما قالَهُ أقْوالٌ، رُوِيَ[7] عَنْ أنَسٍ[8] أنّهُ قالَ: الرّقِيمُ: الكَلْبُ. وعَنْ كَعْبٍ أنّهُ قالَ: هُوَ اسْمُ القَرْيَةِ الّتِي خَرَجُوا مِنْها. وقِيلَ: هُوَ اسْمُ الوادِي. وقِيلَ: هُوَ صَخْرةٌ. ويُقالُ: لَوْحٌ كُتِبَ فيهِ أسْماؤُهُمْ ودِينُهُمْ وقِصّتُهُمْ.

---

(١) في (أ): «والنحيز».

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) قال الجوهري في «الصحاح»: «الجُرْشُعُ مِن الإبل: العظيم، ويُقال: العظيم الصَّدر المُنْتَفِخُ الجَنْبَيْن» (جرشع).

(٥) في (ب)، (ج): «تناءت».

(٦) انظر «السيرة» (٣: ٦٩). (ج)

(٧) في (ف): «مروي».

(٨) في (ب): «يونس»، وفي«تفسير القرطبي» عند هذه الآية أن القائل بهذا أنس بن مالك والشَّعْبي.

وقالَ ابنُ عَبّاسٍ: «كُلَّ القُرْآنِ أعْلَمُ، إلّا الرّقِيمَ، والغِسْلِينَ، وحَنانًا، والأوّاهَ».

وقَدْ ذُكِرَتْ أسْماؤُهُمْ على اخْتِلافٍ في بَعْضِ ألْفاظِها، وهِيَ: مَلِيخا، كَسْلَمِينا، مرطوش، برانس، أريطانس، أوبولس، شلططيوش. وقِيلَ في اسْمِ مَدِينَتِهِمْ: أفوس، واخْتُلِفَ في بَقائِهِمْ إلى الآنَ، فرُوِيَ عَن ابنِ عَبّاسٍ أنّهُ أنْكَرَ أنْ يَكُونَ بَقِيَ مِنْهُمْ شَيْءٌ، بَلْ صارُوا تُرابًا قَبْلَ مَبْعَثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وقالَ بَعْضُ أصْحابِ الأخْبارِ غَيْرَ هَذا، وأنّ الأرْضَ لَمْ تَأْكُلْهُمْ، ولَمْ تُغَيِّرْهُمْ، وأنّهُمْ على مَقْرُبةٍ مِنَ القُسْطنطينيّةِ، فاللهُ[1] أعْلَمُ.

ورُوِيَ أنّهُمْ سيَحُجُّون البيتَ إذا نزل عيسى بنُ مَرْيَمَ عليه السلام. ألْفَيْتُ هَذا الخَبَرَ في كِتابِ «البَدْءِ» لِابنِ أبِي خَيْثَمةَ.

وَذَكَرَ قَوْلَ الله تَعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] قَدْ أمْلَيْنا في إعْرابِ هَذِهِ الآيةِ نَحْوًا مِنْ كُرّاسةٍ، وذَكَرْنا ما وهِمَ فيهِ الزَّجّاجُ[2] مِنْ إعْرابِها؛ حَيْثُ جَعَلَ ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسْمًا في مَوْضِعِ رَفْعٍ على خَبَرِ المُبْتَدَأ، ﴿و أَمَدًا﴾ تَمْيِيزٌ، وهَذا لا يَصِحُّ؛ لِأنّ التّمْيِيزَ هُوَ الفاعِلُ في المَعْنى.

فإذا قُلْتَ: أيّهُمْ أعْلَمُ أبًا؟ فالأبُ هُوَ العالِمُ، وكَذَلِكَ إذا قُلْتَ: أيّهُمْ أفْرَهُ عَبْدًا؟ فالعَبْدُ هُوَ الفاره، فيَلْزَمُ على قَوْلِهِ إذًا أنْ يَكُونَ الأمَدُ فاعِلًا بالإحْصاءِ، وهَذا مُحالٌ، بَلْ هُوَ مَفْعُولٌ، ﴿أَحْصَىٰ﴾: فِعْلٌ ماضٍ، وهُوَ النّاصِبُ لَهُ، وذَكَرْنا في ذَلِكَ الإمْلاءِ أنّ «أيّهم» قَدْ يَجُوزُ فيهِ النّصْبُ بِما قَبْلَهُ إذا جَعَلْته خَبَرًا، وذَلِكَ على شُرُوطٍ بَيّنّاها هُنالِكَ لِمَنْ أرادَ الوُقُوفَ على حَقِيقة «أيّ» ومَواضِعِها، وكشفِ أسْرارِها، والحمدُ للهِ.

---

(١) في (ف): «والله».

(٢) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٦٣-٦٦٤).

وَقَوْله عز وجل: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ١١]؛ أيْ: أنَمْناهُمْ، وإنّما قِيلَ في النّائِمِ: ضُرِبَ على أُذُنِه؛ لِأنّ النّائِمَ يَنْتَبِهُ مِنْ جِهةِ السَّمْعِ، والضَّرْبُ[١] مُسْتَعارٌ مِنْ ضَرَبَ[٢] القُفْلَ على البابِ.

وذَكَرَ قولَه سبحانه: ﴿ تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ الآيَةَ [الكهف: ١٧] وقِيلَ في ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾: تُحاذِيهِمْ، وقِيلَ: تَتَجاوَزُهُمْ شيئًا شيئًا مِنَ القَرْضِ، وهُوَ[٣] القَطْعُ؛ أيْ: تَقْطَعُ ما هُنالِكَ مِنَ الأرْضِ، وهَذا كُلُّهُ شَرْحُ اللّفْظِ.

وأمّا فائِدةُ المَعْنى، فإنّهُ بَيَّنَ أنّهُمْ في مَقْنُؤةٍ[٤] مِنَ الأرْضِ، لا تَدْخُلُ عَلَيْهِم الشّمْسُ، فتُحْرِقُهُمْ، وتُبْلِي ثِيابَهُمْ، ويُقَلَّبُونَ ذاتَ اليَمِينِ، وذاتَ الشّمالِ؛ لِئَلّا تَأْكُلَهُمُ الأرْضُ، والفائِدةُ العُظْمى في هَذِهِ الصّفةِ بَيانُ كَيْفيّةِ حالِهِمْ في الكَهْفِ، وحالِ كَلْبِهِمْ، وأيْنَ هُوَ مِنَ الكَهْفِ؟ وأنّهُ بِالوَصِيدِ مِنْهُ، وأنّ بابَ الكَهْفِ إلى جِهةِ الشّمالِ لِلْحِكْمةِ الّتِي تَقَدّمَتْ، وأنّ هَذا البَيانَ لا يَكادُ يَعْرِفُهُ مَنْ رَآهُمْ فيه، فإنّ المُطَّلِعَ عَلَيْهِمْ يُمْلَأُ مِنْهُمْ رُعْبًا، فلا يُمْكِنُهُ تَأمُّلُ هَذِهِ[٥] الدّقائِقِ مِنْ أحْوالِهِمْ، والنّبِيُّ ﷺ لَمْ يَرَهُمْ قَطُّ، ولا سَمِعَ بِهِمْ، ولا قَرَأ كِتابًا فيهِ صِفَتُهُمْ؛ لِأنّهُ أُمّيٌّ في أُمّةٍ أُمّيّةٍ، وقَدْ جاءَكُمْ بِبَيانٍ لا يَأْتِي بِهِ مَنْ وصَلَ إلَيْهِمْ، حَتّى إنّ كَلْبَهُمْ قَدْ ذُكِرَ، [وذُكِرَ][٦] مَوْضِعُهُ وبَسْطُ ذِراعَيْه بِالوَصِيدِ، وهُم في الفَجْوةِ،

---

(١) بعده في (ف): «هنا».

(٢) في (ف): «ضربت».

(٣) في (ف): «أي».

(٤) في (أ): «مفيؤة». وكلاهما صواب، ففي «اللسان» (قنأ): المَقْنأة والمقنُؤة: الموضع الذي لا تصيبه الشَّمس في الشتاء. وفي «اللسان» أيضًا (فيأ): المَفْيُؤة هي المَقْنُؤة، من الفَيء. والفَيء: الظِّل، وما نسختهُ الشَّمسُ، وما نسخَ الشَّمسَ.

(٥) في (ب): «مثل هذه».

(٦) ليس في (أ).

وفي هَذا كُلِّهِ بُرْهانٌ عَظِيمٌ على نُبُوّتِهِ، ودَلِيلٌ واضِحٌ على صِدْقِهِ، وأنّهُ غَيْرُ مُتَقَوِّلٍ، كَما زَعَمُوا.

فَقِفْ بِقَلْبِك على مَضْمُونِ هَذِهِ الأَوْصافِ، والمُرادِ بِها تُعْصَمْ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ مِمّا وقَعَتْ فيهِ[1] المُلْحِدةُ مِنَ الاِسْتِخْفافِ بِهَذِهِ الآيةِ مِنْ كِتابِ اللهِ، وقَوْلِهِمْ: أيُّ فائِدةٍ في أنْ تَكُونَ الشَّمْسُ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ؟ وهَكَذا كُلُّ بَيْتٍ يَكُونُ في مَقْنُؤةٍ[2] مِن الأرضِ، أيْ: بابُهُ لِجِهةِ الشّمالِ، فنَبّهَ أهْلُ المَعانِي على الفائِدةِ الأُولى المُنْبِئةِ عَنْ لُطْفِ اللهِ بِهِمْ، حَيْثُ جَعَلَهُمْ في مَقْنُؤةٍ[3] تَزاوَرُ عنهم الشمسُ، فلا تُؤذيهم.

فيُقال: لِمَنِ اقْتَصَرَ مِنْ أهْلِ هذا التّأْوِيلِ على هَذا: فما في ذِكْرِ الكَلْبِ، وبَسْطِ ذِراعَيْهِ بالوَصيدِ مِنَ الفائِدةِ؟ وما فيهِ مِنْ مَعْنى اللُّطْفِ بِهِمْ؟

فالجَوابُ: ما قَدّمْناهُ مِنْ أنّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَمْ يَتْرُكْ مِنْ بَيانِ حالِهِمْ شَيْئًا حَتّى ذَكَرَ حالَ كَلْبِهِمْ، مَعَ أنّ تَأَمُّلَهُمْ مُتَعَذِّرٌ على مَنِ اطّلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أجْلِ الرُّعْبِ، فكَيْفَ مَنْ لَمْ يَرَهُمْ، ولا سَمِعَ بِهِمْ، لَوْلا[4] الوَحْيُ الّذِي جاءَ مِنَ اللهِ عز وجل بالبَيانِ الشّافي، والبُرْهانِ الكافي، والحمدُ للهِ، والرّعْبُ الّذِي كانَ يَلْحَقُ المُطَّلِعَ عَلَيْهِمْ قِيلَ كانَ مِمّا طالَتْ شُعُورُهُمْ وأظْفارُهُمْ.

ومِنَ الآياتِ في هَذِهِ القصة قوله تعالى: ﴿ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾؛ أيْ: في فضاءٍ، ومَعَ أنّهُمْ في فضاءٍ مِنْهُ، فلا تُصِيبُهُمُ الشّمْسُ.

قالَ ابنُ سَلّامٍ: فهذه آية، قال: وكانوا يُقلّبون في السنةِ مَرّتَيْنِ.

---

(١) في (ف): «به».

(٢) في (أ): «مفيؤة».

(٣) في (أ): «مفيؤة».

(٤) في (أ): «ولولا».

ومِنْ فوائِدِ الآيةِ: أنّهُ أخرَجَ الكَلْبَ عَنِ التّقْلِيبِ، فقالَ: ﴿ بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ ﴾ [الكهف: ١٨]، ومَعَ أنّهُ كانَ لا يُقَلَّبُ لَمْ تَأْكُلْهُ الأرْضُ؛ لِأنّ التّقْلِيبَ كانَ مِنْ فِعْلِ المَلائِكةِ بِهِمْ، والمَلائِكةُ أوْلِياءُ المُؤْمِنِينَ في الحَياةِ الدّنْيا وفي الآخِرةِ، والكَلْبُ خارِجٌ مِنْ[1] هَذِهِ الولايةِ، ألا تَراهُ كَيْفَ قالَ: ﴿ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾؛ أيْ: بِفِناءِ الدارِ[2]، لا داخِلًا مَعَهُمْ؛ لِأنّ المَلائِكةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فيهِ كَلْبٌ.

فهَذِهِ فوائِدُ جَمّةٌ اشْتَمَلَ عَلَيْها هَذا الكَلامُ.

قالَ ابنُ سَلّامٍ: وإنّما كانُوا يُقَلَّبُونَ في الرَّقْدةِ الأُولى قَبْلَ أنْ يُبْعَثُوا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[3] قَوْلَه سُبْحانَهُ[4]: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١] [وقالَ][5]: يَعْنِي أصْحابَ السُّلْطانِ. فاسْتَدَلَّ[6] بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ على أنّهُمْ كانُوا مُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا ﴾، وذَكَرَ الطبريُّ أن أهل تِلْكَ المَدِينةِ تنازَعُوا قَبْلَ مَبْعَثِهِمْ في الأجْسادِ والأرْواحِ: كَيْفَ تكُونُ إعادَتُها يَوْمَ القِيامةِ؟ فقالَ قَوْمٌ: تُعادُ الأجْسادُ كَما كانَتْ بِأرْواحِها، كَما يَقُولُهُ أهْلُ الإسْلامِ.

وخالَفَهُمْ آخَرُونَ، وقالُوا: تُبْعَثُ الأرْواحُ دُونَ الأجْسادِ، كَما تقُولُهُ

(١) في (ف): «عن».
(٢) في (ف): «الغار».
(٣) انظر «السيرة» (٣: ٧١). (ج)
(٤) في (ف): «وذكر قول الله».
(٥) ليس في (ب).
(٦) في (ف): «واستدل».

النّصارى، وشَرِيَ[١] بَيْنَهُمُ[٢] الشّرُّ، واشْتَدّ الخِلافُ، واشْتَدّ على مَلِكِهِمْ ما نَزَلَ بقَوْمِهِ مِنْ ذَلِكَ، فلَبِسَ المُسُوحَ، وافْتَرَشَ الرَّمادَ، وأقْبَلَ على التّضَرُّعِ والبُكاءِ[٣] إلى اللهِ أنْ يُرِيَهُ الفَصْلَ فيما اخْتَلَفُوا فيهِ، فأحْيا اللهُ أصْحابَ الكَهْفِ عِنْدَ ذَلِكَ، فكانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ ما قد عُرِفَ وشُهِرَ[٤]، فقالَ المَلِكُ لِقَوْمِهِ: هَذِهِ آيَةٌ أظْهَرَها الله لَكُمْ لِتَتّفِقُوا، وتَعْلَمُوا أنّ الله عَزّ وجَلّ كَما أحْيا هَؤُلاءِ، وأعادَ أرْواحَهُمْ إلى أجْسادِهِمْ، فكَذَلِكَ يُعِيدُ الخَلْقَ يَوْمَ القِيامةِ كَما بَدَأهُمْ، فرَجَعَ الكُلُّ إلى ما قالَهُ المَلِكُ، وعَلِمُوا أنّهُ الحَقُّ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٥] قَوْلَ الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقَدْ أفْرَدْنا لِلْكَلامِ[٦] على هَذِهِ الواوِ الّتِي يُسمِّيها بعض الناس: «واوَ الثمانيةِ» بابًا طَوِيلًا.

والّذِي يَلِيقُ بِهَذا المَوْضِعِ منه أنْ تَعْلَمَ: أن هذه الواوَ تَدُلُّ على تَصْدِيقِ القائِلِينَ بأنهم[٧] سبعةٌ، لِأنّها عاطِفةٌ على كَلام مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: نَعَمْ، وثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، وذَلِكَ أنّ قائِلًا لَوْ قالَ: إنّ زَيْدًا شاعِرٌ، فقُلْتَ لَهُ: وفَقِيهٌ، كُنْتَ قَدْ صَدّقْتَه، كَأنّك قُلْتَ: نَعَمْ، هُوَ كَذَلِكَ وفَقِيهٌ أيْضًا.

---

(١) أي: عظُم وتفاقَم.

(٢) في (ف): «بهم».

(٣) في (ف): «على البكاء والتضرع».

(٤) في (أ): «واشتهر».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٧١). (ج)

(٦) كذا في (هـ)، وفي (أ): «بالكلام»، وفيما عداهما: «الكلام».

(٧) في (أ): «أنهم».

وفي الحديثِ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أنتوضَّأُ بما أفضلَتِ الحُمُرُ؟ فقالَ: «وبما أفْضَلَتِ السِّباعُ». يُرِيدُ: نَعَمْ، وبما أفْضَلَتِ السّباعُ. خرّجَهُ الدّارَقُطْنِيُّ[1].

وفي التّنْزِيلِ: ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ ﴾ [البقرة: ١٢٦] هُوَ مِنْ هَذا البابِ، فَكَذَلِكَ ما أَخْبَرَ به عَنْهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، ولَيْسَ كَذَلِكَ: ﴿ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، و﴿ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾؛ لِأَنّهُ في موضعِ النَّعتِ لما قَبْلَهُ، فهُوَ داخِلٌ تَحْتَ قولِهِم معَ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولَمْ يَقُلْ ذَلِكَ في آخِرِ القِصّةِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[2] قَوْلَ الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ [ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ][3] ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤] وفَسّرَهُ، فقالَ: أي اسْتَثْنِ شِيئةَ الله. الشِّيئةُ: مَصْدَرُ شاءَ يَشاءُ، كَما أنّ الخِيفةَ مَصْدَرُ خاف يَخافُ، ولَكِنّ هَذا التّفْسِيرَ، وإنْ كانَ صَحِيحَ المَعْنى، فلَفْظُ الآيةِ مُشْكِلٌ جدًّا؛ لأن قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ نَهيٌ عَنْ أنْ يَقُولَ هَذا الكَلامَ، ولَمْ يَنْهَهُ عَنْ أنْ يَصِلَهُ بـ ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فيَكُونُ العَبْدُ المَنْهِيُّ عَنْ هَذا القَوْلِ مَنْهيًّا أيْضًا عَنْ أنْ يَصِلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هَذا مُحالٌ: فقَوْلُهُ إذًا: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ اسْتِثْناءٌ مِنَ الله، راجعٌ إلى أوّلِ الكَلامِ.

وهَذا أيْضًا ـ إذا تَأمّلْتَه ـ نَقْضٌ لِعَزِيمةِ النّهْيِ، وإبْطالٌ لِحُكْمِهِ؛ فإنّ السّيّدَ

---

(١) «سنن الدارقطني» (١: ١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه. (ج)

(٢) انظر «السيرة» (٣: ٧١). (ج)

(٣) ليس في (أ)، (ب).

إذا قالَ لِعَبْدِهِ: لا تَقُمْ إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ أنْ تَقُومَ، [فقَدْ حَلَّ عُقْدةَ النّهْيِ؛ لِأنّ مَشِيئَةَ اللهِ لِلْفِعْلِ لا تُعْلَمُ إلّا بالفِعْلِ، فلِلْعَبْدِ إذًا أنْ يَقُومَ][١]، ويَقُولَ: قَدْ شاءَ اللهُ أنْ أقُومَ، فلا يَكُونُ لِلنّهْيِ مَعْنًى على هَذا، فإذا لَمْ يمكن رَدُّ حَرْفِ الِاسْتِثْناءِ إلى النّهْيِ، ولا هو مِن الكَلامِ الّذِي نُهِي عَنْهُ العَبْدُ، فقَدْ تَبيّنَ إشْكالُهُ.

والجَوابُ: أنَّ في الكَلامِ حَذْفًا وإضْمارًا تَقْدِيرُهُ: ولا تَقُولَنّ لِشَيءٍ إنّي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إلّا ذاكِرًا إلّا[٢] أنْ يَشاءَ اللهُ، أوْ ناطِقًا بأنْ يَشاءَ اللهُ، ومَعْناهُ: إلّا ذاكِرًا شِيئَةَ اللهِ، [كَما][٣] قالَ ابنُ إسْحاقَ؛ لأنّ الشِّيئَةَ مَصْدَرٌ، و«أنْ» مَعَ الفِعْلِ بتَأْوِيلِ المَصْدَرِ، وإعْرابُ ذَلِكَ المَصْدَرِ مَفْعُولٌ بالقَوْلِ المُضْمَرِ، والعَرَبُ تَحْذِفُ القَوْلَ، وتَكْتَفي بِالمَقُولِ، ففي التّنْزِيلِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ [أيْ: يُقالُ لَهُمْ: أكَفَرْتُمْ][٤]، فَحُذِفَ القَوْلُ، وبَقِيَ الكَلامُ المَقُولُ.

وكَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]؛ أيْ يَقُولُونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ. وهُوَ كَثِيرٌ، وكَذَلِكَ إذًا قَوْلُهُ (إلّا) هِيَ مِنْ كَلامِ النّاهِي لَهُ سُبْحانَهُ، ثُمّ أضْمَرَ القَوْلَ، وهُوَ الذِّكْرُ الّذِي قَدّمْناهُ، وبَقِيَ المَقُولُ، وهُوَ: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وهَذا القَدْرُ يَكْفي في هَذا [المَقامِ، وإنْ كانَ][٥] في الآيةِ مِنْ بَسْطِ الكلامِ والتّفْتِيشِ ما هُوَ أكْثَرُ مِنْ هَذا.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) مضروب على (إلا) الثانية في (أ).

(٣) ليس في (أ).

(٤) سقط من (أ).

(٥) مكانه في (ب): «التأويل وكان».

فَصْلٌ

وفَسَّر[١] قوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٥] فقالَ: مَعْناهُ؛ أيْ: سَيَقُولُونَ ذَلِكَ، وهُوَ أحَدُ التَّأْويلاتِ فيها. وعلى هَذا القَوْلِ قراءةُ ابنِ مَسْعُودٍ: «وَقالُوا لَبِثُوا في كهفهم»، بِزِيادةِ: قالُوا.

ثُمّ قالَ ابنُ إسحاقَ: «قُلْ ربِّي أعلمُ بما لبثوا»[٢]، وهُوَ وهْمٌ مِنَ المُؤَلِّفِ، أوْ غَيْرِهِ، وإنّما التّلاوةُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ [الكهف: ٢٦]، وقَدْ قِيلَ: إنّهُ إخْبارٌ مِنَ اللهِ عَنْ مِقْدارِ لُبْثِهِمْ، ولَكِنْ لَمّا عَلِمَ اسْتِبْعادَ قُرَيْشٍ وغَيْرِهِمْ مِنَ الكُفّارِ لِهَذا المِقْدارِ، وعَلِمَ أنَّ فيهِ تَنازُعًا بَيْنَ النّاسِ، فمِنْ [ثَمّ][٣] قالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ وقَوْلِهِ: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وازْدادُوا تِسْعًا﴾[٤] [الكهف: ٢٥]، أيْ: إنّها ثَلاثُ مِئةٍ بِحِسابِ العَجَمِ، وإنْ حُسِبَتْ بالأهِلّةِ، فقَدْ زادَ العَدَدُ تِسْعًا؛ لِأنّ ثَلاثَ مِئةِ سَنةٍ بِحِسابِ الشَّمْسِ تسعٌ وثلاثُ مئةٍ بِحِسابِ القَمَرِ.

فإنْ قِيلَ: فكَيْفَ قالَ: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ ولَمْ يَقُلْ: سَنةٍ، وهُوَ قِياسُ العَدَدِ في العَرَبيّةِ، لِأنّ المِئةَ تُضافُ إلى لَفْظِ الواحِدِ؟

فالجَوابُ: [أنّ ﴿سِنِينَ﴾ في الآيةِ[٥] بَدَلٌ مِمّا قَبْلَها[٦]][٧]، لَيْسَ على

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٧٢). (ج)

(٢) في مطبوعة «السيرة»: «قل الله».

(٣) مضروب في (أ) على «فمن»، وليس فيها «ثم». وهو نصٌّ مستقيم أيضًا؛ لأن قوله: «قال...» جواب «لما».

(٤) كلمة «ثلاث مئة» مثبتة عن (ب).

(٥) قوله: «في الآية» ليس في (أ).

(٦) في (ف): «قبله».

(٧) مكانه في (ب): «أن في الكلام حذفًا وإضمارًا». وهو سهو من الناسخ، نقلَه مِن صدر =

حَدِّ الإضافةِ، ولا التَّمْييزِ، ولِحِكْمةٍ عَظِيمةٍ عُدِلَ باللَّفْظِ عَنِ الإضافةِ إلى البَدَلِ، وذَلِكَ أنَّهُ لَوْ قالَ: ثَلاثَ مِئةِ سَنةٍ، لَكانَ الكَلامُ كأنَّهُ[١] جَوابٌ لِطائِفةٍ واحِدةٍ مِنَ النّاسِ، والنّاسُ فيهِمْ طائِفَتانِ: طائِفةٌ عَرَفُوا طُولَ لُبْثِهِمْ، ولَمْ يَعْلَمُوا كَمِّيّةَ السِّنِينَ، فعَرَّفَهُمْ أنَّها ثَلاثُ مِئةٍ، [وطائِفةٌ لَمْ يَعْرِفُوا طُولَ لُبْثِهِمْ، ولا شَيْئًا مِنْ خَبَرِهِمْ، فلَمّا قالَ: ثَلاثَ مِئةٍ][٢]، مُعَرِّفًا لِلأَوَّلِينَ بِالكَمِّيّةِ الَّتِي شَكُّوا فيها، بَيَّنَ لِلآخَرِينَ أنَّ هَذِهِ الثَّلاثَ مِئةٍ[٣] سِنُونَ، ولَيْسَتْ أيّامًا، ولا شهورًا، فانتظَمَ البيانُ للطّائفتَينِ مِنْ ذِكْرِ العَدَدِ، وجَمْعِ المَعْدُودِ، وتَبَيَّنَ أنَّهُ بَدَلٌ؛ إذِ البَدَلُ يُرادُ بِهِ تَبْيِينُ ما قَبْلَهُ؛ ألا تَرى [أنَّ][٤] اليَهُودَ قَدْ كانُوا عَرَفُوا أنَّ لأَصْحابِ الكَهْفِ نَبَأً عَجِيبًا، ولَمْ يَكُنِ العَجَبُ إلّا مِنْ [طُولِ][٥] لُبْثِهِمْ[٦]، غَيْرَ أنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا على يَقِينٍ مِنْ أنَّها ثَلاثُ مِئةِ سَنة، أوْ أقَلُّ، فأخْبَرَ أنَّ تِلْكَ السِّنِينَ ثَلاثُ مِئة، ثُمّ لَوْ وقَفَ الكَلامُ ههُنا لَقالَتِ العَرَبُ، ومَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِخَبَرِهِمْ: ما هَذِهِ الثَّلاثُ مِئةٍ[٧]؟ فقالَ كالمُبَيِّنِ لَهُمْ: (سِنِينَ)، وقَدْ رُوِيَ مَعْنى هَذا التَّفْسِيرِ عَنِ الضَّحّاكِ، ذَكَرَهُ النَّحّاسُ[٨].

فَصْلٌ

وقالَ: ﴿ سِنِينَ ﴾، ولَمْ يَقُلْ أعْوامًا، ....

= الجواب السابق في الفَصل الذي قبل هذا الفصل.

(١) في (ب): «كله».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٣) في (ف): «المئة».

(٤) ليس في (أ) و(ب).

(٥) ليس في (أ).

(٦) بعده في (هـ): «لا بعثهم».

(٧) في (ف): «المئة».

(٨) «معاني القرآن» للنحاس: (٤: ٢٢٧). (ج)

و[السَّنةُ][١] والعامُ، وإنِ اتَّسعَتِ العَرَبُ فيهِما، واسْتَعْمَلَتْ كُلَّ اسمٍ مِنْهُما مَكانَ الآخَرِ اتّساعًا، ولَكِنَّ بَيْنَهُما في حُكْمِ البَلاغةِ، والعِلْمِ بِتَنْزِيلِ الكَلامِ فَرْقًا، فخُذْهُ أوّلًا مِنَ الاشْتِقاقِ؛ فإنّ السَّنةَ مِنْ: سَنا يَسْنُو: إذا دارَ حَوْلَ البِئْرِ، والدّابّةُ: هِيَ السّانيةُ، فكَذَلِكَ السَّنةُ دَوْرةٌ[٢] مِن دَوراتِ الشَّمسِ، وقد تُسَمّى السَّنةُ: دارًا، ففي الخَبَرِ: «إنّ بَيْنَ آدَمَ ونُوحٍ ألْفَ دارٍ»؛ أيْ: ألْفَ سَنةٍ، هَذا أصْلُ هذا الاِسْمِ، ومِنْ ثَمّ قالُوا: أكَلَتْهُم السّنةُ، فسَمّوْا شِدّةَ القَحْطِ: سَنةً، قالَ الله سُبْحانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] ومِنْ ثَمّ قِيلَ: أَسْنَتَ القَوْمُ: إذا قُحِطُوا[٣]. وكَأنّ وزْنَهُ أفْعَتُوا، لا أفعَلُوا، كَذَلِكَ قالَ بَعْضُهُمْ. وجَعَلَ سِيبَوَيْهِ التّاءَ بَدَلًا مِنَ الواوِ، فهِيَ عِنْدَهُ: أفْعَلُوا[٤]؛ لِأنّ الجُدُوبةَ والخِصْبَ مُعْتَبَرٌ بِالشّتاءِ والصّيْفِ، وحِسابُ العَجَمِ إنّما هُوَ بِالسِّنِينَ الشّمْسِيّةِ، بِها يُؤَرِّخُونَ، وأصْحابُ الكَهْفِ مِنْ أُمّةٍ عَجَمِيّةٍ، والنّصارى يَعْرِفُونَ حَدِيثَهُمْ، ويُؤَرّخُونَ بِهِ، فجاءَ اللّفْظُ في القُرْآنِ بِذِكْرِ السّنِينَ المُوافِقةِ لِحِسابِهِمْ، وتَمَّمَ الفائِدةَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾؛ لِيُوافِقَ حِسابَ العَربِ، فإنّ حِسابَهُمْ بِالشّهُورِ القَمَرِيّةِ، كالمُحَرَّمِ، وصَفَرٍ، ونَحْوِهِما.

وانْظُرْ بَعْدَ هَذا إلى قَوْلِهِ: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ الآية [يوسف: ٤٧] ولَمْ يَقُلْ: أعْوامًا، ففيه شاهِدٌ لِما تَقَدّمَ، غَيْرَ أنّهُ قالَ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ ﴾ [يوسف: ٤٩]، ولَمْ يَقُلْ: سَنةٌ، عُدُولًا عَنِ اللّفْظِ المُشْتَرَكِ؛ فإنّ السَّنةَ قَدْ يُعَبَّرُ بِها عَنِ الشِّدّةِ والأزْمةِ ـ كَما تَقَدّمَ ـ فلَوْ قالَ: سَنةٌ، لَذَهَبَ الوَهْمُ إلَيْها؛ مع أنّ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (أ): «هي دورة».

(٣) في (الف «أقحطوا».

(٤) «الكتاب» (٤: ٢٣٩، ٤٢٤)، على أن سيبويه جعلها بدلًا من الياء لا من الواو، وقد اعتذر السيرافي عنه، بأن هذه الواو تُقلب ياء في الفعل رابعة.

العامَ أقلُّ أيّامًا مِنَ السّنةِ، وإنّما دَلّتِ الرُّؤْيا على سَبْع سِنِينَ شِدادٍ، وإذا انْقَضى العَدَدُ، فلَيْسَ بَعْدَ الشّدّةِ إلّا رَخاءٌ، ولَيْسَ في الرُّؤْيا ما يَدُلُّ على مُدّةِ ذَلِكَ الرَّخاءِ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ أقَلَّ مِنْ عام، والزّيادةُ على العام مَشْكُوكٌ فيها، لا تَقْتَضِيه الرّؤْيا، فَحُكِمَ بالأَقَلِّ، وتُرِكَ ما يَقَعُ الشّكُّ فيهِ مِنَ الزِّيادةِ على العامِ، فهذه فائِدَتانِ في اللّفْظِ بـ(العامِ) في هَذا الموطنِ.

وأما قوله: ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف: ١٥] فإنّما ذَكَرَ السّنِينَ، وهِيَ أطْوَلُ مِنَ الأعْوامِ، لِأنّهُ مُخْبِرٌ عَنِ اكْتِهالِ الإنْسانِ، وتَمامِ قُوّتِهِ واسْتِوائِهِ، فلَفْظُ (السّنِينَ) أوْلى بِهَذا المَوْطِنِ لِأنّها أكْمَلُ مِنَ الأعْوامِ.

وفائِدةٌ أُخْرى: وهو أنّهُ أخبَر[1] عَنِ السِّنِّ، والسِّنُّ مُعْتَبَرٌ بالسِّنِينَ؛ لِأنّ أصْلَ السِّنِّ في الحَيَوانِ لا يُعْتَبَرُ إلّا بالسَّنةِ الشّمْسِيّةِ؛ لِأنّ النّتاجَ والحَمْلَ يَكُونُ بِالرّبِيعِ والصّيْفِ، حَتّى قِيلَ: رِبْعِيٌّ لِلْبَكِيرِ[2]، وصَيْفِيّ لِلْمُؤَخّرِ، قالَ الراجِزُ[3]: [من الرجز]

إنّ بَنِيَّ صِبْيَــةٌ صَيْفِيُّونْ   أفْلَحَ مَنْ كانَ لَهُ رِبْعِيُّونْ

فاسْتَعْمَلَهُ في الآدَمِيّينَ، فلَمّا قِيلَ في الفَصِيلِ ونَحْوِهِ: ابنُ سَنةٍ، وابنُ سَنَتَيْنِ، قِيلَ ذَلِكَ أيضًا في الآدَمِيّينَ، وإنْ كانَ أصْلُهُ في الماشِيَةِ لما قدَّمْنا.

وأما قوله سبحانه: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾[4] [لقمان: ١٤]؛ فلأنه[5] قال

(١) في (ف): «خبر».

(٢) كذا في (د)، (ج)، وفي (أ): «للكبير»، وفي (هـ)، (ب): «للبكر».

(٣) هو أكثَم بن صَيْفِي كما في «النوادر» لأبي زيد: (ص: ٣١٣)، و«تاج العروس» (صيف). وقيل: الرَّجز لسعد بن مالك بن ضُبيعة كما في «التاج» (بع)، وقيل: لغيرهما.

(٤) في النسخ: «وحملُهُ وفصاله...»، وصواب الاستشهاد ما أُثبِتَ. فأما آية [الأحقاف: ١٥] فنصُّها: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

(٥) في (أ): «فإنه سبحانه قال».

سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فالرّضاعُ مِنَ الأحْكامِ الشّرْعِيّةِ، وقَدْ قُصِرْنا(١) في الأحكامِ الشَّرعيّةِ على الحِسابِ بالأهِلّةِ.

وكَذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ [التوبة: ٣٧] ولَمْ يَقُلْ: سَنةً؛ لِأنّهُ يَعْنِي: شَهْرَ المُحَرّمِ، ورَبِيعٍ إلى آخِرِ العام، ولَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ بِأيْلُولَ، ولا بِتِشْرِين، ولا بِيَنِيرَ، ولا فَبْرَيرَ(٢)، وهِيَ الشّهُورُ الشّمْسِيّةُ.

وقَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] إخْبارٌ(٣) مِنْهُ لِمُحَمّدٍ ﷺ وأُمّتِهِ، وحِسابُهُمْ بِالأعْوامِ والأهِلّةِ، كَما وقّتَ لَهُمْ سُبْحانَهُ.

وقَوْلُهُ تعالى في قِصّةِ نُوحٍ: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤] [قِيلَ: إنّما ذَكَرَ أوّلًا السّنِينَ؛ لِأنّهُ كانَ في شدائدَ في مُدّتِهِ كُلِّها إلّا خَمْسِينَ عامًا](٤)، مُذ جاءَهُ الفَرَجُ، وأتاهُ الغَوْثُ.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ أنَّ الله ـ سُبْحانَهُ ـ عَلِمَ أنّ عُمْرَهُ كانَ ألْفًا، إلّا أنّ الخَمْسِينَ مِنْها كانَتْ أعْوامًا، فيَكُونُ عُمُرُهُ ألْفَ سَنةٍ، يِنْقُصُ مِنْها ما بَيْنَ السّنِينَ الشّمْسِيّةِ والقَمَرِيّةِ في الخَمْسِينَ خاصّةً؛ لِأنّ خَمْسِينَ عامًا بحساب الأهلّة أقلُّ مِنْ خَمْسِينَ سَنةً شَمْسِيّةً بِنَحْوٍ من [عامٍ](٥) ونِصْفٍ، فإنْ كانَ الله قَدْ عَلِمَ هَذا مِنْ عُمُرِهِ، فاللّفْظُ مُوافِقٌ لِهَذا المَعْنى، وإلّا ففي القَوْلِ الأوّلِ مَقْنَعٌ. والله أعْلَمُ بِما أرادَ.

---

(١) في (أ): «وقد قُصِر باقي الأحكام».

(٢) في (ب): «وفبرير».

(٣) في (أ)، (هـ): «إخبارًا».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٥) سقط من (أ).

فتَأمّلْ هَذا؛ فإنّ العِلْمَ بتَنْزِيلِ الكَلام، وَوَضْعَ الألْفاظِ في مَواضِعِها اللّائقةِ بِها، يَفْتَحُ لَكَ بابًا مِنَ العِلْمِ بإعْجازِ القُرْآنِ، واللهُ المستعانُ.

وابْنِ على هَذا الأصْلِ تَعْرِفِ المَعْنى في قَوْلِهِ: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٧٠] ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]، وأنّهُ كَلامٌ ورَدَ في مَعْرِضِ التّكْثِيرِ والتّفْخِيمِ لطُولِ ذَلِكَ اليَوْمِ، والسّنةُ أطْوَلُ مِنَ العامِ ـ كَما تَقَدّمَ ـ فلَفْظُها أَلْيَقُ بِهَذا المَقامِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ(١) قِصّةَ الرّجُلِ الطّوّافِ، والحَدِيثَ الّذِي جاءَ فيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُ كانَ مَلِكًا مَسَحَ الأرْضَ بِالأسْبابِ، ولَمْ يَشْرَحْ مَعْنى الأسْبابِ، ولِأهْلِ التّفْسِيرِ فيهِ أقْوالٌ مُتَقارِبةٌ، قالُوا في قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]؛ أيْ: عِلْمًا يَتْبَعُهُ، وفي قَوْلِهِ: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٥]؛ أيْ: طَرِيقًا مُوَصِّلةً.

وقالَ ابنُ هِشامٍ في غَيْرِ هَذا الكِتابِ: السّبَبُ: حَبْلٌ مِنْ نُورٍ، كانَ مَلَكٌ يَمْشِي بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فيَتْبَعُهُ.

وقَدْ قِيلَ في اسْمِ ذَلِكَ المَلَكِ: زياقيل. وهَذا يَقْرُبُ مِنْ قَوْلِ مَنْ قالَ: ﴿ سَبَبًا ﴾، أيْ: طَرِيقًا. ويَقْرُبُ أن يكون تفسيرًا لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَسَحَ الأرْضَ بِالأسْبابِ».

واخْتُلِفَ في تَسْمِيَتِهِ بِذِي القَرْنَيْنِ، كَما اخْتُلِفَ في اسْمِهِ، واسْمِ أبِيهِ، فأصَحُّ ما جاءَ في ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ أبِي الطُّفَيْلِ عامِرِ بنِ واثِلةَ، قالَ: سَألَ ابنُ الكَوّاءِ عَلِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ رضي الله عنه، فقالَ: أرَأيْتَ ذا القَرْنَيْنِ، أنَبِيًّا كانَ أمْ

(١) انظر «السيرة» (٣: ٧٢). (ج)

مَلِكًا؟ فقال: «لا نَبِيًّا كانَ، ولا مَلِكًا، ولَكِنْ كانَ عَبْدًا صالِحًا، دَعا قَوْمَهُ إلى عِبادةِ اللهِ، فضَرَبُوهُ على قَرْنَيْ[1] رَأْسِهِ ضَرْبَتَيْنِ. وفيكُمْ مِثْلُهُ»، يَعْنِي: نَفْسَهُ.

وقِيلَ: كانَ[2] لَهُ ضَفيرَتانِ مِنْ شَعَرٍ، والعَرَبُ تُسَمّي الخُصْلةَ مِنَ الشَّعَرِ: قَرْنًا.

وقِيلَ: إنَّهُ رَأى في المَنامِ رُؤْيا طَوِيلةً: أَنَّهُ أَخَذَ[3] بِقَرْنَي الشَّمْسِ، فكانَ التَّأْوِيلُ أَنَّهُ بَلَغ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ.

وذَكَرَ هَذا الخَبَرَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ القيروانيُّ العابِدُ[4] في كِتابِ «البُسْتانِ» لَهُ، [قالَ][5]: وبِهَذا سُمِّيَ: ذا القَرْنَيْنِ.

وأمّا اسْمُهُ، فقالَ ابنُ هِشامٍ في هَذا الكِتابِ: اسْمُهُ: مَرْزَبى[6] بنُ مَرْذَبةَ، بِذالٍ مَفْتُوحةٍ في اسْمِ أَبِيهِ، وزايٍ في اسمِهِ.

وقيل فيه: هُرْمُس. وقِيلَ: هِرْدِيس. وقالَ ابنُ هِشامٍ في غَيْرِ هَذا الكِتابِ: اسْمُهُ: الصَّعْبُ بنُ ذِي مَراثِدَ[7]، وهُوَ أَوَّلُ التَّبابِعةِ، وهُوَ الَّذِي حَكَمَ لإِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ[8] السَّبعِ حِينَ حاكَمَ إِلَيْهِ فيها.

---

(١) في (ب): «قرن».

(٢) في (ف): «كانت».

(٣) في (هـ): «آخذ». واقرأ عن ذي القرنين: «تفسير القرطبي» (طبعة دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٠م): (٥: ٢٣٨) وما بعدها، وكتاب «التيجان في ملوك حِمْيَر» لوهب بن منبه، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، أكتوبر ١٩٩٦م: (ص: ٩١) وما يليها.

(٤) في (أ)، (ب): «العابر»، وفي (د)، (هـ): «العابد».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) في «السيرة»: «مرزبان».

(٧) انظر: «كتاب التيجان في ملوك حمير» (ص: ٩١) وما يليها.

(٨) مكانه في (أ) كلمة غير واضحة.

وقِيلَ: إنّهُ أفريذونُ بنُ أثْفِيانَ الّذِي قَتَلَ الضّحّاكَ. ويُرْوى في خُطْبَةِ قُسٍّ ابنِ ساعِدَةَ الّتِي خَطَبَها بِسُوقِ عُكاظٍ، أنه قال فيها: يا معشرَ إيادٍ، أيْنَ الصّعْبُ ذُو القَرْنَيْنِ، مَلَكَ الخافِقَيْنِ، وأذَلَّ الثَّقَلَيْنِ، وعُمِّرَ ألْفَيْنِ، ثُمّ كانَ كَلَحْظَةِ[1] عَيْنٍ؟!

وأنْشَدَ ابنُ هِشامٍ [لِلْأعْشى][2]: [من الكامل]

والصّعْبُ ذُو القَرْنَيْنِ أصْبَحَ ثاوِيًا ... بِالحِنْوِ فِي جَدَثٍ أُمَيْمَ مُقيمِ

وَقَوْلُهُ: «بِالحِنْوِ» يُرِيدُ: حِنْوَ قُراقِرٍ[3] الّذِي ماتَ فيهِ ذُو القَرْنَيْنِ بالعِراقِ.

وقَوْلُ ابنِ هِشامٍ في «السيرة»: إنه مِن أهلِ مصرَ، وإنه الإسْكَنْدَرُ الّذِي بَنى الإسكندريةَ فعُرِفَتْ بِهِ، قَوْلٌ بَعِيدٌ [مِمّا تَقَدّمَ][4]، ويَحْتَمِلُ عندي أنْ يَكُونَ الإسْكَنْدَرُ سُمِّيَ: ذا القَرْنَيْنِ أيْضًا تَشْبِيهًا لَهُ بِالأوّلِ؛ لِأنّهُ مَلَكَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ - فيما ذكروا أيضًا - وأذَلَّ مُلوكَ فارسَ، وقتَل دارا بنَ دارا[5]، وقهَر[6] مَلِكَ[7] الرّومِ وغَيْرَهُمْ.

---

(١) في (هـ): «كلمحة».

(٢) بعده في (أ)، (ب): «للأعشى». وقد نسب في «المحبّر» (ص: ٣٦٦) إلى لبيد، وكذلك في «اللسان» (صعب).

(٣) قُراقِر، وحِنْو قَرار، وحِنْو ذي قار كلُّها حَول ذي قار. وذو قار: ماءٌ لبَكر بن وائل، قريب من الكوفة. انظر: «البلدان» (قار، وقراقر). وانظر: «معجم البلدان» لياقوت: (قراقر).

(٤) ليس في (ب).

(٥) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: (١: ٢٨٢) وما يليها.

(٦) في (ب): «وقتل».

(٧) في (ف): «ملوك».

وقالَ الطَّبَرِيُّ في الإسْكَنْدَر: هُوَ إسكندروسُ[١] بنُ فليفوس[٢]. وقال المسعوديُّ[٣]: ابنُ قَلِيسٍ، وكانَتْ أُمُّهُ زِنْجِيَّةً، وكانَتْ أُهدِيتْ لدارا الأكبرِ، أوْ سَباها، فوَجَدَ مِنْها نَكْهةً اسْتَثْقَلَها، فعُولِجَتْ ببَقْلةٍ يُقالُ لَها: أندروس، [فحَمَلَتْ مِنْهُ بِدارا الأصْغَرِ، فلَمّا رضَعَتْهُ رَدَّها، فتَزَوّجَها والِدُ الإسْكَنْدَر، فحَمَلَتْ مِنْهُ بالإسكندروسِ][٤]، فاسْمُهُ عِنْدَهُمْ مُشْتَقٌّ مِنْ تِلْكَ البَقْلةِ الّتِي طُهِّرَتْ أُمُّهُ بِها فيما ذَكَرُوا.

وذُكِرَ عَنِ الزُّبَيْرِ بنِ بكّارٍ أنّهُ قالَ: ذُو القَرْنَيْنِ هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ الضّحّاكِ بنِ مَعَدٍّ.

وفي «المُحَبَّر في ذِكْرِ مُلُوكِ الحِيرةِ»[٥]، قالَ: الصّعْبُ بنُ قَرِينٍ هُوَ ذُو القَرْنَيْنِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونُوا مُلُوكًا في أوْقاتٍ شَتّى، يُسَمّى كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ: ذا القَرْنَيْنِ، واللهُ أعْلَمُ، والأوّلُ كانَ على عَهْدِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السّلامُ، وهُوَ صاحِبُ الخَضِرِ حِينَ طَلَبَ عَيْنَ الحَياةِ، فوَجَدَها الخَضِرُ، ولَمْ يَجِدْها ذُو القَرْنَيْنِ، حالَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَها الظُّلُماتُ الّتِي وقَعَ فيها هُوَ وأجْنادُهُ في خَبَرٍ طَوِيلٍ مَذْكُورٍ في بَعْضِ التّفاسِيرِ، مشهورٍ عندَ الإخبارِيِّين[٦].

وأمّا قَوْلُ عُمَرَ لِرَجُلٍ سَمِعَهُ يَقُولُ: يا ذا القَرْنَيْنِ: «لَمْ يَكْفِكُمْ أنْ تَتَسَمَّوْا بِالأنْبِياءِ حَتّى تَسَمّيْتُمْ بِالمَلائِكةِ». إنْ كانَ عُمَرُ قالَهُ بِتَوْقِيفٍ مِنَ الرّسُولِ ﷺ،

---

(١) في (ف): «إسكنذر».

(٢) في (ف): «فيلقوس».

(٣) في (ف): «ويقال فيه».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٥) كذا في النسخ، والذي في «المحبّر» (ص: ٣٦٥): «في تسمية ملوك حمير».

(٦) انظر: «كتاب التيجان في ملوك حمير» (ص: ١٠٠ ـ ١٠٢).

فهُوَ مَلَكٌ، لا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ إلّا الحَقَّ، وإنْ كانَ قالَهُ بتَأْوِيلٍ تَأَوَّلَهُ، فَقَدْ خالَفَهُ عَلِيٌّ في الخَبَرِ المُتَقَدِّمِ، واللهُ أعْلَمُ أيُّ الخَبَرَيْنِ أصَحُّ نَقْلًا، غَيْرَ أنَّ الرِّوايَةَ المُتَقَدِّمَةَ عَنْ عَلِيٍّ يُقَوِّيها ما نَقَلَهُ أهْلُ الأخْبارِ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ، واللهُ أعْلَمُ.

وكانَ مِنْ مَذْهَبِ عُمَرَ رضي الله عنه كَراهِيَةُ التَّسَمِّي بِأسْماءِ الأنْبياءِ، فقَدْ أنْكَرَ على المُغِيرةِ تكْنِيَتَهُ بِأبِي عِيسى[١]، وأنْكَرَ على صُهَيْبٍ تكْنِيَتَهُ بِأبِي يَحْيى، فأخْبَرَه كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَنّاهُ بِذَلِكَ، فسَكَتَ.

وكأنَّ عُمَرَ رضي الله عنه [إنّما][٢] كَرِهَ مِنْ ذَلِكَ الإكْثارَ، وأنْ يُظَنَّ أنّ لِلْمُسَمّى شَرَفًا في الِاسْمِ إذا سُمِّيَ بِاسْمِ نَبِيٍّ، أوْ أنّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ في الآخِرةِ، فكَأنّهُ اسْتَشْعَرَ مِنْ رَعِيّتِهِ هَذا الغَرَضَ أوْ نَحْوَهُ، هُوَ أعْلَمُ بما كَرِهَ مِنْ ذَلِكَ، وإلّا فقَدْ سَمّى بِـ(مُحَمّدٍ) طائِفةٌ مِنَ الصّحابةِ، مِنْهُمْ: أبُو بَكْرٍ، وعَلِيّ، وطلحة، وأبو حذيفة، وأبو جَهْمِ بنُ حُذَيْفةَ، وحاطِبٌ وحَطّابٌ ابنا الحارِثِ، كُلّ هَؤُلاءِ المُحَمّدِينَ كانُوا يُكَنَّونَ بِأبِي القاسِمِ إلّا مُحَمّدَ بنَ حَطّابٍ.

وسَمّى أبُو مُوسى ابنًا لَهُ بِـ(مُوسى)، فكانَ يُكَنّى بِهِ، وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ سَمّى ابنَهُ يَحْيى، وعَلِمَ بِهِ النّبِيُّ ﷺ [فلَمْ يُنْكِرْه عَلَيْهِ][٣]، وكانَ لِطَلْحةَ عَشَرةٌ [مِنَ الوَلَدِ][٤]، كُلُّهُمْ تَسَمَّى بِاسْمِ نَبِيٍّ، مِنْهُمْ: مُوسى بنُ طَلْحةَ، وعِيسى، وإسْحاقُ، ويَعْقُوبُ، وإبْراهِيمُ، ومحمدٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب (٤: ٢٩١)، وانظر: «أسد الغابة»، ترجمة صهيب: (٢: ٣٦)، وترجمة المغيرة بن شعبة: (٥: ٢٤٩).

(٢) ليس في (ب)، (هـ).

(٣) ليس في (أ).

(٤) ليس في (ب).

وكان للزبيرِ عشَرةٌ، كُلُّهُمْ تَسَمَّى بِاسْمِ شَهِيدٍ، فقالَ لَهُ طَلْحةُ: أنا أُسَمِّيهِمْ بِأسْماءِ الأنْبياءِ، وأنْتَ تُسَمِّيهِمْ بِأسْماءِ الشُّهَداءِ. قالَ الزُّبَيْرُ: «فإنِّي أطْمَعُ أنْ يَكُونَ بَنِيَّ شُهَداءَ، ولا تَطْمَعُ أنْتَ أنْ يكونَ بَنُوكَ أنبياءَ». ذكَرَه ابنُ أبِي خَيْثَمةَ(١).

وسَمّى رَسُولُ الله ﷺ ابنَهُ: إبْراهِيمَ، والآثارُ في هَذا المَعْنى كَثِيرةٌ.

وفي «السُّنَنِ» لِأبِي داوُدَ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «سَمُّوا بِأسْماءِ الأنْبِياءِ»(٢). وهَذا مَحْمُولٌ على الإباحةِ، لا على الوُجُوبِ.

وأمّا التّسَمّي بِمُحَمّدٍ، ففي «مُسْنَدِ الحارِثِ» عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قال: «مَن كانَ لَهُ ثَلاثةٌ مِنَ الوَلَدِ، ولَمْ يُسَمِّ أحَدَهُمْ بِمُحَمّدٍ، فقَدْ جَهِلَ»(٣).

وفي «المُعَيْطِيِّ» عَنْ مالِك قال: «ما كانَ في أهل بيتٍ اسمُ محمَّدٍ إلّا كثُرتْ بَركتُه ورِزقُه».

وأما التكنِّي بأبي القاسمِ لِمَنِ اسمُه محمَّدٌ [فقد قدَّمنا مَن تكنّى بذلك من أبناءِ الصَّحابةِ ممن اسمُه منهم محمدٌ.

وفي «المُعَيْطِيِّ»(٤) عن مالكٍ، أنّهُ سُئِلَ عَمّنِ اسْمُهُ مُحَمّدٌ](٥)، ويُكَنّى أبا القاسِمِ، فلَمْ يرَ بِهِ بَأْسًا، [فقِيلَ لَهُ: أكَنّيْتَ(٦) ابنَك أبا القاسِمِ، واسْمُهُ مُحَمّدٌ؟

(١) «التاريخ الكبير» = «تاريخ ابن أبي خيثمة» (٢: ٩١). (ج)

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: (٤: ٢٨٨).

(٣) رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد»، كتاب الأدب: (٨: ٤٩).

(٤) في (هـ): «وفي الموطأ».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) في (ف): «كنيت».

فقالَ: ما كَنّيْتُهُ بِها، ولَكِنّ أهْلَهُ يُكَنُّونَهُ بِها، ولَمْ أسْمَعْ في ذَلِكَ نَهْيًا، ولا أرى بِذَلِكَ بَأْسًا][١].

وهَذا يَدُلُّ على أنّ مالِكًا لَمْ يَبْلُغْهُ، أوْ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ حَدِيثُ النّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، وقَدْ رواه أهلُ الصحيحِ[٢]. فاللهُ أعْلَمُ.

ولَعَلّهُ بَلَغَهُ حَدِيثُ عائِشَةَ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ قالَ: «ما الّذي أحَلَّ اسْمِي، وحَرّمَ كُنْيَتِي؟»[٣]. وهَذا هُوَ النّاسِخُ لِحَدِيثِ النّهْيِ، واللهُ أعْلَمُ.

وقد كانَ ابنُ سِيرِينَ يَكْرَهُ لِكُلِّ أحَدٍ أنْ يَتَكَنّى[٤] بِأبِي القاسِمِ، كانَ اسْمُهُ مُحَمّدًا، أوْ لَمْ يَكُنْ، وطائِفَةٌ إنّما يَكْرَهُونَهُ لِمَنِ اسْمُهُ مُحَمّدٌ.

وفي «المُعَيْطِيِّ» أيْضًا: أنّهُ سُئِلَ عَنِ التّسْمِيةِ بِمَهْدِيّ فكَرِهَهُ، وقالَ: وما عِلْمُهُ بِأنّهُ مَهْدِيٌّ، وأباحَ التّسْمِيةَ بِالهادِي، وقالَ: لِأنّ الهادِيَ[٥] الّذي يَهْدِي الطّرِيقَ، وقد قدَّمنا[٦] كراهيةَ مالكٍ للتسمّي [بِجِبْرِيلَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ كَراهِيةَ عُمَرَ لِلتّسَمّي][٧] بِأسْماءِ المَلائِكةِ، وكَرِهَ مالِكٌ التّسَمّيَ بِياسِينَ.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الأدب، و«فتح الباري» (١٠: ٥٧١)، ومسلم: (٣: ١٦٨٢).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب: (٤: ٢٩٢).

(٤) في (ف): «يكنى».

(٥) بعده في (ف): «هو».

(٦) انظر: (٢: ٣٥٨).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

فَصْلٌ

وذَكَرَ[1] سُؤالَهُمْ عَنِ الرّوح، وما أنْزَلَ اللهُ فيهِ مِنْ قَوْلِهِ عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية [الإسراء: ٨٥].

ورُوِيَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ البَكّائِيِّ؛ أنّهُ قالَ في هَذا الخَبَرِ: فناداهُمْ [رَسُولُ الله][2] ﷺ: «هُوَ جِبْرِيلُ». وهَذِهِ الرّوايةُ عَنِ ابنِ إسْحاقَ[3] تَدُلُّ على خِلافِ ما رَوى غَيْرُهُ أنّ يهودَ قالت لقريشٍ: اسألوه عَنِ الرّوحِ، فإنْ أخْبَرَكُمْ بِهِ، فهو نبيٌّ[4]، وإنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ به، فليس بنَبِيٍّ[5].

وقالَ ابنُ إسحاقَ فيما تقدَّمَ من الحديثِ: اسألوه عن الرجلِ الطّوّافِ، وعَنِ الفِتْيةِ، وعَنِ الرّوحِ، فإنْ أخْبَرَكُمْ، وإلّا فالرّجُلُ مُتَقَوِّلٌ. فَسَوّى في هذا الخَبَرِ بَيْنَ الرّوحِ وغَيْرِهِ.

واخْتَلَفَ أهْلُ التّأويلِ في الرّوحِ المَسْؤولِ عَنْهُ، فقالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ جِبْرِيلُ؛ لِأنّهُ الرّوحُ الأمِينُ، ورُوحُ القُدُسِ.

وعلى هَذا القولِ رِوايةُ ابنِ إسحاقَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لِقُرَيْشٍ حِينَ سَألُوهُ: «هُوَ جِبْرِيلُ».

وقالَتْ طائِفةٌ: الرّوحُ خَلْقٌ مِنَ المَلائِكةِ على صُورَةِ[6] بَنِي آدَمَ.

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٧٣). (ج)

(٢) ليس في (أ).

(٣) بعده في المطبوعة: «من غير طريق ابن إسحاق». وهي زيادة نقلت من العبارة السابقة.

(٤) «فهو نبي» في النسخ: «فليس بنبي».

(٥) «فليس بنبي» في النسخ: «فهو نبي».

(٦) في (ف): «صور».

وقالَتْ طائِفةٌ: الرّوحُ خَلْقٌ يَرَوْنَ المَلائِكةَ، ولا تَراهُمْ، فهُمْ لِلْمَلائِكةِ كالمَلائِكةِ لِبَنِي آدَمَ.

ورُوِيَ عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه؛ أنّهُ قالَ: الرّوحُ مَلَكٌ لَهُ مِئةُ أَلْفِ [رَأْسٍ، لِكُلِّ رَأْسٍ مِئةُ أَلْفِ][1] وجْهٍ، في كُلِّ وجْهٍ مِئةُ أَلْفِ فَمٍ، في كُلِّ فَمٍ مِئةُ أَلْفِ لِسانٍ يُسَبِّحُ اللهَ بِلُغاتٍ مُخْتَلِفةٍ.

وقالَتْ طائِفةٌ: الرّوحُ الّذِي سَأَلَتْ عَنْهُ يَهُودُ هُوَ رُوحُ الإنْسانِ. ثُمّ اخْتَلَفَ أصْحابُ هَذا القَوْلِ، فمِنْهُمْ مَنْ قالَ: لَمْ يُجِبْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ على سُؤالِهِمْ؛ لِأنّهُمْ سَأَلُوهُ[2] تَعَنُّتًا واسْتِهْزاءً، فقالَ اللهُ لَهُ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] ولَمْ يَأْمُرْهُ أنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ.

وقالَتْ طائِفةٌ: بَلْ أخْبَرَهُمُ[3] اللهُ بِهِ، وأجابَهُمْ عَمّا سَأَلُوا؛ لِأنّهُ قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وأمْرُ الرّبّ هُوَ الشّرْعُ، والكِتابُ الّذِي جاءَ بِهِ، فمَنْ دَخَلَ في الشّرْعِ، وتَفَقّهَ في الكِتابِ والسّنّةِ، عَرَفَ الرُّوحَ، فكانَ مَعْنى الكَلامِ: ادخُلوا في الدِّينِ تَعرفُوا ما سألتم عنه، فإنّهُ مِنْ أمْرِ رَبّي؛ أيْ: مِنَ الأمْرِ الّذِي جِئْتُ بِهِ مُبَلِّغًا عَنْ رَبّي، وذَلِكَ أنّ الرُّوحَ لا سَبِيلَ إلى مَعْرِفَتِهِ مِنْ جِهةِ الطّبيعةِ، ولا مِنْ جِهةِ الفَلْسَفةِ، ولا مِن جِهة الرأيِ والقِياسِ، وإنّما يُعْرَفُ مِنْ جِهةِ الشّرْعِ، فإذا نَظَرْتَ إلى ما في الكِتابِ والسُّنّةِ مِنْ ذِكْرِهِ، نَحْوَ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]؛ أيْ مِنْ رُوحِ الحَياةِ، والحَياةُ مِنْ صِفاتِ الله تعالى، والنّفْخُ ـ في الحَقِيقةِ ـ مُضافٌ إلى مَلَكٍ يَنْفُخُ بِأمْرِ رَبِّهِ، ويَنْظُرُ إلى ما أخْبَرَ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (ف): «سألوا».

(٣) في (ف): «قد أخبرهم».

بِهِ الرّسُولُ ﷺ أنَّ الأرْواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدةٌ[(١)]، وأنّها تَتعارَفُ وتَتَشامُّ في الهَواءِ، وأنّها تُقْبَضُ مِن الأجسادِ بعدَ الموتِ، وأنَّها تُسألُ في القَبْرِ، فتَفْهَمُ السّؤالَ، وتَسْمَعُ وتَرى، وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ، وتَلْتَذُّ وتَألَمُ[(٢)]، وهَذِهِ كُلُّها مِنْ صِفاتِ الأجْسامِ، فتَعْرِفُ أنّها أجْسامٌ بِهَذِهِ الدّلائِلِ، لَكِنّها لَيَسَتْ كالأجْسادِ في كَثافَتِها وثِقَلِها، وإظْلامِها، إذِ الأجْسادُ خُلِقَتْ مِنْ ماءٍ، وطِينٍ، وحَمَأٍ مَسْنُونٍ، فهُوَ أصْلُها، والأرْواحُ خُلِقَتْ مِمّا قالَ الله تَعالى، وهُوَ النّفْخُ المُتَقَدِّمُ المُضافُ إلى المَلَكِ.

والمَلائِكةُ خُلِقَتْ مِنْ نُورٍ ـ كَما جاءَ في الصّحِيحِ ـ وإنْ كانَ قَدْ أضافَ النّفْخَ إلى نَفْسِهِ سبحانه، فكَذَلِكَ أضافَ قَبْضَ الأرْواحِ إلى نَفْسِهِ، فقالَ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]، وأضافَ ذَلِكَ إلى المَلَكِ أيْضًا، فقالَ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١]، والفِعْلُ مُضافٌ إلى المَلَكِ مَجازًا، وإلى الرّبِّ حَقِيقةً، فهُوَ إذًا جِسْمٌ، ولَكِنّهُ مِنْ جِنْسِ الرّيحِ، ولِذَلِكَ سُمّيَ رُوحًا مِنْ لَفْظِ الرِّيحِ، ونَفْخُ[(٣)] المَلَكِ في مَعْنى الرّيحِ، غَيْرَ أنّهُ ضُمَّ أوّلُهُ؛ لِأنّهُ نُورانِيّ، والرّيحُ هَواءٌ مُتَحَرِّكٌ، وإذا كانَ الشَّرْعُ قَدْ عَرَّفَنا مِنْ مَعانِي الرّوحِ وصِفاتِهِ بِهَذا القَدْرِ، فقَدْ عرفَ مِنْ جِهةِ أمْرِهِ، كَما قالَ سبحانه: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقَوْلُهُ: ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أيْضًا، ولَمْ يَقُلْ: مِنْ أمْرِ الله، ولا مِنْ أمْرِ رَبِّكُمْ، يَدُلُّ على خُصُوصٍ، وعلى ما قَدّمْناهُ مِنْ أنّهُ لا يَعْلَمُهُ إلّا مَنْ أخَذَ مَعْناهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ، وقَوْلِ رَسُولِهِ بَعْدَ الإيمانِ بِاللهِ ورَسُولِهِ، واليَقِينِ الصّادِقِ، والفِقْهِ في

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأنبياء: (٦: ٣٦٩)، ومسلم، كتاب البر: (٤: ٢٠٣١).

(٢) أخرج مسلم في كتاب المساجد (١: ٣٩٤) قوله عليه السلام: «إن الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه الإنس».

(٣) في (ب)، (ف): «ونفخة».

الدّينِ، فإنْ كانَ لَمْ يُخْبِرِ اليَهُودَ حِينَ سَأَلُوهُ عَنْهُ، فقَدْ أحالَهُمْ على مَوْضِعِ العِلْمِ بِهِ، [والحمدُ للهِ](١).

فَصْلٌ

ومِمّا يَتّصِلُ بِمَعْنى الرّوحِ وحَقِيقَتِهِ أنْ تَعْرِفَ: هَلْ هو النّفْسُ أوْ غَيْرُها؟ وقَدْ كَثُرَتْ في ذلك الأقوالُ، واضطربَتِ المذاهبُ، فَتَعلَّق قومٌ بِظَواهِرَ مِنَ الأحادِيثِ لا تُوجِبُ القَطْعَ؛ لِأنّها نَقْلُ آحادٍ، وأيْضًا فإنّ ألْفاظَها مُحْتَمِلَةٌ لِلتّأْوِيلِ، ومَجازاتُ العربِ واتّساعاتُها في الكَلامِ كَثِيرةٌ، فمِمّا تَعَلّقُوا بِهِ في أنّ الرّوحَ هِيَ النّفْسُ قولُ بلالٍ: «أخذَ بنَفْسِي الذي أخذَ بنَفْسِك»(٢)، مَعَ قَوْلِ النّبِيِّ ﷺ: «إنّ اللهَ قَبَضَ أرْواحَنا»(٣)، وقَوْله عَزّ وجَلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] والمَقْبُوضةُ هِيَ الأرْواحُ، ولَمْ يُفرّقُوا بَيْنَ القَبْضِ والتّوَفّي، ولا بَيْنَ الأخْذِ في قَوْلِ بِلالٍ: «أخَذَ بِنَفْسِي»، وبَيْنَ قَوْلِ النّبِيِّ ﷺ: «[إنّ اللهَ](٤) قَبَضَ أرْواحَنا». وتَنْقِيحُ الأقْوالِ وتَرْجِيحُها يَطُولُ.

وَقَدْ رَوى أبُو عُمَرَ في «التّمْهِيدِ»(٥) حَدِيثًا يَدُلُّ على خِلافِ مَذْهَبِهِ في أنّ النّفْسَ هِيَ الرُّوحُ، لَكِنّه عَلّلَهُ فيهِ أنّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ وجَعَلَ فيهِ نَفْسًا ورُوحًا، فمِنَ الرّوحِ: عَفافُهُ، وفَهْمُهُ، وحِلْمُهُ، وسَخاؤُهُ، ووَفاؤُهُ، ومِنَ النّفْسِ: شَهْوَتُهُ، وطَيْشُهُ، وسَفَهُهُ، وغَضَبُهُ، ونَحْوُ هَذا.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) النسائي، كتاب الصلاة، و«الموطأ» كتاب وقوت الصلاة: (١: ١٣ـ ١٤).

(٣) «الموطأ»، كتاب وقوت الصلاة: (١: ١٤).

(٤) ما بين المعقوفين عن (أ). وفي (ب): «أخذ أرواحنا».

(٥) «التمهيد» لابن عبد البر: (٥: ٢٤٣، ٢٤٤). (ج)

وهَذا الحَدِيثُ مَعْناهُ صَحِيحٌ إذا تُؤُمِّلَ، صَحّ نَقْلُهُ أوْ لَمْ يَصِحَّ.

وسَبيلُك أنْ تَنْظُرَ في كِتابِ الله أوّلًا، لا إلى الأحادِيثِ الّتِي تُنْقَلُ مَرّةً على اللّفْظِ، ومَرّةً على المَعْنى، ويَخْتَلِفُ فيها ألْفاظُ المُحَدِّثِينَ، فنَقُولُ: قالَ الله عز وجل: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، ولَمْ يَقُلْ: مِنْ نَفْسِي، وكَذَلِكَ قالَ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]، ولَمْ يقل: مِن نَفْسِهِ، ولا يَجُوزُ أيْضًا أنْ يُقالَ هَذا، ولا خَفاءَ بما بَيْنَهُما مِنَ الفَرْقِ في الكَلامِ، وذَلِكَ يَدُلُّ على أنّ بَيْنَهُما فرْقًا في المَعْنى.

وبِعَكْسِ هَذا قَوْلُهُ تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [المائدة: ١١٦] ولَمْ يَقُلْ: تَعْلَمُ ما في رُوحِي، وقال: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ ولم يَقلْ: ما في رُوحِك، ولا يَحْسُنُ هَذا القَوْلُ أيْضًا أنْ يَقُولَهُ غَيْرُ عِيسى، ولَوْ كانَتِ النّفْسُ والرّوحُ اسْمَيْنِ لِمَعْنًى واحِدٍ، كاللَّيْثِ والأسَدِ، لَصَحّ وُقُوعُ كُلٍّ واحِدٍ مِنْهُما مَكانَ صاحبِهِ، وكذلك قولُه: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨]، ولا يَحْسُنُ في الكَلامِ: يَقُولُونَ في أرْواحِهِمْ، وقال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الزمر: ٥٦]، ولَمْ يَقُلْ: أنْ تَقُولَ رُوحٌ، ولا يَقُولُهُ أيضًا عَرَبِيٌّ! فأيْنَ إذًا كَوْنُ النّفْسِ والرّوحِ بِمَعْنًى واحِدٍ لَوْلا الغَفْلةُ عَنْ تَدَبُّرِ كَلامِ الله سبحانه؟!

ولكن بقيتْ دقيقةٌ يُعرَفُ منها السِّرُّ والحَقِيقةُ، ولا يَكُونُ بَيْنَ القَوْلَيْنِ اخْتِلافٌ مُتَبايِنٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، فنَقُولُ وباللهِ التّوْفيقُ: الرّوحُ مُشْتَقٌّ مِنَ الرّيحِ، وهُوَ جِسْمٌ هَوائِيٌّ لَطِيفٌ، بِهِ تكُونُ حَياةُ الجَسَدِ عادةً أجْراها الله؛ لأنَّ العَقْلَ يُوجِبُ ألّا تكُونَ لِلْجِسْمِ حَياةٌ، حَتّى يُنْفَخَ فيهِ ذَلِكَ الرّوحُ الّذِي هُوَ في تَجاوِيفِ الجَسَدِ، كَما قالَ ابنُ فُورَكَ[١]، ....

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَكَ، صاحب التصانيف في الأصول والعلم، توفي سنة =

وأبُو المَعالِي[١]، وأبُو بَكْرٍ المُرادِيُّ[٢]، وسَبَقَهُمْ إلى نَحْوٍ مِنْهُ أبُو الحَسَنِ الأشْعَرِيُّ[٣]، ومَعْنى كَلامِهِمْ واحِدٌ، أوْ مُتَقارِبٌ.

فَصْلٌ

وإذا ثَبَتَ أنّ الرّوحَ هو سَبَبُ الحياةِ عادةً أجراها اللهُ، فهو كالماءِ الجارِي في عُرُوقِ الشّجَرِ[٤] صُعُدًا، حَتّى يَحْيا بِهِ عادةً، فنُسَمِّيهِ ماءً باعْتِبارِ أوّلِيّتِهِ، ونُسَمّي هَذا[٥] أيْضًا رُوحًا باعْتِبارِ أوّلِيّتِهِ، واعْتِبارِ النّفْخةِ الّتِي هِيَ رِيحٌ، فما دامَ الجَنِينُ في بَطْنِ أُمّهِ حَيًّا، فهُوَ ذُو رُوحٍ، فإذا[٦] نشأ، واكتسبَ ذلك الرُّوحُ أخلاقًا وأوْصافًا لَمْ تكُنْ فيهِ، وأقْبَلَ على مَصالِحِ الجِسْمِ كَلَفًا بِهِ، وعَشِقَ مَصالِحَ الجَسَدِ ولَذّاتِهِ، ودَفَعَ المَضارَّ عَنْهُ، سُمِّيَ نَفْسًا، كَما يَكْتَسِبُ الماءُ الصّاعِدُ في الشّجَرةِ مِنَ الشّجَرةِ أوْصافًا لَمْ تكُنْ فيهِ، فالماءُ في العِنَبةِ ـ مَثَلًا ـ هُوَ ماءٌ باعْتِبارِ الأصْلِ والبَدْأةِ، ففيهِ مِنَ الماءِ المُيُوعةُ والرّطُوبةُ، وفيهِ مِنَ العِنَبةِ الحَلاوةُ، وأوْصافٌ أُخَرُ، ....

= (٤٠٦هـ). «العبر» للذهبي: (٣: ٩٥).

(١) إمام الحرمين عبد الملك بن أبي محمد بن عبد الله بن يوسف، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة (٤٧٨هـ). «العبر» للذهبي: (٣: ٢٩١).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي القيرواني، فقيه وأصولي، تُوفي سنة (٤٨٩هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» (٢: ٢٥٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٦٣٦). (ج)

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل، المتكلم البصري، أخذ عن أبي علي الجُبّائي، ثم رد على المعتزلة، تُوفي سنة (٣٢٤هـ). «العبر» للذهبي: (٢: ٢٠٢).

(٤) في (ب): «الشجرة».

(٥) في (ف): «بذا».

(٦) في (ف): «وإذا».

فتُسَمّيهِ مُصْطارًا[(١)(٢)] - إنْ شِئْتَ - أوْ خَمْرًا، أوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمّا أوْجَبَهُ الِاكْتِسابُ لِهَذِهِ الأوْصافِ.

فمَنْ قالَ: إنّ النّفْسَ هِيَ الرّوحُ على الإطْلاقِ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ، فلَمْ يُحْسِنِ العِبارَةَ، وإنّما فيها مِنَ الرّوحِ الأوْصافُ الّتِي تَقْتَضِيها نَفْخَةُ المَلَكِ، والمَلَكُ مَوْصُوفٌ بِكُلّ خُلُقٍ كَرِيمٍ؛ ولِذَلِكَ قالَ في الحَدِيثِ: «فمِنَ الرّوحِ عَفافُهُ، وحِلْمُهُ، ووَفاؤُهُ، وفَهْمُهُ، ومِنَ النّفْسِ شَهْوَتُهُ، وغَضَبُهُ، وطَيْشُهُ». وذَلِكَ أنّ الرّوحَ - كَما قَدّمْنا - مازَجَ الجَسَدَ الّذِي فيهِ الدّمُ، ويُسَمّى الدّمُ نَفْسًا، وهُوَ مَجْرى الشّيْطانِ، وقَدْ حَكَمَتِ الشّرِيعةُ بِنَجاسةِ الدّمِ لِسِرٍّ لَعَلّهُ أنْ يُفْهَمَ مِمّا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ، فمَنْ يَعْرِفُ جَوْهَرَ الكَلامِ، ويُنْزِلُ الألْفاظَ مَنازِلَها لا يُسَمّي رُوحًا إلّا ما وقَعَ بِهِ الفَرْقُ بَيْنَ الجَمادِ والحَيّ، والّذِي كانَ سَبَبًا لِلْحَياةِ، كَما قال في الكِتابِ العَزِيزِ عِنْدَ ذِكْرِ إحْياءِ النُّطْفَةِ، ونَفْخِ الرُّوحِ فيها، ولا يُقالُ: نَفْخُ النّفْسِ فيها إلّا عِنْدَ الِاتّساعِ في الكَلامِ، وتَسْمِيةِ الشيءِ بما يَؤُولُ إليه، ومِنْ ههُنا سُمِّيَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ: رُوحًا، [والوَحْيُ: رُوحًا][(٣)]؛ لِأنّ بِهِ تَكُونُ حَياةُ القُلُوبِ، قالَ اللهُ عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقالَ في الكُفّارِ: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١] وقالَ في النّفْسِ ما تَقَدّمَ، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ولَمْ يَقُلْ: إنّ الرُّوحَ لَأمّارةٌ؛ لِأنّ الرُّوحَ الّذِي هُوَ سَبَبُ الحَياةِ لا يَأْمُرُ بِسُوءٍ، ولا يُسَمّى أيْضًا: نَفْسًا - كَما قَدّمْنا - حَتّى يَكْتَسِبَ مِنَ الجَسَدِ

---

(١) المُصطار - بالصاد ويروى بالسين -: الخَمرة الصارعةُ لشاربها، أو الحامِضة. انظر: «تاج العروس» (سطر، صطر). ويقول د. ف عبد الرحيم في تحقيقه لـ«المعرب» (ص: **٥٠٩**): «هو لاتيني، وأصله (Mustum) مُسْتُم، ومعناه: الخمر الجديدة غير المختمرة».

(٢) في (ف): «مسطارًا».

(٣) ليس في (ب).

الأوْصافَ [المَذْكُورةَ][١] وما كانَ نَحْوَها، والماءُ النّازِلُ مِنَ السّماءِ جِنْسٌ واحِدٌ، فإذا مازَجَ أجْسادَ الشّجَرِ، كالتّفّاحِ، والفِرْسِكِ[٢]، والحَنْظَلِ، والعُشَرِ[٣]، وغَيْرِ ذَلِكَ اخْتَلَفَتْ أنْواعُهُ، كَذَلِكَ[٤] الرّوحُ الباطِنَةُ الّتِي هِيَ مِنْ عِنْدِ الله، هِيَ جِنْسٌ واحِدٌ، وقَدْ أضافَها إلى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لَها حِينَ قال: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]، ثُمّ تُخالِطُ الأجْسادَ الّتِي خُلِقَتْ مِنْ طِينٍ، وقَدْ كانَ في ذَلِكَ الطّينِ طَيّبٌ وخَبِيثٌ، فيَنْزِعُ كُلُّ فرْعٍ إلى أصْلِهِ، ويَنْزِعُ ذَلِكَ الأصْلُ إلى ما سَبَقَ في أُمِّ الكِتابِ، وإلى ما دَبّرَهُ وأحْكَمَهُ الحَكِيمُ الخَبِيرُ، فعِنْدَ ذَلِكَ تَتَنافَرُ النّفُوسُ أوْ تَتَقارَبُ، وتَتَحابُّ أوْ تَتَباغَضُ على حَسَبِ التّشاكُلِ في أصْلِ الخِلْقةِ، وهو مَعْنى قَوْلِ [النّبِيِّ][٥] ﷺ: «فما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ»[٦].

وقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الحُكَماءِ إلى صَدِيقٍ لَهُ: إنّ نَفْسِي غَيْرُ مَشْكُورةٍ على الانْقِيادِ إلَيْك بِغَيْرِ زِمامٍ؛ فإنّها صادَفَتْ عِنْدَك بعضَ جوهَرِها، والشيءُ يَتْبع بعضُهُ بعضًا.

فَصْلٌ

وقَدْ يُعَبّرُ بِالنّفسِ عَنْ جُمْلَةِ الإنْسانِ: رُوحِه وجَسَدِه، فتَقُولُ: عِنْدِي ثَلاثَةُ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في (هـ): «السَّفَرجل». والفِرْسِك: نوعٌ مِن الخوخ، وهي يمانية. «اللسان».

(٣) في (ب): «العتير». والعُشَر: مِن كبار الشجر، وله صَمْغ حُلو، وله سُكّر يخرُج مِن شُعَبِه ومواضع زهره، يُقال له: سُكَّر العُشَر، وفي سُكَّره شيء مِن مرارة.

(٤) في (ف): «وكذلك».

(٥) ليس في (أ).

(٦) تقدم تخريجه قريبًا (٣: ١٩٠).

أنْفُسٍ، ولا تَقُولُ: [عِنْدِي][١] ثَلاثةُ أرْواحٍ، لا[٢] يُعَبَّرُ بالرّوحِ إلّا عَنِ المَعْنى المُتَقَدّمِ ذِكْرُهُ، وإنّما اتُّسِعَ في النّفْسِ، وعُبِّرَ بِها عَنِ الجُمْلةِ؛ لِغَلَبةِ أوْصافِ الجَسَدِ على الرّوحِ، حَتّى صارَ يُسَمّى: نَفْسًا، وطَرَأ عليه هَذا الِاسْمُ بِسَبَبِ الجَسَدِ، كَما يَطْرَأُ على الماءِ في الشّجَرِ أسْماءٌ على حَسَبِ[٣] اخْتِلافِ أنْواعِ الشّجَرِ، مِنْ حُلْوٍ وحامِضٍ، ومُرٍّ وحِرِّيفٍ، وغَيْرِ ذَلِكَ، فَيَحْصُلُ مِنْ مَضْمُونِ ما ذَكَرْنا ألّا يُقالَ في النّفْسِ: هِيَ الرُّوحُ على الإطْلاقِ، حَتّى يُقَيَّدَ[٤] بما تَقَدّمَ، ولا يُقالَ في الرُّوحِ: هي[٥] النّفْسُ، إلّا كَما يُقالُ في المَنِيِّ: هُوَ الإنْسانُ، أوْ كَما يُقالُ لِلْماءِ المُغَذِّي لِلْكَرْمةِ: هُوَ الخَمْرُ، أو الخَلّ، على مَعْنى: أنّهُ سَتَنْضافُ إلَيْهِ أوْصافٌ يُسَمّى بِها خَلًّا أوْ خَمْرًا، فتَقْيِيدُ الألْفاظِ هُوَ مَعْنى الكَلامِ، وتَنْزِيلُ كُلِّ لَفْظٍ في مَوْضِعِهِ هُوَ مَعْنى البَلاغةِ، فافْهَمْهُ. وباللهِ التوفيقُ[٦].

فصْلٌ

وإذا ثَبَتَ هَذا، فلَمْ يَبْقَ إلّا قَوْلُ بِلالٍ: «أخَذَ بِنَفْسِي الّذِي أخَذَ بِنَفْسِك»، فذَكَرَ النّفْسَ؛ لِأنّهُ مُعْتَذِرٌ[٧] مِنْ تَرْكِ عَمَلٍ أُمِرَ بِهِ، والأعْمالُ مُضافةٌ إلى النّفْسِ؛ لأنّ الأعْمالَ جَسَدانِيّةٌ، وقَوْلُ النّبِيّ ﷺ: «إنّ اللهَ قَبَضَ أرْواحَنا»، فذَكَرَ الرّوحَ الّذِي هُوَ

(١) ما بين المعقوفين سقط من: (ب)، (ف).

(٢) في (ف): «ولا».

(٣) «حسب» ليست في (ف).

(٤) في (ف): «تقيد».

(٥) في (ف): «هو».

(٦) في (أ): «المستعان».

(٧) في (ب)، (ج)، (هـ): «مُتعذِّر». وكلاهما صواب، يُقال: اعتذر عن الشيء، وتَعذَّر منه: إذا تنصَّل منه، واحتجّ لنفسه.

الأَصْلُ؛ لِأَنّهُ آنَسَهُمْ مِنْ فزَعِهِمْ، فأَعْلَمَهُمْ أنّ خالِقَ الأرْواحِ يَقْبِضُها إذا شاءَ، فلا تَنْبَسِطُ انْبِساطَها[1] في اليَقَظةِ، ورُوحُ النّائِمِ ـ وإنْ وُصِفَ[2] بِالقَبْضِ ـ فلا يَدُلُّ لَفْظُ القَبْضِ على انْتِزاعِهِ بِالكُلِّيّةِ، كَما لا[3] يَدُلُّ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ في الظِّلّ: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا ﴾ [الفرقان: ٤٦] على إعْدامِ الظِّلّ بِالكُلِّيّةِ، وقَوْلُهُ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢] ولَمْ يَقُلِ: الأرْواحَ؛ لِأَنّهُ وعَظَ العِبادَ الغافِلِينَ عَنْهُ، فأَخْبَرَ أنّهُ يَتَوفّى أَنْفُسَهُمْ[4]، ثُمّ يُعِيدُها حَتّى يَتَوَفّاها، ولا يُعِيدُها إلى الحَشْرِ؛ لِتَزْدَجِرَ النُّفُوسُ بِهَذِهِ العِظَةِ عَنْ سُوءِ أعْمالِها؛ إذِ الآيةُ مَكّيّةٌ، والخِطابُ لِلْكُفّارِ، فقَدْ تَنَزّلَتِ الأَلْفاظُ مَنازِلَها في الحَدِيثِ والقُرْآنِ، وذَلِكَ مَعْنى الفَصاحةِ، وسِرُّ البَلاغةِ. والحمدُ لله.

فَصْلٌ

واسْتَشْهَدَ[5] ابنُ هِشامٍ بِقَوْلِ ابنِ هَرْمةَ، ونَسَبَهُ فقالَ: «فِهْرِيٌّ»، وإنما هو خُلْجِيٌّ[6]، والخُلجُ اسمُه: قيسُ بنُ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ.

واخْتُلِفَ في تَسْمِيةِ بَنِي قَيْسِ بنِ الحارِثِ: الخُلْجَ، فقِيلَ: لِأَنّهُمُ اخْتَلَجُوا مِنْ قُرَيْشٍ وسُكّانِ مَكّةَ.

وقِيلَ: إنّهُمْ نَزَلُوا بِمَوْضِعٍ فيهِ خُلُجٌ[7] مِنْ ماءٍ، فَنُسِبُوا إلَيْهِ.

---

(١) في (ف): «انبساطًا».

(٢) في (أ): «وصفت».

(٣) ليس في (أ).

(٤) في (ف): «الأنفس».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٧١). (ج)

(٦) كذا ضُبِطَ بالضمّ في حاشية (أ)، وفي «تبصير المنتبه» (ص: ٥٣٤). وانظر ترجمة ابن هرمة في: «الأغاني» (٤: ١٥٨١).

(٧) كذا في النسخ غير مضبوطة. وفي (أ): «خُلج معدّلة بإضافة ياء». ولم أجد «خُلْجًا» مسكّنة =

وابنُ هَرْمةَ[١] اسْمُهُ: إبْراهِيمُ بنُ عَلِيٍّ بنِ هَرْمةَ كما ذكَرَ، وهُوَ شاعِرٌ مِنْ شُعَراءِ الدّوْلةِ العَبّاسِيّةِ، [وبَيْتُهُ][٢]: [من الكامل]

وإذا هَرَقْـتَ بِـكُلِّ دارٍ عَبْرةً   نُزِفَ الشّؤونُ ودمعُك اليَنْبوعُ

والشُّؤون: مَجارِي الدّمْعِ، وهِيَ أطْباقُ الرّأْسِ، وهِيَ أرْبَعةٌ لِلرّجُلِ، وثَلاثةٌ لِلْمَرْأةِ، كَـذَلِكَ ذَكَـرُوا عَنْ أهْـلِ التّشْرِيحِ، وكَذَلِكَ ذَكَرَ قاسِمُ بنُ ثابتٍ في «الدّلائِلِ»[٣]، واللهُ[٤] أعْلَمُ. وكُلّ ما شَرَحَ ابنُ هِشامٍ مِنَ الآياتِ الّتِي تَلاها ابنُ إسْحاقَ، فقَدْ تَقَدّمَ ما يُحْتاجُ بَيانُهُ مِنْهُ.

وفي قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ [الإسراء: ٩٣]، دَلِيلٌ على أنّ البَيْتَ قد يُرادُ بِهِ القَصْرُ، والمَنْزِلُ وإنْ كانَ عَظِيمًا فإنّهُ يُسَمّى بَيْتًا، كَما قَدّمْنا في شَرْحِ بَيْتِ القَصَبِ في حديثِ خديجةَ[٥].

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٦] ابنُ إسْحاقَ قَوْلَ أبِي جَهْلٍ مُسْتَهْزِئًا: يَزْعُمُ مُحَمّدٌ أنّ جُنُودَ رَبّهِ الّتِي يُخَوِّفُكُمْ بِها تِسْعةَ عَشَرَ، وأنْتُمُ النّاسُ، إلى آخِرِ القِصّةِ.

= الـلام، فلعلّـه جمـع خليـج، والأصل فيه خُلُج، بضمّتين، ومن رواه بتسكين العين، فهو جائز كراهة الضمتين، وهذا جائز في الجَمع. انظر: «الكتاب» (٤: ١١٤)، و«المقتضب» (٢: ٢١٣).

(١) انظر: «الأغاني» (٤: ١٥٨١)، فقد تعددت الأقوال في نَسَبه.

(٢) ليس في (ب).

(٣) «الدلائل في غريب الحديث» للقاسم بن ثابت: (٢: ٤٥٦). (ج)

(٤) في (ف): «فالله».

(٥) انظر: (٢: ٣٧٢).

(٦) انظر «السيرة» (٣: ٧٩). (ج)

وأَهْلُ التّفْسِيرِ[١] يَعْزُونَ هَذِهِ المَقالَةَ إلى أبي الأَشُدَّينِ[٢] الجُمَحِيِّ، واسْمُهُ: كَلَدةُ بنُ أُسَيْدِ بنِ خَلَفٍ، وأبُو دَهْبَلٍ الشّاعِرُ هُوَ ابنُ أخِيهِ، واسْمُهُ: وهْبُ بنُ زَمْعةَ بنِ أُسَيْدِ بنِ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وكانَتْ[٣] عِنْدَ أبي دَهْبَلٍ التّوْأمةُ الّتي يُعْرَفُ بِها صالِحٌ مَوْلى التَّوْأمةِ[٤]، وهِيَ أُخْتُ عَبْدِ الله بنِ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ، ولَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرّحْمَنِ، قُتِلَ يَوْمَ الجَمَلِ، وأنّهُ قالَ: اكْفُونِي مِنْهُمُ اثْنَيْنِ، وأنا أكْفيكُمْ سَبْعةَ عَشَرَ؛ إعْجابًا مِنْهُ بنَفْسِهِ، وكانَ بَلَغَ مِنْ شِدّتِهِ ـ فيما زَعَمُوا ـ أنه كان يقفُ على جِلْدِ البَقَرةِ، ويُجاذِبُهُ عَشَرةٌ، لِيَنْتَزِعُوهُ[٥] مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ، فيَتَمَزَّقُ الجِلْدُ، ولا يَتَزَحْزَحُ عَنْهُ.

وقَدْ دَعا النّبِيَّ ﷺ إلى المُصارَعةِ، وقالَ: إنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِك، فصَرَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِرارًا، فلم يُؤْمِنْ.

وقَدْ نَسَبَ ابنُ إسْحاقَ خَبَرَ المُصارَعةِ إلى رُكانةَ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ بنِ هاشِمِ بنِ المُطّلِبِ[٦]، وسَيَأْتِي في الكِتابِ[٧]. والله[٨] أعْلَمُ.

وأمّا ما قالَ أهْلُ التّأْوِيلِ في خَزَنةِ جَهَنّمَ التّسْعةَ عَشَرَ، فرُوِيَ عَنْ كَعْبٍ أنّهُ قالَ: بِيَدِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ عَمُودٌ لَهُ شُعْبَتانِ، وإنّهُ لَيَدْفَعُ بالشُّعْبةِ تِسْعِينَ[٩] ألْفًا إلى النّارِ.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠: ٦١).
(٢) قال القرطبي: أبو الأسود بن كَلَدة الجمحي: (١٠: ٦١).
(٣) في (ب): «فكانت».
(٤) «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٦١).
(٥) في (ف): «لينزعوه».
(٦) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٧٦). (ج)
(٧) سيأتي عند «أمر ركانة المطلبي ومصارعته النبي ﷺ».
(٨) في (ف): «فالله».
(٩) في رواية عند القرطبي: «سبعين ألفًا» (١٠: ٦١).

وقَدْ أمْلَيْنا في مَعْنى أبْوابِ الجَنّةِ، وأبْوابِ النّارِ، وفائِدةِ عَدَدِها، وتَسْمِيَتِها، وذِكْرِ الزّبانِيةِ، والحِكْمةِ[١] في كونِهِم عددًا قليلًا مسألةً بديعةً في قَرِيبٍ مِنْ جُزْءٍ، فلْتُنْظَرْ هُنالكَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٢] قَوْلَ قُرَيْشٍ: إنّما يُعَلِّمُهُ رَجُلٌ باليَمامةِ، يُقالُ لَهُ: الرّحْمَنُ، وإنّا لا نُؤْمِنُ بِالرّحْمَنِ. فأنْزَلَ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ [الرعد: ٣٠]، كانَ[٣] مُسَيْلمةُ بنُ حَبِيبٍ الحَنَفيُّ، ثُمّ أحَدُ بني الدُّولِ قد تسمّى بالرَّحمنِ في الجاهِلِيّةِ، وكانَ مِنَ المُعَمَّرِينَ، ذَكَرَ وثِيمةُ بنُ مُوسى[٤] أنّ مُسَيْلِمةَ تَسَمّى بِالرّحْمَنِ قَبْلَ أنْ يُولَدَ عَبْدُ اللهِ أبو رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأنْشَدَ في تفسير الزّبانِية: [من الرجز]

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَـرٌ زَبانِيَهْ

وجَدْتُ في حاشِيةِ الشّيْخِ على هَذا البَيْتِ: كَبِيرٌ: حَيٌّ مِنْ هُذَيْلٍ[٥].

قالَ أبو القاسمِ المُؤَلِّفُ رضي الله عنه: وفي أسَدٍ أيْضًا: كَبِيرُ بنُ غَنْمِ بنِ

---

(١) في (ف): «الحكم».

(٢) انظر «السيرة» (٣: ٧٧). (ج)

(٣) في (ف): «وكان».

(٤) أبو يزيد وَثِيمة بن موسى بن الفرات الوَشّاء، الفارسي الفَسَوي، تنقّل بين مصر والبصرة والأندلس، وكان تاجرًا، وصنّف كتابًا في أخبار الرِّدة، تُوفي سنة (٢٣٧هـ). انظر: «الأنساب» للسمعاني: (٥: ٦٠٤)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان: (٦: ١٢-١٣).

(٥) «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ١٣٣).

دُودانَ بنِ أَسَدٍ، ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ: بَنُو جَحْشِ بنِ رِيابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبرةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَبِيرٍ.

وبَنُو كَبِيرٍ أَيْضًا: بَطْنٌ مِنْ بَنِي غامِدٍ، وهُمْ مِنَ الأزْدِ، والّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ مِنْ هُذَيْلٍ هُوَ كَبِيرُ بنُ طابخةَ بنِ لِحيانَ بنِ سعدِ بنِ هُذَيْلٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[1] اسْتِماعَ أَبِي جَهْلٍ، وأَبِي سُفْيانَ، والأخْنَسِ إلى قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ: فَلَمّا تَجاذَيْنا على الرُّكَبِ[2]. وقَعَ في «الجَمْهَرةِ»[3]: الجاذِي: المُقْعِي على قَدَمَيْهِ، قالَ: وربّما جعلوا الجاذِيَ والجاثِيَ سواءً.

وَذَكَرَ قَوْلَ الله سُبْحانَهُ خَبَرًا عَنْهُمْ: ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، قالَ بَعْضُهُمْ: مَسْتُورٌ بِمَعْنى: ساتِرٍ، كما قال سبحانه: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم:٦١]؛ أيْ: آتِيًا، والصّحِيحُ: أنّ مَسْتُورًا هُنا على بابِهِ؛ لِأَنّهُ حِجابٌ على القَلْبِ، فهُوَ لا يُرى.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[4] حَدِيثَ ابنِ عَبّاسٍ حِينَ سُئِلَ عن قوله سبحانه: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥١]، فقالَ: «المَوْتُ». وهُوَ تَفْسِيرٌ يَحْتاجُ إلى تَفْسِيرٍ.

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٧٩). (ج)

(٢) انظر: «لسان العرب» (جذا).

(٣) «جمهرة اللغة» لابن دريد: (٢: ١٠٣٨). (ج)

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٧٩). (ج)

ورَأيْتُ لِبَعْضِ المُتَأخّرِينَ فيهِ، قالَ: أرادَ ابنُ عَبّاسٍ أنّ المَوْتَ سَيَفْنى كَما يَفْنى كُلُّ شَيْءٍ، كَما جاءَ أنّهُ يُذْبَحُ على الصّراطِ، فكأنّ المَعْنى أنْ: لَوْ كُنْتُمْ حِجارةً أوْ حَدِيدًا، لَأدْرَكَكُم المَوْتُ والفَناءُ، ولَوْ كُنْتُم المَوْتَ الّذي هُوَ كَبِيرٌ في صُدُورِكُمْ، فلا بُدّ لَكُمْ مِنَ الفَناءِ، والله أعْلَمُ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ.

وقَدْ بَقِيَ في نَفْسِي مِنْ تَأْوِيلِ هَذِهِ الآيةِ [شَيْءٌ][(١)]، [حَتّى][(٢)] يُكْمِلَ اللهُ نِعْمَتَهُ بِفَهْمِها إنْ شاءَ اللهُ.

وقَوْلُهُ: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾، يَجُوزُ أنْ يَكُونَ: نُفُورًا جَمْعَ نافِرٍ، فيَكُونَ نَصْبًا على الحالِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مصدرًا مؤكّدًا لِـ«وَلَّوا».

ومِمّا أنْزَلَ الله في اسْتِماعِهِمْ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢] ألا تَرى كَيْفَ جَمَعَ ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾، والحَمْلُ على اللّفْظِ إذا قَرُبَ مِنْهُ أحْسَنُ، ألا تَرى إلى قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢] فأَفْرَدَ حَمْلًا على لَفْظِ (مَنْ)، وقالَ في آخِرِ الآيةِ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فجُمِعَ حَمْلًا على المَعْنى لَمّا بَعُدَ مِنَ اللّفْظِ.

وهَكَذا[(٣)] كانَ القِياسُ في قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، ولَكِنْ لَمّا كانُوا جَماعةً، ونَزَلَتِ الآيةُ فيهِمْ بِأعْيانِهِمْ، صارَ المَعْنى: ومِنْهُمْ نَفَرٌ يَسْتَمِعُونَ، يَعْنِي: أُولَئِكَ النّفَرَ، وهُمْ: أبُو جَهْلٍ، وأبُو سُفْيانَ، والأخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ، ألا تَرى كَيْفَ قالَ بعد: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ﴾ [يونس: ٤٣]، فأَفْرَدَ حَمْلًا على اللّفْظِ، لِارْتِفاعِ السّبَبِ المُتَقَدِّمِ. والله أعلم.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ف): «وهذا».

فَصْلٌ

وذَكَرَ[١] تَعْذِيبَ مَنْ أَسْلَمَ وطَرْحَهُمْ في الرَّمْضاءِ، وكانُوا يُلْبِسُونَهُمْ أَدْراعَ الحَدِيدِ، حَتّى أَعْطَوْهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما سَأَلُوا مِنْ كَلِمةِ الكُفْرِ، إلّا بِلالًا ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وأَنْزَلَ الله فيهِمْ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]، ونَزَلَ في عَمّارٍ وأَبِيهِ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، ولَمّا كانَ الإيمانُ أَصْلُهُ في القَلْبِ، رُخِّصَ لِلْمُؤْمِنِ في حالِ الإكْراهِ أَنْ يَقُولَ بِلِسانِهِ ما شاء إذا خافَ على نَفْسِهِ، حَتّى [لقد][٢] قالَ ابنُ مَسْعُودٍ: «ما مِنْ كَلِمةٍ تَدْفَعُ عَنِّي سَوْطَيْنِ إلّا قُلْتُها»[٣].

هَذا في القَوْلِ، فأَمّا الفِعْلُ، فيَنْقَسِمُ فيهِ الحالُ: فمِنْهُ ما لا خِلافَ في جَوازِهِ، كَشُرْبِ الخَمْرِ إذا خافَ على نَفْسِهِ القَتْلَ، وإنْ لَمْ يَخَفْ إلّا ما دُونَ القَتْلِ فالصَّبْرُ لَهُ أَفْضَلُ، وإنْ لَمْ يَخَفْ في ذَلِكَ إلّا كَسَجْنِ[٤] يَوْمٍ، أَوْ طَرَفٍ مِنَ الهَوانِ خَفِيفٍ، فلا تَحِلُّ لَهُ المَعْصِيةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وأَمّا الإكْراهُ على القَتْلِ، فلا خِلافَ في حَظْرِهِ؛ لِأَنَّهُ إنّما رُخِّصَ لَهُ فيما دُونَ القَتْلِ، لِيَدْفَعَ بذلك قتلَ نفسٍ مؤمنةٍ، وهِيَ نَفْسُهُ، فأَمّا إذا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسٍ أُخْرى، فلا رُخْصةَ.

واخْتُلِفَ في الإكْراهِ على الزِّنى، فذُكِرَ عَنِ ابنِ الماجِشُونِ[٥] أَنَّهُ قالَ: لا

---

(١) انظر «السيرة» (٣: ٨٤). (ج)

(٢) ليس في (ب).

(٣) «مسند الربيع بن حبيب» (ص: ٣٠١). (ج)

(٤) في (أ): «السجن»، وفي (ب): «بسجن»، وفي (هـ): «سجن».

(٥) أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة بن الماجِشُون التيمي، مولاهم المدني، تلميذ مالِك، مفتي المدينة، تُوفي سنة (٢١٣هـ) أو (٢١٤هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠: ٣٦١-٣٦٢).

رُخْصةَ فيهِ؛ لِأنّهُ لا يَنْتَشِرُ لَهُ[١] إلّا عَنْ إرادةٍ في القَلْبِ، أوْ شَهْوةٍ، وأفْعالُ القَلْبِ لا تُباحُ مَعَ الإكْراهِ.

وقالَ غَيْرُهُ: بَلْ يُرَخَّصُ في ذَلِكَ لِمَنْ خافَ القَتْلَ؛ لِأنّ انْبعاثَ الشَّهْوةِ عِنْدَ المُماسّةِ بِمَنْزِلةِ انْبعاثِ اللُّعابِ عِنْدَ مَضْغِ الطّعامِ، وقَدْ يَجُوزُ له أكْلُ الحَرامِ إذا أُكْرِهَ عَلَيْهِ.

فَصْلٌ

واختلفَ الأصوليُّون في مسألةٍ مِنَ الإكْراهِ، وهِيَ: هَلِ المُكْرَهُ على الفِعْلِ مُخاطَبٌ بِالفِعْلِ؟

فقالَتِ المُعْتَزلةُ: لا يَصِحُّ الأمْرُ بالفِعْلِ مَعَ الإكْراهِ عَلَيْهِ.

وقالَتِ الأشْعَرِيّةُ: ذَلِكَ جائزٌ؛ لِأنّ العَزْمَ إنّما هُوَ فِعْلُ القَلْبِ، وقَدْ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ في ذَلِكَ الحِينِ العَزْمُ والنّيّةُ، وهِيَ القَصْدُ إلى امْتِثالِ أمْرِ اللهِ، وإنْ كانَ ظاهِرُهُ أنّهُ يَفْعَلُهُ خَوْفًا مِنَ النّاسِ، وذَلِكَ إذا أُكْرِهَ على فرْضٍ كالصّلاةِ مَثَلًا، إذا قِيلَ له: صَلِّ وإلّا قُتِلْت، وأمّا إذا قِيلَ لَهُ: إنْ صَلَّيْتَ قُتِلْتَ، فظَنّ القاضِي أنّ الخِلافَ بَيْنَنا وبَيْنَ المُعْتَزلةِ في ذَلِكَ، وغَلَّطَهُ بَعْضُ أصْحابِه[٢]، وقالوا: لا خلافَ في هذه المسألةِ أنّهُ مُخاطَبٌ بالصّلاةِ، مَأْمُورٌ بها، وإنْ رُخِّصَ لَهُ في تَرْكِها، فلَيْسَ التّرْخِيصُ مِمّا يُخْرِجُهُ عَنْ حُكْمِ الخِطابِ، وإنّما يَرْفَعُ عَنْهُ الإكْراهُ المَأْثَمَ، ولا يُخْرِجُهُ عَنْ أنْ يَكُونَ مُخاطَبًا بها، وهَذا الغَلَطُ المَنْسُوبُ إلى القاضِي في هَذِهِ المَسْألةِ لَيْسَ بِقَوْلٍ لَهُ، وإنّما حَكاهُ في كِتابِ «التقريب[٣]

(١) «له» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «أصحابنا».

(٣) في (ب)، (هـ): «التعريف»، والمثبت من (أ)، (ف)، وهو الصواب.

والإرْشادِ» عَنْ طائِفةٍ مِنَ الفُقَهاءِ، قالُوا: لا يُتَصَوَّرُ القَصْدُ والإرادةُ لِلْفِعْلِ مَعَ الإكْراهِ عَلَيْهِ.

قالَ القاضِي: وهَذا باطِلٌ؛ لِأَنَّهُ[1] يُتَصَوّرُ انْكِفافُهُ عَنْهُ مَعَ الإكْراهِ، فكَذلِكَ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ القَصْدُ إلى الامْتِثالِ، وبِهِ يَتَعَلَّقُ التّكْلِيفُ، فإنّما[2] غَلِطَ إذًا[3] مَنْ نَسَبَ إلَيْهِ مِن الأصوليين هَذا القَوْلَ الّذِي أبْطَلَهُ، وبَيَّنَ بُطْلانَهُ، وإنّما ذَكَرْتُ ما قالُوهُ قَبْلَ أنْ أرى كَلامَهُ في المَسْألةِ، وأقِفَ على حَقِيقةِ مَذْهَبِهِ، وهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الغَلَطِ فيها، رحمه الله[4].

فَصْلٌ

وذَكَرَ[5] فيمَنْ عُذِّبَ في الله: سُمَيّةَ أُمَّ عَمّارٍ، وقَدْ ذَكَرْنا قَتْلَ أبِي جَهْلٍ لَها، وهِيَ أوّلُ شَهِيدٍ في الإسْلامِ.

ورُوِيَ أنّ عَمّارًا قالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: لَقَدْ بَلَغَ مِنّا العَذابُ كُلَّ مَبْلَغ. فقالَ لَهُ النّبِيُّ عليه السلامُ: «صَبْرًا أبا اليَقْظانِ». ثُمّ قالَ: «اللهمّ لا تُعَذِّبْ أحَدًا مِنْ آلِ عَمّارٍ بِالنّارِ»[6].

وسُمَيّةُ أُمُّهُ، وهِيَ بِنْتُ خَيّاطٍ، كانَتْ مَوْلاةً لِأَبِي حُذَيْفةَ بنِ المُغِيرةِ،

---

(١) في (ب): «لأنه لا يُتصوّر».

(٢) في (أ)، (هـ): «وإنما».

(٣) «إذا» ليس في (ف).

(٤) «التقريب والإرشاد (الصغير)» للباقلاني: (١: ٢٦٥-٢٦٦). (ج)

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٨٦). (ج)

(٦) «الاستيعاب» (٤: ١٨٦٤). لكن نصُّ ابن عبد البر: «اللهمّ لا تعذِّب أحدًا من آل ياسرٍ بالنار».

واسْمُهُ: مُهَشِّمٌ[١]، وهُوَ عَمُّ أَبِي جَهْلٍ.

وغَلِطَ ابنُ قُتَيْبَةَ فيها، فزَعَمَ أنّ الأَزْرَقَ مَوْلى الحارِثِ بنِ كَلَدةَ خَلَفَ عَلَيْها بَعْدَ ياسِرٍ، فوَلَدَتْ لَهُ سَلَمةَ بنَ الأَزْرَقِ[٢].

وقالَ أَهْلُ العِلْمِ بِالنَّسَبِ: إنّما سُمَيّةُ أُمّ سَلَمةَ بنِ الأَزْرَقِ سُمَيّةٌ أُخْرى، وهِيَ أَمُّ زيادِ بنِ أَبِي سُفْيانَ، لا أُمُّ عَمّارٍ، وعَمّارٌ، والحُوَيْرِثُ[٣]، وعُمَيْرٌ، وعَتودٌ[٤] بَنُو ياسِرِ بنِ عامِرِ بنِ مالِكِ بن كِنانةَ بنِ قَيْسِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ لَوْذَيْن[٥] ـ ويقالُ: لُوذَيْم[٦] ـ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَوْفِ بنِ حارِثةَ بنِ عامِرِ بنِ يامِ بنِ عَنْسِ بنِ مالِكِ بن أُدَدِ[٧] بنِ زيدٍ العنسيّ المَذْحِجيّ، حَلِيفٌ لِبَنِي مَخْزُومٍ.

ومِنْ ولَدِ عَمّارٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ سَعْدِ بنِ الحَسَنِ بنِ عُثْمانَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعْدِ بنِ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ، وهُوَ المَقْتُولُ بِالأَنْدَلُسِ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرّحْمَنِ ابنُ مُعاوِيةَ[٨].

وذَكَرَ[٩] زِنِّيرةَ الّتِي أَعْتَقَها أَبُو بَكْرٍ، وأَوّلُ اسمِها زايٌ مَكْسُورةٌ، بَعْدَها[١٠]

---

(١) انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ٨٥)، وابن حزم: (ص: ١٤٦).

(٢) «المعارف» (ص: ٢٥٦)، وانظر: «أسد الغابة»، ترجمة سمية: (٧: ١٥٢).

(٣) في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٤٠٥): «الحُرَيث».

(٤) في (أ)، (ب)، (ف)، (هـ): «عبود».

(٥) في (أ): «لودين، بالدال المهملة».

(٦) في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٤٠٥): «الرّذيم».

(٧) في (ف): «أد».

(٨) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٤٠٦).

(٩) انظر «السيرة» (٣: ٨٥). (ج)

(١٠) في (ب): «ثم بعدها».

نُونٌ [مَكْسُورةٌ](١) مُشَدَّدةٌ على وزْنِ فِعِّيلةٍ، هكذا صَحَّتِ الرّوايةُ في الكِتابِ، والزِّنِّيرةُ: واحِدةُ الزَّنانِيرِ، وهِيَ الحَصا الصِّغارُ، [قالَهُ أبُو عُبَيْد](٢).

وبَعْضُهُمْ يَقُولُ فيها: زَنْبَرةٌ؛ بِفَتْحِ الزّاي، وسُكُونِ النّونِ، وباءٍ بَعْدَها، ولا تُعْرَفُ زَنْبَرةٌ في النِّساءِ، وأمّا في الرّجالِ فزَنْبَرةُ بنُ زُبَيْدِ بنِ مَخْزُومِ بنِ صاهِلةَ ابنِ كاهِلِ بنِ الحارثِ بنِ تَمِيمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ، وابنُهُ: خالِدُ بنُ زَنْبَرةَ، وهو الغِرَقُ(٣). قاله الدّارَقُطنيُّ(٤).

وذَكَرَ(٥) أُمَّ عُبَيْسٍ، وكانَتْ لِبَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ أعْتَقَها أبُو بَكْرٍ.

وذَكَرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ أنّ هَؤُلاءِ الّذِينَ عُذِّبُوا في الله لِما أعْطَوْا بِألْسِنَتِهِمْ ما(٦) سُئِلُوا مِنَ الكُفْرِ، جاءَتْ قَبِيلةُ كُلِّ(٧) رَجُلٍ مِنْهُمْ بِأنْطاعِ الأَدَمِ فيها الماءُ، فوَضَعُوهُمْ فيها، وأخَذُوهُمْ بِأطْرافِ الأنْطاعِ، واحْتَمَلُوهُمْ إلّا بِلالًا.

وَقَوْلُ(٨) ورَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ: لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ - يَعْنِي: بِلالًا - وهُوَ على هَذا(٩) الحالِ لَأتّخِذَنّهُ حَنانًا. أيْ: لَأتّخِذَنّ قَبْرَهُ مَنْسَكًا ومُسْتَرْحَمًا. والحَنانُ: الرّحْمةُ، وكانَ بِلالٌ - رَحِمَهُ الله - يُكَنّى: أبا عَبْدِ الكَرِيمِ، وقِيلَ: أبا عَبْدِ الله، وأُخْتُهُ

(١) عن (ج)، (د)، (هـ).
(٢) ليس في (ب).
(٣) كذا ضبط في طبعة «المؤتلف».
(٤) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١١٤٤).
(٥) انظر «السيرة» (٣: ٨٥). (ج)
(٦) في (ف): «لما».
(٧) في (أ): «كل واحد من الرجال منهم».
(٨) انظر «السيرة» (٣: ٨٤). (ج)
(٩) في (ف): «هذه».

غُفْرةُ[١]، [وقَدْ تَقَدَّمَ في أوّلِ الكِتابِ[٢] ذِكْرُ عُمَرَ مَوْلى غُفْرةَ، وهِيَ هَذِهِ][٣].

والغُفْرةُ: الأُنْثى مِنْ أوْلادِ الأراوِيِّ[٤]، والذَّكَرُ: غُفْرٌ.

بابُ الهِجْرةِ إلى أرْضِ الحَبَشةِ

وقَدْ ذَكَرْنا نَسَبَ الحَبَشةِ في أوّلِ الكِتابِ[٥]، وأمّا النّجاشِي: فاسْمٌ لِكُلِّ مَلِكٍ يَلِي الحَبَشةَ، كَما أنّ كِسْرى: اسْمٌ لِمَنْ[٦] مَلَكَ الفُرْسَ، وخاقانَ: اسْمٌ لِمَنْ مَلكَ[٧] التُّرْكَ كائِنًا مَنْ كانَ[٨]، وبَطْلَيْمُوسَ: اسْمٌ لِمَنْ[٩] مَلَكَ يُونانَ، وقَدْ ذَكَرْنا هَذا المَعْنى قَبْلُ.

واسْمُ هَذا النّجاشِي أصْحَمةُ بنُ أبْجَرَ، وتَفْسِيرُهُ: عَطِيّةُ.

وذَكَرَ في أوّلِ مَنْ خَرَجَ إلى الحَبَشةِ: عُثْمانَ بنَ عَفّانَ، وزَوْجَهُ رُقَيّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانَ حِينَ تَزَوّجَها تُغَنِّيهما[١٠] النّساءُ بهذا الرَّجزِ: [من الرجز]

أحْسَنُ شَخْصَيْنِ رَأى إنْسانُ ... رُقَيّةٌ وبَعْلُها عُثْمانُ

---

(١) في (ف): «عفرة».

(٢) انظر: (١: ١٣٦).

(٣) ليس في (أ).

(٤) في (أ)، (هـ): «الأروى»، وكلاهما صواب، فالمفرد وهو أروية يجمع عليها.

(٥) انظر: (١: ١٧٢).

(٦) في (ب): «لكل من ملك».

(٧) «لمن ملك» في (ب)، (ج)، (ف): «لملك».

(٨) بعده في (أ): «منهم».

(٩) في (أ): «لكل من ملك اليونان»، وفي (ج): «لملك يونان».

(١٠) في (ف): «يغنيهما».

وَلَدَتْ رُقَيَّةُ لِعُثْمانَ ابنَهُ عَبْدَ اللهِ[(١)]، وبِهِ كانَ يُكَنّى، وماتَ عَبْدُ اللهِ وهُوَ ابنُ سِتِّ سِنِينَ، وكانَ سَبَبُ مَوْتِهِ: أنّ دِيكًا نَقَرَهُ في عَيْنِهِ، فتَوَرَّمَ وجْهُهُ، فمَرِضَ، فماتَ، وذَلِكَ في جُمادى الأُولى سَنَةَ أرْبَعٍ مِنَ الهِجْرةِ، ثُمّ كُنِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ: أبا عَمْرٍو، وهَذا هُوَ عَبْدُ اللهِ الأصْغَرُ، وعَبْدُ اللهِ الأكْبَرُ هُوَ ابنُهُ مِنْ فاخِتَةَ بِنْتِ غَزْوانَ، وأكْبَرُ بَنِيهِ بَعْدَ هَذَيْنِ: عَمْرٌو، ومِنْ بَنِيهِ: عُمَرُ[(٢)]، وخالِدٌ، وسَعِيدٌ، والوَلِيدُ، والمُغِيرةُ، وعَبْدُ المَلِكِ، وأبانُ.

وفي «السِّيرةِ» مِنْ غَيْرِ هذه الرِّوايةِ: أنّ رُقَيّةَ كانتْ [مِنْ][(٣)] أحْسَنِ البَشَرِ، وأنّ رِجالًا مِنَ الحَبَشةِ رَأَوْها بِأرْضِهِمْ، فكانُوا يُدَرْكِلُونَ[(٤)] إذا رَأَوْها إعْجابًا مِنْهُمْ بِحُسْنِها، فكانَتْ تَتأذّى لِذَلِكَ، وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ لِغُرْبَتِهِمْ أنْ يَقُولُوا [لَهُمْ][(٥)] شَيْئًا، حَتّى خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مَعَ النّجاشِي إلى عَدُوِّهِ الّذِي كانَ ثارَ عَلَيْهِ، فقُتِلُوا جَمِيعًا، فاسْتَراحَتْ مِنْهُمْ، وظَهَرَ النّجاشِي على عَدُوِّهِ.

ورَوى الزُّبَيْرُ في حَدِيثٍ أسْنَدَهُ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا بِلَطَفٍ إلى عُثْمانَ ورُقَيّةَ، فاحْتُبِسَ عَلَيْهِ الرّسُولُ، فقالَ لَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «إنْ شِئْتَ أخْبَرْتُك ما[(٦)] حَبَسَك». قالَ: نَعَمْ. قالَ: «وقَفْتَ تَنْظُرُ إلى عُثْمانَ ورُقَيّةَ تَعْجَبُ مِنْ حُسْنِهِما».

---

(١) انظر: كتاب «نسب قريش» (ص: ١٠٤).
(٢) في (أ)، (ب): «عمرو». وانظر: كتاب «نسب قريش» (ص: ١٠٤).
(٣) ليست في (أ)، (ب).
(٤) في حاشية (أ): «أي: يرقُصون». وفي «تاج العروس» (دركل): «الدِّرْكِلةُ ـ كَشِرذِمة وسِبَحْلة ـ: ضربٌ مِن الرَّقص».
(٥) ليست في (ب).
(٦) في (ب)، (د): «بما».

وَذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ تَسْمِيةَ المُهاجِرِينَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، وقَدْ تَقَدَّمَ التّعْريفُ بِبَعْضِهِمْ، وذَكَرْنا(١) سَبَبَ إسْلامِ عَمْرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصي، وأنه رَأى نُورًا خَرَجَ مِنْ زَمْزَمَ أضاءَتْ(٢) لَهُ مِنْها نَخْلُ المَدِينةِ، حَتّى رَأى البُسْرَ فيها، فقَصَّ رُؤْياهُ، فقِيلَ لَهُ: هَذِهِ بِئْرُ بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ، وهَذا النُّورُ فيهِمْ يَكُونُ، فكانَ سَبَبًا لِبدارِهِ إلى الإسْلامِ(٣).

وَقَدْ ذَكَرْنا(٤) فيما تَقَدَّمَ أنّ هَذِهِ الرُّؤْيا [إنّما كانَتْ](٥) لِأخِيهِ خالِدٍ، وأنّ عَمْرًا هُوَ الّذِي عَبَرَها لَهُ، وهَذا هُوَ الصّحِيحُ فيها، واللهُ أعْلَمُ.

وأمّا أخُوهُ خالِدُ بنُ سَعِيدٍ، فكانَ يَرى ـ قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ ـ نَفْسَهُ قَدْ أشفى على نارٍ تأجَّجُ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ قَدْ أخَذَ بِحُجْزَتِهِ، يَصْرِفُهُ عَنْها، فلَمّا اسْتَيْقَظَ عَلِمَ أنّ نَجاتَهُ مِنَ النّارِ على يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلما أظْهَرَ إيمانَهُ ضَرَبَهُ أبُوهُ بِمِقْرَعةٍ، حَتّى كَسَرَها على رَأْسِهِ، وحَلَفَ ألّا يُنْفِقَ عَلَيْهِ، وأغْرى بِهِ إخْوَتَهُ، فطَرَدُوهُ وآذَوْهُ، فانْقَطَعَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، كَما ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ.

وأبوه سعيدُ بنُ العاصي أبُو أُحَيْحةَ الّذِي يَقُولُ فيهِ القائِلُ: [من الطويل]

أبُو أُحَيْحةَ مَنْ يَعْتَمُّ عِمّتَهُ ... يُضْرَبْ وإنْ كانَ ذا مالٍ وذا عَدَدِ

وَكانَ إذا اعْتَمّ لَمْ يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعْظامًا لَهُ، وقَدْ قِيلَ في عِمّتِهِ أيْضًا ما أنْشَدَهُ

---

(١) انظر: (٢: ١٦٧).

(٢) في (أ)، (هـ): «أضاء».

(٣) في (ب)، (د): «في الإسلام»، وفي (ج): «للإسلام»، وفي (هـ)، (ف): «لبداره الإسلام».

(٤) انظر: (٢: ١٦٧).

(٥) ليست في (أ).

عَمْرُو بنُ بَحْرٍ الجاحِظُ[١]: [من الوافر]

وَكانَ أَبُو أُحَيْحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ
إذا شَدَّ العِصابَةَ ذاتَ يَوْمٍ وقامَ إلى المَجالِسِ والخُصُومِ
لَقَدْ[٢] حَرُمَتْ على مَنْ كانَ يَمْشِي بِمَكَّةَ غَيْرَ مُحْتَقَرٍ لَئِيمِ

ماتَ أُحَيْحةُ الَّذِي كانَ يُكْنى بِهِ في حَرْبِ الفِجارِ، وأسْلَمَ مِنْ بَنِيهِ أَرْبَعَةٌ: أبانُ، وخالِدٌ، وعَمْرٌو، والحَكَمُ الَّذِي سَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: عبدَ اللهِ، وماتَ أُحَيحةُ بنُ سعيدٍ، والعاصي بنُ سَعِيدٍ وغَيْرُهُما مِنْ بَنِيهِ على الكُفْرِ، قُتِلَ العاصي مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ كافِرًا.

وَذَكَرَ أمةَ بِنْتَ خالِدِ بنِ سَعِيدٍ الَّتِي وُلِدَتْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، قالَ: وتَزَوَّجَها الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وهِيَ الَّتِي كَساها رَسُولُ الله ﷺ وهِيَ صَغِيرَةٌ، وجَعَلَ يَقُولُ لها: «سَنّاهْ سَنّاهْ[٣]، يا أُمّ خالِدٍ». أيْ: حَسَنٌ حَسَنٌ بِلُغَةِ الحَبَشَةِ، وكانَتْ قَدْ تَعَلَّمَتْ لِسانَ الحَبَشَةِ؛ لِأَنَّها وُلِدَتْ بِأَرْضِهِمْ.

ووَلَدَتْ لِلزُّبَيْرِ عَمْرًا وخالِدًا، يُقالُ: إنّ أباها خالِدَ بنَ سَعِيدٍ أوّلُ مَنْ كَتَبَ: (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ماتَ بِأَجْنادِينَ شَهِيدًا، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ قد اسْتَعْمَلَهُ على صَنْعاءَ واليَمَنِ[٤]، فلَمّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ أرادَ أبُو بَكْرٍ أنْ يَسْتَعْمِلَهُ، فقالَ: لا أعْمَلُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أبدًا.

ويُروى أنَّ أباه سعيدَ بنَ العاصي مَرِضَ، فقالَ: إنْ رَفَعَنِي اللهُ مِنْ مَرَضِي

---

(١) الأبيات لأبي قيس بن الأسْلَت، وهو في «البيان والتبيين» (٣: ٩٧).
(٢) كذا في النسخ: «لقد»، وفي «البيان والتبيين»: «فقد»، وهو الأصح عربية.
(٣) (د): «سنا سنا»، وكلاهما يُروى، ويُروى أيضًا: «سنَهْ سنَهْ». انظر: «لسان العرب» (سنا).
(٤) في (هـ): «صنعاء اليمن». وانظر: «أسد الغابة» (٢: ٩٨).

هذا لا يُعْبَدُ إلَهُ ابنِ أَبِي كَبْشَةَ [بِمَكّةَ][١] أبَدًا، فقالَ ابنُهُ خالِدٌ: اللهمّ لا تَرْفَعْهُ. فهَلكَ مكانَه. فهؤلاء بنو سعيدِ بنِ العاصي بنِ أُمَيّةَ.

وَعُثْمانُ: هُوَ ابنُ عَفّانَ بنِ أَبِي العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، ولا يُخْتَلَفُ في عَبْدِ شَمْسٍ أنّهُ بِالدّالِ، وأمّا عَبُّ شَمْسِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ، فَقالَ فيهِ أَبُو عُبَيْدٍ والقُتَبِيّ: عَبْدُ شَمْسٍ كَما في الأوّلِ. وقالَ أَكْثَرُ النّاسِ فيهِ: عَبُّ شَمْسٍ، ثُمّ اخْتَلَفُوا في مَعْناهُ، فقِيلَ: مَعْناهُ: عَبْدُ شَمْسٍ، لَكِنْ أُدْغِمَتِ الدّالُ، وقِيلَ: بَلْ عَبُ الشّمْسِ: هُوَ[٢] ضوؤُها، وَصَفاؤُها، [وقِيلَ][٣] في المَثَلِ: هُوَ أَبْرَدُ مِنْ عَبْقُرٍّ[٤]؛ أي: البَرْدِ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ ـ وهُوَ المُبرِّدُ ـ: من عَبِّ قُرٍّ[٥]، أي: بَياضِ قُرٍّ، [ومِنْ حَبِّ قُرٍّ أيْضًا][٦].

وفيهِ قَوْلٌ ثالِثٌ ـ أعْنِي: عَبُّ شَمْسٍ ـ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ أبي عَمْرٍو، وقالَ مَعْناهُ: عَبْءُ شَمْسٍ بِالهَمْزِ، ثُمّ حُذِفَتِ الهَمْزةُ تَسْهِيلًا، وعَبُ[٧] الشّمْسِ، وعَبْوةُ[٨] مِثْلُهُ.

وَشَكَّ ابنُ إسْحاقَ في عَمّارِ بنِ ياسِرٍ: هَلْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، أمْ لا؟ والأَصَحُّ عِنْدَ أَهْلِ السّيَرِ ـ كالواقِدِيِّ وابنِ عُقْبةَ وغيرِهِما ـ أنه لم يكُنْ فيهم.

(١) عن (ج)، (د).
(٢) «هو» ليس في (ف).
(٣) ليس في (ب).
(٤) انظر: «لسان العرب» (عبقر، جنقر، عبأ).
(٥) ضبط في (أ) بفتح القاف. والضَّم والفَتح كلاهما واردٌ بمعنى البَرد، وأوجب الفتح مع الحرّ.
(٦) ليست في (أ).
(٧) في (ب)، (ج)، (د): «عبء» بالهمز.
(٨) ما عدا (هـ): «وعبؤة» بالهمز. وانظر: «تاج العروس» (عبو).

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ قَيْسٍ مَنْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، ولَمْ يَذْكُرْ[١] فيهِمْ تَمِيمَ[٢] بنَ الحارِثِ، وذَكَرَهُ الواقِدِيُّ وغَيْرُهُ.

والحارِثُ بنُ قيسٍ أبوه كان مِن المُسْتَهْزِئينَ الّذِينَ أنْزَلَ الله فيهِمْ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

وذَكَرَ مِنْ بَنِي زُهْرةَ مَنْ هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، وهُمْ سِتّةُ نَفَرٍ، ولَمْ يَذْكُرِ السّابِعَ، وهُوَ: عَبْدُ الله بنُ شِهابٍ جَدُّ مُحَمّدِ بنِ مُسْلِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيّ، وكانَ اسْمُهُ: عَبْدَ الجانِّ، فسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: عَبْدَ الله، ماتَ بِمَكّةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وأخُوهُ عَبْدُ اللهِ الأصْغَرُ شَهِدَ أُحُدًا مَعَ المُشْرِكِينَ، ثم أسلَم.

وَذَكَرَ المُطّلِبَ بنَ عَبْدِ عَوْفٍ، ولَمْ يَذْكُرْ أخاهُ طَلِيبًا، وكِلاهُما هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، وماتا بها، وهُما أخَوا أزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفٍ.

فَصْلٌ

وأنْشَدَ[٣] لِعَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ ما قالَهُ في أرْضِ الحَبَشةِ، وفيهِ: [من البسيط]

أَلْحِقْ عَذابَك بِالقَوْمِ الّذِينَ طَغَوْا … وعائِذًا بِك أنْ يَعْلُوا فيُطْغُونِي

أنْشَدَهُ سِيبَوَيْهِ فيما يَنْتَصِبُ على الفِعْلِ المَتْرُوكِ إظْهارُهُ، وأجازَ فيه الرَّفعَ على معنى: أنا عائذٌ بك[٤]، وأما النَّصبُ، فعلى الحالِ، ولكنِ اختُزِلَ الفعلُ العاملُ

(١) في (ف): «يذكره».

(٢) انظر: «أسد الغابة» (١: ٢٥٧)، ترجمة تميم بن الحارث، فقد نَقل عن ابن عمر أن ابن إسحاق لم يذكر تميمًا في مُهاجِرة الحبشة، وذكر عِوَضَه بِشر بن الحارث.

(٣) انظر «السيرة» (٣: ٩٩). (ج)

(٤) «الكتاب» (١: ٣٤٢)، وكان سيبويه يرى أن النصب هو الوجه، وانظر ما رواه عن يونس =

فيها، فلا يجوزُ إظهارُه، وذَلِكَ لِحِكْمةٍ، وهِيَ أنّ الفِعْلَ لَوْ أُظهِرَ لَمْ يَخْلُ أنْ يَكُونَ ماضِيًا، أوْ مُسْتَقْبَلًا، فالماضِي يُوهِمُ الِانْقِطاعَ، والمُتَكَلِّمُ إنّما يُرِيدُ أنّهُ في مَقامِ العائِذِ، وفي حالِ عَوْذٍ، والفِعْلُ المُسْتَقْبَلُ أيْضًا يُؤْذِنُ بِالِانْتِظارِ، وفِعْلُ الحالِ مُشْتَرِكٌ مَعَ المُسْتَقْبَلِ في لَفْظٍ واحِدٍ، وذَلِكَ يُوهِمُ أنّهُ غَيْرُ عائِذٍ الآنَ، فكانَ مَجِيئُهُ بِلَفْظِ الِاسْمِ المَنْصُوبِ على الحالِ أدَلَّ على ما يُرِيدُ؛ فإنّ عائِذًا كَقائِمٍ وقاعِدٍ، وهُوَ الّذِي يُسَمّى عِنْدَ الكُوفيّينَ: الدّائِمَ، فالقائِلُ: عائِذًا بك يا رَبِّ، إنّما يُرِيدُ: أنا في حالِ عِياذٍ بك[١]، والعامِلُ في هَذِهِ الحالِ تَكَلُّمُهُ ونِداؤُهُ؛ أيْ: أقُولُ قَوْلِي هَذا عائِذًا، ولَيْسَ تَقْدِيرُهُ: عُذْتُ، ولا أعُوذُ، إنّما يُرِيدُ أنْ يَسْمَعَهُ رَبُّهُ، أوْ يَراهُ عائِذًا بِهِ.

وَقَوْلُهُ: «أنْ يَعْلُوا» يَجُوزُ أنْ تَكُونَ «أنْ» مَعَ[٢] ما بعدَها في موضعِ نصبٍ وفي مَوْضِعِ خَفْضٍ عِنْدَ النّحْوِيّينَ، أمّا النّصْبُ فعلى إضْمارِ الفِعْلِ، لِأنّهُ لَمّا قالَ: عائِذًا، عُلِمَ[٣] أنّهُ خائِفٌ، فكَأنّهُ قالَ: أخافُ أنْ يَعْلُوا فيُطْغُونِي، وأمّا الخَفْضُ فعلى إضْمارِ حَرْفِ الجَرِّ، كَأنّهُ قالَ: مِنْ أنْ يَعْلُوا، وهذا[٤] مَذْهَبُ الخَلِيلِ وسِيبَوَيْهِ في «أنِ» الخفيفةِ و«أنّ» المُشَدَّدةِ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[٥] [المؤمنون: ٥٢]، تَقْدِيرُهُ: لِأنّ هَذِهِ، وجازَ إضْمارُ حَرْفِ الجَرِّ في هَذَيْنِ المَوْضِعَيْنِ، وإنْ كانَتْ حُرُوفُ الجَرِّ لا تُضْمَرُ، لِأنّهُما مَوْصُولَتانِ بِما بَعْدَهُما، فطالَ الِاسْمُ بِالصِّلةِ، فجازَ حَذْفُ حَرْفِ الجَرِّ تَخْفِيفًا.

= والخليل: (١: ٣٤٧ـ٣٤٨).

(١) «عياذ بك» في (د): «عياذ»، وفي غيرها: «عياذتك»، والمثبت من (ف).

(٢) في (ف): «و».

(٣) في (ف): «أعلم».

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) قرأ بكسر الهمزة الكوفيون، وساكنةَ النون ابنُ عامر، والباقون مِن السبعة بفتح الهمزة، وتشديد النُّون، وعليها الاستشهاد. انظر: «الإقناع» لابن الباذش: (٢: ٧٠٨-٧٠٩).

وَلِقائِلٍ أنْ يَقُولَ: هَذِهِ دَعْوى ادّعَيْتُمْ أنّ «أنْ» وما بَعْدَها اسْمٌ مَخْفُوضٌ، وهُوَ لا يَظْهَرُ فيهِ الخَفْضُ، ثُمّ بَنَيْتُمُ التّعْلِيلَ على غَيْرِ أصْلٍ؛ لِأنّ الخَفْضَ لَمْ يَثْبُتْ بَعْدُ. فنَقُولُ: إنّما عَلِمْنا أنّهُ في مَوْضِعِ خَفْضٍ لِوُقُوعِهِ في مَوْضِعٍ لا يَقَعُ فيهِ إلّا المَخْفُوضُ بِحَرْفِ الجَرِّ، نَحْوُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٧]، ونَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ونَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] [البقرة: ٢٨٢].

فقَوْلُهُ: ﴿أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ مَعْناهُ: بِأَلّا يَعْلَمُوا، فلَوْ كانَ قَبْلَ «أنْ» فِعلٌ لَقُلْنا: حُذِفَ حَرْفُ الجَرِّ، فتَعَدّى الفِعْلُ، فنَصَبَ، ولَكِنْ «أَجْدَرُ وأَحَقُّ» اسْمانِ لا يَعْمَلانِ، فمِن ههنا عَرَفَ النَّحويُّون أنَّه في موضعِ خفضٍ؛ إذْ لا ناصِبَ لَهُ.

وأمّا ما اعْتَلُّوا بِهِ مِنْ طُولِ الِاسْمِ بِالصّلَةِ، وأنّ ذَلِكَ هُوَ الّذِي سَوّغَ لَهُمْ إضْمارَ حرفِ الجَرِّ، فتَعلِيلٌ مَدْخُولٌ، يُنْتَقَضُ عَلَيْهِمْ بِالأسْماءِ المَوْصُولةِ، كـ«الّذِي»، و«مَنْ»، و«ما»، فإنّها قَدْ طالَتْ بِالصّلَةِ، ومَعَ ذَلِكَ لا يَجُوزُ إضْمارُ حُرُوفِ الجَرِّ فيها، لا تَقُولُ: خَرَجْتُ ما عِنْدَك، ولا هَرَبْتُ الذي عندك؛ أيْ: من الّذِي عِنْدَك، وتَقُولُ: خَرَجْتُ أنْ يَرانِي أحدٌ[2]، وفَرَرْتُ أنْ يَرانِي عَمْرٌو، أيْ: مِنْ أنْ يَرانِي عمرٌو، أو لِأنْ[3] يَرانِي، فدلّ على أنّ العِلّةَ غَيْرُ ما قالُوا، وهِيَ أنّ [أنْ][4] مَعَ[5] الفِعْلِ لَيْسَ بِاسْمٍ مَحْضٍ، وإنّما هُوَ في تَأْوِيلِ اسْمٍ، والِاسْمُ المَحْضُ: ما دَخلَ عَلَيْهِ حَرْفُ الجَرّ، فلا بُدَّ إذًا مِنْ إظْهارِ حَرْفِ الجَرِّ

(١) والتقييد: لأن تضل، أي: من أجل أن تضل.

(٢) في (ف): «زيد».

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «ولأن».

(٤) ليس في (أ)، (ب)، (ف)، (هـ).

(٥) ليست في (ب).

إذا جِئْتَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ قابِلٌ لِدُخُولِ الخَوافِضِ عَلَيْهِ، وأمّا «أنّ» فحَرْفٌ مَحْضٌ لا يَصِحُّ دُخُولُ حَرْفِ جَرٍّ عَلَيْهِ، ولا على الفِعْلِ المُتَّصِلِ بِهِ، فلا تَقُولُ: هُوَ اسْمٌ مَخْفُوضٌ، إنّما هُوَ [في][1] تأويلِ اسمٍ مخفوضٍ، فمن ههنا فَرَّقَتِ العَرَبُ بَيْنَهُ وبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الأَسْماءِ، فإذا أَدْخَلْتَ عَلَيْهِ حَرْفَ الجَرِّ مُظْهَرًا جازَ، لِأَنَّهُ في تَأْوِيلِ اسْمٍ، وإذا أَضْمَرْتَ حَرْفَ الجَرِّ جازَ أَيْضًا التِفاتًا إلى أنّ الحَرْفَ الجارَّ لا يَدْخُلُ على الحَرْف، ولا على الفِعْلِ، فَحَسُن إسقاطُه مراعاةً لِلَفظِ «أنّ»، ولِلَفظِ الفِعْل، وقُلْنا: هُوَ في مَوْضِعِ خَفْضٍ على معنى أنّ الكلامَ يؤولُ إلى الِاسْمِ المَخْفُوضِ، لا أَنّهُ يَظْهَرُ فيهِ خَفْضٌ، أَوْ يُقَدَّرُ تَقْدِيرَ المَبنِيِّ الّذِي مَنَعَهُ البِناءُ مِنْ ظُهُورِ الخَفْضِ فيهِ، حَتّى يُشْبِهَ[2] «أَنْ» فَتَقُولَ: هُوَ اسْمٌ مَبنِيٌّ على السُّكُونِ، لا بَلْ تَقُولُ: هِيَ حَرْفٌ، والحَرْفُ لا يَدْخُلُ عَلَيْهِ حَرْفُ الجَرِّ، لا مُضْمَرًا، ولا مُظْهَرًا، وإنّما هُوَ تَقْدِيرٌ في المَعْنى، لا في اللّفْظِ، فافْهَمْهُ.

فَصْلٌ

واعْلَمْ أنّ[3] الّتِي في تَأْوِيلِ المَصْدَرِ لا يُضافُ إلَيْها اسْمٌ، تَقُولُ: هَذا مَوْضِعُ قُعُودِكَ، ولا تقول: مَوضِعُ أنْ تَقْعُدَ، ويَوْمُ خُرُوجِك، ولا تَقُولُ: يَوْمُ أنْ تَخْرُجَ؛ لِأنّها لَيْسَتْ بِاسْمٍ كَما قَدّمْنا، وإنّما يُضافُ إلى الأَسْماءِ المُحصَّلةِ[4]، لا إلى التّأْوِيلِ، ولا يُضافُ إلَيْها[5] اسْمُ الفاعِلِ، لا بِمَعْنى المُضِيِّ، ولا بِمَعْنى

(١) ليس في (أ).

(٢) بعده في (ف): «به».

(٣) بعده في (ف): «أن».

(٤) عُدِّلت في (أ) إلى: «المحضة»، وفي (هـ): «المختصة». وأراد بالأسماء المحصَّلة: أن الاسمية فيها ظاهرة وثابتة.

(٥) بعده في (ف): «أيضًا».

الاِسْتِقْبالِ ولا المَصْدَرِ إلّا على وجْهٍ واحِدٍ، نَحْوُ: مَخافةَ أنْ تَقُومَ، وذَلِك إذا أَرَدْتَ مَعْنى المَفْعُولِ بِـ«أنْ» وما بَعْدَها، وأمّا على نَحْوِ إضافةِ المَصْدَرِ إلى الفاعِلِ، فلا يَجُوزُ ذَلِك.

وَإنّما تكُونُ فاعِلةً مَعَ الفِعْلِ إذا ذَكَرْتَهُ قَبْلَها نَحْوَ: يَسُرُّنِي أنْ تَقُومَ، وأمّا مَعَ المَصْدَرِ مُضافًا إلَيْها فلا، وتكُونُ مَفْعُولةً مَعَ المَصْدَرِ، ومَعَ الفِعْلِ مَعًا، وكُلُّ هَذِهِ الأسْرارِ بَدِيعةٌ مَوْضِعُها غَيْرُ هَذا، واللهُ المستعانُ، لَكِنّي أقُولُ ههُنا قَوْلًا لائِقًا بِهَذا المَوْضِعِ، فإنّي لَمْ أذْكُرِ الخَفْضَ بِإضْمارِ حَرْفِ الجَرِّ في «أنّ» و«أنْ» إلّا مُساعَدةً لِمَنْ تَقَدَّمَ، فعَلَيْهِ [بَنَيْت][1] التّعْلِيلَ[2] والتّأْصِيلَ، وإذا أبَيْتَ مِنَ التّقْلِيدِ، فلا إضْمارَ لِحُرُوفِ الجَرِّ فيها، إنّما هُوَ النَّصبُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ أوْ مُظْهَرٍ.

أمّا قَوْلُهُ: ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، فإنه لَمّا قالَ: ﴿أَحَقُّ﴾ عُلِمَ أنَّهُ يُوجِبُ عليه أن يقومَ فيه، وكذلك[3]: ﴿أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ [التوبة: ٩٧]، ومَعْنى أجْدَرُ: أخْلَقُ وأقْرَبُ، ولَما ثَبَتَتْ لَهُمْ هَذِهِ الصِّفةُ اقْتَضى ذَلِكَ ألّا يَعْلَمُوا؛ فصارَ مَنْصُوبًا في المَعْنى، ولَوْ جِئْتَ بِالمَصْدَرِ الّذِي هُوَ اسْمٌ مَحْضٌ نَحْوَ: القِيام والعِلْم، لَمْ يَصِحَّ إضْمارُ هَذا الفِعْلِ؛ لِأنَّ «أجْدَر، وأحَقّ»، ونَحْوَهُما اسْمانِ يُضافانِ إلى ما بَعْدَهُما، فلَوْ جِئْتَ[4] بِالقِيامِ بَعْدَ قَوْلِك: أحَقّ، فقلتَ: أحَقُّ قيامُك، لانقَلب المعنى، ولو نصبتَهُ بإضمارِ الفعلِ الّذِي أضْمَرْتَ مَعَ «أنْ» لَمْ

---

(١) ليست في (أ).

(٢) في (ف): «للتعليل».

(٣) في (ف): «ولذلك».

(٤) في (أ): «أتيت».

يَكُنْ دَلِيلًا[١] عَلَيْهِ[٢]؛ لِأنّ الِاسْمَ يَطْلُبُ الإضافةَ، فيُمْنَعُ مِنَ الإضْمارِ والنّصْبِ، وإذا وقَعَتْ بَعْدَهُ «أنْ» لَمْ يَطْلُبِ الإضافةَ؛ لِما قَدّمْناهُ مِنِ امْتِناعِ إضافةِ الأسْماءِ إلَيْها، وإنّما اخْتَرْنا هَذا المَذْهَب، وآثَرْناهُ على ما تَقَدّمَ مِنْ إضْمارِ الخافِضِ؛ لِأنّا قَدْ نَجِدُها في مَواضِعَ مَجْرُورةً، ولا يَجُوزُ إضْمارُ حَرْفِ الجَرِّ، كَقَوْلِك: سِرْ إلى أنْ تَطْلُعَ الشّمْسُ، ولا يَجُوزُ إضْمارُ «إلى» ههُنا، وكَذَلِكَ تَقُولُ: هَذا خَيْرٌ مِنْ أنْ تَفْعَلَ كَذا.

ولا يَجُوزُ إضْمارُ «مِنْ» أيْضًا، ولَوْ كانَ إضمارُ حَرْفِ الجَرِّ مَعَها لِلْعِلّتَيْنِ المتقدِّمتَينِ لاطَّرَد جَوازُ ذَلِكَ فيها على الإطْلاقِ، وإنّما هِيَ أبَدًا ـ إذا لَمْ يَكُنْ مَعَها حَرْفُ الجَرّ ظاهِرًا ـ مَفْعُولةٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، وقَدْ تَكُونُ فاعِلةً، ولَكِنْ بِفِعْلٍ ظاهِرٍ، نَحْوُ: يُعْجِبنِي أنْ تَقُومَ، وأمّا خَرَجْتُ أنْ أرى زَيْدًا، فعَلى [إضْمارِ الإرادةِ والقَصْدِ، كَأنّك أرَدْت: أنْ أراهُ، أوْ ألا أراهُ؛ لِأنّ كُلَّ مَنْ فعَلَ فِعْلًا][٣] فقَدْ أرادَ بِهِ أمْرًا ما، لَكِنّك إنْ جَعَلْتَ مَكانَها المَصْدَرَ، لَمْ يَجُزِ الإضْمارُ، أوْ قَبُحَ؛ لِأنّ المَصْدَرَ تَعْمَلُ فيهِ الأفْعالُ الظّاهِرةُ إذا كانَتْ مُتَعَدّيةً، وتَصِلُ إلَيْهِ بِحَرْفِ جَرٍّ إذا لَمْ تكُنْ مُتَعَدِّيةً، و«أنْ» مَعَ الفِعْلِ لا تَعْمَلُ فيها أفعالُ الحَواسِّ، ولا أفْعالُ الجَوارِحِ الظّاهِرة، تَقُولُ: رَأيْتُ قِيامَ زَيْدٍ، ولا تَقُولُ: أنْ يَقُومَ، وسَمِعْتُ كَلامَك، ولا تَقُولُ: سَمِعْتُ أنْ تَتَكَلّمَ، وإنّما تَعْمَلُ فيها، وتَتَعَلّقُ بِها الأفْعالُ الباطِنةُ، نَحْوُ: خِفْتُ، واشْتَهَيْتُ، وكَرِهْتُ، وما كانَ في مَعْنى هَذا، أوْ قَرِيبًا مِنْهُ، فإذا سَمِعَ المُخاطَبُ «أنْ» مَعَ الفِعْلِ لَمْ يَذْهَبْ وهْمُهُ بِحُكْمِ العادةِ إلّا إلى هَذِهِ المَعانِي الباطنةِ، فإنْ كانَتْ مُظْهَرةً فذاكَ، وإلّا اعْتَقَدْناها مُضْمَرةً، وأنَّ الفِعْلَ الظّاهِرَ دالٌّ

---

(١) في (ب)، (ج)، (هـ): «دليل». والمُراد: لم يكن الاسم دليلًا على ذلك الفِعل، كما كان دليلًا مع المصدر المؤول.

(٢) «لم يكن دليلًا عليه» في (ف): «لم يكن عليه دليل».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

عَلَيْها، وغَيْرُها مِنَ الأسْماءِ لَيسَ كَذَلِكَ، إذا وقَعَ قَبْلَها فِعْلٌ مِنْ أفْعالِ الجَوارِحِ الظّاهِرةِ، وقَعَ عَلَيْها إنْ كانَ مُتَعَدِّيًا، أوْ وُصِلَ بِحَرْفِ جَرٍّ إنْ كانَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ، ومَنَعَ مِنَ الإضْمارِ أنّهُ لَفْظِيٌّ، والإضْمارُ مَعْنَوِيٌّ، إلّا في بابِ المَفْعُولِ مِنْ أجْلِهِ، وقَدْ قَدّمْنا فيهِ سِرًّا بَدِيعًا فيما سَبَقَ مِنْ هَذا الكِتابِ[1]، واللهُ وليُّ التوفيقِ[2].

فَصْلٌ

وأنْشَدَ[3] لِعَبْدِ الله بنِ الحارِثِ شِعْرًا فيهِ: [من الطويل]

كَما جَحَدَتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ

أمّا عادٌ فقَدْ تَقَدّمَ نَسَبُها[4]، وأمّا الحِجْرُ فلَيْسَتْ بِأُمّةٍ، ولَكِنّها دِيارُ ثَمُودَ.

أرادَ: [أهْلَ][5] الحِجْرِ، وأمّا مَدْيَنُ فأُمّةُ شُعَيْبٍ، وهُمْ بَنُو مَدْيانَ بنِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السّلامُ، وأُمُّهُمْ: قَنْطُورا[6] بِنْتُ يَقْطانَ الكَنْعانِيّةُ، ولَدَتْ لَهُ ثَمانِيَةً مِنَ الوَلَدِ، تَناسَلَتْ مِنْهُمْ أُمَمٌ، وقَدْ سَمّيْناهُمْ في كِتابِ «التّعْرِيفِ والإعْلامِ»، وفي أوّلِ هَذا الكِتابِ[7].

وَفيهِ أيْضًا قَوْلُهُ[8]: [من الطويل]

---

(١) انظر: (١: ٣٠٥).
(٢) في (أ)، (ج): «والله أعلم».
(٣) انظر «السيرة» (٣: ٩٩). (ج)
(٤) انظر «السيرة» (١: ٧).
(٥) ليس في (ب).
(٦) في (هـ): «قيطورا». انظر: «جمهرة أنساب العرب» (ص: ٥١٠).
(٧) انظر: (١: ١٣٠).
(٨) انظر: الشعر في «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٤٠١).

فإنْ أنا لَمْ أُبرِقْ فلا يَسَعَنَّنِي

... البَيْتَ، قالَ: وبِهِ سُمِّيَ: المُبْرِقَ.

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ: وفي هَذا حُجّةٌ على الأصْمَعِيِّ، حيثُ مَنَعَ أنْ يُقالَ: أرْعَدَ وأبْرقَ، وذُكِرَ لَهُ قَوْلُ الكُمَيْتِ[١]: [من مجزوء الرجز]

أرْعِدْ وأبْـرِقْ يا يَزِيدُ

فَلَمْ يرَهُ حُجّةً، وألْحَقَهُ بِالمُحْدَثِينَ لِتَأخُّرِ زَمانِهِ، كَما فعَلَ بِذِي الرُّمّةِ حِينَ احتُجَّ عليه بقولِهِ[٢]: [من الطويل]

أذُو زَوْجةٍ بِالمِصْرِ أمْ ذُو خُصُومةٍ

فَأبى أن يقولَ: «زوجة» بهاءِ التأنيتِ، وقالَ: طالَما أكَلَ ذُو الرُّمّةِ الزّيْتَ في حَوانِيتِ البَقّالِينَ! وبَيْتُ المُبْرِقِ هَذا حُجّةٌ بِلا خِلافٍ، وقَدْ وُجِدَ أرْعدَ وأبْرقَ في غَيْرِ هَذا البَيْتِ مِمّا تَقُومُ بِهِ الحُجّةُ أيْضًا.

وبَيْتُ المُبْرِقِ هَذا يَحْتَمِلُ وجْهًا آخَرَ، وهُوَ أنْ يَكُونَ مِنْ أبْرَقَ في الأرْضِ: إذا ذَهَبَ فيها، لا مِنْ أرْعَدَ وأبْرَقَ، وكَذَلِكَ وجَدْتُه في حاشِيةِ الشّيْخِ على هَذا البَيْتِ مَنْسُوبًا لِلْمُصْعَبِ[٣]، قالَ: الإبْراقُ: الذّهابُ. وفي «العَيْنِ»: أبْرَقَتِ النّاقةُ بِذَنَبِها: إذا ضَرَبَتْ بِهِ يَمِينًا وشِمالًا.

---

(١) «ديوانه» (ص: ١٩٠)، والبيت بتمامه:

أرعِـدْ وأبـرِقْ يـا يزيـ ـدُ فما وعيدُكَ لي بضائرْ

(٢) «ديوانه» بشرح الباهلي: (٢: ١٣١١)، وعجُزه:

أراكَ لهـا بالبصـرةِ العامَ ثاويا

(٣) يعني: أبا عبد الله المصعب الزبيري. وقوله في «نسب قريش» له: (ص:٤٠١).

وهُوَ في مَعْنى الذَّهابِ في الأرْضِ؛ لِأنّهُ جَوَلانٌ فيها، وهِيَ البَرُوقُ[١]، قالَ نَهْشَلُ بنُ دارِمٍ لِأخِيهِ سَلِيطٍ ـ وقَدْ لامَهُ على تَرْكِ الكَلامِ في بَعْضِ المَواطِنِ ـ: لا أُحسِنُ تَأْثامَك، ولا تَكْذابَك، تَشُولُ بِلِسانِك شَوَلانَ البَرُوقِ[٢].

وفي الشِّعْرِ: [من الطويل]

يُبَيِّنُ ما في النَّفْسِ إذْ بُلِغَ النَّقْرُ

وَيُرْوى: يُبَيِّن ما في الصّدْرِ. والنَّقْرُ: البَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ، وأكْثَرُ ما يُقالُ فيهِ: التَّنْقِيرُ، واسْتُشْهِدَ عَبْدُ الله المُبْرِقُ في غَزْوةِ الطّائِفِ، وكانَ أَبُوهُ الحارِثُ مِنَ المُسْتَهْزِئِينَ، وكانَ جَدُّهُ قَيْسٌ أعَزَّ قُرَيْشٍ في زَمانِهِ. يُروى أنّ عبدَ المطَّلِبِ كان يُنَقِّزُ[٣] ابنَهُ عَبْدَ الِله والِدَ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ طِفْلٌ، فيَقُولُ[٤]: [من الرجز]

كأنه في العـزِّ قيسُ بنُ عَدِيّ ... فـي دارِ قَيْسٍ النّـدِيّ يَنْتَدِي

قالَهُ الزّبيرُ بنُ أبِي بَكْرٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ[٥] شِعْرَ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ: [من الطويل]

أَتَيْمَ بنَ عَمْـرٍو لِلّذِي جاءَ بِغْضةً!

(١) لفظ «العين» (٥: ١٥٦): «وأبرَقَت الناقة: ضرَبَت بذَنَبِها مرةً على فَرْجها، ومرّةً على عجُزها. والإنسان البَروق: هو الفَرِقُ لا يزال».
(٢) انظر: «اللسان» (برق).
(٣) أي: يُرقِّصه.
(٤) انظر: «المنمق» (ص: ٣٦٧).
(٥) انظر «السيرة» (٣: ١٠٠). (ج)

أراد: عَجَبًا لِلّذِي جاءَ، والعَرَبُ تَكْتَفي بِهَذِهِ اللّامِ في التّعَجُّبِ؛ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: لِهَذا العَبْدِ الحَبَشِيِّ: «جاءَ مِنْ أرْضِهِ وسَمائِهِ إلى الأرْضِ الّتِي خُلِقَ منها». قالَها[١] في عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفِنَ في المَدِينَةِ[٢].

وقالَ في جِنازةِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وهُوَ واقِفٌ على قَبْرِهِ، وتَقَهْقَرَ ثُمّ قالَ: «سُبْحانَ اللهِ! لَهذا العَبْدُ الصّالِحُ ضُمّ عَلَيْهِ القَبْرُ، ثُمّ فُرِجَ عَنْهُ»[٣].

وقِيلَ في قوله سبحانه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] أقْوالٌ مِنْها: أنّها مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعْنى العَجَبِ[٤]، كَأنّهُ قالَ: اعْجَبُوا لإيلافِ قُرَيْشٍ.

وبِغْضةً: نُصِبَ على التَّمييزِ، كَأنّهُ قالَ: يا عَجَبًا لِما جاءَ بِهِ مِنْ بِغْضةٍ. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أجْلِهِ.

ورَوى الزُّبَيْرُ هَذا البَيْتَ: [من الطويل]

أتَيْمَ بنَ عَمرٍو للّذي فار ضِغْنةً

وكَذَلِكَ رُوِيَ في هَذا الشّعْرِ: «في صَرْحِ بَيْطاءَ تُقْدَعُ» بِالطّاءِ، وفَتْحِ الباءِ وكَسْرِها، وقالَ بَيطاءُ: اسْمُ سَفينةٍ، وتُقْدَعُ بِالدّالِ، أيْ: تُدْفَعُ، وزَعَمَ أنّ تَيْمَ بنَ عَمْرٍو ـ وهُوَ جُمَحُ ـ سُمّيَ جُمَحَ؛ لِأنّ أخاهُ سَهْمَ بنَ عَمْرٍو ـ وكانَ اسْمُهُ: زَيْدًا ـ

(١) في (أ): «قاله».
(٢) في «سير أعلام النبلاء» (١: ٢٨٣): «جلس النبي ﷺ على قبر سَعد وهو يُدفَن، فقال: «سبحان الله» مرتين، فسبَّح القوم، ثمّ قال: «الله أكبر، الله أكبر»، فكبَّروا. فقال: «عجبتُ لهذا العبد الصالح، شُدِّد عليه في قبره، حتى كان هذا حينَ فُرِجَ له».
(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى»: كتاب المناقب، باب سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، رقم (٨١٦٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٣٣)؛ من حديث معاذ بن رفاعة بن رافع رضي الله عنه. (ج)
(٤) في (أ)، (ب): «التعجب».

سابَقَهُ إلى غايةٍ، فجَمَحَ عَنْها تَيْمٌ، فسُمِّيَ: جُمَحَ، ووَقَفَ عَلَيْها زَيْدٌ، فقِيلَ: قَدْ سَهَمَ زَيْدٌ فسُمِّيَ: سَهْمًا.

وَقَوْلُهُ: «ومِنْ دُونِنا[1] الشَّرْمانُ». الشَّرْمُ: البَحْرُ، وقالَ: الشَّرْمانُ بالتَّثْنِيةِ؛ لِأَنَّهُ أرادَ البَحْرَ المِلْحَ[2]، والبَحْرَ العَذْبَ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩] والشَّرْمُ مِنْ شَرَمْتُ الشَّيْءَ: إذا خَرَقْتَه، وكَذَلِكَ البَحْرُ مِنْ بَحَرْتُ الأَرْضَ: إذا خَرَقْتَها، ومِنْهُ سُمِّيَتِ البَحِيرةُ لِخَرْقِ أُذُنِها.

والبَرْكُ: ما اطْمَأَنَّ مِنَ الأَرْضِ واتَّسَعَ، ولَمْ يَكُنْ مُنْتَصِبًا كالجِبالِ.

وَقَوْلُهُ: «في صَرْحِ بَيْضاءَ»؛ يُرِيدُ: مَدِينةَ الحَبَشةِ، وأَصْلُ الصَّرْحِ: القَصْرُ، يُرِيدُ: أَنَّهُ ساكِنٌ عِنْدَ صَرحِ النَّجاشيّ.

وقوله: «تُقْذَع»؛ أي: تُكرَه، [كأنه][3] مِن أقذعْتُ الشّيْءَ: إذا صادَفْتَهُ قَذِعًا.

ويُقالُ أيْضًا: قَذَعْتُ الرّجُلَ: إذا رَمَيْتَه بِالفُحْشِ، يُرِيدُ أنّ أرْضَ الحَبَشةِ مَقْذُوعةٌ، وأَحْسِبُ هَذِهِ الرّوايةَ تَصْحِيفًا، والصَّحِيحُ: ما قَدّمْناهُ مِنْ قَوْلِ الزُّبَيْرِ ورِوايَتِهِ، وأنّهُ «بِيطاءَ» بِالطّاءِ، و«تُقْدَعُ» بِالدّالِ.

وَقَوْلُهُ: «وأَسْلَمَك الأَوْباشُ»، يريدُ: أخلاطًا من الناس، يُقال: أوشابٌ، وأَوْباشٌ، والأَوْباشُ أيْضًا: شَجَرٌ مُتَفَرِّقٌ، والوَبَشُ: بَياضٌ في أظْفارِ الأَحْداثِ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ[4] فيمَنْ هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشةِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ: مَعْمَرَ بنَ عبدِ اللهِ

---

(١) في «السيرة»: «دونه».

(٢) في (أ): «المالح».

(٣) ليس في (أ).

(٤) انظر «السيرة» (٣: ٩٦). (ج).

ابنِ نَضْلةَ، وقالَ فيهِ عَلِيُّ بنُ المَدِينِيِّ: إنّما هُوَ مَعْمَرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ نافِعِ بنِ نَضْلةَ.

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: نَضْلةُ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدٍ.

وفي حاشِيةِ الشّيْخِ قالَ: إنّما هُوَ نَضْلةُ بنُ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجٍ، وذَكَرَ أنّهُ قَوْلُ مُصْعَبٍ[١] في كِتابِ «النّسب».

وذَكَرَ في بَنِي عَدِيٍّ: عُرْوةَ بنَ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ بنِ عوفِ بنِ عُبيدٍ.

وفي حاشيةِ الشَّيخِ قال[٢]: إنما هو عُرْوةُ بنُ أبي أُثاثةَ بنِ عبدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ، كَذا في كِتابِ مُصْعَبٍ[٣]، إلّا أنّهُ قالَ: عَمْرُو بنُ [أَبِي][٤] أُثاثةَ، أَوْ عُرْوةُ[٥] بنُ أَبِي أُثاثةَ، على الشّكِّ.

وذَكَرَهُ أبُو عُمَرَ في كِتابِ «الِاسْتِيعابِ»، فقالَ فيهِ: عُرْوةُ بنُ أُثاثةَ، ويُقالُ: ابنُ أبي أُثاثةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ، قالَ: وأمُّه، أمُّ عمرِو بنِ العاصي، فهو أَخُوهُ لِأُمِّه[٦].

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسمِ: وأُمُّهُما اسْمُها لَيْلى، وتُلَقَّبَ بِالنّابِغةِ، وهِيَ مِنْ رَبِيعةَ[٧]، ثُمّ مِنْ بَنِي جَلّانَ[٨].

---

(١) كتاب «نسب قريش» (ص: ٣٨٦).

(٢) «قال» ليس في (ف).

(٣) كتاب «نسب قريش» (ص: ٣٨١).

(٤) ليس في (أ).

(٥) في «كتاب مصعب»: «وعروة» بواو العطف.

(٦) «الاستيعاب» (٣: ١٠٦٤).

(٧) في (ب): «من بني ربيعة».

(٨) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٢٩٤)، و«لسان العرب» (جلل).

قالَ أَبُو عُمَرَ: ويُقالُ فيهِ: عمرُو بنُ أَبِي أُثاثَةَ[١].

قالَ أبو القاسمِ: وَقَدْ قَدَّمْنا أنّ المُصْعَبَ الزُّبَيْرِيَّ شَكَّ فيهِ، فقالَ: عُروةُ، أو عَمْرٌو، وأمّا الزّبَيْرُ: فقالَ عَمْرُو بنُ أبِي أُثاثةَ، ولَمْ يَشُكَّ.

ثُمّ قالَ أَبُو عُمَرَ: لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ فيمَنْ هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ، وذَكَرَهُ الواقِدِيُّ، وأَبُو مَعْشَرٍ، ومُوسى بنُ عُقْبَةَ.

قالَ المُؤَلِّفُ: وهَذا وهْمٌ مِنْ أَبِي عُمَرَ رَحِمَهُ الله؛ فإنّ ابنَ إسْحاقَ ذَكَرَهُ فيهِمْ، غَيْرَ أنّهُ نَسَبَهُ إلى جَدِّهِ عَبْدِ العُزّى، وأَسْقَطَ اسْمَ أَبيهِ أَبِي أُثاثَةَ، وقالَ حِينَ ذَكَرَ مَنْ هاجَرَ مِنْ بَنِي عديٍّ بعدما عَدَّدَهُم خمسةً، قال: «أَرْبَعةُ نَفَرٍ»[٢]، وهُوَ وهْمٌ مِنِ ابنِ إسْحاقَ، وذَكَرَ فيهِمْ مَعَ الخَمْسةِ: لَيْلى بِنْتَ أَبِي حَثْمةَ امْرَأَةَ عامِرِ بن رَبيعةَ[٣]، فهُمْ على هذا ستةٌ، غيرَ أنه يَحتملُ أن يُريدَ أَرْبَعةَ نَفَرٍ دُونَ[٤] حَلِيفِهِمْ عامِرٍ، وما أَظُنُّهُ قَصدَ هَذا؛ لِأنّ مِنْ عادَتِهِ أنّ يَعُدَّ الحُلَفاءَ مَعَ الصّمِيمِ؛ لِأنّ الدَّعْوة تَجْمَعُهُمْ.

وذَكَرَ[٥] أُمّ سَلَمةَ وبَعْلَها أبا سَلَمةَ، تُوُفّيَ عَنْها فِي المَدِينةِ، وخَلَفَ عَلَيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ، وذَكَرَ اسْمَها هندًا، وقِيلَ في اسْمِها: رَمْلةُ[٦]، وأَبُوها أَبُو أُمَيّةَ اسْمُهُ: حُذَيْفةُ، يُعْرفُ بِزادِ الرّاكِبِ.

---

(١) «الاستيعاب» (٣: ١١٦١).

(٢) لم أجد هذا القول في مطبوعة «السيرة». انظر: (١: ٣٢٨-٣٢٩).

(٣) في (أ): «بن أبي ربيعة» وهو خطأ. انظر: «السيرة»، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٣٠٣).

(٤) في (ب): «غير».

(٥) انظر «السيرة» (٣: ٩٤). (ج)

(٦) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة هند بنت أبي أمية: (٧: ٢٨٩)، وترجمة أم سلمة بنت أبي أمية: (٧: ٣٤٠).

وَذَكَرَ أنّها ولَدَتْ بأَرْضِ الحَبَشةِ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمةَ، وكان اسمُ زينبَ: بَرّةَ، فسمّاها رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ، كانَتْ زَيْنَبُ هَذِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بنِ زَمْعةَ، ووَلَدتْ منه، وكانَتْ قَدْ دَخَلَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يَغْتَسِلُ، وهِيَ إذْ ذاكَ طِفْلةٌ، [فنَضَحَ في وجْهِها مِنَ الماءِ][1]، فلَمْ يَزَلْ ماءُ الشَّبابِ في وجْهِها، حَتّى عَجَزَتْ، وقارَبَتِ المِئةَ، وكانَتْ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ زَمانِها، وأَدْرَكَتْ وقْعةَ الحَرّةِ بالمَدِينةِ، وقُتِلَ لَها في ذَلِكَ اليَوْمِ ولَدانِ، اسمُ أحدِهِما: كَبيرٌ، والآخرُ: يزيدُ ابنُ عَبْدِ اللهِ بنِ زَمْعةَ، فكانَتْ تَبْكِي [على أحَدِهِما: وَلا تَبْكِي][2] على الآخَرِ، فسُئِلَتْ عَنْ ذَلِكَ، فقالَتْ: نبْكيهِ لِأَنّهُ جَرّدَ سَيْفَهُ وقاتَلَ، والآخَرُ لا أَبْكِيهِ لِأَنّهُ لَزِمَ بَيْتَهُ، وكَفَّ يدَه حتى قُتِل[3].

رُوِيَ أنّ النبيَّ ﷺ حِينَ ابْتَنى بِأُمِّ سَلَمةَ دَخَلَ عَلَيْها بيتَها في ظُلمةٍ، فَوَطِئَ على زينبَ، فبكت، فلما كانَ مِنَ اللّيْلةِ الأُخْرى دَخَلَ في ظُلْمةٍ أيْضًا، فقالَ: «انْظُرُوا زُنابَكُمْ ألّا أطَأَ عَلَيْها[4]»، أوْ قالَ: «أخِّرُوا» ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ.

وفي هَذا الحَدِيثِ تَوْهِينٌ لِروايةِ مَنْ رَوى أنّهُ كان يَرى باللّيل، كما يرى بالنَّهارِ.

* * *

(١) في (أ): «فنضح الماء في وجهها».

(٢) ليس في (أ).

(٣) انظر: «أسد الغابة» (٧: ١٣١-١٣٢).

(٤) في (ف): «عليه».

[رَسُولا قُرَيْشٍ إلى النَّجاشِي لِاسْتِرْدادِ المُهاجِرِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا رَأتْ قُرَيْشٌ أنَّ أصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أمِنُوا واطْمَأنُّوا بِأرْضِ الحَبَشةِ، وأنَّهُمْ قَدْ أصابُوا بِها دارًا وقَرارًا، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أنْ يَبْعَثُوا فيهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ جَلْدَيْنِ إلى النَّجاشِي، فيرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ؛ لِيَفْتِنُوهُمْ في دِينِهِمْ، ويُخْرِجُوهُمْ مِنْ دارِهِم الَّتِي اطْمَأنُّوا بِها وأمِنُوا فيها، فبَعَثُوا عَبْدَ اللهِ بنَ أبي رَبِيعةَ، وعَمْرَو بنَ العاصِ بنِ وائِلٍ، وجَمَعُوا لَهُما هَدايا لِلنَّجاشِي ولِبَطارِقَتِهِ، ثُمَّ بَعَثُوهُما إلَيْهِ فيهِمْ.

[شِعْرُ أبي طالِبٍ لِلنَّجاشِي يَحُضُّهُ على الدَّفْعِ عَنِ المُهاجِرِينَ]

فَقالَ أبو طالِبٍ حِينَ رَأى ذلك مِنْ رَأْيِهِمْ وما بَعَثُوهُما فيهِ، أبْياتًا لِلنَّجاشِي يَحُضُّهُ على حُسْنِ جِوارِهِمْ، والدَّفْعِ عَنْهُمْ:

ألا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ في النَّأْيِ جَعْفَرٌ ... وعَمْرٌو وأعْداءُ العَـدُوِّ الأقارِبُ؟
وَهَلْ نالَتَ افْعالُ النَّجاشِيِّ جَعْفَرًا ... وأصْحابَهُ أوْ عاقَ ذلك شـاغِبُ؟
تَعَلَّمْ ـ أبَيْـتَ اللَّعْنَ ـ أنَّكَ ماجِدٌ ... كَرِيمٌ فلا يَشْـقى لَدَيْكَ المُجانِبُ
تَعَلَّـمْ بِـأنَّ اللهَ زادَكَ بَسْـطَةً ... وأسْـبابَ خَـيْرٍ كُلُّها بِـكَ لازِبُ
وَأنَّكَ فيـضٌ ذُو سِـجالٍ غَزِيرةٍ ... يَنـالُ الأعادِي نَفْعَهـا والأقارِبُ

[حَدِيثُ أُمِّ سَلَمةَ عَنْ رَسُولَيْ قُرَيْشٍ مَعَ النَّجاشِي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أبي بَكْرِ بنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحارِثِ بنِ هِشامٍ المَخْزُومِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرةِ زَوْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَتْ: لَمّا نَزَلْنا أرْضَ الحَبَشةِ، جاوَرَنا بِها خَيْرَ جارٍ؛ النَّجاشِيَ، أمِنّا على دِينِنا، وعَبَدْنا اللهَ تَعالى، لا نُؤْذى ولا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فلَمّا بَلَغَ ذلك قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أنْ يَبْعَثُوا إلى النَّجاشِي فينا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ، وأنْ يُهْدُوا لِلنَّجاشِي هَدايا مِمّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتاعِ مَكَّةَ، وكانَ مِنْ أعْجَبِ ما يَأْتِيهِ مِنْها الأُدْمُ، فجَمَعُوا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، ولَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إلّا أهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذلك عَبْدَ اللهِ بنَ أبي رَبِيعةَ، وعَمْرَو بنَ العاصِ، وأمَرُوهُما بِأمْرِهِمْ، وقالُوا لَهُما: ادْفَعا إلى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أنْ تُكَلِّما النَّجاشِيَ فيهِمْ، ثُمَّ قَدِّما إلى النَّجاشِي هَداياهُ، ثُمَّ سَلاهُ أنْ يُسْلِمَهُمْ إلَيْكُما قَبْلَ أنْ يُكَلِّمَهُمْ. قالَتْ: فخَرَجا حَتّى قَدِما على النَّجاشِي ونَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دارٍ، عِنْدَ خَيْرِ جارٍ، فلَمْ يَبْقَ مِنْ بِطارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلّا دَفَعا إلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أنْ يُكَلِّما النَّجاشِيَ، وقالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إنَّهُ قَدْ ضَوى إلى بَلَدِ المَلِكِ مِنّا غِلْمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، ولَمْ يَدْخُلُوا في دِينِكُمْ، وجاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ ولا أنْتُمْ، وقَدْ بَعَثَنا إلى المَلِكِ فيهِمْ أشْرافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إلَيْهِمْ، فإذا كَلَّمْنا المَلِكَ فيهِمْ، فأشِيرُوا عَلَيْهِ بِأنْ يُسْلِمَهُمْ إلَيْنا ولا يُكَلِّمَهُمْ؛ فإنَّ قَوْمَهُمْ أعلى بِهِمْ عَيْنًا، وأعْلَمُ بِما عابُوا عَلَيْهِمْ، فقالُوا لَهُما: نَعَمْ. ثُمَّ إنَّهُما قَدَّما هَداياهُما إلى النَّجاشِي فقَبِلَها مِنْهُما، ثُمَّ كَلَّماهُ فقالا لَهُ: أيُّها المَلِكُ، إنَّهُ قَدْ ضَوى إلى بَلَدِكَ مِنّا غِلْمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، ولَمْ يَدْخُلُوا في دِينِكَ، وجاؤُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ ولا أنْتَ، وقَدْ بَعَثَنا إلَيْكَ فيهِمْ أشْرافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبائِهِمْ وأعْمامِهِمْ وعَشائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إلَيْهِمْ؛ فهُمْ أعلى بِهِمْ عَيْنًا، وأعْلَمُ بِما عابُوا عَلَيْهِمْ وعاتَبُوهُمْ فيهِ.

قالَتْ: ولَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إلى عَبْدِ اللهِ بنِ أبي رَبِيعةَ وعَمْرِو بن العاصِ مِنْ أنْ يَسْمَعَ كَلامَهُمُ النَّجاشِي. قالَتْ: فقالَتْ بَطارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقا أيُّها المَلِكُ؛ قَوْمُهُمْ أعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وأعْلَمُ بِما عابُوا عَلَيْهِمْ، فأسْلِمْهُمْ إلَيْهِما فلْيَرُدّاهُمْ إلى بِلادِهِمْ وقَوْمِهِمْ.

قالَتْ: فغَضِبَ النَّجاشِي، ثُمَّ قالَ: لاها اللهِ، إذًا لا أُسْلِمُهُمْ إلَيْهِما، ولا يُكادُ قَوْمٌ جاوَرُونِي، ونَزَلُوا بِلادِي، واخْتارُونِي على مَنْ سِوايَ حَتّى أدْعُوَهُمْ فأسْأَلَهُمْ عَمّا يَقُولُ هذانِ في أمْرِهِمْ، فإنْ كانُوا كَما يَقُولانِ أسْلَمْتُهمْ إلَيْهِما، ورَدَدْتُهُمْ إلى قَوْمِهِمْ، وإنْ كانُوا على غَيْرِ ذلك مَنَعْتُهُمْ مِنْهُما، وأحْسَنْتُ جِوارَهُمْ ما جاوَرُونِي.

[إحْضار النَّجاشِي للمهاجرين، وسُؤالُهُ لَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وجَوابُهُمْ عَنْ ذلك]

قالَتْ: ثُمَّ أرْسَلَ إلى أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فدَعاهُمْ، فلَمّا جاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ما تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إذا جِئْتُمُوهُ؟ قالُوا: نَقُولُ واللهِ ما عَلِمْنا وما أمَرَنا بِهِ نَبِيُّنا ﷺ كائِنًا في ذلك ما هُوَ كائِنٌ. فلَمّا جاؤُوا ـ وقَدْ دَعا النَّجاشِي أساقِفَتَهُ، فنَشَرُوا مَصاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ـ سَأَلَهُمْ فقالَ لَهُمْ: ما هذا الدِّينُ الَّذي قَدْ فارَقْتُمْ فيهِ قَوْمَكُمْ، ولَمْ تَدْخُلُوا بِهِ في دِينِي، ولا في دِينِ أحَدٍ مِنْ هَذِهِ المِلَلِ؟ قالَتْ: فكانَ الَّذي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ: أيُّها المَلِكُ، كُنّا قَوْمًا أهْلَ جاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الأصْنامَ، ونَأْكُلُ المَيْتَةَ، ونَأْتِي الفَواحِشَ، ونَقْطَعُ الأرْحامَ، ونُسِيءُ الجِوارَ، ويَأْكُلُ القَوِيُّ مِنّا الضَّعِيفَ، فكُنّا على ذلك حَتّى بَعَثَ الله إلَيْنا رَسُولًا مِنّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وصِدْقَهُ وأمانَتَهُ وعَفافَهُ، فدَعانا إلى الله لِنُوَحِّدَهُ ونَعْبُدَهُ، ونَخْلَعَ ما كُنّا

نَعْبُدُ نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجارةِ والأوْثانِ، وأمَرَنا بِصِدْقِ الحَدِيثِ، وأداءِ الأمانةِ، وصِلةِ الرَّحِمِ، وحُسْنِ الجِوارِ، والكَفِّ عَنِ المَحارِمِ والدِّماءِ، ونَهانا عَنِ الفَواحِشِ، وقَوْلِ الزُّورِ، وأكْلِ مالِ اليَتِيمِ، وقَذْفِ المُحْصَناتِ، وأمَرَنا أنْ نَعْبُدَ الله وحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وأمَرَنا بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيامِ ـ قالَتْ: فعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإسْلامِ ـ فصَدَّقْناهُ وآمَنّا بِهِ، واتَّبَعْناهُ على ما جاءَ بِهِ مِنَ اللهِ، فعَبَدْنا اللهَ وحْدَهُ فلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ عَلَيْنا، وأحْلَلْنا ما أحَلَّ لَنا، فعَدا عَلَيْنا قَوْمُنا، فعَذَّبُونا، وفَتَنُونا عَنْ دِينِنا؛ لِيَرُدُّونا إلى عِبادةِ الأوْثانِ مِنْ عِبادةِ اللهِ تَعالى، وأنْ نَسْتَحِلَّ ما كُنّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبائِثِ، فلَمّا قَهَرُونا وظَلَمُونا، وضَيَّقُوا عَلَيْنا، وحالُوا بَيْنَنا وبَيْنَ دِينِنا، خَرَجْنا إلى بِلادِكَ، واخْتَرْناكَ على مَنْ سِواكَ، ورَغِبنا في جِوارِكَ، ورَجَوْنا ألّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أيُّها المَلِكُ.

قالَتْ: فقالَ لَهُ النَّجاشِي: هَلْ مَعَكَ مِمّا جاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قالَتْ: فَقالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فقالَ لَهُ النَّجاشِي: فاقْرَأْهُ عَلَيَّ، قالَتْ: فقَرَأ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾. قالَتْ: فبَكى واللهِ النَّجاشِي حَتّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وبَكَتْ أساقِفَتُهُ حَتّى أخْضَلُوا مَصاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا ما تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قالَ لَهُمُ النَّجاشِي: إنَّ هذا والَّذِي جاءَ بِهِ عِيسى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكاةٍ واحِدةٍ، انْطَلِقا، فَلا واللهِ لا أُسْلِمُهُمْ إلَيْكُما، ولا يُكادُونَ.

[مَقالةُ المُهاجِرِينَ في عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَ النَّجاشِي]

قالَتْ: فلَمّا خَرَجا مِنْ عِنْدِهِ، قالَ عَمْرُو بنُ العاصِ: واللهِ لَآتِيَنَّهُ غَدًا عَنْهُمْ بِما أسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْراءَهُمْ. قالَتْ: فقالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي رَبِيعةَ،

وكانَ أَتْقى الرَّجُلَيْنِ فينا: لا نَفْعَلْ؛ فإنَّ لَهُمْ أرْحامًا وإنْ كانُوا قَدْ خالَفُونا، قالَ: واللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أنَّهُمْ يَزْعُمونَ أنَّ عِيسى بنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.

قالَتْ: ثُمَّ غَدا عَلَيْهِ مِنَ الغَدِ، فقالَ لَهُ: أيُّها المَلِكُ، إنَّهُمْ يَقُولُونَ في عِيسى بنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فأرْسِلْ إلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمّا يَقُولُونَ فيهِ. قالَتْ: فأرْسَلَ إلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ. قالَتْ: ولَمْ يَنْزِلْ بِنا مِثْلُها قَطُّ. فاجْتَمَعَ القَوْمُ، ثُمَّ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ماذا تَقُولُونَ في عِيسى بنِ مَرْيَمَ إذا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قالُوا: نَقُولُ واللهِ ما قالَ اللهُ وما جاءَنا بِهِ نَبِيُّنا، كائِنًا في ذلك ما هُوَ كائِنٌ. قالَتْ: فلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قالَ لَهُمْ: ماذا تَقُولُونَ في عِيسى بنِ مَرْيَمَ؟ قالَتْ: فقالَ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ: نَقُولُ فيهِ الَّذي جاءَنا بِهِ نَبِيُّنا ﷺ؛ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ، ورُوحُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ العَذْراءِ البَتُولِ. قالَتْ: فضَرَبَ النَّجاشِي بِيَدِهِ إلى الأرْضِ، فأخَذَ مِنْها عُودًا، ثُمَّ قالَ: واللهِ ما عَدا عِيسى بنُ مَرْيَمَ ما قُلْتَ هذا العُودَ، قالَتْ: فتَناخَرَتْ بَطارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قالَ ما قالَ، فقالَ: وإنْ نَخَرْتُمْ واللهِ، اذْهَبُوا فأنْتُمْ شُيُومٌ بِأرْضِي ـ والشُّيُومُ: الآمِنُونَ ـ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ما أُحِبُّ أنَّ لِي دَبْرًا مِنْ ذَهَبٍ وأنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: دِبْرًا مِنْ ذَهَبٍ، ويُقالُ: فأنْتُمْ سُيُومٌ، والدَّبْرُ بِلِسانِ الحَبَشَةِ: الجَبَلُ ـ رُدُّوا عَلَيْهِما هَداياهُما، فلا حاجَةَ لي بها؛ فواللهِ ما أخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فآخُذَ الرِّشْوَةَ فيهِ، وما أطاعَ النّاسَ فِيَّ فأُطِيعَهُمْ فيهِ.

قالَتْ: فخَرَجا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِما ما جاءا بِهِ، وأقَمْنا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دارٍ، مَعَ خَيْرِ جارٍ.

[فَرَحُ المُهاجِرِينَ بِنُصْرةِ النَّجاشِي على عَدُوِّه]

قالَت: فوَاللهِ إنّا لِعلى ذلك، إذْ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الحَبَشةِ يُنازِعُهُ في مُلْكِه. قالَت: فوَاللهِ ما عَلِمْتُنا حَزِنّا حُزْنًا قَطُّ كانَ أشَدَّ عَلَيْنا مِنْ حُزْنٍ حَزِنّاهُ عِنْدَ ذلك؛ تَخَوُّفًا أنْ يَظْهَرَ ذلك الرَّجُلُ على النَّجاشِي، فيأْتِيَ رَجُلٌ لا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنا ما كانَ النَّجاشِي يَعْرِفُ مِنْهُ. قالَتْ: وسارَ إلَيْهِ النَّجاشِي، وبَيْنَهُما عُرْضُ النِّيلِ، قالَتْ: فقالَ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وسَلَّمَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتّى يَحْضُرَ وقِيعةَ القَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينا بِالخَبَرِ؟ قالَتْ: فقالَ الزُّبَيْرُ ابنُ العَوّامِ: أنا. قالُوا: فأنْتَ. وكانَ مِنْ أحْدَثِ القَوْمِ سِنًّا. قالَتْ: فنَفَخُوا لَهُ قِرْبةً فجَعَلَها في صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْها حَتّى خَرَجَ إلى ناحِيةِ النِّيلِ الَّتِي بِها مُلْتَقى القَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتّى حَضَرَهُمْ. قالَتْ: فدَعَوْنا اللهَ تَعالى لِلنَّجاشِي بِالظُّهُورِ على عَدُوِّهِ، والتَّمْكِينِ لَهُ في بِلاده.

قالَت: فوَاللهِ إنّا لَعلى ذلك مُتَوَقِّعُونَ لِما هُوَ كائِنٌ؛ إذْ طَلَعَ الزُّبَيْرُ وهُوَ يَسْعى، فلَمَعَ بِثَوْبِهِ وهُوَ يَقُولُ: ألا أبْشِرُوا؛ فقَدْ ظَفِرَ النَّجاشِي، وأهْلَكَ اللهُ عَدُوَّهُ، ومَكَّنَ لَهُ في بِلادِهِ. قالَت: فوَاللهِ ما عَلِمْتُنا فرِحْنا فرْحةً قَطُّ مِثْلَها.

قالَتْ: ورَجَعَ النَّجاشِي، وقَدْ أهْلَكَ اللهُ عَدُوَّهُ، ومَكَّنَ لَهُ في بِلادِهِ، واسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أمْرُ الحَبَشةِ، فكُنّا عِنْدَهُ في خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتّى قَدِمْنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ بِمَكّةَ.

قِصّةُ تَمَلُّكِ النَّجاشِي على الحَبَشةِ

[قَتْلُ أبِي النَّجاشِي، وتَوْلِيةُ عَمِّهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ الزُّهْرِيُّ: فحَدَّثْتُ عُرْوةَ بنَ الزُّبَيْرِ حَدِيثَ أبِي

بَكْرِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فقالَ: هَلْ تَدْرِي ما قَوْلُهُ: ما أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فآخُذَ الرِّشْوَةَ فيهِ، وما أطاعَ النّاسَ فِيَّ فأُطِيعَ النّاسَ فيهِ؟ قالَ: قُلْتُ: لا، قالَ: فإنَّ عائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ حَدَّثَتْنِي أَنَّ أباهُ كانَ مَلِكَ قَوْمِهِ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ولَدٌ إلّا النَّجاشِي، وكانَ لِلنَّجاشِي عَمٌّ، لَهُ مِنْ صُلْبِهِ اثْنا عَشَرَ رَجُلًا، وكانُوا أَهْلَ بَيْتِ مَمْلَكَةِ الحَبَشَةِ، فقالَتِ الحَبَشَةُ بَيْنَها: لَوْ أَنّا قَتَلْنا أبا النَّجاشِي ومَلَّكْنا أخاهُ؛ فإنَّهُ لا ولَدَ لَهُ غَيْرُ هذا الغُلامِ، وإنَّ لِأَخِيهِ مِنْ صُلْبِهِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فتوارَثُوا مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ، بَقِيَتِ الحَبَشَةُ بَعْدَهُ دَهْرًا، فغَدَوْا على أبي النَّجاشِي فقَتَلُوهُ، ومَلَّكُوا أخاهُ، فمَكَثُوا على ذلك حِينًا.

[غَلَبَةُ النَّجاشِي عَمَّهُ على أَمْرِهِ، وسَعْيُ الأَحْباشِ لِإبْعادِهِ]

وَنَشَأَ النَّجاشِي مَعَ عَمِّهِ، وكانَ لَبِيبًا حازِمًا مِنَ الرِّجالِ، فغَلَبَ على أَمْرِ عَمِّهِ، ونَزَلَ مِنْهُ بِكُلِّ مَنْزِلَةٍ، فلَمّا رَأَتِ الحَبَشَةُ مَكانَهُ مِنْهُ قالَتْ بَيْنَها: واللهِ لَقَدْ غَلَبَ هذا الفَتى على أَمْرِ عَمِّهِ، وإنّا لَنَتَخَوَّفُ أَنْ يُمَلِّكَهُ عَلَيْنا، وإنْ مَلَّكَهُ عَلَيْنا لَيَقْتُلُنا أَجْمَعِينَ؛ لَقَدْ عَرَفَ أَنّا نَحْنُ قَتَلْنا أباهُ. فَمَشَوْا إلى عَمِّهِ فقالُوا: إمّا أَنْ تَقْتُلَ هذا الفَتى، وإمّا أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنا؛ فإنّا قَدْ خِفْناهُ على أنْفُسِنا، قالَ: وَيْلَكُمْ! قَتَلْتُ أباهُ بِالأَمْسِ، وأَقْتُلُهُ اليَوْمَ؟! بَلْ أُخْرِجُهُ مِنْ بِلادِكُمْ. قالَتْ: فخَرَجُوا بِهِ إلى السُّوقِ، فباعُوهُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ التُّجّارِ بِسِتِّ مئةِ دِرْهَمٍ، فقَذَفَهُ في سَفِينَةٍ فانْطَلَقَ بِهِ، حَتّى إذا كانَ العَشِيُّ مِنْ ذلك اليَوْمِ، هاجَتْ سَحابَةٌ مِنْ سَحائِبِ الخَرِيفِ، فخَرَجَ عَمُّهُ يَسْتَمْطِرُ تَحْتَها، فأصابَتْهُ صاعِقَةٌ فقَتَلَتْهُ. قالَتْ: ففَزِعَتِ الحَبَشَةُ إلى وَلَدِهِ، فإذا هُوَ مُحَمَّقٌ، لَيْسَ في ولَدِهِ خَيْرٌ، فمَرَجَ على الحَبَشَةِ أَمْرُهُمْ.

[تَوَلِّيهِ المُلْكَ بِرِضا الحَبَشَةِ]

فَلَمّا ضاقَ عَلَيْهِمْ ما هُمْ فيهِ مِنْ ذلك، قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَلَّمُوا واللهِ أَنَّ مَلِكَكُمُ الَّذي لا يُقِيمُ أَمْرَكُمْ غَيْرُهُ لَلَّذي بِعْتُمْ غَدْوةً، فإنْ كانَ لَكُمْ بِأَمْرِ الحَبَشةِ حاجةٌ فأدْرِكُوهُ الآنَ. قالَتْ: فخَرَجُوا في طَلَبِهِ وطَلَبِ الرَّجُلِ الَّذي باعُوهُ مِنْهُ حَتّى أدْرَكُوهُ، فأخَذُوهُ مِنْهُ، ثُمَّ جاؤُوا بِهِ، فعَقَدُوا عَلَيْهِ التّاجَ، وأَقْعَدُوهُ على سَرِيرِ المُلْكِ، فمَلَّكُوهُ.

[حَديثُ التّاجِرِ الَّذي ابْتاعَ النَّجاشِي]

فَجاءَهُمُ التّاجِرُ الَّذي كانُوا باعُوهُ مِنْهُ، فقالَ: إمّا أنْ تُعْطُونِي مالِي، وإمّا أنْ أُكَلِّمَهُ في ذلك؟ قالُوا: لا نُعْطِيكَ شَيْئًا، قالَ: إذًا واللهِ أُكَلِّمُهُ، قالُوا: فَدُونَكَ وإيّاهُ. قالَتْ: فجاءَهُ فجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ: أيُّها المَلِكُ، ابْتَعْتُ غُلامًا مِنْ قَوْمٍ بِالسُّوقِ بِسِتِّ مئةِ دِرْهَمٍ، فأسْلَمُوا إلَيَّ غُلامِي وأخَذُوا دَراهِمِي، حَتّى إذا سِرْتُ بِغُلامِي أدْرَكُونِي، فأخَذُوا غُلامِي، ومَنَعُونِي دَراهِمِي. قالَتْ: فقالَ لَهُمُ النَّجاشِي: لَتُعْطُنَّهُ دَراهِمَهُ، أوْ لَيَضَعَنَّ غُلامُهُ يَدَهُ في يَدِهِ، فلَيَذْهَبَنَّ بِهِ حَيْثُ شاءَ، قالُوا: بَلْ نُعْطِيهِ دَراهِمَهُ. قالَتْ: فلِذلك يَقُولُ: ما أَخَذَ اللهُ مِنِّي رِشْوةً حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فآخُذَ الرِّشْوةَ فيهِ، وما أطاعَ النّاسَ فِيَّ فأُطِيعَ النّاسَ فيهِ.

قالَتْ: وكانَ ذلك أوَّلَ ما خُبِرَ مِنْ صَلابَتِهِ في دِينِهِ، وعَدْلِهِ في حُكْمِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: لَمّا ماتَ النَّجاشِي، كانَ يُتَحَدَّثُ أنَّهُ لا يَزالُ يُرى على قَبْرِهِ نُورٌ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ عائِشَةَ: «كُنّا نَتَحَدّثُ أَنّهُ لا يَزالُ يُرى على قَبْرِ النّجاشي نُورٌ». وقَدْ خَرّجَهُ أبُو داوُدَ مِنْ طَرِيقِ[1] سَلَمةَ بنِ الفَضْلِ، عَنِ ابنِ إسْحاقَ، عَنْ يَزِيدَ ابنِ رُومانَ، عَنْ عائِشَةَ، وأَوْرَدَهُ في بابِ: «النّورُ يُرى عِنْدَ الشّهِيدِ»[2]، ولَيْسَ في هَذا الحَدِيثِ ولا غَيْرِهِ ما يَدُلُّ على أَنّ النّجاشِيَ ماتَ شَهِيدًا، وأَحْسَبُهُ أرادَ أنْ يَشُدَّ بِهَذا الحَدِيثِ ما وقَعَ في كُتُبِ التّارِيخِ مِنْ أنّ عبدَ الرّحمنِ بنَ رَبِيعةَ أخا سَلْمانَ بنِ رَبِيعةَ الّذِي يُقالُ لَهُ: ذُو النّورِ، وكانَ على بابِ[3] الأبْوابِ فقَتَلَتْهُ التُّرْكُ زَمانَ عُمَرَ، فهُوَ لا يَزالُ يُرى[4] على قَبْرِهِ نُورٌ.

[ويَعضُدُ هَذا حَدِيثُ النّجاشِي، يَقُولُ: فإذا كانَ النَّجاشِي ـ ولَيْسَ بشَهِيدٍ ـ يُرى عِنْدَهُ نُورٌ][5]، فالشّهِيدُ أحْرى بذَلِكَ، لِقَوْلِ الله سُبْحانَهُ: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٩].

إرْسالُ قُرَيْشٍ إلى النّجاشِي في أمْرِ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ

ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ أَنّهُمْ أرْسَلُوا عَمْرَو بنَ العاصي، وعَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي ربيعةَ ابنِ المُغِيرةِ، وأهْدَوْا مَعَهُما هَدايا إلى النَّجاشِي، وعَبْدُ الله بنُ أَبِي رَبِيعةَ هَذا كانَ اسْمُهُ: بَحِيرا، فسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أسْلَمَ: عَبْدَ اللهِ، وأبُوهُ: أَبُو رَبِيعةَ ذُو الرُّمْحَيْنِ، وفيهِ يَقُولُ ابنُ الزِّبَعْرى[6]: [من الطويل]

---

(١) في (ب): «من حديث».

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ١٦).

(٣) في (ب)، (د): «باب من الأبواب». انظر: «معجم البلدان»: باب الأبواب.

(٤) في (ب): «لا يزال يُرى عنده نور». وسقطت «يرى» من (هـ).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ب).

(٦) البيت في كتاب «نسب قريش» (ص: ٣١٧). وفيه: «غير غانم». ومثله في «أسد الغابة» (٣: ٢٣٢).

بَحِيرُ بنُ ذِي الرُّمْحَيْنِ قَرَّبَ مَجْلِسِي ... وراحَ عَلَيْنا فضْلُهُ وهْوَ غانمُ

واسْمُ أبِي رَبيعةَ: عَمْرٌو، وقِيلَ: حُذَيْفةُ. وأُمُّ [عَبْدِ الله بنِ][1] أبِي رَبِيعةَ: أَسَماءُ بِنْتُ مُخرِّبةِ التَّمِيمِيّةُ، وهِيَ[2] أُمُّ أبِي جَهْلِ بنِ هِشام، وعَبْدُ اللهِ بنُ أبِي ربيعة هَذا هُوَ والِدُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الله بنِ أبِي رَبِيعةَ الشّاعِرِ، ووالِدُ الحارِثِ أمِيرِ البَصْرةِ المَعْرُوفِ بِالقُباعِ[3]، وكانَ في أيّامِ عُمَرَ والِيًا على الجُنْدِ، وفي أيّامِ عُثْمانَ، فلَمّا سَمِعَ بِحَصْرِ عُثْمانَ، جاءَ لِيَنْصُرَهُ، فسَقَطَ عَنْ[4] دابّتِهِ في الطريقِ فماتَ.

فَصْلٌ

وكانَ مَعَهُما في ذَلِكَ السَّفَرِ عُمارةُ بنُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ الّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ[5] حِينَ قالَتْ قُرَيْشٌ لِأَبِي طالِبٍ: خُذْ عُمارةَ بَدَلًا مِنْ مُحَمّدٍ، وادْفَعْ إلَيْنا مُحَمّدًا نَقْتُلْهُ.

وكانَ عُمارةُ مِنْ أجْمَلِ النّاسِ، فذَكَرَ أصْحابُ الأخْبارِ أنّهُمْ أرْسَلُوهُ مَعَ عَمْرِو بنِ العاصِي إلى النّجاشِي، ولَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ ابنِ هِشامٍ، وذُكِرَ حَدِيثُهُ مَعَ عَمْرٍو في رِوايةِ[6] يُونُسَ، ولَكِنْ في غَيْرِ هَذِهِ القِصّةِ المَذْكُورةِ ههُنا، ولَعَلَّ إرْسالَهُمْ إيّاهُ مَعَ عَمْرٍو كانَ في المَرّةِ الأُخْرى الّتِي سَيَأْتِي ذِكْرُها في «السِّيرةِ» عِنْدَ حَدِيثِ إسْلامِ عَمْرٍو.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) في (ف): «فهي».

(٣) انظر: «نزهة الألباب في الألقاب» لابن حجر: (٢: ٨٤).

(٤) انظر: «أسد الغابة» (٣: ٢٣٢-٢٣٣).

(٥) انظر: (٣: ٣٢٦).

(٦) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١٤٨-١٥٠).

ومِمَّنْ[١] ذَكَرَ قِصّةَ عُمارةَ بِطُولِها أبُو الفَرَجِ الأَصْبَهانيُّ، وذَكَرَ أنّ عَمْرًا سافَرَ بِامْرَأتِهِ، فلَمّا رَكِبُوا البَحْرَ، وكانَ عُمارةُ قَدْ هَوِيَ امْرَأةَ عَمْرٍو وهَوِيَتْهُ، فعَزَما على دَفْعِ عَمْرٍو في البحرِ أوْ كانَ[٢] ذَلِكَ مِنْ عُمارةَ مِن غَيْرِ[٣] قَصْدٍ، فدَفَعَ عَمْرًا، فسَقَطَ في البَحْرِ، فسَبَحَ عَمْرٌو، ونادى أصحابَ السَّفينةِ فأَخَذُوهُ[٤]، ورَفَعُوهُ إلى السَّفينةِ، فأضْمَرَها عَمْرٌو في نَفْسِهِ، ولَمْ يُبْدِها لِعُمارةَ، بَلْ قالَ لِامْرَأتِهِ ـ فيما ذَكَرَ أبُو الفَرَجِ ـ قَبِّلِي ابنَ عَمِّك عُمارةَ لِتَطِيبَ بذَلِكَ نَفْسُهُ. فلَمّا أتَيا أرْضَ الحَبَشةِ مَكَرَ بِهِ عَمْرٌو، وقالَ له: إنِّي قَدْ كتبتُ إلى بني سَهمٍ ليبرَؤُوا مِنْ دَمِي لَك، فاكْتُبْ أنْتَ لِبَنِي مَخْزُومٍ ليبرَؤُوا مِنْ دَمِك لِي، حَتّى تَعْلَمَ قُرَيْشٌ أنّا قَدْ تَصافَيْنا. فلَمّا كَتَبَ عُمارةُ إلى بَنِي مخزومٍ، وتبرَّؤُوا مِنْ دَمِهِ لِبَنِي سَهْمٍ، قالَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: قُتِلَ عُمارةُ واللهِ. وعَلِمَ أنّهُ مَكْرٌ مِنْ عَمْرٍو.

ثُمّ أخَذَ عَمْرٌو يُحَرِّضُ عُمارةَ على التّعَرُّضِ لِامْرَأةِ النَّجاشِي، وقالَ لَهُ: أنْتَ امرؤٌ جَمِيلٌ، وهُنّ النّساءُ يُحْبِبنَ الجَمالَ مِنَ الرّجالِ، فلَعَلّها أنْ تَشْفَعَ لَنا عِنْدَ المَلِكِ في قَضاءِ حاجَتِنا[٥]. ففَعَلَ عُمارةُ، فلَمّا رَأى عَمْرٌو ذَلِكَ، وتكَرّرَ عُمارةُ على امْرَأةِ المَلِكِ، ورَأى إنابَتَها إلَيْهِ، أتى المَلِكَ مُتَنَصِّحًا[٦]، وجاءَهُ بِأمارةٍ عَرَفَها المَلِكُ، قَدْ كانَ عُمارةُ [أطْلَعَ عَمْرًا][٧] عَلَيْها، فأدْرَكَتْهُ غَيْرةُ الملوك، وقالَ: لَوْلا أنّهُ جارِي لَقَتَلْتُه، ولَكِنْ سَأفْعَلُ بِهِ ما هُوَ شَرٌّ مِنَ

---

(١) في (ف): «ومن».

(٢) في (أ)، (ج)، (ف)، (هـ): «وكان».

(٣) في (أ)، (هـ): «عن غير».

(٤) في (أ): «فرفعوه وأخذوه».

(٥) في (أ): «حوائجنا».

(٦) تنصّح: تشبه بالنُّصحاء.

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

القَتْلِ، فدَعا[1] بالسّواحِرِ، فأمَرَهُنّ أنْ يَسْحَرْنَهُ، فنَفَخْنَ في إحْليلِهِ نَفْخةً طارَ مِنْها هائِمًا على وجْهِهِ، حَتّى لَحِقَ بالوُحُوشِ في الجِبالِ[2]، وكانَ يَرى آدَمِيًّا فيَفِرُّ مِنْهُ، وكانَ[3] ذَلِكَ آخِرَ العَهْدِ بِهِ إلى زَمَنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، فجاءَ ابنُ عَمِّهِ عَبْدُ الله بنُ أبي رَبيعةَ إلى عُمَرَ، واسْتَأْذَنَهُ[4] في المَسيرِ إلَيْهِ لَعَلّهُ يَجِدُهُ، فأذِنَ لَهُ عُمَرُ، فسارَ عَبْدُ اللهِ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، فأكْثَرَ النِّشْدةَ عَنْهُ، والفَحْصَ عَنْ أمْرِهِ، حَتّى[5] أُخْبِرَ أنّهُ في جَبَلٍ يَرِدُ مَعَ الوُحُوشِ إذا ورَدَتْ، ويَصْدُرُ مَعَها إذا صَدَرَتْ، فسارَ إلَيْهِ حَتّى كَمَنَ له في طريقِهِ إلى الماءِ، فإذا هُوَ قَدْ غَطّاهُ شَعَرُهُ، وطالَتْ أظْفارُهُ، وتَمَزّقَتْ عنه ثِيابُهُ، حَتّى كأنّهُ شَيْطانٌ، فقَبَضَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وجَعَلَ يُذَكِّرُهُ بالرَّحِمِ ويَسْتَعْطِفُهُ، وهُوَ يَنْتَفِضُ مِنْهُ، ويَقُولُ: أرْسِلْني يا بَحِيرُ، أرْسِلْني يا بَحِيرُ، وأبى عَبْدُ اللهِ أنْ يُرْسِلَهُ، حَتّى ماتَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وهُوَ خَبَرٌ مَشْهُورٌ اخْتَصَرَهُ بَعْضُ مَنْ ألَّفَ في السِّيَرِ، وطَوَّلَهُ أبُو الفَرَجِ، وأوْرَدْتُه على مَعْنى كَلامِهِ، مُتَحَرِّيًا لِبَعْضِ ألْفاظِهِ[6].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ أصْحابِ الهجرةِ مع النَّجاشي، وما قال لَهُ جَعْفَرٌ إلى آخِرِ القِصّةِ، ولَيْسَ فيه ما يُشكِل، وفيهِ مِنَ الفِقْهِ: الخُرُوجُ مِنَ الوَطَنِ ـ وإنْ كانَ الوَطَنُ مَكّةَ على فضْلِها ـ إذا كانَ الخُرُوجُ فِرارًا بالدّينِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ إلى

(١) في (أ): «فأمر».

(٢) في (ف): «الحال».

(٣) في (ب): «فكان».

(٤) في (أ): «فاستأذنه».

(٥) في (ب)، (د): «فأخبر».

(٦) «الأغاني» (٩: ٣١٧٥-٣١٧٨).

أرضِ الإسلام[١]، فإنّ الحَبَشةَ كانُوا نَصارى يَعْبُدُونَ المَسِيحَ، ولا يَقُولُونَ: هُوَ عَبْدُ الله، وقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ في هَذا الحَدِيثِ.

وسُمُّوا بِهَذِهِ الهجرة: مُهاجِرِينَ، وهُمْ أَصْحابُ الهِجْرَتَيْنِ الّذِينَ أَثْنى الله عليهم بالسَّبقِ، فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وجاء في التّفْسِيرِ: أَنّهُمُ الّذِينَ صَلَّوُا القِبْلَتَيْنِ، وهاجَرُوا الهِجْرَتَيْنِ. وقَدْ قِيلَ أَيْضًا: هُمُ الّذِينَ شَهِدُوا بَيْعةَ الرِّضْوانِ.

فانْظُرْ كَيْفَ أَثْنى الله عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الهِجْرةِ، وهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بلدِ[٢] الله الحَرامِ إلى دارِ كُفْرٍ، لَمّا كانَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ احْتِياطًا على دِينِهِمْ، ورَجاءَ أَنْ يُخَلّى بَيْنَهُمْ وبَيْنَ عِبادةِ رَبِّهِمْ، يَذْكُرُونَهُ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ.

وهَذا حُكْمٌ مُسْتَمِرٌّ مَتى غَلَبَ المُنْكَرُ [في بَلَدٍ][٣]، وأُوذِيَ على الحَقِّ مُؤْمِنٌ، ورَأى الباطلَ قاهِرًا لِلْحَقِّ، ورَجا أَنْ يَكُونَ في بَلَدٍ آخَرَ - أَيَّ بَلَدٍ كانَ - يُخَلّى بَيْنَهُ وبَيْنَ دِينِهِ، ويُظْهِرُ فيهِ عِبادةَ رَبِّهِ، فإنّ الخُرُوجَ على هَذا الوَجْهِ حَتْمٌ على المُؤْمِنِ، وهَذِهِ الهِجْرةُ الّتِي لا تَنْقَطِعُ إلى يَوْمِ القِيامةِ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥].

فَصْلٌ

ولَيْسَ في باقِي حَدِيثِهِمْ شَيْءٌ يُشْرَحُ[٤]، قَدْ شَرَحَ ابنُ هِشام الشُّيُومَ، وهُمُ الآمِنُونَ، فيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لَفْظةً حَبَشِيّةً غَيْرَ مُشْتَقّةٍ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَها

---

(١) في (ب)، (د)، (ف): «إسلام».

(٢) في (ب): «من بلده الحرام».

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (أ): «فيشرح».

أَصْلٌ في العَرَبيّةِ، وأنْ تكُونَ مِنْ شِمْتُ السَّيْفَ: إذا أغْمَدْتَه، لِأنّ الآمِنَ مُغْمَدٌ[١] عَنْهُ[٢] السّيْفُ، أوْ لأِنّهُ في صَوْنٍ وحِرْزٍ، كالسّيْفِ في غِمْدِهِ.

وَقَوْلُهُم: «ضَوى إلَيْك فِتْيةٌ»، أيْ: أوَوْا إليك، ولاذُوا بِكَ. وأمّا ضَوِيَ بِكَسْرِ الواوِ، فهُوَ مِنَ الضَّوى مقصورًا، وهو الهُزالُ، قال الشاعرُ[٣]: [من الطويل]

فَتًــى لَــمْ تَلِــدْهُ بِنْــتُ عَــمٍّ قَرِيبــةٌ فَيَضْوى وقَدْ يَضْوى رَدِيدُ القَرائِبِ[٤]

وَمِنْهُ الحَدِيثُ[٥]: «اغْتَرِبُوا لا تَضْوُوا». يَقُولُ: إنّ تَزْوِيجَ القَرائِبِ يُورِثُ الضَّوى في الوَلَدِ، والضَّعْفَ، وقالَ الرّاجِزُ[٦]: [من الرجز]

إنّ بِــلالًا لَمْ تَشِــنْهُ أُمُّهُ لَمْ يَتَناسَــبْ خالُهُ وعَمُّهُ

وفيهِ: «قَوْمُهُمْ أعْلى بِهِمْ عَيْنًا»، أيْ: أبْصَرُ بِهِمْ، أيْ: عَيْنُهُمْ وإبْصارُهُمْ فوْقَ عَيْنِ غَيْرِهِمْ في أمْرِهِمْ، فالعَيْنُ ههُنا بِمَعْنى الرُّؤْيةِ والإبْصارِ، لا بِمَعْنى العَيْنِ الّتِي هِيَ الجارِحةُ، وما سُمِّيَتِ الجارِحةُ عَيْنًا إلّا مَجازًا؛ لِأنّها مَوْضِعُ العَيْنِ،

(١) في (ف): «مغتمد».
(٢) في (ب): «عليه».
(٣) ذكره في «الإمتاع والمؤانسة» (ص: ٨٢) بقوله: «أنشد الأصمعيّ عن العرب قول قائلهم في مدح صاحب له». (ج)
(٤) كذا في النسخ: «القرائب» بالقاف. ومثله في «غريب الحديث» للقتبي: (٣: ٧٣٧)، و«اللسان» (ضوا)، وهو في «غريب الحديث» للخطابي: (١: ١٧٥)، و«اللسان» (ردد): «الغرائب» بالغين. وإلى هذه الرواية أميل.
(٥) ذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٣: ٧٣٧)، في الأحاديث التي لا يُعرف أصحابها. ويقول ابن الأثير في «النهاية» (٣: ١٠٦): «أي: تزوجوا الغرائب دون القرائب؛ فإن ولَد الغَرِيبة أنجَبُ وأقوى مِن وَلَد القَرِيبة. وقد أضْوَت المرأة: إذا ولدت ولدًا ضعيفًا».
(٦) البيت لجرير في «ديوانه» (٢: ٦٧٧)، و«غريب ابن قتيبة» (٣: ٧٣٧).

وقَدْ قالُوا: عانَهُ يَعِينُهُ عَيْنًا: إذا رَآهُ، وإنْ كانَ الأشْهَرُ في هَذا أنْ يُقالَ: عايَنَهُ مُعايَنَةً، والأشْهَرُ في «عِنْتُ» أنْ يَكُونَ بِمَعْنى الإصابةِ بِالعَيْنِ.

وإنّما أوْرَدْنا هَذا الكَلامَ؛ لِيُعلمَ أنّ العَيْنَ في أصْلِ وضْعِ اللّغةِ صِفةٌ لا جارِحةٌ، وأنّها إذا أُضِيفَتْ إلى الباري سُبْحانَهُ، فإنّها حَقِيقةٌ، نَحْوُ قَوْلِ أُمِّ سَلَمةَ لِعائِشَةَ: «بِعَيْنِ اللهِ مَهْواكِ، وعلى رَسُولِ الله[1] ﷺ تَرِدينَ».

وفي التّنْزِيلِ: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩]، وقد أملينا في «المسائلِ المفرَدةِ»[2] مسألةً في هَذا المَعْنى، وفيها الرّدُّ على مَنْ أجازَ التّثْنِيةَ في العَيْنِ مَعَ إضافَتِها إلى اللهِ سبحانَه، وقاسَها على اليَدَيْنِ، وفيها[3] الرّدُّ على مَنِ احْتَجَّ بِقَوْلِ النّبيِّ ﷺ: «إنّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأعْوَرَ»[4]. وأوْرَدْنا في ذَلِكَ ما فيهِ شِفاءٌ، وأتْبَعْناهُ بِمَعانٍ بَدِيعةٍ في مَعْنى عَوَرِ الدّجّالِ، فلْيُنْظَرْ هُنالِكَ.

وَقَوْلُ جَعْفَرٍ في عِيسى عليه السّلام: هُوَ رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ. ومَعْنى كَلِمَته؛ أيْ: قالَ لَهُ كَما قالَ لِآدَمَ حِينَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ، ثُمّ قالَ لَهُ: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ولَمْ يَقُلْ: فَكانَ؛ لِئَلّا يُتَوَهَّمَ وُقُوعُ الفِعْلِ بَعْدَ القَوْلِ بِيَسِيرٍ، وإنّما هُوَ واقِعٌ للحالِ، فقولُه: ﴿ فَيَكُونُ ﴾ مُشْعِرٌ بِوُقُوعِ الفِعْلِ في حالِ القَوْلِ وتَوَجُّهِ[5] الأمرِ عليه غير مُسْتَقْدِمٍ ولا مُسْتَأْخِرٍ، فهَذا مَعْنى «الكَلِمةِ».

وأمّا «رُوحُ اللهِ»؛ فلِأنّهُ نَفَخَه رُوح القُدُسِ في جَيْبِ الطّاهِرةِ المُقَدَّسةِ،

---

(١) في (ب): «رسوله».

(٢) انظر: «نتائج الفكر» للسهيلي: (ص: ٢٩١) وما بعدها.

(٣) في (ف): «وفيه».

(٤) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الفتن، «فتح الباري» (١٣: ٩٠-٩١)، ومسلم: (٤: ٢٢٤٥).

(٥) في (ب): «وتوجيه».

والقُدُسُ: الطّهارةُ[١] مِنْ كُلِّ ما يَشِينُ ويَعِيبُ، أوْ تَقْذَرُهُ نَفسٌ، أوْ يَكْرَهُهُ شَرْعٌ، وجِبْرِيلُ: رُوحُ القُدُسِ؛ لِأنّهُ رُوحٌ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ مَنيٍّ[٢]، ولا صَدَرَ عَنْ شَهْوةٍ، فهُوَ مُضافٌ إلى اللهِ سُبْحانَهُ إضافةَ تَشْرِيفٍ وتَكْرِيمٍ؛ لِأنّهُ صادِرٌ عَنِ الحَضْرةِ المُقَدّسةِ، وعِيسى عَلَيْهِ السّلامُ صادِرٌ عَنْهُ، فهُوَ رُوحُ اللهِ على هَذا المَعْنى؛ إذِ النّفْخُ قَدْ يُسَمّى رُوحًا أيْضًا، كَما قالَ غَيْلانُ[٣] يَصِفُ النّارَ: [من الطويل]

فَقُلْت لَهُ: ارْفَعْها إلَيْك وأحْيِها ... بِرُوحِك واقْدُرْها لَها قِيتةً قَدْرا

وَأضِفْ هَذا الكَلامَ في رُوحِ القُدُس، وفي تسميةِ النَّفخِ رُوحًا إلى ما ذَكَرْناهُ قَبْلُ في حَقِيقةِ الرُّوحِ، وشَرْحِ مَعْناهُ؛ فإنّهُ تَكْمِلةٌ لَهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ عائِشةَ عَنِ النّجاشِي حِينَ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ مُلْكَهُ، وأنّ قَوْمَهُ كانُوا باعُوهُ، فلَمّا مَرِجَ أمْرُ الحَبَشةِ، أخَذُوهُ مِنْ سَيِّدِهِ واسْتَرَدُّوهُ.

وَظاهِرُ الحَدِيثِ يَدُلُّ على أنّهُمْ أخَذُوهُ مِنْهُ قَبْلَ أنْ يَأْتِيَ بِهِ بِلادَهُ؛ لِقَوْلِهِ: «خَرَجُوا في طَلَبِهِ فأدْرَكُوهُ».

وقَدْ بَيَّنَ في حَدِيثٍ آخَرَ أنّ سَيِّدَهُ كانَ مِنَ العَرَبِ، وأنّهُ اسْتَعْبَدَهُ طَوِيلًا، وهُوَ الّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ: «فلَمّا مَرِجَ على الحَبَشةِ أمْرُهُمْ، وضاقَ عَلَيْهِمْ ما هُمْ فيهِ». وهَذا يَدُلُّ على طُولِ المُدّةِ في مَغِيبِهِ عَنْهُمْ.

---

(١) في (أ): «الطاهر»، وفي «اللسان»: «وأيّدناه بروح القدس، هو جبريل، معناه: رُوح الطهارة؛ لأنه خُلق من الطهارة».

(٢) في (ب): «شيء»

(٣) اسم ذي الرُّمة، وذو الرُّمة لَقَبُه، وهو أبو الحارث بن عقبة بن نهيس. والبيت في «ديوانه» (٣: ١٤٢٩).

وقَدْ رُوِيَ أنّ وقْعةَ بَدْرٍ حِينَ انْتَهى خَبَرُها إلى النّجاشِي، عَلِمَ بِها قَبْلَ مَنْ عِنْدَهُ[١] مِنَ المُسْلِمِينَ، فأرْسَلَ إلَيْهِمْ، فلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ إذا هُوَ قَدْ لَبِسَ مِسْحًا، وقَعَدَ على التُّرابِ والرّمادِ، فقالُوا: ما هَذا أيّها المَلِكُ؟! فقالَ[٢]: إنّا نَجِدُ في الإنْجِيلِ أنّ الله سُبْحانَهُ إذا أحْدَثَ لِعَبْدِهِ[٣] نعمةً، وجَبَ على العَبْدِ أنْ يُحْدِثَ للهِ تَواضُعًا، وإنّ الله قَدْ أحْدَثَ إلَيْنا وإلَيْكُمْ نِعْمةً عَظِيمةً، وهِيَ أنّ النّبيَّ مُحَمّدًا ﷺ بَلَغَنِي أنّهُ التَقى هُوَ وأعْداؤُهُ بِوادٍ يُقالُ لَهُ: بَدْرٌ، كَثِيرُ الأراكِ، كُنْت أرْعى فيهِ الغَنَمَ على سَيّدِي، وهُوَ مِنْ بَنِي ضَمْرةَ، وأنّ الله قَدْ هَزَمَ أعْداءَهُ فيهِ، ونَصَرَ دِينَهُ.

فدَلَّ هَذا الخَبَرُ على طُولِ مُكْثِهِ في بِلادِ العَرَبِ، فمِنْ هُنا ـ والله أعْلَمُ ـ تَعَلَّمَ مِنْ لِسانِ العَرَبِ ما فهِمَ بِهِ سُورةَ مَرْيَمَ حِينَ تُلِيَتْ عَلَيْهِ، حَتّى بَكى، وأخْضَلَ لِحْيَتَهُ.

ورُوِيَ عَنْهُ أنّهُ قالَ: إنّا نَجِدُ في الإنْجِيلِ أنّ اللّعْنةَ تَقَعُ في الأرْضِ إذا كانَتْ إمارةُ الصِّبْيانِ.

فَصْلٌ

ومِمّا في حَدِيثِ الهِجْرةِ إلى الحَبَشةِ مِنَ الفِقْهِ: أنّ جَعْفَرَ بنَ أبِي طالِبٍ قالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ نُصَلِّي في السّفِينةِ إذا رَكِبنا في البَحْرِ؟ فَقالَ ﷺ: «صَلِّ قائِمًا إلّا أنْ تَخافَ الغَرَقَ». خَرّجَهُ الدّارَقُطْنِيّ[٤]، ولَكِنْ في إسْنادِهِ مَقالٌ.

---

(١) في (ب): «عندهم».

(٢) ليست في (د).

(٣) في (ب)، (ف)، (هـ): «بعبده».

(٤) «سنن الدارقطني»، كتاب الطهارة، باب صفة الصلاة في السفر: (١: ٣٩٤-٣٩٥).

وفي «مصَنَّفِ ابنِ أَبي شَيْبَةَ»[١]: «وصَلّى أَنسٌ في السَّفينةِ جالِسًا».

وذَكَرَ البُخارِيُّ أيضًا عَنِ الحَسَنِ: يُصَلّي قائِمًا، إلّا أنْ يَضُرَّ بِأهْلِها[٢].

خُرُوجُ الحَبَشةِ على النَّجاشِي

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أبيهِ، قالَ: اجْتَمَعَتِ الحَبَشةُ فَقالُوا لِلنَّجاشِي: إنَّكَ قَدْ فارَقْتَ دِينَنا. وخَرَجُوا عَلَيْهِ، فأرْسَلَ إلى جَعْفَرٍ وأصْحابِهِ، فهَيَّأَ لَهُمْ سُفُنًا، وقالَ: ارْكَبُوا فيها وكُونُوا كَما أنْتُمْ، فإنْ هُزِمْتُ فامْضُوا حَتّى تَلْحَقُوا بِحَيْثُ شِئْتُمْ، وإنْ ظَفِرْتُ فاثْبُتُوا. ثُمَّ عَمَدَ إلى كِتابٍ فكَتَبَ فيهِ: هُوَ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ويَشْهَدُ أنَّ عِيسى بنُ مَرْيَمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ورُوحُهُ، وكَلِمَتُهُ ألْقاها إلى مَرْيَمَ، ثُمَّ جَعَلَهُ في قَبائِهِ عِنْدَ المَنْكِبِ الأيْمَنِ، وخَرَجَ إلى الحَبَشةِ، وصفُّوا لَهُ، فقالَ: يا مَعْشَرَ الحَبَشةِ، ألَسْتُ أحَقَّ النّاسِ بِكُمْ؟ قالُوا: بَلى، قالَ: فكَيْفَ رَأيْتُمْ سِيرَتِي فيكُمْ؟ قالُوا: خَيْرَ سِيرةٍ، قالَ: فما بالُكُمْ؟ قالُوا: فارَقْتَ دِينَنا، وزَعَمْتَ أنَّ عِيسى عَبْدٌ، قالَ: فما تَقُولُونَ أنْتُمْ في عِيسى؟ قالُوا: نَقُولُ: هُوَ ابنُ اللهِ، فقالَ النَّجاشِي، ووَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِهِ على قَبائِهِ: هُوَ يَشْهَدُ أنَّ عِيسى بنَ مَرْيَمَ، لَمْ يَزِدْ على هذا شَيْئًا، وإنَّما يَعْنِي ما كَتَبَ، فرَضُوا وانْصَرَفُوا عَنْهُ، فبَلَغَ ذلك النَّبِيَّ ﷺ، فلَمّا ماتَ النَّجاشِي صَلّى عَلَيْهِ، واسْتَغْفَرَ لَهُ.

---

(١) (٢: ٦٨)، رقم (٦٥٦١). (ج)

(٢) «فتح الباري» كتاب الصلاة، باب الصلاة على الحصير: (١: ٤٨٨).

فَصْلٌ

وذَكَرَ الكِتابَ الّذِي كَتَبَهُ النّجاشِي، وجَعَلَهُ بَيْنَ صَدْرِهِ وثيابِهِ[١]، وقالَ لِلْقَوْمِ: أَشْهَدُ أنّ عِيسى لَمْ يَزِدْ على هَذا.

وفيهِ مِنَ الفِقْهِ: أنّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أنْ يَكذِبَ كَذِبًا صُراحًا، ولا أنْ يُعْطِيَ بِلِسانِهِ الكُفْرَ وإنْ أُكْرِهَ ما أمْكَنَتْهُ [الحِيلةُ][٢]، وفي المَعارِيضِ مَنْدُوحةٌ عَنِ الكَذِبِ، ولذلك[٣] قالَ أهْلُ العِلْمِ في قَوْلِ النّبِيِّ ﷺ: «لَيسَ بِالكاذِبِ مَنْ أصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فقالَ خَيْرًا، أو نَمى خيرًا»[٤]. رَوَتْهُ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ.

قالُوا: مَعْناهُ أنْ يُعَرِّضَ، ولا يُفْصِحَ[٥] بِالكَذِبِ، مِثْلَ أنْ يَقُولَ: سَمِعْتُهُ يَسْتَغْفِرُ لَكَ، ويَدْعُو لَكَ، وهُوَ يَعْنِي: أنّهُ سَمِعَهُ يَسْتَغْفِرُ لِلْمُسْلِمِينَ، ويَدْعُو لَهُمْ؛ لِأنّ الآخَرَ مِنْ جُمْلةِ المُسْلِمِينَ، ويَحْتالُ في التّعْرِيضِ ما اسْتَطاعَ، ولا يَخْتَلِقُ الكَذِبَ اخْتِلاقًا.

وكَذَلِكَ في خُدْعةِ الحَرْبِ يُوَرِّي ويَكُنِّي، ولا يَخْتَلِقُ كِذْبةً يَسْتَحِلُّها بِما جاءَ مِنْ إباحةِ الكَذِبِ في خُدَعِ الحَرْبِ. هَذا كُلُّهُ ما وجَدَ إلى الكِنايةِ[٦] سَبِيلًا.

وَذَكَرَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلّى على النّجاشِي، واسْتَغْفَرَ لَهُ، وكانَ مَوْتُ

(١) في (ف): «قبائه».
(٢) ليست في (ب).
(٣) في (ف): «وكذلك».
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، ومسلم في كتاب البر. انظر «فتح الباري» (٥: ٢٩٩)، ومسلم: (٤: ١١).
(٥) في (أ): «ولا يصرح».
(٦) في (أ): «في الكناية».

النّجاشِي في رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ، ونَعاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ [إلى النّاسِ][1] في اليَوْمِ الّذِي ماتَ فيهِ، وصَلّى عَلَيْهِ بالبَقِيعِ، رُفِعَ إليه سَرِيرُهُ بأَرْضِ الحَبَشةِ حَتّى رَآهُ وهُـوَ بالمَدِينـةِ [فصَلّى عَلَيْـهِ][2]، وتَكَلّمَ المُنافِقُونَ، فقالُوا: أيُصَلِّي على هَذا العِلْجِ؟! فأنْزَلَ الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾[3] [آل عمران: ١٩٩].

ومِنْ رِوايةِ يُونُسَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ: أنّ أبا نَيْزَرَ[4] مَوْلى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ، كانَ ابنًا لِلنّجاشِي نَفْسِهِ، وأنّ عِلِيًّا وجَدَهُ عِنْدَ تاجِرٍ بِمَكّةَ، فاشْتَراهُ [مِنْهُ][5] وأعْتَقَهُ؛ مُكافَأةً لِما صَنَعَ أبُوهُ مَعَ المُسْلِمِينَ.

وَذَكَرَ أنّ الحَبَشةَ مَرِجَ [عَلَيْها][6] أمْرُها بَعْدَ موتِ النّجاشِي، وأنّهُمْ أرْسَلُوا وفْدًا مِنْهُمْ إلى أبِي نَيزَرَ، وهُوَ مَعَ عَلِيٍّ لِيُمَلِّكُوهُ ويُتَوِّجُوهُ، ولَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فأبى وقالَ: ما كُنْتُ لِأَطْلُبَ المُلْكَ بَعْدَ أنْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بالإسْلامِ.

قالَ: وكانَ أبُو نَيْزَرَ مِنْ أطْوَلِ النّاسِ قامةً، وأحْسَنِهِمْ وجْهًا، قالَ: ولَمْ يَكُنْ لَوْنُهُ كَألْوانِ الحَبَشةِ، ولَكِنْ إذا رأيتَه قلتَ: هو رجُل مِن العَرَبِ.

❊ ❊ ❊

(١) ليس في (ب).
(٢) ليس في (أ).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤: ٢١٨). وانظر «تفسير ابن كثير» (٢: ٨٣٣).
(٤) كذا في النُّسخ بتقديم الزاي على الراء، ومثله في «معجم البلدان» (٤: ١٧٥) مُفسَّرًا بالحُروف، وذكره في «تاج العروس» (نرز) بتقديم الراء على الزاي، وكلاهما آخِذ عن السهيلي.
(٥) عن (أ)، (هـ).
(٦) عن (ج)، (د).

إِسْلامُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

[اعْتِزازُ المُسْلِمِينَ بِإسْلامِ عُمَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ أبي رَبِيعةَ على قُرَيْشٍ، ولَمْ يُدْرِكُوا ما طَلَبُوا مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورَدَّهُما النَّجاشِي بِما يَكْرَهُونَ، وأسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، وكانَ رَجُلًا ذا شَكِيمةٍ لا يُرامُ ما وراءَ ظَهْرِهِ، امْتَنَعَ بِهِ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبِحَمْزَةَ حَتّى عازُّوا قُرَيْشًا، وكانَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: ما كُنّا نَقْدِرُ على أنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الكَعْبةِ، حَتّى أسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فلَمّا أسْلَمَ قاتَلَ قُرَيْشًا حَتّى صَلّى عِنْدَ الكَعْبةِ، وصَلَّيْنا مَعَهُ، وكانَ إسْلامُ عُمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى الحَبَشةِ.

قالَ البكائِيُّ، قالَ: حَدَّثَنِي مِسْعَرُ بنُ كِدامٍ، عَنْ سَعْدِ بنِ إبْراهِيمَ، قالَ: قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: إنَّ إسْلامَ عُمَرَ كانَ فتْحًا، وإنَّ هِجْرَتَهُ كانَتْ نَصْرًا، وإنَّ إمارَتَهُ كانَتْ رَحْمةً، ولَقَدْ كُنّا ما نُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبةِ حَتّى أسْلَمَ عُمَرُ، فلَمّا أسْلَمَ قاتَلَ قُرَيْشًا حَتّى صَلّى عِنْدَ الكَعْبةِ، وصَلَّيْنا مَعَهُ.

[حَدِيثُ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَنْ إسْلامِ عُمَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَيّاشِ ابنِ أبي رَبِيعةَ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عامِرِ بنِ رَبِيعةَ، عَنْ أُمِّهِ

أُمِّ عَبْدِ اللهِ بِنْتِ أبي حَثْمةَ، قالَتْ: واللهِ إنّا لَنَتَرَحَّلُ إلى أرْضِ الحَبَشةِ، وقَدْ ذَهَبَ عامِرٌ في بَعْضِ حاجاتِنا؛ إذ أقْبَلَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ حَتّى وَقَفَ عَلَيَّ وهُوَ على شِرْكِهِ، قالَتْ: وكُنّا نَلْقى مِنْهُ البَلاءَ أذًى لَنا وشِدّةً عَلَيْنا، قالَتْ: فقالَ: إنَّهُ لَلانْطِلاقُ يا أُمَّ عَبْدِ اللهِ. قالَتْ: فَقُلْتُ: نَعَمْ واللهِ، لَنَخْرُجَنَّ في أرْضِ اللهِ، آذَيْتُمُونا وقَهَرْتُمُونا، حَتّى يَجْعَلَ اللهُ مَخْرَجًا. قالَتْ: فقالَ: صَحِبَكُمُ اللهُ. ورَأَيْتُ لَهُ رِقّةً لَمْ أكُنْ أراها، ثُمَّ انْصَرَفَ وقَدْ أحْزَنَهُ ـ فيما أرى ـ خُرُوجُنا. قالَتْ: فجاءَ عامِرٌ بِحاجَتِهِ تِلْكَ، فقُلْتُ لَهُ: يا أبا عَبْدِ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا ورِقَّتَهُ وحُزْنَهُ عَلَيْنا. قالَ: أطَمِعْتِ في إسْلامِهِ؟ قالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: فلا يُسْلِمُ الَّذي رَأَيْتِ حَتّى يُسْلِمَ حِمارُ الخَطّابِ، قالَتْ: يَأْسًا مِنْهُ؛ لِما كانَ يَرى مِنْ غِلْظَتِهِ وقَسْوَتِهِ عَنِ الإسْلامِ.

[حَديثٌ آخَرُ عَنْ إسْلامِ عُمَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ إسْلامُ عُمَرَ ـ فيما بَلَغَني ـ أنَّ أُخْتَهُ فاطِمةَ بِنْتَ الخَطّابِ، وكانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفيلٍ، وكانَتْ قَدْ أسْلَمَتْ وأسْلَمَ بَعْلُها سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، وهُما مُسْتَخْفيانِ بِإسْلامِهِما مِنْ عُمَرَ، وكانَ نُعَيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ النَّحّامُ ـ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ؛ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ ـ قَدْ أسْلَمَ، وكانَ أيْضًا يَسْتَخْفي بِإسْلامِهِ فرَقًا مِنْ قَوْمِهِ، وكانَ خَبّابُ بنُ الأرَتِّ يَخْتَلِفُ إلى فاطِمةَ بِنْتِ الخَطّابِ يُقْرِئُها القُرْآنَ، فخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ورَهْطًا مِنْ أصْحابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أنَّهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا في بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفا، وهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أرْبَعِينَ ما بَيْنَ رِجالٍ ونِساءٍ، ومَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأبو بَكْرِ بنُ أبي قُحافةَ

الصِّدِّيقُ، وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، في رِجالٍ مِنَ المُسْلِمِينَ رَضِيَ الله عَنْهُمْ، مِمَّنْ كانَ أقامَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، ولَمْ يَخْرُجْ فيمَنْ خَرَجَ إلى أرْضِ الحَبَشَةِ، فلَقِيَهُ نُعَيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ، فقالَ لَهُ: أيْنَ تُرِيدُ يا عُمَرُ؟ فقالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هذا الصّابِئَ، الَّذي فرَّقَ أمْرَ قُرَيْشٍ، وسَفَّهُ أحْلامَها، وعابَ دِينَها، وسَبَّ آلِهَتَها، فأقْتُلَهُ، فقالَ لَهُ نُعَيْمٌ: واللهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يا عُمَرُ، أتَرى بَنِي عَبْدِ مَنافٍ تارِكِيكَ تَمْشِي على الأرْضِ وقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا! أفَلا تَرْجِعُ إلى أهْلِ بَيْتِكَ فتُقِيمَ أمْرَهُمْ؟ قالَ: وأيُّ أهْلِ بَيْتِي؟ قالَ: خَتَنُكَ وابنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرٍو، وأُخْتُكَ فاطِمةُ بِنْتُ الخَطّابِ، فقَدْ واللهِ أسْلَما، وتابَعا مُحَمَّدًا على دِينِهِ، فعَلَيْكَ بِهِما، قالَ: فرَجَعَ عُمَرُ عامِدًا إلى أُخْتِهِ وخَتَنِهِ، وعِنْدَهُما خَبّابُ بنُ الأرَتِّ مَعَهُ صَحِيفةٌ فيها «طه» يُقْرِئُهُما إيّاها، فلَمّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبْ خَبّابٌ في مَخْدَعٍ لَهُمْ، أوْ في بَعْضِ البَيْتِ، وأخَذَتْ فاطِمةُ بِنْتُ الخَطّابِ الصَّحِيفةَ فجَعَلَتْها تَحْتَ فخِذِها، وقدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنا إلى البَيْتِ قِراءةَ خَبّابٍ عَلَيْهِما، فلَمّا دَخَلَ قالَ: ما هَذِهِ الهَيْنَمةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟ قالا لَهُ: ما سَمِعْتَ شَيْئًا، قالَ: بَلى واللهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أنَّكُما تابَعْتُما مُحَمَّدًا على دِينِهِ، وبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، فقامَتْ إلَيْهِ أُخْتُهُ فاطِمةُ بِنْتُ الخَطّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِها، فضَرَبَها فشَجَّها، فلَمّا فعَلَ ذلك قالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وخَتَنُهُ: نَعَمْ، قَدْ أسْلَمْنا وآمَنّا باللهِ ورَسُولِهِ، فاصْنَعْ ما بَدا لَكَ. فلَمّا رَأى عُمَرُ ما بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ على ما صَنَعَ، فارْعَوى، وقالَ لِأُخْتِهِ: أعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤُونَ آنِفًا أنْظُرْ ما هذا الَّذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وكانَ عُمَرُ كاتِبًا، فلَمّا قالَ ذلك، قالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إنّا نَخْشاكَ عَلَيْها، قالَ: لا تَخافِي، وحَلَفَ لَها بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّها إذا قَرَأها إلَيْها، فلَمّا قالَ ذلك، طَمِعَتْ في

إسْلامِهِ، فقالَتْ لَهُ: يا أخِي، إنَّكَ نَجِسٌ، على شِرْكِكَ، وإنَّهُ لا يَمَسُّها إلّا الطّاهِرُ، فقامَ عُمَرُ فاغْتَسَلَ، فأعْطَتْهُ الصَّحِيفةَ وفيها: «طه»، فقَرَأَهَا، فلَمّا قَرَأ مِنْها صَدْرًا، قالَ: ما أحْسَنَ هذا الكَلامَ وأكْرَمَهُ! فلَمّا سَمِعَ ذلك خَبّابٌ خَرَجَ إلَيْهِ، فقالَ لَهُ: يا عُمَرُ، واللهِ إنِّي لَأرْجُو أنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوةِ نَبِيِّهِ؛ فإنِّي سَمِعْتُهُ أمْسِ وهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أيِّدِ الإسْلامَ بِأبِي الحَكَمِ ابنِ هِشامٍ، أوْ بِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ»، فاللهَ اللهَ يا عُمَرُ. فقالَ لَهُ عِنْدَ ذلك عُمَرُ: فدُلَّنِي يا خَبّابُ على مُحَمَّدٍ حَتّى آتِيَهُ فأُسْلِمَ، فقالَ لَهُ خَبّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفا، مَعَهُ فيهِ نَفَرٌ مِنْ أصْحابِهِ، فأخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ، فضَرَبَ عَلَيْهِم البابَ، فلَمّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قامَ رَجُلٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فنَظَرَ مِنْ خَلَلِ البابِ فرَآهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فرَجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ فزِعٌ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فقالَ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: فأْذَنْ لَهُ، فإنْ كانَ جاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْناهُ لَهُ، وإنْ كانَ جاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْناهُ بِسَيْفِهِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ائْذَنْ لَهُ»، فأذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، ونَهَضَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى لَقِيَهُ فِي الحُجْرةِ، فأخَذَ حُجْزَتَهُ، أوْ بِمَجْمَعِ رِدائِهِ، ثُمَّ جَبَذَهُ بِهِ جَبْذةً شَدِيدةً، وقالَ: «ما جاءَ بِكَ يا ابْنَ الخطّابِ؟ فوَاللهِ ما أرى أنْ تَنْتَهِيَ حَتّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قارِعةً»، فقالَ عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُكَ لِأُؤْمِنَ باللهِ وبِرَسُولِهِ، وبِما جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قالَ: فكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرةً عَرَفَ أهْلُ البَيْتِ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّ عُمَرَ قَدْ أسْلَمَ. فَتَفَرَّقَ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكانِهِمْ وقَدْ عَزُّوا فِي أنْفُسِهِمْ حِينَ أسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إسْلامِ حَمْزةَ، وعَرَفُوا أنَّهُما سَيَمْنَعانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ويَنْتَصِفُونَ بِهِما مِنْ عَدُوِّهِمْ.

فهذا حَدِيثُ الرُّواةِ مِنْ أَهْلِ المَدِينةِ عَنْ إِسْلامِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ حِينَ أَسْلَمَ.

[رِوايةُ عَطاءٍ ومُجاهِدٍ عَنْ إِسْلامِ عُمَرَ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أَبي نَجِيحٍ المَكِّيُّ، عَنْ أَصْحابِهِ: عَطاءٍ، ومُجاهِدٍ، أَوْ عَمَّنْ رَوى ذلك: أَنَّ إِسْلامَ عُمَرَ فيما تَحَدَّثُوا بِهِ عَنْهُ، أَنَّهُ كانَ يَقُولُ: كُنْتُ لِلْإِسْلامِ مُباعِدًا، وكُنْتُ صاحِبَ خَمْرٍ في الجاهِلِيّةِ، أُحِبُّها وأُسَرُّ بِها، وكانَ لَنا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فيهِ رِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِالحَزْوَرةِ، عِنْدَ دُورِ آلِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ بنِ عِمْرانَ المَخْزُومِيِّ، قالَ: فخَرَجْتُ لَيْلةً أُرِيدُ جُلَسائِي أُولَئِكَ في مَجْلِسِهِمْ ذلك، قالَ: فجِئْتُهم فلَمْ أَجِدْ فيهِ مِنْهُمْ أَحَدًا. قالَ: فقُلْتُ: لَوْ أَنِّي جِئْتُ فُلانًا الخَمّارَ، وكانَ بِمَكّةَ يَبِيعُ الخَمْرَ، لَعَلِّي أَجِدُ عِنْدَهُ خَمْرًا فأَشْرَبَ مِنْها.

قالَ: فخَرَجْتُ فجِئْتُهُ فلَمْ أَجِدْهُ. قالَ: فقُلْتُ: فلَوْ أَنِّي جِئْتُ الكَعْبةَ فطُفْتُ بِها سَبْعًا أَوْ سَبْعين. قالَ: فجِئْتُ المَسْجِدَ أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالكَعْبةِ، فإذا رَسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ يُصَلِّي، وكانَ إذا صَلّى اسْتَقْبَلَ الشّامَ وجَعَلَ الكَعْبةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الشّامِ، وكانَ مُصَلّاهُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: الرُّكْنِ الأَسْوَدِ، والرُّكْنِ اليَمانِي.

قالَ: فقُلْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ: واللهِ لَوْ أَنِّي اسْتَمَعْتُ لِمُحَمَّدٍ اللَّيْلةَ حَتّى أَسْمَعَ ما يَقُولُ! قالَ: فقُلْتُ: لَئِنْ دَنَوْتُ مِنْهُ أَسْتَمِعُ مِنْهُ لَأُرَوِّعَنَّهُ، فجِئْتُ مِنْ قِبَلِ الحِجْرِ، فدَخَلْتُ تَحْتَ ثِيابِها، فجَعَلْتُ أَمْشِي رُوَيْدًا ورَسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ يُصَلِّي يَقْرَأُ القُرْآنَ، حَتّى قُمْتُ في قِبْلَتِهِ مُسْتَقْبِلَهُ، ما بَيْنِي وبَيْنَهُ إِلّا ثِيابُ الكَعْبةِ.

قالَ: فلَمّا سَمِعْتُ القُرْآنَ رَقَّ لَهُ قَلْبِي، فبَكَيْتُ ودَخَلَنِي الإسْلامُ، فلَمْ أزَلْ قائِمًا في مَكانِي ذلك حَتّى قَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وكانَ إذا انْصَرَفَ خَرَجَ على دارِ ابنِ أبي حُسَيْنٍ ـ وكانَتْ طَرِيقَهُ ـ حَتّى يَجْزَعَ المَسْعى، ثُمَّ يَسْلُكَ بَيْنَ دارِ عَبّاسِ بنِ المُطَّلِبِ، وبَيْنَ دارِ ابنِ أزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ، ثُمَّ على دارِ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، حَتّى يَدْخُلَ بَيْتَهُ، وكانَ مَسْكَنُهُ ﷺ في الدّارِ الرَّقْطاءِ الَّتِي كانَتْ بِيَدَيْ مُعاوِيَةَ بنِ أبي سُفيانَ. قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فتَبِعْتُهُ حَتّى إذا دَخَلَ بَيْنَ دارِ عَبّاسٍ ودارِ ابنِ أزْهَرَ، أدْرَكْتُهُ، فلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِسِّي عَرَفَنِي، فظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنِّي إنَّما تَبِعْتُهُ لِأُوذِيَهُ، فنَهَمَنِي، ثُمَّ قالَ: «ما جاءَ بِكَ يا ابنَ الخَطّابِ هَذِهِ السّاعَةَ؟» قالَ: قُلْتُ: جِئْتُ لِأُؤمِنَ باللهِ وبِرَسُولِهِ، وبِما جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قالَ: فحَمِدَ اللهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «قَدْ هَداكَ اللهُ يا عُمَرُ»، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرِي، ودَعا لِي بِالثَّباتِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ودَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: واللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

فَصْلٌ
في حَدِيثِ إسْلامِ عُمَرَ رضي الله عنه

ذَكَرَهُ [إلى آخِرِهِ][1]، ولَيْسَ فيهِ إشْكالٌ، وكانَ إسْلامُ عُمَرَ والمُسْلِمُونَ إذْ ذاكَ بضعةٌ وأربعون رجلًا، وإحدى عشرةَ امرأةً.

وَفيهِ: أنّ خَبّابَ بنَ الأرَتِّ كانَ يُقْرِئُ فاطِمةَ بِنْتَ الخَطّابِ القُرْآنَ، وخَبّابٌ

---

(١) ليس في (ب).

تَمِيمِيٌّ بِالنَّسَبِ، وهُوَ خُزاعِيٌّ بِالوَلاءِ لِأُمٍّ[(١)] أنْمارٍ بِنْتِ سِباعِ الخُزاعِيِّ، وكانَ قَدْ وقَعَ عَلَيْهِ سِباءٌ، فاشترتْهُ وأعتقَتْه، فولاؤه لها، وكان أبوها حليفًا لِعَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْد بنِ الحارثِ بنِ زُهْرةَ، فهُوَ زُهْرِيٌّ بِالحِلْفِ، وهُوَ ابنُ الأرَتِّ ابنِ جَنْدَلَةَ بنِ سَعْدِ بنِ خُزَيْمةَ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، كانَ قَيْنًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ في الجاهِلِيّةِ.

وقَدْ قِيلَ: إنّ أُمَّهُ كانَتْ أُمَّ سِباعِ الخُزاعِيّةَ، ولَمْ[(٢)] يَلْحَقْهُ سِباءٌ، ولَكِنّهُ انْتَمى إلى حُلَفاءِ أُمِّهِ بَنِي زُهْرةَ، يُكَنّى: أبا عَبْدِ الله، وقِيلَ: أبا يَحْيى. وقِيلَ: أبا مُحَمّدٍ. ماتَ بِالكُوفةِ سَنةَ سَبْعٍ وثَلاثِينَ بعدما شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ صِفِّينَ والنَّهْرَوان، وقِيلَ: بَلْ ماتَ سَنةَ تِسْعٍ وثَلاثِينَ.

وذَكَرَ أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رضي الله عنه سَألَهُ عَمّا لَقِيَ في ذاتِ اللهِ، فكَشَفَ ظَهْرَهُ، فقالَ عُمَرُ: «ما رَأيْتُ كاليَوْمِ»، فقالَ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أُوقِدَتْ لِي نارٌ، فما أطْفَأَها إلّا شَحْمِي.

فَصْلٌ

وفيهِ ذِكْرُ تطهُّرِ عُمَرَ رضي الله عنه لِيَمَسَّ القُرْآنَ، وقَوْلُ أُخْتِهِ [له][(٣)]: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، والمُطَهَّرُونَ في هَذِهِ الآيةِ: هُمُ المَلائِكةُ، وهُوَ قَوْلُ مالِكٍ في «المُوَطّأ»[(٤)]، واحْتَجّ بِالآيةِ الأُخْرى الّتِي في سُورةِ عَبَسَ[(٥)]، ولَكِنّهُمْ، وإنْ كانُوا المَلائِكةَ، ففي وصْفِهِمْ بِالطّهارةِ مَقْرُونًا

(١) في النسخ: «لأن أم»، والمثبت من «أسد الغابة» (٢: ١١٤).

(٢) في (ب): «فلم».

(٣) ليس في (أ).

(٤) «الموطأ»، كتاب القرآن: (١: ١٩٩).

(٥) قال مالك: أحسنُ ما سمعتُ في هذه الآية: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] إنما هي =

بِذِكْرِ المَسِّ ما يَقْتَضِي ألّا يَمَسَّهُ إلّا طاهِرٌ اقْتِداءً بِالمَلائِكَةِ المُطَهَّرِينَ، فقَدْ تعَلَّقَ الحُكْمُ بِصِفَةِ التَّطْهِيرِ، ولَكِنّهُ حُكْمٌ مَنْدُوبٌ إلَيْهِ، ولَيْسَ مَحْمُولًا على الفرضِ، وكذلك[1] ما كتبَ به رسولُ الله ﷺ لِعَمْرِو بنِ حَزْمٍ: «وَألّا يَمَسَّ القُرْآنَ إلّا طاهِرٌ»[2] لَيْسَ على الفَرْضِ[3]، وإنْ كانَ الفَرْضُ فيهِ أبْيَنَ مِنْهُ في الآيَةِ؛ لِأَنّهُ جاءَ بِلَفْظِ النّهْيِ عَنْ مَسِّهِ على غَيْرِ طَهارةٍ، ولَكِنْ في كتابِهِ إلى هِرَقْلَ بهذه الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ﴾ [آل عمران: ٦٤] دَلِيلٌ على ما قُلْناهُ.

وقَدْ ذَهَبَ داوُدُ وأبُو ثَوْرٍ وطائِفَةٌ مِمّنْ سَلَفَ - مِنْهُمُ الحَكَمُ بنُ عُتَيْبَةَ[4] وحَمّادُ بنُ أبِي سُلَيْمانَ - إلى إباحةِ مَسِّ المُصْحَفِ على غَيْرِ طَهارةٍ، واحْتَجُّوا بما ذَكَرْناهُ[5] مِنْ كِتابِهِ إلى هِرَقْلَ، وقالُوا: حَدِيثُ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ مُرْسَلٌ، فلَمْ يَرَوْهُ حُجةً، والدّارَقُطْنِيُّ قد أسنَده مِن طُرقٍ حِسانٍ، أقواها رِوايَةُ أبِي داوُدَ الطّيالِسِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أبِي بَكْرِ بنِ مُحَمّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ[6].

ومِمّا يُقَوِّي أنّ المُطَهِّرِينَ في الآيَةِ هُمُ المَلائِكَةُ، أنّهُ لَمْ يَقُلِ: المُتَطَهِّرُونَ،

= بمنزلة الآية التي في عبس وتولى في: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ * مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ * بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ * كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس: ١١-١٦].

(١) في (ف): «ولذلك».

(٢) «الموطأ» كتاب القرآن: (١: ١٩٩).

(٣) بعده في (ف): «أيضًا».

(٤) في (أ)، (ب)، (هـ): «عيينة». انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٦٠٩-١٦١٠). هو أبو محمد الحكم بن عُتَيْبة الكندي الكوفي، تُوفي سنة خمس عشرة ومئة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥: ٢٠٨-٢١٣).

(٥) في (ف): «ذكرنا».

(٦) «سنن الدارقطني»، كتاب الطهارة: (٣: ١٢٢).

وإنّما قالَ: المُطَّهَّرُونَ، وفَرْقُ [ما][1] بَيْنَ المُتَطَهِّرِ والمُطَهَّرِ؛ أنّ المُتطَهِّرَ مَنْ فَعَلَ الطُّهُورَ وأدْخَلَ نَفْسَهُ [فيهِ؛ كالمُتَفَقِّهِ الذي يُدْخِلُ نَفْسَهُ][2] في الفِقْهِ، وكَذَلِكَ المُتَفَعِّلُ في أكثرِ الكلامِ، وأنشَدَ سيبويه[3]: [من الرجز]

وَقَيْسُ عَيْلانَ ومَنْ تَقَيَّسا

فالآدَمِيُّونَ مُتَطَهِّرُونَ إذا تَطَهَّرُوا، والمَلائِكَةُ مُطَهَّرُونَ خِلْقَةً، والآدَمِيّاتُ إذا تَطَهَّرْنَ مُتَطَهِّراتٌ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والحُورُ العِينِ مُطَهَّراتٌ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهَذا فرْقٌ بَيِّنٌ، وقُوّةٌ لِتَأْويلِ مالِكٍ رَحِمَهُ الله.

والقولُ عندي في الرّسُولِ ﷺ أنّهُ مُتَطَهِّرٌ [ومُطَهَّرٌ، أمّا أنَّه مُتَطَهِّرٌ][4]؛ فلأِنّهُ بَشَرٌ آدَمِيٌّ يَغْتَسِلُ مِنَ الجَنابةِ، ويَتَوَضّأُ مِنَ الحَدَثِ، وأمّا مُطَهَّرٌ؛ فلأنّهُ قَدْ غُسِلَ باطِنُهُ، وشُقَّ عَنْ قَلْبِهِ، ومُلِئَ حِكْمةً وإيمانًا، فهُوَ مُطَهَّرٌ ومُتَطَهِّرٌ.

واضْمُمْ هَذا [الفَصْلَ][5][6] إلى ما تَقَدّمَ في ذِكْرِ مَوْلِدِهِ مِنْ هَذا المَعْنى؛ فإنّهُ يُكَمِّله[7]، والحَمْدُ لِله.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) لم أجده في طبعة الكتاب، ولعله مما انفردت به نُسخة الكتاب المغربية، وتتبّعتُ أمثلة سيبويه في «الكتاب» (٤: ٦٦)، على أن تَفَعَّل تُفيد المُطاوَعة. والرجز منسوب لجَرير، كما في «تاج العروس» (قيس)، ولرُؤْبة في «اللسان»، أو لرؤبة كما قال ابن بري.

(٤) سقط من (أ).

(٥) ليس في (ب).

(٦) انظر: (٢: ١٤٦).

(٧) في (ف): «تكملة»، وفي (د): «تكملة له».

وَفي تَطَهُّرِ عُمَرَ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ الإِسْلامَ قُوَّةٌ لِقَوْلِ ابنِ القاسِمِ[١]: إنّ الكافِرَ إذا تَطَهَّرَ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ إِسْلامَهُ[٢]، ويَشْهَدَ[٣] الشّهادَتَيْنِ إنه مجزئٌ لَهُ. وقَدْ عابَ قَوْلَ ابنِ القاسِمِ هَذا كَثِيرٌ مِنَ الفُقَهاءِ.

وكَذَلِكَ في خَبَرِ إِسْلامِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ على يَدَيْ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، وقَدْ سَأَلَهُ: كَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ يُرِيدُ الدُّخولَ في هَذا الدّينِ؟ فقالَ: يَتَطَهَّرُ، ثُمّ يَشْهَدُ[٤] بِشَهادةِ الحَقّ، ففَعَلَ ذَلِكَ [هُوَ][٥] وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ[٦].

وحَدِيثُ عُمَرَ، وإِنْ كانَ مِنْ أَحادِيثِ السِّيَرِ، فقَدْ خَرّجَهُ الدّارَقُطْنِيُّ في «سُنَنِهِ»[٧]، غَيْرَ أَنّهُ خَرّجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ أَنّ أُخْتَ عُمَرَ قالَتْ لَهُ: «إِنّك رِجْسٌ، ولا يَمَسُّهُ إِلّا المُطَهَّرُونَ، فقُمْ فاغْتَسِلْ، أَوْ تَوَضّأْ». فقامَ فتَوَضّأَ، ثُمّ أَخَذَ الصَّحِيفةَ وفيها سُورةُ (طَه).

ففي هَذِهِ الرّوايةِ أَنّهُ كان وضوءًا، ولَمْ يَكُنِ اغْتِسالًا[٨]، وفي رِوايةِ يُونُسَ: أَنّ عُمَرَ حِين قَرَأَ في الصّحِيفةِ سُورةَ (طَه) انتهى إلى قوله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، فدَخَلَ حينئذٍ قَلْبَه الإيمان، فقالَ: ما أَطْيَبَ هَذا الكَلامَ

---

(١) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العُتقيُّ المصري، تلميذ الإمام مالك بن أنس، كان رأس الفقهاء المالكية بمصر، تُوفي سنة إحدى وتسعين ومئة للهجرة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩: ١٢٠-١٢٥).

(٢) في (ف): «الإسلام».

(٣) في (أ): «ويتشهد».

(٤) في (أ): «يتشهد».

(٥) عن (د)، (ج).

(٦) انظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٤٣٥-٤٣٧).

(٧) «سنن الدارقطني»، كتاب الطهارة: (١: ١٢٣).

(٨) في (ف): «غسلًا».

وأحْسَنَهُ! وذَكَرَ هَذا الحَدِيثَ بِطُولِهِ، وفيهِ أنّ الصّحِيفةَ كانَ[(١)] فيها مع سورة (طه) ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وأنّ عُمَرَ انْتَهى في قِراءَتِها إلى قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ سَنْجَرَ[(٢)] في «فوائدِهِ»[(٣)] زِيادةً في إسْلامِ عُمَرَ، قالَ: حَدَّثنا أبو المغيرةِ، حدَّثنا صفوانُ بنُ عَمْرو، حَدّثَني شُرَيْحُ بنُ عُبَيْدٍ، قالَ: قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضي الله عنه: «خَرَجْتُ أَتَعَرّضُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ أنْ أُسْلِمَ، فوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إلى المَسْجِدِ، فقُمْتُ خَلْفَهُ، فاسْتَفْتَحَ سُورةَ (الحاقّةِ)، فجَعَلْتُ أتَعَجّبُ مِنْ تَأْلِيفِ القُرْآنِ»، قالَ: فقُلْت: «هَذا واللهِ شاعِرٌ كَما قالَتْ قُرَيْشٌ، فقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، قالَ: قُلْت: كاهِنٌ عَلِمَ ما في نَفْسِي، قالَ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢] إلى آخِرِ السّورةِ» قالَ: «فوَقَعَ الإسْلامُ في قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ»[(٤)].

وقالَ عُمَرُ حِينَ أَسْلَمَ: [من البسيط]

الحَمْدُ للهِ ذِي المَنِّ الّذِي وَجَبَتْ ... لَـهُ علينـا أيـادٍ مـا لهـا غِيَـرُ
وَقَـدْ بَدَأْنـا فكَذَّبْنـا فقـالَ لَنـا ... صِدقَ الحديثِ نبـيٌّ عنده الخَبَرُ

(١) في (أ) وحدها: «الصحيفة التي كانت مع سورة طه».
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سَنْجَرَ الجُرجاني الحافظ صاحبُ «المُسند»، رحل إلى البصرة، ثم إلى مصر، فأقام بقرية قُطابة، فنُسب إليها، و«مسنده» في عشرين جزءًا، وله كتاب «العين» في الحديث في ستة أجزاء. انظر: «الأنساب» للسمعاني: (٤: ٥١٨)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي: (١: ٢٩٧).
(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (السيرة النبوية): (١: ١٣٨-١٣٩). وانظر: «مسند أحمد».
(٤) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣: ١٦٥٣).

وَقَدْ ظَلَمْتُ ابنةَ الخَطّابِ ثُمّ هَدى ... رَبّي عَشِـيّةَ قالُوا: قَـدْ صَبا عُمَرُ
وَقَدْ نَدِمْتُ علـى ما كانَ مِنْ زَلَلٍ ... بِظُلْمِها حين تُتْلى عندها السُّـوَرُ
لَمّا دَعَـتْ رَبَّها ذا العَرْشِ جاهِدةً ... والدّمْعُ مِنْ عَيْنِهـا عَجْلانُ يَبْتَدِرُ
أيْقَنْـتُ أنّ الّذِي تَدْعُـوهُ خالِقُها ... [فكادَ يَسْـبِقُنِي[1] مِـنْ عَبْرةٍ دُرَرُ
فَقُلْـتُ: أشْـهَدُ أنّ الله خالِقُنا][2] ... وأنّ أحْمَـدَ فينـا اليَـوْمَ مُشْـتَهَرُ
نَبِـيُّ صِـدْقٍ أتى بالحقِّ مِـنْ ثِقةٍ ... وافـى الأمانةَ ما في عُـودِهِ خَوَرُ

رَواهُ يُونُسُ عَنِ ابنِ إسْحاقَ[3].

وذَكَرَ البَزّارُ في إسْلامِ عُمَرَ أنّهُ قالَ: «فَلَمّا أخَذْتُ الصّحِيفةَ، فإذا فيها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فجَعَلْتُ أُفَكّرُ: مِنْ أيّ شَيْءٍ اشْتُقَّ؟ ثُمّ قَرَأْت فيها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١] أوّلَ الحَدِيدِ، وجَعَلْت أقْرَأُ وأُفَكّرُ حَتّى بَلَغْت: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[4] [الحديد: ٧]، فقُلْت: أشْهَدُ أنْ لا إلَه إلّا الله، وأنّ مُحَمّدًا رَسُولُ الله[5]»[6].

فَصْلٌ

وفي حَدِيثِ عُمَرَ: قالَ: «ما هَذِهِ الهَيْنَمةُ؟»، الهَيْنَمةُ: كَلامٌ لا يُفْهَم[7]،

(١) في (ف): «تسبقني».
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٣) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١٦٣).
(٤) في النسخ: «فآمنوا».
(٥) في (ف): «رسوله».
(٦) «البحر الزخار» (١: ٤٠٠)، رقم (٢٧٩). (ج)
(٧) في (أ)، (د)، (هـ): «ينفهم» ولم أجده، وهو لحْن كما في «تاج العروس».

واسمُ الفاعلِ [منه][١] مُهَيْنِمٌ، كأنَّه تَصغيرٌ، ولَيْسَ بِتَصْغِيرٍ، ومِثْلُهُ: المُبَيْطِرُ، والمُهَيْمِنُ، والمُبَيْقِرُ ـ بالقافِ ـ، والمُسَيطِر، والمُبَيقِر ـ بالقاف ـ وهُوَ المُهاجِرُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، ولَوْ صَغَّرْتَ واحِدًا مِنْ هَذِهِ الأسْماءِ لَحَذَفْتَ الياءَ الزّائِدةَ، كَما تَحْذِفُ الألِفَ مِنْ مَفاعِل، وتُلْحِقُ ياءَ التّصْغِيرِ مَوْضِعَها، فيَعُودُ اللّفْظُ إلى ما كانَ، فيُقالُ في تَصْغِيرِ مُهَيْنِمٍ ومُبَيْطِرٍ: مُهَيْنِمٌ ومُبَيْطِرٌ[٢].

فإنْ قِيلَ: فهَلّا قُلْتُمْ: إنه لا يُصَغَّرُ؛ إذْ لا يُعقَلُ تَصْغِيرٌ على لَفْظِ تكْبِيرٍ، وإلّا فما الفَرْقُ إذًا؟

فالجَوابُ: أنّهُ قَدْ يَظْهَرُ الفَرْقُ بَيْنَهُما في مَواضِعَ، مِنْها: الجَمْعُ؛ فإنّك تَجْمَعُ مُبَيْطِرًا: مَباطِر بِحَذْفِ الياءِ، وإذا كانَ مُصَغَّرًا لا يُجْمَعُ إلّا أن تَقُولَ: مُبَيْطِرُونَ، وذَلِك أنّ التّصْغِيرَ لا يُكَسَّرُ؛ لِأنَّ تَكْسِيرَهُ يُؤَدِّي إلى حَذْفِ الياءِ في الخُماسِيِّ؛ لِأنّها زيادةٌ[٣] كالألِفِ، فيَذْهَبُ مَعْنى التّصْغِيرِ، وأمّا الثّلاثِيُّ المُصَغَّرُ فيُؤَدِّي تكْسِيرَهُ إلى تَحْرِيكِ ياءِ التَّصْغِيرِ أوْ هَمْزِها، وذَلِك أنْ يُقالَ في فُلَيْسٍ: فلايِسُ، فيَذْهَبُ أيْضًا مَعْنى التّصْغِيرِ لتَغَيُّرِ[٤] لَفْظِ الياءِ الّتِي هِيَ دالّةٌ عَلَيْهِ، ولَوْ بَنَيْتَ اسْمَ فاعِلٍ مِنْ: بيأس لَقُلْتَ فيهِ: مُبَيْئِسٌ. ولَوْ سُهِّلَتِ الهَمْزةُ لحُرِّكَتِ[٥] الياءُ، فقُلْتَ فيهِ[٦]: مُبَيِسٌ[٧]، وتَقُولُ إذا صَغَّرْتَه: مُبَيِّسٌ بِالإدْغامِ؛ كَما تَقُولُ في

(١) عن (ب)، (د).
(٢) انظر: «المنصف» لابن جني: (ص: ٨٤).
(٣) في (ف): «زائدة».
(٤) في (أ): «بتغير».
(٥) في (أ): «تحركت».
(٦) عن (أ).
(٧) في (ف): «مُبئِس».

تصغيرِ أفؤُسٍ: أُفَيِّسٌ، ولا تَنْقُلُ حَرَكَةَ الهَمْزةِ إلى الياءِ إذا سَهَّلْتَها[١]، كَما تَنْقُلُها في اسْمِ الفاعِلِ مِنْ بيأس ونَحْوِهِ إذا سُهِّلت الهمزةُ. وهذه مسألةٌ مِنَ التّصْغِيرِ بَدِيعةٌ يَقُومُ على تَصْحِيحِها البُرْهانُ، ويَعجِزُ[٢] عن تَحصِيلها أكثر الشّادِين من النّحاةِ، فتأمَّلْها.

فَصْلٌ

وفي حَدِيثِ عُمَرَ: فنَهَمَهُ رَسُولُ الله ﷺ؛ أيْ: زَجَرَهُ، والنَّهِيمُ: زَجْرُ الأسَدِ[٣]، والنَّهامِيُّ: الحَدّادُ، والنُّهامُ: طائِرٌ.

* * *

(١) في (ب): «إلا إذا سُهِّلت بنقلها في اسم الفاعل».

(٢) في (ب): «ما يعجز».

(٣) في (ب): «زجرُ الإبل». وكلاهما صواب. يراجع: «اللسان» (نهم).

[ذِكْرُ قُوّةِ عُمَرَ في الإسْلامِ وجَلَدِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي نافِعٌ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، عَنِ ابنِ عُمَرَ، قالَ: لَمّا أسْلَمَ أبي عُمَرُ، قالَ: أيُّ قُرَيْشٍ أنْقَلُ لِلْحَدِيثِ؟ فقِيلَ لَهُ: جَمِيلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِيُّ. قالَ: فغَدا عَلَيْهِ. قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: فغَدَوْتُ أتْبَعُ أثَرَهُ، وأنْظُرُ ما يَفْعَلُ، وأنا غُلامٌ أعْقِلُ كُلَّ ما رَأيْتُ، حَتّى جاءَهُ، فقالَ لَهُ: أعَلِمْتَ يا جَمِيلُ أنِّي قَدْ أسْلَمْتُ ودَخَلْتُ في دِينِ مُحَمَّدٍ؟ قالَ: فوَاللهِ ما راجَعَهُ حَتّى قامَ يَجُرُّ رِداءَهُ واتَّبَعَهُ عُمَرُ، واتَّبَعْتُ أبي، حَتّى إذا قامَ على بابِ المَسْجِدِ صَرَخَ بِأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ وهُمْ في أنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الكَعْبَةِ ـ ألا إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ قَدْ صَبَأَ. قالَ: ويَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ: كَذَبَ، ولَكِنِّي قَدْ أسْلَمْتُ، وشَهِدْتُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ. وثارُوا إلَيْهِ، فما بَرِحَ يُقاتِلُهُمْ ويُقاتِلُونَهُ حَتّى قامَتِ الشَّمْسُ على رُؤُوسِهِمْ. قالَ: وطَلِحَ، فقَعَدَ وقامُوا على رَأْسِهِ وهُوَ يَقُولُ: افْعَلُوا ما بَدا لَكُمْ، فأحْلِفُ باللهِ أنْ لَوْ قَدْ كُنّا ثَلاثَ مئةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْناها لَكُمْ، أوْ تَرَكْتُمُوها لَنا، قالَ: فبَيْنَما هُمْ على ذلك إذْ أقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلّةٌ حِبَرةٌ، وقَمِيصٌ مُوَشًّى، حَتّى وقَفَ عَلَيْهِمْ، فقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ قالُوا: صَبا عُمَرُ، فقالَ: فمَهْ، رَجُلٌ اخْتارَ لِنَفْسِهِ أمْرًا، فماذا تُرِيدُونَ؟ أتَرَوْنَ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صاحِبَهُمْ، هَكَذا خَلُّوا عَنِ الرجل. قالَ: فوَاللهِ لَكَأنَّما كانُوا ثَوْبًا كُشِطَ عَنْهُ. قالَ: فقُلْتُ لِأبي بَعْدَ أنْ هاجَرَ إلى المَدِينةِ: يا أبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذي زَجَرَ القَوْمَ عَنْكَ بِمَكّةَ يَوْمَ أسْلَمْتَ وهُمْ يُقاتِلُونَكَ؟ فَقالَ: ذاكَ ـ أيْ: بُنَيَّ ـ العاصِ بنُ وائِلٍ السَّهْمِيُّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ أنَّهُ قالَ: يا أبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذي زَجَرَ القَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أسْلَمْتَ وهُمْ يُقاتِلُونَكَ؟ جَزاهُ اللهُ خَيْرًا. قالَ: يا بُنَيَّ، ذاكَ العاصِ بنُ وائِلٍ، لا جَزاهُ اللهُ خَيْرًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحارِثِ، عَنْ بَعْضِ آلِ عُمَرَ، أوْ بَعْضِ أهْلِهِ، قالَ: قالَ عُمَرُ: لَمّا أسْلَمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، تَذَكَّرْتُ أيُّ أهْلِ مَكَّةَ أشَدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَداوةً حَتّى آتِيَهُ فأُخْبِرَهُ أنِّي قَدْ أسْلَمْتُ، قالَ: قُلْتُ: أبو جَهْلٍ، وكانَ عُمَرُ لِحَنْتَمةَ بِنْتِ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، قالَ: فأقْبَلْتُ حِينَ أصْبَحْتُ حَتّى ضَرَبْتُ عَلَيْهِ بابَهُ، قالَ: فخَرَجَ إلَيَّ أبو جَهْلٍ، فقالَ: مَرْحَبًا وأهْلًا بِابنِ أُخْتِي، ما جاءَ بِكَ؟ قالَ: جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ أنِّي قَدْ آمَنْتُ باللهِ وبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وصَدَّقْتُ بِما جاءَ بِهِ، قالَ: فضَرَبَ البابَ في وجْهِي وقالَ: قَبَّحَكَ اللهُ، وقَبَّحَ ما جِئْتَ بِهِ.

فَصْلٌ

وفيهِ قَوْلُ[1] العاصِي بنِ وائِلٍ، قالَ: هَكَذا عَنِ الرَّجُلِ. هكذا: كَلِمةٌ مَعْناها: الأمْرُ بِالتَّنَحِّي، فلَيْسَ يَعْمَلُ فيها ما قَبْلَها كَما يَعْمَلُ إذا قُلْت: جَلَسَ هَكَذا؛ أيْ: على هَذِهِ الحالِ، وإنْ كانَ لا بُدّ مِنْ عامِلٍ فيها إذا جَعَلْتَها لِلْأمْرِ، لِأنّها «كافُ التّشْبِيهِ» دَخَلَتْ على «ذا»، و«ها» تَنْبِيهٌ، فَيُقَدَّرُ العامِلُ إذًا مُضْمَرًا؛ كَأنّك قُلْتَ: ارْجِعُوا هَكَذا، وتَأخّرُوا هَكَذا، واسْتُغْنِيَ بِقَوْلِك: «هَكَذا» عَنِ الفِعْلِ، كَما اسْتُغْنِيَ بِـ«رُوَيْدًا» عَن ارْفُقْ.

---

(١) (أ): «وفيه في قول».

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ عُمَرَ لِجَمِيلِ بنِ مَعْمَرٍ الجُمَحِيِّ: «إنِّي قَدْ أسْلَمْتُ وبايَعْتُ مُحَمّدًا». فصَرَخَ جَمِيلٌ [بِأعْلى صَوْتِهِ][١]: ألا إنّ عُمَرَ قَدْ صَبأ.

جَمِيلُ بنُ مَعْمَرٍ هَذا هُوَ الّذِي كانَ يُقالُ لَهُ: ذُو القَلْبَيْنِ، وفيهِ نَزَلَتْ في أحَدِ الأقْوالِ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[٢] [الأحزاب: ٤]، وفيهِ قيل[٣]: [من الطويل]

وكيــفَ ثَوائي بالمَدينــةِ بعدما ... قَضى وطَرًا مِنْها جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

وَهُوَ البَيْتُ الّذِي تَغَنّى بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ في مَنْزِلِهِ، واسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَسَمِعَهُ [وهُوَ][٤] يَتَغَنّى [به][٥] ويُنْشِدُه بالرُّكبانِيّة ـ وهُوَ غِناءٌ تَحْدُو[٦] بِهِ الرُّكبانُ[٧] ـ فلَمّا دَخَلَ عُمَرُ قالَ لَهُ عَبْدُ الرّحْمَنِ: «إنّا إذا خَلَوْنا قُلْنا ما يَقُولُ النّاسُ في بُيُوتِهِمْ».

وقَلَبَ المُبَرّدُ هَذا الحَدِيثَ، وجَعَلَ المُنْشِدَ عُمَرَ، والمُسْتَأْذِنَ عَبْدَ الرّحْمَنِ، ورَواهُ الزُّبَيْرُ كَما تَقَدّمَ، وهُوَ أعْلَمُ بِهَذا الشّأْنِ[٨].

---

(١) ليس في (ب).

(٢) انظر: كتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٣٩٥).

(٣) البيت والقصة في «الكامل» للمبرد: (٢: ٥٦٤-٥٦٥) ولم تقع لي نسبة البيت.

(٤) عن (أ).

(٥) ليس في (أ).

(٦) في (أ)، (ف): «تحدي»، وفي غيرهما: «يحدي».

(٧) في (ف): «الركاب».

(٨) نُبِّه على وهم المبرِّد في زيادات نُسخ «الكامل» (٢: ٥٦٦)، وكذلك في «أسد الغابة» (١: ٣٥١)، وكأنّ ابن الأثير ناقِل عن السهيلي.

خَبَرُ الصَّحِيفةِ

[تَحالُفُ الكُفّارِ ضِدَّ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا رَأتْ قُرَيْشٌ أنَّ أصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أصابُوا بِهِ أمْنًا وقَرارًا، وأنَّ النَّجاشِيَ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إلَيْهِ مِنْهُمْ، وأنَّ عُمَرَ قَدْ أسْلَمَ، فكانَ هُوَ وحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ، وجَعَلَ الإسْلامُ يَفْشُو في القَبائِلِ؛ اجْتَمَعُوا وائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أنْ يَكْتُبُوا كِتابًا يَتَعاقَدُونَ فيهِ على بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ؛ على ألّا يَنْكِحُوا إلَيْهِمْ ولا يُنْكِحُوهُمْ، ولا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، ولا يَبْتاعُوا مِنْهُمْ، فلَمّا اجْتَمَعُوا لِذلك كَتَبُوهُ في صَحِيفةٍ، ثُمَّ تَعاهَدُوا وتَواثَقُوا على ذلك، ثُمَّ عَلَّقُوا الصَّحِيفةَ في جَوْفِ الكَعْبةِ تَوْكِيدًا على أنْفُسِهِمْ، وكانَ كاتِبُ الصَّحِيفةِ مَنْصُورَ بنَ عِكْرِمةَ بنِ عامِرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: النَّضْرُ بنُ الحارِثِ ـ فدَعا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فشَلَّ بَعْضُ أصابِعِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فعَلَتْ ذلك قُرَيْشٌ انْحازَتْ بَنُو هاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبِ إلى أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فدَخَلُوا مَعَهُ في شِعْبِهِ واجْتَمَعُوا إلَيْهِ، وخَرَجَ مِنْ بَنِي هاشِمٍ أبو لَهَبٍ عَبْدُ العُزّى بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ إلى قُرَيْشٍ، فظاهَرَهُمْ.

[تَهَكُّمُ أبي لَهَبٍ بِالرَّسُولِ ﷺ، وما أنْزَلَ اللهُ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ: أنَّ أبا لَهَبٍ لَقِيَ هِنْدَ

بِنْتَ عُتْبَةَ بنِ رَبيعةَ حِينَ فارَقَ قَوْمَهُ وظاهَرَ عَلَيْهِمْ قُرَيْشًا، فقالَ: يا بِنْتَ عُتْبَةَ، هَلْ نَصَرْتِ اللّاتَ والعُزّى، وفارَقْتِ مَنْ فارَقَهُما وظاهَرَ عَلَيْهِما؟ قالَتْ: نَعَمْ، فجَزاكَ اللهُ خَيْرًا يا أبا عُتْبَةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ أنَّهُ كانَ يَقُولُ في بَعْضِ ما يَقُولُ: يَعِدُنِي مُحَمَّدٌ أشْياءَ لا أراها، يَزْعُمُ أنَّها كائِنَةٌ بَعْدَ المَوْتِ، فماذا وضَعَ في يَدَيَّ بَعْدَ ذلك، ثُمَّ يَنْفُخُ في يَدَيْهِ ويَقُولُ: تَبًّا لَكُما، ما أرى فيكُما شَيْئًا مِمّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١].

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَبَّتْ: خَسِرَتْ. والتَّبابُ: الخُسْرانُ. قالَ حَبِيبُ بنُ خُدْرةَ الخارِجِيُّ أحَدُ بَنِي هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ:

يا طَيِّبُ انّا في مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ مَسْعاتُهُمْ في التَّبارِ والتَّبَبِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

حَدِيثُ الصَّحِيفةِ الّتِي كَتَبَتْها قُرَيْشٌ

وذَكَرَ فيها قولَ أبي لهبٍ لِيَدَيْه: تبًّا لكُما، لا أرى فيكُما شَيْئًا مِمّا يَقُولُ مُحَمّدٌ. فأنْزَلَ الله تَعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [مفتتح المسد]، هَذا الّذِي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ سَبَبًا لِذِكْرِ الله سُبْحانَهُ يَدَيْهِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ وأمّا قولُه سبحانه: ﴿ وَتَبَّ ﴾، فتفسيره[1] ما جاءَ في الصَّحِيحِ مِنْ رِوايةِ مُجاهِدٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: لَمّا أنزَلَ اللهُ عزّ وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) في (أ)، (ب): «تفسيره» دون فاء. وفي (ف): «فتفسيره على».

حتى أتى الصّفا، فصَعِدَ عَلَيْهِ، فهَتَفَ: «يا صباحاه». فلَمّا اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، قالَ: «أرَأيْتُمْ لَوْ أخبَرْتُكُمْ أنّ خَيْلًا تَخرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذا الجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالُوا: ما جَرَّبنا عَلَيْك كَذِبًا. قالَ: «فإنّي نَذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ». فقالَ أبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَك! ألِهَذا جمَعْتَنا؟! فأنْزَلَ الله: «تَبّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وقدْ تَبَّ»[١].

هَكَذا قَرَأها[٢] مُجاهِدٌ والأعْمَشُ، وهِيَ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ قِراءةٌ مَأْخُوذَةٌ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ لِأنّ في قِراءةِ ابنِ مَسْعُودٍ ألْفاظًا كَثِيرةً تُعِينُ[٣] على التفسيرِ، قال مجاهِدٌ: لو كنتُ قرأتُ قراءةَ ابنِ مسعودٍ قبلَ أن أَسألَ ابنَ عباسٍ، ما احتجتُ أنْ أسألَه عَنْ كَثِيرٍ مِمّا سَألْتُه.

وكَذَلِكَ زِيادةُ (قَدْ) في هَذِهِ الآيةِ، فَسَّرَتْ أنّهُ خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعالى، وأنّ الكَلامَ لَيْسَ على جِهةِ الدُّعاءِ، كَما قالَ: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ أيْ: إنّهُمْ أهْلٌ أنْ يُقالَ لَهُمْ هَذا، فـ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، لَيْسَ مِنْ بابِ: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ولَكِنّهُ خَبَرٌ مَحْضٌ بِأنْ قَدْ خَسِرَ أهْلَهُ ومالَهُ.

واليَدانِ: آلةُ الكَسْبِ، وأهْلُهُ ومالُهُ مِمّا كَسَبَ، فقَوْلُهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ تَفْسِيرُهُ[٤]: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]، ووَلَدُ الرّجُلِ مِنْ

(١) «فتح الباري»، تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾: (٨: ٧٣٧)، وسورة الشعراء: (٨: ٥٠١)، ومسلم، كتاب الإمامة: (١: ١٩٣-١٩٤)، و«عارضة الأحوذي»، تفسير سورة تبت: (١٢: ٢٥٩)، والنسائي في كتاب التفسير من «سننه الكبرى»، وفي «اليوم والليلة» (ص: ٥٤٣)، كما في «تحفة الأشراف» للمزي: (٤: ٤٣٧)، و«مسند أحمد» (١: ٣٠٧).

(٢) في (أ): «قرأ».

(٣) في (ب)، (د): (تغني عن).

(٤) في (ف): «يفسره».

كَسْبِهِ كَما جاءَ في الحَدِيثِ[1]؛ أيْ: قد خَسِرَتْ يَداهُ هَذا الّذِي كَسَبَ[2].

وقَوْلُهُ: ﴿ وَتَبَّ ﴾، تَفْسِيرُهُ: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ﴾ [المسد: ٣]؛ أيْ: قَدْ خَسِرَ نَفْسَهُ بِدُخُولِهِ النّارَ.

وقَوْلُ أبِي لَهَبٍ: «تَبًّا لَكُما، ما أرى فيكُما شَيْئًا» ـ يَعْنِي: يَدَيْهِ ـ سَبَبُ لِنُزُولِ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ ﴾ كَما تَقَدَّمَ.

وَقَوْلُهُ في الحَدِيثِ الآخَرِ: «تَبًّا لَكَ يا مُحَمّدُ» سَبَبُ لِنُزُولِ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ وَتَبَّ ﴾ فالكَلِمَتانِ في التّنْزِيلِ مَبنِيّتانِ على السّبَبَيْنِ، والآيتانِ بعدَهما تفسيرٌ للتَّبيين: تَبابُ يَدَيْهِ، وتَبابُهُ هُوَ في نَفْسِهِ.

والتَّبُ على وزن التَّلَفِ؛ لِأنّهُ في مَعْناهُ، والتَّبابُ كالهَلاكِ والخَسارِ، وزْنًا ومَعْنًى، ولِذَلِكَ قِيلَ فيهِ: تَبٌّ وتَبابٌ.

[شِعْرُ أبِي طالِبٍ في قُرَيْشٍ حِينَ تَظاهَرُوا على الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا اجْتَمَعَتْ على ذلك قُرَيْشٌ، وصَنَعُوا فيهِ الّذي صَنَعُوا، قالَ أبو طالِبٍ:

ألا أبْلِغا عَنِّي على ذاتِ بَيْنِنا ... لُؤَيًّا وخُصًّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

ألَمْ تَعْلَمُــوا أنّا وجَدْنا مُحَمَّدًا ... نَبِيًّا كَمُوسى خُطَّ في أوّلِ الكُتْبِ

فَصْلٌ

وذَكَرَ شِعْرَ أبِي طالِبٍ: [من الطويل]

---

(١) «سنن أبي داود» كتاب البيوع: (٣: ٢٨٨-١٨٩).

(٢) في (ف): «كسبت».

ألا أبْلِغا عَنِّي على ذاتِ بَيْنِنا

قالَ قاسِمُ بنُ ثابِتٍ: ذاتُ بَيْنِنا، وذاتُ يَدِهِ، وما كانَ نَحْوَهُ: صِفةٌ لِمَحْذُوفٍ مُؤَنَّثٌ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الحالَ الَّتِي هِيَ ذاتُ بَيْنِهِمْ، كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] وكَذَلِكَ إذا قُلْتَ: ذاتُ يَدِهِ، تُرِيدُ أَمْوالَهُ أَوْ مُكْتَسَباتِهِ، كَما قالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «أَرْعاهُ على زَوْجٍ في ذاتِ يَدِهِ»[١].

وكَذا إذا قُلْت: [لَقِيتُه][٢] ذاتَ يَوْمٍ، [أيْ][٣]: لقاءةً، أو مرّةً ذات يوم، فلما حَذفوا[٤] المَوْصُوفَ وبَقِيَتِ الصِّفةُ صارَتْ كالحالِ لا تَتَمَكَّنُ[٥]، ولا تَرْفَعُ في بابِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، كَما تَرْفَعُ الظُّرُوفُ المُتَمَكِّنةُ، وإِنَّما هُوَ كَقَوْلِك: سِيرَ عَلَيْهِ شَدِيدًا وطَوِيلًا[٦]، ونحوِه. وقَوْلُ الخَثْعَمِيِّ، واسْمُهُ: أَنَسُ بنُ مُدْرِكٍ[٧]: [من الوافر]

عَزَمْتُ على إقامةِ ذي صَباحٍ

لَيسَ هُوَ عِنْدِي مِنْ هَذا البابِ، وإِنْ كانَ سِيبَوَيْهِ قَدْ جَعَلَها لُغةً لِخَثْعَمَ، ولَكِنَّهُ على مَعْنى إقامةِ يَوْمٍ، وكُلُّ يَوْمٍ هُوَ ذُو صَباحٍ، كَما تَقُولُ: ما كَلَّمَنِي ذُو شَفةٍ؛ أيْ: مُتَكَلِّمٌ، وما مَرَرْتُ بِذِي نَفْسٍ، فلا يَكُونُ مِنْ بابِ: ذات مَرّةٍ الَّذِي لا يَتَمَكَّنُ في [الكَلامِ][٨].

---

(١) «فتح الباري»، كتاب النكاح: (٩: ١٢٥).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) في (ب)، (ف)، (هـ): «حُذِفَ».

(٥) في (أ)، (ب): «لا يتمكن، ولا يرفع».

(٦) في (هـ): «أو طويلًا».

(٧) البيت من شواهد «الكتاب» (١: ٢٢٦-٢٢٧)، وهو في «الخزانة» (٣: ٨٧)، وعجزه:
لأمرٍ ما يُسوَّدُ مَنْ يَسُودُ

(٨) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

وقَدْ وجَدْتُ في حَدِيثِ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمة ـ وهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ وقَعَ في «مُسْنَدِ ابنِ أَبِي شَيْبَةَ» ـ أنّ أُخْتَها قالَتْ لِبَعْلِها: إنّ أُخْتِي تُرِيدُ المَسِيرَ مَعَ حُرَيْثِ ابنِ حَسّانَ ذا صَباحٍ بَيْنَ سَمْعِ الأَرْضِ وبَصَرِها[1].

فهَذا يَكُونُ مِنْ بابِ: ذات مَرّةٍ، وذات يَوْمٍ، غَيْرَ أنّهُ ورَدَ[2] مُذَكَّرًا؛ لِأَنّهُ يُستثقَلُ التّأْنِيثُ مَعَ الصّادِ، وتَوالِي الحَرَكاتِ، فحَذَفُوها، فقالُوا: لَقِيتُهُ[3] ذا صَباحٍ، وهَذا لا يَتَمَكَّنُ كَما لا يَتَمَكَّنُ: ذاتَ يَوْمٍ، وذاتَ حِينٍ، ولا يُضافُ إلَيْهِ مَصْدَرٌ، ولا غَيْرُهُ، وقَوْلُ الخَثْعَمِيِّ: [من الوافر]

عَزَمْتُ على إقامةِ ذِي صَباحٍ

قَدْ أضافَ إلَيْهِ، فكَيْفَ يُضِيفُ إلَيْهِ ثُمّ يَنْصِبُهُ؟ أوْ كَيْفَ يُضارِعُ الحالَ مَعَ إضافةِ المَصْدَرِ إلَيْهِ؟ فلذَلِكَ خَفَضَهُ، وأخْرَجَهُ[4] عَنْ نَظائِرِهِ، إلّا أنْ يَكُونَ سِيبَوَيْهِ سَمِعَ خَثْعَمَ يَقُولُونَ: سِرْتُ في ذاتِ يَوْمٍ، أوْ سِيرَ عَلَيْهِ ذاتُ يَوْمٍ ـ بِرَفْعِ التّاءِ ـ فحِينَئِذٍ يَسُوغُ لَهُ أنْ يَقُولَ: هي لُغةُ خَثْعَمَ.

وأمّا البَيْتُ الّذِي تَقَدَّمَ، فلا شاهِدَ لَهُ فيهِ، وما أظُنُّ خَثْعَمَ ولا أحَدًا مِنَ العَرَبِ يُجِيزُ التّمَكُّنَ في نَحْوِ هَذا، وإخْراجَه عَنِ النَّصْبِ، واللهُ أعْلَمُ.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥: ٧). (ج)

(٢) في (أ): «غير أنه مذكر».

(٣) في (أ): «ألفيته».

(٤) في (أ): «وإخراجه».

وَأَنَّ عَلَيْــهِ فِي العِبــادِ مَحَبّــةً ولا خَيْرَ مِمَّــنْ خَصَّهُ اللهُ بِالحُبِّ
وَأَنَّ الَّذي أَلْصَقْتُــمُ مِنْ كِتابِكُمْ لَكُمْ كائِنٌ نَحْسًا كَراغِيَةِ السَّقْبِ؟
أفيقُوا أفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرى ويُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ
وَلا تَتْبَعُوا أَمْرَ الوُشــاةِ وتَقْطَعُوا أَواصِرَنا بَعْــدَ المَــوَدّةِ والقُرْبِ
وَتَسْــتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوانًا ورُبَّما أَمُرُّ على مَنْ ذاقَــهُ جَلَبُ الحَرْبِ
فَلَسْــنا ورَبِّ البَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَدًا لِعَزّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمانِ ولا كَرْبِ
وَلَمّا تَبِنْ مِنّا ومِنْكُمْ سَــوالِفٌ وأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالقُساسِــيّةِ الشُّهْبِ
بِمُعْــتَرَكٍ ضَيْقٍ تَــرى كِسَرَ القَنا بِهِ والنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كالشَّرْبِ
كَأَنَّ مُجــالَ الخَيْــلِ في حَجَراتِهِ ومَعْمَعَةَ الأَبْطــالِ مَعْرَكَةُ الحَرْبِ
أَلَيْــسَ أبونا هاشِــمٌ شَــدَّ أَزْرَهُ وأَوْصى بَنِيــهِ بِالطِّعانِ وبِالضَّرْبِ
وَلَسْــنا نَمَلُّ الحَرْبَ حَــتّى تَمَلَّنا ولا نَشْتَكِي ما قَدْ يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلَكِنَّنــا أَهْلُ الحَفائِــظِ والنُّهى إذا طارَ أَرْواحُ الكُماةِ مِنَ الرُّعْبِ

فَأَقامُوا على ذلك سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، حَتّى جَهَدُوا لا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلّا سِرًّا مُسْتَخْفيًا بِهِ مَنْ أَرادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ.

[تَعَرُّضُ أبي جَهْلٍ لِحَكِيمِ بنِ حِزامٍ، وتَوَسُّطُ أبي البَخْتَرِيِّ]

وَقَدْ كانَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ لَقِيَ حَكِيمَ بنَ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ مَعَهُ غُلامٌ يَحْمِلُ قَمْحًا، يُرِيدُ بِهِ عَمَّتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومَعَهُ في الشِّعْبِ، فتَعَلَّقَ بِهِ وقالَ: أَتَذْهَبُ بِالطَّعامِ

إلى بَنِي هاشِمٍ؟ واللهِ لا تَبْرَحُ أنْتَ وطَعامُكَ حَتّى أفضَحَكَ بِمَكّةَ. فجاءَهُ أبو البَخْتَرِيِّ بنُ هاشِمِ بنِ الحارثِ بنِ أسدٍ، فقالَ: ما لك ولَهُ؟ فقالَ: يَحْمِلُ الطَّعامَ إلى بَنِي هاشِمٍ، فقالَ لَهُ أبو البَخْتَرِيِّ: طَعامٌ كانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إلَيْهِ فيهِ، أفَتَمْنَعُهُ أنْ يَأْتِيَها بِطَعامِها! خَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ، فأبى أبو جَهْلٍ حَتّى نالَ أحَدُهُما مِنْ صاحِبِهِ، فأخَذَ لَهُ أبو البَخْتَرِيِّ لَحْيَ بَعِيرٍ فضَرَبَهُ بِهِ فشَجَّه، ووَطِئه وطْئًا شَدِيدًا، وحَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَرِيبٌ يَرى ذلك، وهُمْ يَكْرَهُونَ أنْ يَبْلُغَ ذلك رَسُولَ اللهِ ﷺ وأصْحابَهُ، فيشْمَتُوا بِهِمْ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ على ذلك يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا ونَهارًا، وسِرًّا وجِهارًا، مُبادِيًا بِأمْرِ اللهِ لا يَتَّقِي فيهِ أحَدًا مِنَ النّاسِ.

فَصْلٌ

وفيهِ: [من الطويل]

ولا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالحُبِّ

وَهُوَ مُشْكِلٌ جِدًّا، لِأنَّ «لا» في بابِ التَّبْرئةِ لا تَنْصِبُ مِثْلَ هَذا إلّا مُنَوَّنًا، تَقُولُ: لا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ في الدّارِ، ولا شَرًّا مِنْ فُلانٍ. وإنّما تَنْصِبُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إذا كانَ الِاسْمُ غَيْرَ مَوْصُولٍ بِما بَعْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]؛ لِأنَّ عَلَيْكُمْ لَيْسَ مِن صِلة التَّثْرِيبِ، لِأنّهُ في مَوْضِعِ الخَبَرِ.

وأشْبَهُ ما يُقالُ في بَيْتِ أبِي طالِبٍ: إنّ «خَيْرًا» مُخَفَّفٌ، مِنْ «خَيِّر»، كَهَيْنٍ، ومَيْتٍ، وفي التّنْزِيلِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] هُوَ مُخفَّف مِن «خَيِّرات».

وَقَوْلُـهُ: «مِمّنْ»، «مِن» مُتَعَلِّقـةٌ[١] بِمَحْذُوفٍ، كَأَنّهُ قالَ: لا خَيْرَ أَخْيَرُ مِمّنْ خَصّهُ الله. وخَيْـرٌ وأَخْيَـرُ لَفْظـانِ مِنْ جَنْسٍ واحِـدٍ، فحَسُنَ الحَذْفُ اسْتِثْقالًا لِتَكْرِيرِ[٢] اللّفْظِ، كَما حَسُنَ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، و﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] لِما في تكْرارِ الكَلِمةِ مَرّتَيْنِ مِنَ الثِّقَلِ على اللّسانِ، وأَغْرَبُ مِنْ هَذا قَوْلُ الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ [يونس: ١١]؛ [أَيْ: لَوْ عَجّلَهُ لَهُمْ إذا اسْتَعْجَلُوا بِهِ اسْتِعْجالًا مِثْلَ اسْتِعْجالِهِمْ بالخَيْرِ][٣]، فحَسُنَ هَذا الحذفُ لِما في الكَلامِ مِنْ ثِقَلِ التّكْرارِ، وإذا حَذَفُوا حَرْفًا واحدًا لهذه العِلةِ كقولِهم: بَلْحارثِ، وعَلْماءِ[٤] بنو فُلانٍ، وظَلْتُ، وأَحَسْتُ، فأحْرى أنْ يَحْذِفُوا كَلِمةً مِنْ حُرُوفٍ، فهَذا أَصْلٌ مُطّرِدٌ.

ويَجُوزُ فيهِ وجْهٌ آخَرُ: وهُوَ[٥] أَنْ يَكُونَ حُذِفَ التّنْوِينُ مُراعاةً لأَصْلِ الكَلِمةِ؛ لِأَنّ (خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ) إنّما مَعْناهُ: أَخْيَرُ مِنْ زَيْدٍ، وكَذَلِكَ: شَرٌّ مِنْ فُلانٍ، إنّما أَصْلُهُ: أَشَرُّ، على [وزْنِ][٦] «أَفْعَلُ»، وحُذِفَتِ الهَمْزةُ تَخْفيفًا، و«أَفْعَلُ» لا يَنْصَرِفُ، فإذا انْحَذَفَتِ الهَمْزةُ انْصَرَفَ ونُوِّنَ، فإنْ[٧] تَوَهَّمْتَها غَيْرَ ساقِطةٍ التِفاتًا إلى أَصْلِ الكَلِمةِ، لَمْ يَبْعُدْ حَذْفُ التّنْوِينِ على هَذا الوَجْهِ ـ واللهُ أعلمُ ـ مَعَ ما يُقَوِّيهِ مِنْ ضَرُورةِ الشِّعْرِ.

---

(١) في (ف): «متعلق».

(٢) في (ف): «لتكرر».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) أي: على الماء. والشاهد في «كتاب سيبويه» (٤: ٤٨٥).

(٥) «وهو» ليس في (ف).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٧) في (أ): «وإن».

وقَوْلُهُ: «بالقُساسِيّةِ الشُّهْبِ»، يَعْنِي: السُّيوفَ، نَسَبَها إلى قُساسٍ، وهُوَ مَعْدِنُ حَدِيدٍ لِبَنِي أسَدٍ، وقِيلَ: اسْمٌ لِلْجَبَلِ الّذِي فيهِ المَعْدِنُ: قالَ الرّاجِزُ يَصِفُ فأْسًا[1]: [من الرجز]

أخضرُ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قُساسِ   كَأنّهُ في الحَيْدِ ذِي الأضْراسِ

يُرْمى بِهِ فــي البَلَدِ الدَّهاسِ

وَقالَ أبُو عُبَيْدٍ في القُساسِيّة في «الغريب المُصَنَّف»: لا أدْرِي إلى أيِّ شَيْءٍ نُسِبَتْ.

والّذِي ذَكَرْناهُ قالَهُ المُبَرِّدُ[2]، وقَوْلُهُ: «ذِي قُساس» كَما حُكِي: ذُو زَيْدٍ؛ أيْ: صاحِبُ هَذا الِاسْمِ، وفي أقْيالِ حِمْيَرَ: ذُو كَلاعٍ، وذُو عَمْرٍو، أُضِيفَ المُسَمّى إلى اسْمِهِ، كَما قالُوا: زَيْدُ بَطّةَ، أضافُوهُ إلى لَقَبِهِ.

وذَكَرَ فيهِ: «النُّسُورَ الطُّخْمَ»، قِيلَ: هِيَ السُّودُ الرُّؤوسِ. قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»، وقالَ أيْضًا: الطُّخْمةُ: سَوادٌ في مُقَدَّمِ الأنْفِ[3].

وَقَوْلُهُ: «كَراغِيةِ السَّقْبِ»، يُرِيدُ: ولَدَ النّاقةِ الّتِي عَقَرَها قُدار، فرَغا ولَدُها، فصاحَ[4] بِرُغائِهِ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتٌ، فَهَلَكَتْ ثَمُودُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَضَرَبَتِ العَرَبُ ذَلِكَ مَثَلًا في كُلّ هَلَكةٍ، كَما قالَ عَلْقَمةُ[5]: [من الطويل]

---

(١) «الكامل» للمبرد: (٣: ٩٠). (ج)

(٢) «الكامل» للمبرد: (٢: ١٠٢٥).

(٣) «العين» (٤: ٢٢٦).

(٤) في (ب): «وصاح».

(٥) «ديوانه» (ص: ٣٠)، و«الكامل» (١ : ٨)، والبيت بتمامه:

رغا فوقهم سقبُ السَّماء فداحضٌ   بِشِـكَّتِهِ لـم يُسـتَلَب وسَـلِيبُ =

رَغا فَوْقَهُمْ سَـقْبُ السّماءِ........

وقال آخَر(١): [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامِرٌ   على جانِبِ الثَّرْثارِ راغِيةَ البَكْرِ

❊ ❊ ❊

= والسَّقْب: ولَدُ الناقة، وسَقْب السَّماء: ولَد ناقةِ صالِح عليه السلام. وداحِض: ساقِط، وشِكَّتُه: سلاحُه، يشير إلى كثرة القتلى، وأن منهم مَن سُلب، ومن لم يُسلب.

(١) الأخطل، «ديوانه» (ص: ١٤٠)، و«الكامل» (١: ٧)، والثَّرْثار: وادٍ عظيم بالجزيرة.

ذِكْرُ ما لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الأذى

[ما أنْزَلَ اللهُ تَعالى في أبي لَهَبٍ]

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنْها، وقامَ عَمُّهُ وقَوْمُهُ مِنْ بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ دُونَهُ، وحالُوا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ ما أرادُوا مِنَ البَطْشِ بِهِ، يَهْمِزونَه ويَسْتَهْزِئون بِهِ ويُخاصِمُونَهُ، وجَعَلَ القُرْآنُ يَنْزِلُ في قُرَيْشٍ بِأحْداثِهِمْ، وفيمَنْ نُصِبَ لِعَداوَتِهِ مِنْهُمْ، ومِنْهُمْ مَنْ سُمِّيَ لَنا، ومِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ فيهِ القُرْآنُ في عامّةِ مَنْ ذَكَرَ اللهُ مِنَ الكُفّارِ، فكانَ مِمَّنْ سُمِّيَ لَنا مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ نَزَلَ فيهِ القُرْآنُ: عَمُّهُ أبو لَهَبِ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وامْرَأتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ، حَمّالةُ الحَطَبِ، وإنَّما سَمّاها الله تَعالى: حَمّالةَ الحَطَبِ؛ لِأنَّها كانَتْ ـ فيما بَلَغَني ـ تَحْمِلُ الشَّوْكَ فتَطْرَحُهُ على طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ يَمُرُّ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِما: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتَ حَرْبٍ عَمّةَ مُعاوِيةَ، وذَكَرَ أنّها كانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ وتَطْرَحُهُ في طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأنْزَلَ الله فيها: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤].

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ: فَلَمّا كَنّى عَنْ ذَلِكَ الشَّوْكِ بِالحَطَبِ، والحَطَبُ لا يَكُونُ إلّا في حَبْلٍ، مِنْ ثَمَّ جَعَلَ الحَبْلَ في عُنُقِها، لِيُقابِلَ الجَزاءُ الفِعْلَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ [المسد: ٥]، هُوَ مِنْ مَسَدْتُ الحَبْلَ: إذا أَحْكَمْتَ فَتْلَهُ، إلّا أَنَّهُ قالَ: ﴿ مِّن مَّسَدِۭ ﴾، ولَمْ يَقُلْ: (حَبْلُ مَسَدٍ)، ولا (مَمْسُود) لِمَعْنًى لَطِيفٍ، ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، قالَ: المَسَدُ يُعَبَّرُ بِهِ في عُرْفِ اللغة عَنْ حَبْلِ الدَّلْوِ. وقَدْ رُوِيَ أَنّها يُصْنَعُ بِها في النّارِ ما يُصْنَعُ بالدّلْوِ، تُرْفَعُ بِالمَسَدِ في عُنُقِها إلى شَفيرِ جَهَنّمَ، ثُمّ يُرْمى بِها إلى قَعْرِها، هَكَذا أَبَدًا.

وقَوْلُهُمْ: إنَّ المَسَدَ هُوَ حَبْلُ الدَّلْوِ في العُرْفِ صَحِيحٌ؛ فإنّا لَمْ نَجِدْهُ في كَلامِ العَرَبِ إلّا كَذَلِكَ، [كَقَوْلِ][1] الذُّبْيانِيِّ[2]: [من البسيط]

لَـــهُ[3] صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَـــدِ[4]

وقالَ آخَرُ وهُوَ يَسْتَقِي[5] على إِبِلِهِ[6]: [من الرجز]

يا مَسَدَ الخُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّي إنْ تَـــكُ لَدْنًـــا لَيِّنًـــا فإنِّي
ما شِـــئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنِّ

---

(١) ليس في (ب).

(٢) من المعلقة، «ديوانه» (ص: ١٦)، وصدره:

مقذوفةٍ بدخيسِ النَّحض بازلُها

(٣) في (ف): «لها».

(٤) في النسخ: «لها».

(٥) في (أ)، (هـ): «يسقي».

(٦) الرّجز في كتاب «النّبات» لأبي حنيفة: (ص: ٢٥١)، و«اللسان» (مسد، قسن). والمَسَد: حبلٌ مِن لِيف، أو خُوص، أو شَعَر. والأشمَط: المُختلط سواد شَعره ببياض. والمُقسَئنّ: الذي قد انتهى في سِنّه، فليس به ضَعف كِبر، ولا قوّة شباب.

وَقالَ آخَرُ[١]: [من الرجز]

يا رَبَّ عَبْسٍ لا تُبارِكْ في أحَدْ ... في قائِمٍ مِنْهُمْ ولا فيمَنْ قَعَدْ
غَيْرَ الأُلى شَدُّوا بِأطْرافِ المَسَدْ

[أيِ: اسْتَقَوْا][٢]، وقالَ آخَرُ وهُوَ يَسْتَقِي[٣]: [من الرجز]

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ ... لَيْسَ بِأنْيابٍ ولا حَقائِقِ

يُرِيدُ: جَمْعَ أيْنُقٍ، وأيْنُقٌ: جَمْعُ ناقةٍ مَقْلُوبٌ، وأصْلُهُ: أنْوُقٌ، فقُلِبَ[٤]، وأُبْدِلَتِ الواوُ ياءً؛ لِأنّها قَدْ أُبْدِلَتْ ياءً لِلْكَسْرةِ إذا قالُوا: نِياقٌ، وقَلَبُوهُ فِرارًا مِنِ اجْتِماعِ هَمْزَتَيْنِ لَوْ قالُوا: أنْؤُقٌ[٥] على الأصْلِ، يُرِيدُ: أنّ المَسَدَ مِنْ جُلُودِها.

وفي الحَدِيثِ: أنّ رَسُولَ الله ﷺ[٦] قالَ في المَدِينةِ: «قَدْ حَرّمْتُها إلّا لِعُصْفُورِ قَتَبٍ[٧]، أوْ مَسَدِ مَحالةٍ»، والمَحالةُ: البَكَرةُ[٨].

(١) الرجز في «اللسان» (تصغير ذا وتا وجمعهما).
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب)، (هـ). وفي (أ)، (ج): «أي: اسقوا».
(٣) في (أ)، (ب): «يسقي». والبيت في «النبات» (ص: ٢٣٣)، و«اللسان» (حقق، زهق)، منسوبًا في الأول إلى عمارة بن طارق، وفي الآخر إلى عثمان بن طارق.
(٤) في (ب): «فكلبت».
(٥) يريد: أنه لو قيل: أنؤُق، بقلب الواو همزة؛ لأنّ كلّ مفردة مضمومة ضمّة لازمة يجوز قلبُها همزة.
(٦) في (أ): «أنه صلى الله...».
(٧) القَتَب: الرَّحل الصغير على قدْر سَنام البعير. وعصافير القَتَب: عيدان صغار تكون في الرحال. والمسد: الليف. والمَحالة: خشبة مستديرة في جوفها مِحْور تدور عليه، وهي البَكْرة.
(٨) أخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١: ٣٩٢).

وفي حديثٍ آخرَ: أنّهُ حَرَّمَها بَرِيدًا[١] في بَرِيدٍ، إلّا لمِنْجَدةٍ، أوْ مَسَدٍ، والمِنْجَدةُ: عَصا الرّاعِي.

وَقالَ أبُو حَنِيفةَ في «النَّباتِ»[٢]: كُلُّ مَسَدٍ رِشاءٌ، وأنْشَدَ: [من الرجز]

وَبَكْرةً ومِحْـوَرًا صِرّارا ... ومَسَـدًا مِنْ أبَـقٍ مُغارا

والأبَقُ: القِنَّبُ، والزِّيرُ: الكَتّانُ[٣]، وأنْشَدَ أيْضًا[٤]: [من الرجز]

أنزِعُهـا تَمَطّيًـا ومَتّا ... بِالمَسَدِ المَثْلُوثِ أوْ يَرْفَتّا

فَقَدْ بانَ لَك بِهَذا أنّ المَسَدَ حَبْلُ البِئْرِ، وقَدْ جاءَ في صِفةِ جَهَنّمَ ـ أعاذَنا الله مِنْها ـ أنّها كَطَيِّ البِئْرِ، لَها قَرْنانِ[٥]، والقَرْنانِ مِنَ البِئْرِ: كالدِّعامَتَيْنِ لِلْبَكَرةِ.

فقَدْ بانَ لَك بِهَذا كُلِّهِ ما ذَكَرَهُ أهْلُ التَّفْسِيرِ مِنْ صِفةِ عَذابِها، [أعاذَنا اللهُ مِنْ عَذابِهِ][٦]؛ ولِهَذا تَناسَبَ الكَلامُ، وكَثُرَتْ مَعانِيهِ، وتَنَزَّهَ عَنْ أنْ يَكُونَ فيهِ حَشْوٌ،

---

(١) البريد: المسافة بين كل منزلتين مِن منازل الطريق، وهي أميال اختُلف في عددها.

(٢) «النبات» (ص: ٥٣٣).

(٣) قال في «النبات» (ص: ٢٣٣): «والأبَق هُدْب الكتان». وقال أيضًا في (ص: ٢٥٥): «والكتّان: ما تُتَّخذ منه الحبال، والأبَق: أجلّ مِن الكتّان وأقوى... ويقال للكتان: الزير».

(٤) «النبات» (ص: ٢٣٨)، وروايته:

أنـزعـهـا تَـبَـوُّعًـا وقـتّـا ... بالمسدِ المثلوثِ حتى ارفتّا

وتَبَوَّع الرجُل: مدَّ باعه. والباع: مسافة ما بين الكفَّين إذا انبسطت الذِّراعان يمينًا وشمالًا. وتمطّى: مدَّ يديه. ومتَّ الحبل: نزَعه مِن البئر على غير بَكَرة. وثلّث الحبْل: فتَلَه على ثلاث قُوًى، وهي طاقات الحبْل. وارفتَّ الحبْل: انقطع وصار حُطامًا.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢: ١٤٦)، والبخاري ومسلم في فضائل الصحابة، «فتح الباري» (٧: ٨٩-٩٠)، ومسلم: (٤: ١٩٢٧).

(٦) ليس في (أ).

أَوْ لَغْوٌ، تَعالى اللهُ مُنْزِلُهُ؛ فإنَّهُ كِتابٌ عَزِيزٌ.

وقَوْلُ مُجاهِدٍ: إنّها السِّلْسِلةُ الّتِي ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعًا لا يَنْفي ما تَقَدَّمَ؛ إذْ[1] يَجُوزُ أنْ تُرْبَقَ في تِلْكَ السِّلْسِلةِ أُمُّ جَمِيلٍ وغَيْرُها، فقَدْ قالَ[2] أبُو الدَّرْداءِ لِامْرَأتِهِ: «يا أُمَّ الدَّرْداءِ، إنّ للهِ سِلْسِلةً تَغْلِي بِها مَراجِلُ جَهَنّمَ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ النّارَ إلى يَوْمِ القيامة، وقد نجّاكَ الله مِنْ نِصْفِها بالإيمانِ بالله العظيمِ، فاجْتَهِدِي في النَّجاةِ مِن النِّصفِ الآخَر بالحَضِّ على طعامِ المسكينِ».

وكذلك قولُ مجاهِدٍ: إنها كانتْ تمشي بالنَّمائمِ[3]، لا ينفي حَمْلَها الشَّوكَ[4]، وهُوَ في كَلامِ العَرَبِ سائِغٌ[5] أيْضًا، فقَدْ قالَ أبو قيسِ بنُ الأَسْلَتِ[6] لقُرَيشٍ حين اختلفُوا: [من الطويل]

ونُبِّئْتُكُم شَرْجَيْنِ كُلَّ قَبِيلةٍ ... لَها أزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكٍ وحاطِبِ

فالمُذْكِي: الذي يُذْكِي نارَ العَداوةِ، والحاطِبُ الذي يَنِمُّ ويُغري؛ كالمحتطِبِ للنارِ، ومِنْ هَذا المَعْنى، وكَأنّهُ مُنْتَزَعٌ مِنْهُ، قَوْلُ النّبيِّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنّةَ قَتّاتٌ»[7]. والقَتّاتُ الّذِي يَجْمَعُ القَتَّ، وهُوَ ما تُوقَدُ بِهِ النّارُ مِنْ حَشِيشٍ وحَطَبٍ صِغارٍ.

---

(١) في (ب)، (هـ): «إذ لا يجوز».

(٢) في (أ): «فقال».

(٣) في (ف): «بالنميمة».

(٤) في (أ): «بالشوك»، وفي (د)، (ف): «للشوك».

(٥) في (أ): «شائع».

(٦) في النسخ: «ابن أبي الأسلت». والمثبت عن «السيرة» (١: ٢٨٣)، وابن الأسلت هو أبو قيس صيفي، وقد تقدَّم تعريف السهيلي به في (٣: ١٤٣) عند شرح قصيدته البائية، وفيها هذا البيت.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، «فتح الباري» (١٠: ٤٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٠١).

وَقَوْلُهُ: ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ [المسد: ٥]، ولَمْ يَقُلْ: في عُنُقِها، والمَعْرُوفُ أنْ يُذكَرَ العُنُقُ إذا ذُكِرَ [الغُلُّ، أو الصَّفْعُ[١]؛ كَما قالَ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلًا ﴾ [يس: ٨]، وأنْ يُذْكَرَ الجِيدُ إذا ذُكِرَ][٢] الحَلْيُ أو الحُسْنُ، فإنّما حَسُنَ هٰهُنا ذِكْرُ الجِيدِ في حُكْمِ البَلاغةِ؛ لِأنّها امْرَأةٌ، والنِّساءُ تُحَلِّي أجْيادَهُنّ، وأُمُّ جَمِيلٍ لا حُلِيَّ لَها في الآخِرةِ إلّا الحَبْلُ المَجْعُولُ في عُنُقِها، فلَمّا أُقِيم لَها ذٰلِكَ مُقامَ الحُلِيِّ ذُكِرَ الجِيدُ مَعَهُ، فتَأمّلْهُ؛ فإنّهُ مَعْنًى لَطِيفٌ، ألا تَرى [إلى][٣] قولِ الأعشى[٤]: [من الخفيف]

يَــومَ تُبدي لنــا قُتَيلةُ عن جِيــ ــدٍ..........................

ولَمْ يَقُلْ: عَنْ عُنُقٍ، وقولِ الآخَرِ[٥]: [من الطويل]

وَأحْسَــنُ مِنْ عِقْدِ المَلِيحةِ جِيدُها

وَلَمْ يقُل: عنقُها، ولو قاله لَكانَ غَثًّا[٦] مِنَ الكَلامِ، فإنّما يَحْسُنُ ذِكْرُ الجِيدِ حَيْثُ قُلْنا، ويَنْظُرُ إلى هَذا المَعْنى قَوْلُهُ سبحانه: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]؛ أيْ: لا بُشْرى لَهُمْ إلّا ذاكَ، وقَوْلُ الشّاعِرِ[٧]: [من الوافر]

---

(١) في (أ): «والصفع».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) ليس في (أ).

(٤) سيأتي البيت بتمامه في الفصل التالي: (ص٢٨٢).

(٥) سيأتي البيت كاملًا عن قريب: (ص٢٨٤).

(٦) في (أ): «عيا».

(٧) هو عمرو بن معديكرب، والبيت في «كتاب سيبويه» (٣: ٥٠)، و«نوادر أبي زيد» (ص: ٤٢)، وصدره:

وخيلٍ قد دلَفتُ بها بخيلٍ

تَحِيّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وجيعُ

أي: [لا][(١)] تَحِيّةَ لَهُمْ. كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾، أيْ: لَيْسَ ثَمّ جِيدٌ يُحَلّى، إنّما هُوَ حَبْلُ المَسَدِ، وانْظُرْ كَيْفَ قالَ: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾، ولَمْ يَقُلْ: وَزَوْجُهُ[(٢)]؛ لأنّها لَيْسَتْ بِزَوْجٍ لَهُ في الآخِرةِ، ولأنّ التَّزْوِيجَ حِلْيَةٌ شَرْعِيّةٌ، وهُوَ مِنْ أمْرِ الدِّينِ، فجرَّدها مِن هذه الصِّفةِ، كما جرَّد منها امْرَأةَ نُوحٍ، وامْرَأةَ لُوطٍ، فلَمْ يَقُلْ: زَوْجَ نُوحٍ، وقَدْ قالَ لِآدَمَ: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] وقالَ[(٣)] لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقالَ: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، إلّا أنْ يَكُونَ ساقَ الكَلامَ في ذِكْرِ الوِلادةِ والحَمْلِ، ونَحْوِ ذَلِكَ، فيَكُونَ حِينَئِذٍ لَفْظُ المَرْأةِ لائِقًا بِذَلِكَ المَوْطِنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ [مريم: ٥]، ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ ﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ لِأنّ الصِّفةَ الّتِي هِيَ الأُنوثةُ هِيَ المُقْتَضِيةُ لِلْحَمْلِ والوَضْعِ، لا مِن حيث كانت زَوْجًا.

* * *

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (أ)، (ف)، (هـ): «وزوجته».

(٣) في (ف): «وقد قال».

قالَ ابنُ هِشامٍ: الجِيدُ: العُنُقُ. قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

يَوْمَ تُبْدي لَنا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـــدٍ أَسِـيلٍ تَزِينُهُ الأطْواقُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وجَمْعُهُ: أجْيادٌ. والمَسَدُ: شَجَرٌ يُدَقُّ كَما يُدَقُّ الكَتّانُ فتُفْتَلُ مِنْهُ حِبالٌ. قالَ النّابِغَةُ الذُّبْيانِيُّ، واسْمُهُ: زِيادُ بنُ عَمْرِو بنِ مُعاوِيَةَ:

مَقْذُوفةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بِالمَسَدِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وواحِدَتُهُ: مَسَدةٌ.

فَصْلٌ

وأنْشَدَ شاهِدًا على الجِيدِ قَوْلَ الأعْشى[1]: [من الخفيف]

يَـوْمَ تُبْدِي لَنَـا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـدٍ أَسِـيلٍ تَزِينُـهُ الأطْـواقُ

وشَتِيتٍ كالأُقحوانِ جَلاهُ الظْـ ـلُّ[2] فيه عُذوبةٌ واتِّسـاقُ

وأثيثٍ جَثْـلِ النَّبـاتِ تُروِّيـ ـهِ لَعُوبٌ غريـرةٌ مِفْناقُ[3]

(١) «الديوان» (طبعة دار صادر): (ص: ١٢٦)، ورواية البيت الأول فيه:

يومَ أبدَتْ لنـا قُتَيْلةُ عن جيـ ـدِ تليـعٍ تَزِينُـهُ الأطـواقُ

(٢) ديوانـه ص١٢٦ وروايتـه للبيت الثـاني هنـا: (جـلاه الطـلّ) بالطاء المهملة. وروايته للبيت الرابع هنا: (لا عانس) مِن العُنوسة، وليس العُبوسة.

(٣) المِفناق: المُترفة.

حُرّةٌ طَفْلةُ الأناملِ كالدُّمـ ـيةِ لا عابسٌ ولا مِهزاقُ[١]

وقَوْلُهُ: تَزِينُهُ؛ أيْ: تَزِيدُهُ حُسنًا، وهَذا مِنَ القَصْدِ في الكَلامِ، وقَدْ أبى المُوَلَّدُونَ إلّا الغُلُوَّ في هَذا المَعْنى، وأنْ يَقْلِبُوه، فقالَ في «الحَماسةِ»: [من الطويل]

مُبَتَّلةُ الأطْرافِ زانَتْ عُقُودَها بِأحْسَـنَ مِمّا زَيَّنَتها عُقُودُها

وَقالَ خالِدٌ القَسْرِيُّ[٢] لِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ رضي الله عنه: مَنْ تكُنِ الخِلافةُ زَيَّنَتْهُ، فأنْتَ زَيَّنتَها، ومَنْ تكُنْ شَرّفَتْه، فأنْتَ شَرّفْتَها، وأنْتَ كَما قالَ: [من الخفيف]

وَتَزِيدِيـنَ أطْيَبَ الطِّيبِ طِيبًا إنْ تَمَسِّيهِ، أيْنَ مِثْلُكِ؟ أيْنا؟!

وإذا الدُّرُّ زانَ حُسْـنَ وُجُوهٍ كانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وجْهِكِ زَيْنا!

فَقالَ عُمَرُ: إنّ صاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا، ولَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا[٣]!

قالَ المُؤَلِّفُ: وإنّما لَمْ يَحْسُنْ هَذا [مِنْ][٤] خالِدٍ لَمّا قَصَدَ بِهِ التّمَلُّقَ، وإلّا فقَدْ صَدَرَ مِثْلُ هَذا المَعْنى [عَنِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فحَسُنَ لِما عَضَدَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ، والتَّحَرّي لِلْحَقّ، والبُعْدِ][٥] عَنِ المَلَقِ والخِلابةِ، وذَلِكَ حِينَ عَهِدَ إلى عُمَرَ رضي الله عنهما بِالخِلافةِ، ودَفَعَ إلَيْهِ عَهْدَهُ مَخْتُومًا، وهُوَ لا يَعْرِفُ ما فيهِ، فلَمّا عَرَفَ ما فيهِ رَجَعَ إلَيْهِ حَزِينًا كَهَيْئةِ الثَّكْلى يقول: «حمَّلتَنِي عِبْئًا لا

---

(١) مهزاق: كثيرة الضحك.

(٢) هو أبو الهيثم خالد بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى بَجِيلة، كان خطيبًا جوادًا، استعمله الأمويون على ولاية مكة والكوفة، وقُتل في أيام الوليد بن يزيد، عاش بين سنتي (٦٦-١٢٦هـ)، وله ترجمة ضافية في «الأغاني» (٢٥: ٨٦٩١-٨٧٢٨).

(٣) انظر: «البيان والتبيين» (١: ١٩٥).

(٤) ليس في (أ).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

أَضْطَلِع بِهِ، وأَوْرَدْتَنِي مَوْرِدًا لا أَدْرِي كَيْفَ الصَّدَرُ عَنْهُ؟». فقالَ لَهُ الصِّدّيقُ رضي الله عنه: «ما آثَرْتُك بِها، ولَكِنِّي آثَرْتُها بِك، وما قَصَدْتُ مَساءَتَك، ولَكِنْ رَجَوْتُ إِدْخالَ السُّرُورِ على المؤمنينَ بك».

ومِن ههنا أَخَذَ الحُطَيْئَةُ قَوْلَهُ[1]: [من البسيط]

ما آثَرُوكَ بِهـا إِذْ قَدَّمُوك لَها ... لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كانَتْ بِها الإِثَرُ

وقَدْ سَبَكَ هَذا المَعْنى في النَّسِيبِ عَبّاسٌ الرُّومِيُّ، فقالَ[2]: [من الطويل]

وَأَحْسَنُ مِنْ عِقْدِ المليحةِ جيدُها ... وأَحْسَنُ من سِـربالِها المُتَجَرَّدُ

وَمِمّا هُوَ دُونَ الغُلُوِّ، وفَوْقَ التَّقْصِيرِ في هذا المعنى قَوْلُ الرَّضِيِّ[3]: [من البسيط]

حُلِيُّـهُ جِيدُهُ لا مـا يُقَلَّدُهُ ... وكُحْلُهُ ما بِعَيْنَيْهِ مِنَ الكَحَلِ

وَنَحْوٌ مِنْهُ ما أَنْشَدَهُ الثَّعالِبيّ[4]: [من الطويل]

وما الحَلْـيُ إِلّا حِيلةٌ مِنْ نَقِيصةٍ ... يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إذا الحُسْنُ قَصَّرا
فأَمّـا إذا كانَ الجَمـالُ مُوَفَّـرًا ... كحُسنِكَ لَمْ يَحْتَجْ إلى أَنْ يُزَوَّرا

وَسَمِعْتُ القاضِيَ أَبا بَكْرٍ مُحَمّدَ بنَ العَرَبِيِّ [أرضاه الله][5] يَقُولُ: حَجَّ أبو

---

(١) «ديوانه» (ص: ١٦٥).

(٢) هو ابن الرومي أبو الحسن علي بن عباس بن جُريج، الشاعر العباسي المشهور، وهذا البيت في «ديوانه» (٢: ٥٩٥)، وصدر البيت في الديوان هكذا:
وآنَقُ مِن عِقـد العَقِيلة جِيدُها

(٣) «ديوان الشريف الرضي» (٢: ٦٢١).

(٤) البيتان من قصيدة لابن الرومي في «ديوانه» (٣: ١٠٠٧).

(٥) من (ب)، (د).

الفضل الجوهريُّ الزاهدُ ذات مَرّةٍ، فلَمّا أشْرَفَ على الكَعْبةِ، ورَأى ما عَلَيْها مِنَ الحُلِيِّ والدِّيباجِ(١) تَمَثَّلَ: [من السريع]

ما عُلِّقَ الحَلْيُ على صَدْرِها ... إلّا لِما يُخْشى مِنَ العَيْنِ

تَقُولُ والدُّرُّ على نَحْرِها ... مَنْ عَلَّقَ الشَّيْنَ على الزَّيْنِ

* * *

(١) في (أ)، (هـ): «من الديباج» دون ذكر الحلي.

[أُمُّ جَمِيلٍ ورَدُّ اللهِ كَيْدَها عَنِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذُكِرَ لِي أنَّ أُمَّ جَمِيلٍ حَمّالَةَ الحَطَبِ حِينَ سَمِعَتْ ما نَزَلَ فيها وفي زَوْجِها مِنَ القُرْآنِ، أتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وهُوَ جالِسٌ في المَسْجِدِ عِنْدَ الكَعْبةِ، ومَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وفي يَدِها فِهْرٌ مِنْ حِجارةٍ، فلَمّا وقَفَتْ عَلَيْهِما أخَذَ اللهُ بِبَصَرِها عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلا تَرى إلّا أبا بَكْرٍ، فقالَتْ: يا أبا بَكْرٍ، أيْنَ صاحِبُكَ؟ فقَدْ بَلَغَنِي أنَّهُ يَهْجُونِي، واللهِ لَوْ وجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهذا الفِهْرِ فاهُ، أما واللهِ إنِّي لَشاعِرةٌ، ثُمَّ قالَتْ:

مُذَمَّـمًا عَصَيْنا
وأمْـرَهُ أبَيْنـا
وَدِينَـهُ قَلَيْنـا

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فقالَ أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللهِ، أما تَراها رَأتْكَ؟ فقالَ: «ما رَأتْنِي؛ لَقَدْ أخَذَ اللهُ بِبَصَرِها عَنِّي». قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُها: «وَدِينَهُ قَلَيْنا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ قُرَيْشٌ إنَّما تُسَمِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ: مُذَمَّمًا، ثُمَّ يَسُبُّونَهُ، فكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ألا تَعْجَبُونَ لِما يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي مِنْ أذى قُرَيْشٍ؟ يَسُبُّونَ ويَهْجُونَ مُذَمَّمًا، وأنا مُحَمَّدٌ».

[ذِكْرُ ما كانَ يُؤْذِي بِهِ أُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ]

وَأُمَيّةُ بنُ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ كانَ إذا رَأى رَسُولَ اللهِ

ﷺ هَمَزَهُ ولَمَزَهُ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الهُمَزةُ: الَّذي يَشْتُمُ الرَّجُلَ عَلانِيةً، ويَكْسِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ، ويَغْمِزُ بِهِ. قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

هَمَزْتُكَ فاخْتَضَعْتُ لِذُلِّ نَفْسٍ بِقافيــةٍ تَأجَّــجُ كالشُّــواظِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وجَمْعُهُ: هُمَزاتٌ. واللُّمَزةُ: الَّذي يَعِيبُ النّاسَ سِرًّا ويُؤْذِيهِمْ. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

في ظِلِّ عَصْرِي باطِلِي ولَمْزِي

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ، وجَمْعُهُ: لُمَزاتٌ.

وذَكَرَ قَوْلَ أُمِّ جَمِيلٍ لِأبِي بَكْرٍ: لَوْ وجَدْتُ صاحِبَك لَشَدَخْتُ رَأْسَهُ بِهَذا الفِهْرِ. المَعْرُوفُ في الفِهْرِ: التّأنيث، وتصغيرُهُ فُهَيرة، ووقع ها هنا مذكَّرًا[1].

وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيّ ﷺ: «ألا تَرَوْنَ إلى[2] ما يَدْفَعُ الله عَنِّي مِنْ أذى قُرَيْشٍ، يَسُبُّونَ ويَهْجُونَ مُذَمَّمًا، وأنا مُحَمّدٌ».

وأدْخَلَ النَّسَوِيُّ هَذا الحَدِيثَ في كِتابِ الطَّلاقِ في بابِ: مَنْ طَلَّقَ بِكَلامٍ

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٣٥٦).

(٢) «إلى» ليست في (ف).

لا يُشْبِهُ الطَّلاقَ، فإنّهُ غَيْرُ لازِمٍ[١]، وهُوَ فِقْهٌ حَسَنٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «ألا تَرَوْنَ إلى ما يَدْفَعُ اللهُ عَنِّي مِن أذى قريشٍ، يَسُبُّون ويهجُون مذَمَّمًا؟». فجَعَلَ أذاهُمْ مَصْرُوفًا عَنْهُ، لَمّا سَبُّوا مُذَمَّمًا، ومُذَمَّمٌ[٢] لا يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ اسْمًا لَهُ؛ فلذَلِكَ إذا قالَ لَها: كُلِي واشْرَبِي، وأرادَ بِهِ: الطَّلاقَ، لَمْ يَلْزَمْهُ، وكانَ مَصْرُوفًا عَنْهُ؛ لِأنّ مِثْلَ هَذا الكَلامِ لا يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ عبارةً عَنِ الطَّلاقِ.

* * *

(١) «سنن النسائي»، كتاب الطلاق: (٦: ١٥٩).

(٢) كذا في (ب)، (ج)، وفي غيرهما: «ومذمّمًا».

[ما كانَ يُؤْذِي بِهِ العاصِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وما نَزَلَ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والعاصِ بنُ وائِلٍ السَّهْمِيُّ، كانَ خَبّابُ بنُ الأَرَتِّ صاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَيْنًا بِمَكّةَ يَعْمَلُ السُّيُوفَ، وكانَ قَدْ باعَ مِنَ العاصِ بنِ وائِلٍ سُيُوفًا عَمِلَها لَهُ حَتّى كانَ لَهُ عَلَيْهِ مالٌ، فجاءَهُ يَتَقاضاهُ، فقالَ لَهُ: يا خَبّابُ، أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ صاحِبُكُمْ هذا الَّذي أَنْتَ على دِينِهِ أَنَّ في الجَنّةِ ما ابْتَغى أَهْلُها مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضّةٍ، أَوْ ثِيابٍ، أَوْ خَدَمٍ؟! قالَ خَبّابٌ: بَلى. قالَ: فأَنْظِرْنِي إلى يَوْمِ القِيامةِ يا خَبّابُ حَتّى أَرْجِعَ إلى تِلْكَ الدّارِ فأَقْضِيَكَ هُنالك حقَّك، فوَاللهِ لا تَكُونُ أَنْتَ وصاحِبُكَ يا خَبّابُ آثَرَ عِنْدَ اللهِ مِنِّي، ولا أَعْظَمَ حَظًّا في ذلك. فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٨٠].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ خَبّابٍ مَعَ العاصي بنِ وائِلٍ، وما أَنزَلَ اللهُ فيهِ مِنْ قولِه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الآية [مريم: ٧٧]، وقَدْ تَقَدَّمَ الكَلامُ على: (أرأيتَ)[1]، وأنّهُ لا يجوزُ أنْ يَلِيَها الاستفهامُ، كما يلي: علمتَ ونحوَها، وهي ههنا عامِلةٌ في ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، وما قَدَّمْنا مِنَ القولِ فيها ما يُغْنِي عن إعادتِه ههنا، فلْيُنْظَرْ في سُورةِ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، وحَدِيثِ نُزُولِها.

---

(١) انظر: (٣: ١٦١).

[ما كانَ يُؤْذِي بِهِ أبو جَهْلٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وما نَزَلَ فيهِ]

وَلَقِيَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنِي، فقالَ لَهُ: واللهِ يا مُحَمَّدُ، لَتَتْرُكَنَّ سَبَّ آلِهَتِنا، أوْ لَنَسُبَّنَّ إلَهَكَ الَّذي تَعْبُدُ. فأنْزَلَ اللهُ تعالى فيهِ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فذُكِرَ لِي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَفَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِهِمْ، وجَعَلَ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ أبِي جَهْلٍ: «لَتَكُفَّنَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنا أوْ لَنَسُبَّنَّ إلَهَك»، فأنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [الأنعام: ١٠٨]، وهَذِهِ الآيَةُ أَصْلٌ عِنْدَ المالِكِيّةِ[١] في إثْباتِ الذّرائِعِ، ومُراعاتِها في البُيُوعِ، وكَثِيرٍ مِنَ الأحْكامِ، وذَلِكَ أنّ سَبَّ آلِهَتِهِمْ كانَ مِنَ الدِّينِ، فلَمّا كانَ سَبَبًا إلى سَبِّهِم البارِيَ سُبْحانَهُ، نَهى عَنْ سَبِّ آلِهَتِهِمْ، فكَذَلِكَ ما يُخافُ مِنْهُ الذَّرِيعةُ إلى الرِّبا يَنْبَغِي الزَّجْرُ عَنْهُ.

ومِنَ الذّرائِعِ ما يُقَرِّبُ مِنَ الحَرامِ، ومِنْها ما يُبَعِّدُ، فتَقَعُ الرُّخْصةُ والتَّشْدِيدُ على حَسَبِ ذَلِكَ، ولَمْ يَجْعَلِ الشّافِعِيُّ الذَّرِيعةَ إلى الحَرامِ أصْلًا، ولا كَرِهَ شَيْئًا مِنَ البُيُوعِ الّتِي تُتَّقى فيها الذّرِيعةُ إلى الرِّبا، وقالَ: تُهْمةُ المؤمنِ[٢] وسُوءُ الظَّنِّ بِهِ حَرامٌ.

ومِنْ حُجّتِهِمْ قَوْلُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رضي الله عنه: «إنّما الرِّبا على مَنْ

(١) «أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي: (٢: ٢٣٤).

(٢) في (ف): «المسلم».

قَصَدَ الرِّبا»[١]، وقَوْلُ النَّبيِّ عليه السلام: «إنّما الأعْمالُ بِالنِّيّاتِ، وإنّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى»[٢] فيهِ أيْضًا مُتَعَلَّقٌ لَهُمْ.

قالُوا: ونَهْيُهُ عز وجل عَنْ سَبِّ آلهةِ الكُفّارِ؛ لِئَلّا يُسَبَّ اللهُ سبحانه لَيْسَ مِنْ هَذا البابِ؛ لِأنَّهُ لا تُهْمةَ فيهِ لِمُؤْمِنٍ، ولا تَضْييقَ[٣] عَلَيْهِ، وكَما تُتَّقى الذَّريعةُ إلى تَحْليلِ ما حَرَّمَ اللهُ، فكَذَلِكَ يَنْبَغِي[٤] أنْ يُتَّقى [تَحْريمُ][٥] ما أحَلَّ اللهُ، فكِلا الطَّرَفَيْنِ ذَميمٌ، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والرِّبا مَعْلُومٌ، فما لَيْسَ مِنَ الرِّبا فهُوَ مِنَ البَيْعِ.

والكَلامُ في هَذِهِ المَسْألةِ لِلطّائِفَتَيْنِ، والِاحْتِجاجُ لِلْفَريقَيْنِ يَتَّسِعُ مِجالُهُ، ويَصُدُّنا عَنْ مَقْصُودِ الكتابِ.

[ما كانَ يُؤْذِي بِهِ النَّضْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وما نَزَلَ فيهِ]

والنَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ كَلَدةَ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ ابنِ قُصَيٍّ، كانَ إذا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا، فدَعا فيهِ إلى اللهِ تَعالى وتلا فيهِ القُرْآنَ، وحَذَّرَ فيهِ قُرَيْشًا ما أصابَ الأُمَمَ الخالِيةَ؛ خَلَفَهُ في مَجْلِسِهِ إذا قامَ، فحَدَّثَهُمْ عَنْ رُسْتُمَ السِّنْدِيدِ، وعَنْ أسْفِنْدِيارَ، ومُلُوكِ فارِسَ، ثُمَّ يَقُولُ: واللهِ ما مُحَمَّدٌ بِأحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي، وما حَدِيثُهُ إلّا أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها كَما اكْتَتَبْتُها. فأنْزَلَ اللهُ فيهِ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ

---

(١) لم نعثر على تخريج الأثر. (ج)

(٢) «فتح الباري»، باب بدء الوحي: (١: ٩)، ومسلم، كتاب الإمارة: (٣: ١٥١٥-١٥١٦).

(٣) في (أ): «تضيق»، وفي (ب): «يضيق».

(٤) في (ب): «لا ينبغي».

(٥) ليس في (أ).

﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦]، ونَزَلَ فيهِ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، ونَزَلَ فيهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧-٨].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأَفّاكُ: الكَذّابُ. وفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٢]. وقالَ رُؤْبَةُ ابنُ العَجّاجِ:

ما لِامْرِئٍ أَفَكَ قَــوْلًا إفْكًا

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا ـ فيما بَلَغَني ـ مَعَ الوَلِيدِ ابنِ المُغيرةِ في المَسْجِدِ، فجاءَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ حَتّى جَلَسَ مَعَهُمْ في المَجْلِسِ، وفي المَجْلِسِ غَيْرُ واحِدٍ مِنْ رِجالِ قُرَيْشٍ، فتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ، فكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى أفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠]. قالَ ابنُ هِشامٍ: حَصَبُ جَهَنَّمَ: كُلُّ ما أُوقِدَتْ بِهِ. قالَ أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ، واسْمُهُ: خُوَيْلِدُ بنُ خالِدٍ:

فَأَطْفِئْ ولا تُوقِدْ ولا تَكُ مُحصِبًا ... لِنارِ العُداةِ أَنْ تَطِيرَ شَــكاتُها

وَهذا البَيْتُ في أَبْياتٍ لَهُ. ويُرْوى: «وَلا تَكُ مِحْضَأً»، قالَ الشّاعِرُ:

حَضَأْتُ لَهُ نارِي فأَبْصَرَ ضَوْءَها ... وما كانَ لَوْلا حَضْأَةُ النّارِ يَهْتَدِي

فَصْلٌ

وذكرَ حَدِيثَ النَّضْرِ بنِ الحارثِ، وقالَ في نَسَبِهِ: كَلَدةُ بنُ عَلْقَمةَ، وغَيْرُهُ مِنَ النُّسّابِ يَقُولُ: عَلْقَمةُ بنُ كَلَدةَ[1]. وكَذَلِكَ أَلْفَيْتُهُ في حاشِيةِ كِتابِ الشيخ أَبِي بَحْرٍ عَنْ [أَبِي][2] الوَلِيدِ.

وفي حَدِيثِ النَّضْرِ أنه تعلَّم أخبارَ رُستُمَ الشِّيذ وأسبندياذ، وكانَ يَقُولُ: إِنِّي اكْتَتَبْتُها[3] كَما اكتَتبَ[4] مُحَمَّدٌ، [ووَقَعَ في الأصْلِ: اكْتَتَبَها كَما اكْتَتَبَها][5]، وفي الرِّوايةِ الأُخرى عن أبي الوليدِ: إِنِّي أَكْتَتِبُها كَما اكْتَتَبَها[6].

ورُسْتُم الشِّيذ بِالفارِسِيّةِ مَعْناهُ: ذُو الضِّياءِ، والياءُ في الشِّيذِ والألِفُ سَواءٌ.

ومِنْهُ «أرفخشاذ» وقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ[7]، ومِنْهُ «جَمّ شاذ»، وهُوَ مِنْ أَوّلِ مُلُوكِ الأَرْضِ، وهُوَ الّذِي قَتَلَهُ الضَّحّاكُ «بِيوَراسِب»، ثُمّ عاشَ إلى مُدّةِ أفريذونَ، فقتله أفريذونُ بأبيه جَمّ[8]، وبَيْنَ «أفريذون» وبَيْنَ «جَمّ» تِسْعةُ آباءٍ، وقالَ لَهُ حِينَ قَتَلَهُ: ما قَتَلْتُكَ بِجَمّ، وما أَنْتَ لَهُ بِكُفْءٍ، ولَكِنْ قَتَلْتُكَ بِثَوْرٍ كانَ في دارِهِ. وقَدْ تَقَدَّمَ طَرَفٌ مِن أَخبارِ رستُمَ وأسبندياذ[9] في الجُزْءِ قَبْلَ هَذا.

---

(١) انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ٦٧)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٢٦).

(٢) ليست في (هـ)، (د). وانظر: مقدمة المؤلف.

(٣) في (ف): «أكتتبها».

(٤) في (ف): «اكتتبها».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب)، والمثبت من (أ)، (هـ)، وفي (ج)، (ف): «أكتبها كما اكتتبها».

(٦) كذا في (ب)، وفي (أ)، (ج)، (ف): «أكتتبُها كما اكتتبَها».

(٧) انظر: (١: ١٢٣).

(٨) في (أ): «جم شاذ».

(٩) انظر: (٣: ١٦٢).

[مَقالةُ ابنِ الزِّبَعْرى، وما أنْزَلَ اللهُ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ حتّى جَلَسَ، فقالَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ لِعَبْدِ اللهِ بنِ الزِّبَعْرى: واللهِ ما قامَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ لابنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ آنِفًا وما قَعَدَ، وقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أنّا وما نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرى: أما واللهِ لَوْ وجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فسَلُوا مُحَمَّدًا: أكُلُّ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ في جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ المَلائِكَةَ، واليَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، والنَّصارى تَعْبُدُ عِيسى بنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ، فعَجِبَ الوَلِيدُ ومَنْ كانَ مَعَهُ في المَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزِّبَعْرى، ورَأَوْا أنَّهُ قَدِ احْتَجَّ وخاصَمَ، فذُكِرَ ذلك لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِ ابنِ الزِّبَعْرى، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ كُلَّ مَنْ أحَبَّ أنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؛ إنَّهُمْ إنَّما يَعْبُدُونَ الشَّياطِينَ ومَنْ أمَرَتْهُمْ بِعِبادَتِهِ». فأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]، أيْ: عِيسى بنُ مَرْيَمَ، وعُزَيْرٌ، ومَنْ عُبِدُوا مِنَ الأحْبارِ والرُّهْبانِ الَّذينَ مَضَوْا على طاعةِ اللهِ، فاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُهُمْ مِنْ أهْلِ الضَّلالةِ أرْبابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

وَنَزَلَ فيما يَذْكُرُونَ أنَّهُمْ يَعْبُدُونَ المَلائِكَةَ، وأنَّها بَناتُ الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ

وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وَنَزَلَ فيما ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عِيسى بنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وعَجَبِ الوَلِيدِ ومَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وخُصُومَتِهِ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]، أيْ: يَصِدُّونَ عَنْ أَمْرِكَ بِذلك مِنْ قَوْلِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ عِيسى بنَ مَرْيَمَ فقالَ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٥٩-٦١]، أيْ: ما وضَعْتُ على يَدَيْهِ مِنَ الآياتِ مِنْ إحْياءِ المَوْتى، وإبْراءِ الأسْقامِ، فكَفى بِهِ دَلِيلًا على عِلْمِ السّاعةِ، يَقُولُ: ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

وَذَكَرَ حَدِيثَ ابنِ الزِّبَعْرى، وقَوْلَهُ: إنّا نَعْبُدُ المَلائِكَةَ، وإنّ[1] النّصارى تَعْبُدُ المَسِيحَ، إلى آخِرِ كَلامِهِ، وما أُنزلَ في ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾[2] [الأنبياء: ١٠١].

قالَ المُؤَلِّفُ: ولَوْ تَأَمّلَ ابنُ الزِّبَعْرى وغَيْرُهُ مِنْ كُفّارِ قُرَيْشٍ الآيَةَ لَرَأى أن اعْتِراضَهُ غيرَ لازمٍ مِن وجهَينِ:

أَحَدُهُما: أَنّهُ خِطابٌ مُتَوَجِّهٌ على الخُصُوصِ لِقُرَيْشٍ وعَبَدةِ الأصْنامِ، وقَوْلُهُ: «إنّا نَعْبُدُ المَلائِكَةَ» حَيْدةٌ[3]، وإنّما وقَعَ الكَلامُ والمُحاجّةُ في اللّات

(١) في (أ): «والنصارى».
(٢) بعده في (ف): «الآية».
(٣) أي: عُدولٌ ومَيْلٌ عن مجال الحديث.

والعُزَّى وهُبَلَ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنامِهِمْ.

والثّانِي: أنّ لفظَ التِّلاوةِ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولَمْ يَقُلْ: ومَنْ تَعْبُدُونَ، فكَيْفَ يَلْزَمُ اعْتِراضُهُ بِالمَسِيحِ، وعُزَيْرٍ، والمَلائِكةِ وهُمْ يَعْقِلُونَ، والأَصْنامُ لا تَعْقِلُ؟! ومِنْ ثَمّ جاءَتِ الآيَةُ بِلَفْظِ: «ما» الواقِعةِ على ما لا يَعْقِلُ، وإنّما تَقَعُ[1] على ما يَعْقِلُ[2]، ويُعْلَمُ بِقَرِينةٍ[3] مِنَ التَّعْظِيمِ، أو[4] الإِبْهامِ، لَعَلّنا نَشْرَحُها ونُبَيِّنُها فيما بَعْدُ إنْ قُدِّرَ لَنا ذَلِكَ[5].

وسَبَبُ عِبادةِ النَّصارى [المسيحَ][6][7] معروفٌ، وأما عبادةُ اليهودِ عُزَيرًا، وقَوْلُهُمْ فيهِ: إنّهُ ابنُ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى عَنْ قَوْلِهِمْ، فسَبَبُهُ ـ فيما ذَكَرَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ الكَشِّيُّ[8] ـ أنّ التَّوْراةَ لَمّا احْتَرَقَتْ أيّامَ بُخْتِ نَصّرَ، وذَهَبَ بِذَهابِها دِينُ اليَهُودِ، فلَمّا ثابَ[9] إلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ وجَدُوا لِفَقْدِها أَعْظَمَ الكَرْبِ، فبَيْنا عُزَيْرٌ يَبْكِي لِفَقْدِ التَّوْراةِ[10]؛ إذْ مَرَّ بِامْرَأةٍ جاثِمةٍ[11] على قَبْرٍ قَدْ نَشَرَتْ شَعْرَها،

---

(١) ألحقت «ما» بنسخة (د) بعد الفعل «تقع».

(٢) في (ب)، (ف): «على من يعقل».

(٣) بعده في (ف): «الحال».

(٤) في (ف): «و».

(٥) عَرَضَ السهيلي في «النتائج» (ص: ١٨١-١٨٤) لوقوعها على ما يعقل.

(٦) في (ف): «للمسيح».

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٨) قال ياقوت في «المعجم» (٤: ٥٢٥): كَشٌّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل.

(٩) في (أ): «ناب». والمعنى: أنه لما رجع إليهم أمرهم بعد بُخْتنَصَّر.

(١٠) في (أ): «لفقدها».

(١١) في (ب): «على امرأة جالسة».

قالَ لَها عُزَيْرٌ: مَنْ أنْتِ؟ قالَتْ: أنا إيلْياءُ أُمُّ القُرى أبْكِي على ولَدِي، وأنْتَ تَبْكِي على كِتابِك، وقالَتْ لَهُ: إذا كانَ غَدًا، فأْتِ هَذا المَكانَ، فلَمّا أنْ جاءَ مِنَ الغَدِ لِلسّاعةِ[(١)] الّتِي وعَدَتْهُ، إذا هُوَ بِإنْسانٍ خارِجٍ من الأرضِ في يدِهِ كهيئةِ القارُورةِ فيها نُورٌ، وقالَ لَهُ: افْتَحْ فاكَ، فألْقاها في جَوْفِهِ، فكَتَبَ عُزَيْرٌ التَّوْراةَ كَما أنزلها اللهُ، ثم قُدِرَ على التَّوراةِ بعدما كانَتْ[(٢)] دُفِنَتْ، فعُرِضَتِ التَّوْراةُ، وما كانَ عُزَيْرٌ كَتَبَ، فوَجَدُوهُ سَواءً، فمِنْها قالُوا: إنّهُ ولَدُ اللهِ، تَعالى اللهُ عن قولِهِم.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، هُوَ مِنْ بابِ القَبْضِ والنَّقْضِ[(٣)]، والحَصْبُ بِسُكُونِ الصّادِ، كالقَبْضِ والنَّقْضِ، ومِنْهُ الحاصِبُ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧] ويُرْوى: «حَضَبُ جَهَنَّمَ» بِضادٍ مُعْجَمةٍ في شَواذِّ القراءاتِ، وهُوَ مِنْ حَضَبْتُ النّارَ بِمَنْزِلةِ حَضَأْتُها، ويُقالُ: أرَّثْتُها، وأثْقَبْتُها، وحَشَشْتُها، وأذْكَيْتُها.

وفسَّر ابنُ إسحاقَ قَوْلَهُ: «يصُدُّونَ» [الزخرف: ٥٧]، ومَنْ قَرَأَ: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسرِ، فمَعْناهُ: يَعِجُّونَ[(٤)].

---

(١) في غير (ب)، (د): «الساعة». ومعنى «للساعة»؛ أي: في الساعة، فـ«اللام» بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(٢) بعده في (ف): «قد».

(٣) أي: إنّ فَعَل بمعنى المفعول وهي قراءة العامة. فأما الحصْب ـ بسكون الصاد ـ فقراءة رُويس عن ابن السَّمَيفع، وابن أبي عبلة، وابن كثير، وهو مصدر واقع موقِعَ المفعول، أو على المبالغة. وقرأ ابن عباس بالضاد معجَمة ساكِنة ومفتوحة. انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي: (٨: ٢٠٦-٢٠٧).

(٤) في النسخ: «يعجبون». والمثبت عن «اللسان»، و«تاج العروس»، ففيهما: «يَضِجون ويَعِجُّون». ومعنى يعِجُّون: يرفعون أصواتهم ويصيحون، وكذلك يضِجُّون.

[الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ وما أَنْزَلَ الله فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والأَخْنَسُ بنُ شَرِيقِ بنِ عَمْرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ، وكانَ مِنْ أشْرافِ القَوْمِ ومِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ، فكانَ يُصِيبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويَرُدُّ عَلَيْهِ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ زَنِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠-١٣]، ولَمْ يَقُلْ: «زَنِيمٍ» لِعَيْبٍ في نَسَبِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ لا يَعِيبُ أحَدًا بِنَسَبٍ، ولَكِنَّهُ حَقَّقَ بِذلك نَعْتَهُ لِيُعْرَفَ. والزَّنِيمُ: العَدِيدُ لِلْقَوْمِ، وقَدْ قالَ الخَطِيمُ التَّمِيمِيُّ في الجاهِلِيَّةِ:

زَنِيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيادةً ... كَما زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكارِعُ

[الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، وما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ]

والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، قالَ: أَيُنَزَّلُ على مُحَمَّدٍ وأُتْرَكُ وأنا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وسَيِّدُها؟! ويُتْرَكُ أبو مَسْعُودٍ عَمْرُو بنُ عُمَيْرٍ الثَّقَفي سَيِّدُ ثَقِيفٍ، ونَحْنُ عَظِيما القَرْيَتَيْنِ؟! فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ فيما بَلَغَني: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

[أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ وعُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ، وما أَنْزَلَ اللهُ فيهِما]

وَأُبَيُّ بنُ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وعُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ، وكانا مُتَصافيَيْنِ، حَسَنًا ما بَيْنَهُما، فكانَ عُقْبةُ قَدْ جَلَسَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وسَمِعَ

مِنْهُ، فبَلَغَ ذلك أُبَيًّا، فأتى عُقْبةَ، فقالَ لَهُ: أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ جالَسْتَ مُحَمَّدًا وسَمِعْتَ مِنْهُ؟! وجْهِي مِنْ وجْهِكَ حَرامٌ أنْ أُكَلِّمَكَ، واسْتَغْلَظَ مِنَ اليَمِينِ إنْ أنْتَ جَلَسْتَ إلَيْهِ أوْ سَمِعْتَ مِنْهُ، أوْ لَمْ تَأْتِهِ فتَتْفُلَ في وجْهِهِ. ففَعَلَ ذلك عَدُوُّ اللهِ عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللهُ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وَمَشى أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَظْمٍ بالٍ قَدِ ارْفَتَّ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنْتَ تَزْعُمُ أنَّ اللهَ يَبْعَثُ هذا بَعْدَ ما أَرَمَّ، ثُمَّ فتَّهُ في يَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ في الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، أنا أَقُولُ ذلك؛ يَبْعَثُهُ اللهُ وإيّاكَ بَعْدَما تَكُونانِ هَكَذا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللهُ النّارَ». فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠].

فَصْلٌ

وذَكَرَ ما أنزَلَ اللهُ في الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، واسْمُهُ: أُبَيٌّ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، وقَدْ قِيلَ: نَزَلَتْ في الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وقِيلَ: في الأسْوَدِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيِّ(١).

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» في هذه الآية: (٨: ٣٥٩٢).

وقالَ ابنُ عَبّاسٍ: «نَزَلَتْ في رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَنَمَتانِ كَزَنَمَتَي الشّاةِ». رَواهُ البُخارِيّ بِإسْنادِهِ عَنْهُ[١].

وفي رِوايةٍ أُخْرى: أنّهُ قال[٢]: «الزَّنيمُ له زَنْمَتانِ مِن الشرِّ يُعْرَفُ بِها كَما تُعْرَفُ الشّاةُ بِزَنَمَتِها».

ورُوِيَ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ أيْضًا مِثْلُ ما قالَ ابنُ إسحاقَ: أنَّ[٣] الزَّنِيمَ هو المُلْصَقُ بِالقَوْمِ ولَيْسَ مِنْهُمْ، قالَ ذلك لنافعِ بنِ الأزرقِ الحَرُوريِّ[٤]، وقال: أما سَمِعتَ قولَ حَسّانَ[٥]: [من الطويل]

زَنِيمٌ تَداعــاهُ الرِّجالُ زيادةً

... البَيْتَ.

وقَدْ أنْشَدَ ابنُ هِشامٍ هَذا البَيْتَ مُسْتَشْهِدًا بِهِ، ونَسَبَهُ لِلْخَطِيمِ التَّمِيمِيِّ، والأعْرَفُ أنّهُ لِحَسّانَ كَما قالَ ابنُ عَبّاسٍ.

وأمّا العُتُلُّ، فهُوَ: الغَلِيظُ الجافي، مِنْ قَوْلِهِ سبحانه: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾

---

(١) «فتح الباري»، تفسير سورة القلم: (٨: ٦٦٢)، ولفظ البخاري: «له زَنَمة مِثل زَنَمة الشاة».

(٢) ذكر ابن حجر أنَّ أبا نعيم زاد في «مستخرجه» في آخر الحديث المتقدم: «يُعرف بها»، وأنَّ في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: «يُعرف بالشر كما تُعرف الشاة بزَنَمَتها». انظر: «الفتح» (٨: ١٦٢).

(٣) ليس في (أ).

(٤) انظر: «الكامل» للمبرد: (٣: ٢٢٣-٢٢٤).

(٥) بعده في (أ): «بن ثابت». وهو بيت وحيد في «ديوانه» (١: ٤٩١) وعجزه:

كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارعُ

وقد نسبه المبرد في «الكامل» (٣: ١١٤٦) إلى حسان. وانظر: «اللسان» (زنم)، و«معجم المقاييس» لابن فارس: (٣: ٤٩).

[الدخان: ٤٧]، وقالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «أنا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمّاعٍ مَنّاعٍ»(١).

[سَبَبُ نُزُولِ سُورةِ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾]

واعْتَرَضَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وهُوَ يَطُوفُ بِالكَعْبةِ ـ فيما بَلَغَنِي ـ الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، وأُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، والعاصِ بنُ وائِلٍ السَّهْمِيُّ، وكانُوا ذَوِي أَسْنانٍ في قَوْمِهِمْ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فلْنَعْبُدْ ما تَعْبُدُ، وتَعْبُدْ ما نَعْبُدُ، فنَشْتَرِكَ نَحْنُ وأَنْتَ في الأَمْرِ، فإنْ كانَ الَّذي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمّا نَعْبُدُ، كُنّا قَدْ أَخَذْنا بِحَظِّنا مِنْهُ، وإنْ كانَ ما نَعْبُدُ خَيْرًا مِمّا تَعْبُدُ، كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ. فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾، أيْ: إنْ كُنْتُمْ لا تَعْبُدُونَ اللهَ إلّا أنْ أَعْبُدَ ما تَعْبُدُونَ، فلا حاجةَ لِي بِذلك مِنْكُمْ، لَكُمْ دِينُكُمْ جَمِيعًا، ولِي دِينِي.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَهُم الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فيهِ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾... إلى آخِرِها [سورة الكافرون]، فقالَ: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾؛ أيْ: في الحالِ: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾؛ أيْ: في المُسْتَقْبَلِ، وكَذَلِكَ: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾.

فإنْ قِيلَ: كَيْفَ يَقُولُ لَهُمْ: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ وهُمْ قَدْ قالُوا له:

(١) «فتح الباري»، تفسير سورة القلم: (٨: ٦٦٢)، ومسلم، كتاب الجنة: (٤: ٢١٩٠).

هَلُمَّ فلْنَعْبُدْ رَبَّك، وتَعْبُدْ[١] أنتَ رَبَّنا؟ فكَيْفَ نَفى عَنْهُمْ ما أرادُوهُ وعَزَمُوا عَلَيْهِ؟

فالجَوابُ مِنْ وجْهَيْنِ:

أحَدُهما: أنّهُ عَلِمَ أنّهُمْ لا يَفْعَلُونَ، فأخْبَرَ بِما عَلِمَ.

الثّانِي: أنّهُمْ لَوْ عَبَدُوهُ على الوَجْهِ الّذِي قالُوا ما كانَتْ عِبادةً، ولا يُسَمّى: عابِدًا للهِ مَنْ عَبَدَهُ سَنةً، وعَبَدَ غَيْرَهُ أُخْرى.

فإنْ قِيلَ: كَيْفَ قالَ: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾، ولَمْ يَقُلْ: مَنْ أعْبُدُ؟

وقالَ أهْلُ العَرَبِيّةِ: «ما» تَقَعُ على ما لا يَعْقِلُ، فكَيْفَ عُبِّرَ بِها ههنا عَنِ البارِي سبحانه؟

فالجَوابُ: أنّا قَدْ ذَكَرْنا فيما قَبْلُ أنّ «ما» قَدْ تَقَعُ على مَنْ يَعْقِلُ بِقَرِينةٍ، فهَذا أوانُ ذِكْرِها، وتِلْكَ القَرِينةُ: الإبْهامُ، والمُبالَغةُ في التّعْظِيمِ والتّفْخِيمِ، وهو في مَعْنى الإبْهامِ؛ لِأنّ مَنْ جَلّتْ عظَمَتُهُ، حَتّى خَرَجَتْ عَنِ الحَصْرِ، وعَجَزَتِ الأفْهامُ عَنْ كُنْهِ ذاتِهِ، وجَبَ أنْ يُقالَ فيهِ: هُوَ ما هُوَ؟! كَقَوْلِ العَرَبِ: سُبْحانَ ما سَبّحَ الرّعْدُ بِحَمْدِهِ! ومِنْهُ قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٥]، فلَيْسَ كَوْنُهُ عالِمًا مِمّا يُوجِبُ [لَهُ][٢] مِنَ التّعْظِيمِ ما يُوجِبُ لَهُ أنّهُ بَنى السّمواتِ، ودَحا الأرضَ، فكان المعنى: إنَّ شَيْئًا بَناها لَعَظِيمٌ، أوْ ما أعْظَمَهُ مِنْ شَيْءٍ! فلَفْظُ «ما» في هَذا المَوْضِعِ يُؤْذِنُ بِالتّعَجُّبِ مِنْ عَظَمَتِهِ؛ أي: كائنًا ما كانَ هَذا الفاعِلُ لِهَذا فما أعْظَمَهُ!

وكَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه في قِصّةِ آدَم: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾

---

(١) في (ب): «ولتعبد».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

[ص: ٧٥]، ولَمْ يَقُلْ: لِمَنْ خَلَقْت وهُوَ يَعْقِلُ؛ لِأنّ السّجُودَ لَمْ يَجِبْ لَهُ مِنْ حَيْثُ كانَ يَعْقِلُ، ولا مِنْ حَيْثُ كانَ لا يَعْقِلُ، ولَكِنْ مِنْ حَيْثُ أُمِرُوا[1] بِالسُّجُودِ لَهُ، فكائِنًا ما كانَ ذَلِكَ المَخْلُوقُ فقَدْ وجَبَ عَلَيْهِمْ ما أُمِرُوا بِهِ، فمِنْ ههُنا حَسُنَتْ «ما» في هَذا المَوْضِعِ، لا مِنْ جِهةِ التَّعْظِيمِ لَهُ، ولَكِنْ مِنْ جِهةِ ما يَقْتَضِيهِ الأمْرُ مِنَ السُّجُودِ لَهُ كائِنًا ما كانَ[2].

وأمّا قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، فواقِعةٌ على ما لا يَعْقِلُ؛ لِأنّهُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ الأصْنامَ، وقَوْلُهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ اقْتَضاها الإبْهامُ، [وتَعْظِيمُ المَعْبُودِ مَعَ أنّ الحَسَدَ مِنْهُمْ مانِعٌ لَهُمْ[3] أنْ يَعْبُدُوا مَعْبُودَهُ كائِنًا ما كانَ، فحَسُنَتْ «ما»][4] في هَذا المَوْضِعِ لِهَذِهِ الوُجُوهِ، فبِهَذِهِ القَرائِنِ يَحْسُنُ وُقُوعُ «ما» على أُولِي العِلْمِ.

وبَقِيَتْ نُكْتةٌ بَدِيعةٌ يَتَعَيَّنُ[5] التّنْبِيهُ عَلَيْها، وهُوَ[6] قَوْلُهُ: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ بِلَفْظِ الماضِي، ثُمّ قالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ بِلَفْظِ المستقبَلِ المُضارِعِ في الآيَتَيْنِ جَمِيعًا، إذا أخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، قالَ: ما أعْبُدُ، ولَمْ يَقُلْ: ما عَبَدْتُ، والنُّكْتةُ في ذَلِكَ أنّ «ما» لِما فيها مِنَ الإبْهامِ - وإنْ كانَتْ خَبَرِيّةً - تُعطِي معنى الشَّرطِ، فكأنه قالَ: مَهْما عَبَدْتُمْ شَيْئًا، فإنِّي لا أعْبُدُهُ، والشَّرْطُ يُحَوِّلُ المُسْتَقْبَلَ إلى لَفْظِ الماضِي، تَقُولُ: إذا قامَ زَيْدٌ غَدًا فعَلْتُ كَذا وكذا، وإنْ خَرَجَ

---

(١) في (ف): «أمر».

(٢) كذا في (ج)، (د). وفي غيرهما: «من كان».

(٣) بعده في (ف): «من».

(٤) ليس في (أ).

(٥) في (ف): «ويتعين».

(٦) في (ف): «وهي».

زَيْدٌ غَدًا خَرَجْتُ، فـ«ما» فيها رائِحةُ الشَّرْطِ مِنْ أَجْلِ إبْهامِها؛ فلِذَلِكَ جاءَ الفِعْلُ بَعْدَها بِلَفْظِ الماضِي، ولا يَدْخُلُ الشَّرْطُ على فِعْلِ الحالِ؛ ولِذَلِكَ قالَ في أوّلِ السّورةِ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ لِأَنّهُ حالٌ؛ لِأَنّ رائِحةَ الشَّرْطِ مَعْدُومةٌ فيها [مَعَ الحالِ، وكَذَلِكَ[1] رائِحةُ الشَّرْطِ مَعْدُومةٌ][2] في قَوْلِهِ: ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾؛ لِأَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ يَسْتَحِيلُ[3] أنْ يَتَحوّلَ عَنْ عِبادةِ رَبِّهِ؛ لِأنّهُ مَعْصُومٌ، فلَمْ يَسْتَقِمْ تَقْدِيرُهُ بـ«مَهْما» كَما اسْتَقامَ ذَلِكَ في حَقِّهِمْ؛ لِأَنّهُمْ في قَبْضةِ الشَّيْطانِ يَقُودُهُمْ بِأهْوائِهِمْ؛ فجائِزٌ أنْ يَعْبُدُوا اليَوْمَ شَيْئًا، ويَعْبُدُوا غَدًا غَيْرَهُ، ولَكِنْ مَهْما عَبَدُوا شَيْئًا، فالرّسُولُ ﷺ لا يَعْبُدُهُ؛ فلِذَلِكَ قالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، في الحالِ، وفي المَآلِ، لِما عَلِمَ مِنْ عِصْمةِ اللهِ لَهُ، ولِما عَلِمَ اللهُ مِنْ ثَباتِهِ على تَوْحِيدِهِ، فلا مَدْخَلَ لِمَعْنى الشَّرْطِ في حَقِّهِ عَلَيْهِ السّلامُ، وإذا لَمْ يَدْخُلِ الشّرْطُ في الكَلامِ بَقِيَ الفِعْلُ المُسْتَقْبَلُ على لَفْظِهِ كَما تَراهُ.

ونَظِيرُ هَذِهِ المَسْألةِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩]، اضْطَرَبُوا في إعْرابِها وتَقْدِيرِها لَمّا كانَتْ «مَنْ» بِمَعْنى الّذِي، وجاءَ بـ«كانَ» على لَفْظِ المُضيِّ[4]، وفَهِمَها الزّجّاجُ[5]، فأشارَ إلى أنَّ «مَنْ» فيها طَرَفٌ مِنْ مَعْنى الشّرْطِ؛ ولِذَلِكَ جاءَتْ «كانَ» بلفظِ المُضيِّ بَعْدَهُ، فصارَ مَعْنى الكَلامِ: مَنْ يَكُنْ صَبِيًّا، فكَيْفَ يُكَلَّمُ؟! لَمّا أشارَتْ إلى الطِّفل: أنْ كَلِّمُوهُ، ولَوْ قالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ [هُوَ في المَهْدِ الآنَ، لَكانَ الإنْكارُ والتّعَجُّبُ مَخْصُوصًا

---

(١) في (أ): «فكذلك».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) بعده في (ف): «عليه».

(٤) في (ف): «الماضي».

(٥) «المعاني» (٣: ٣٢٨).

بِهِ، فلَمّا قالُوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ ﴾][1]، صارَ الكَلامُ أبْلَغَ في الاِحْتِجاجِ لِلْعُمُومِ الدّاخِلِ فيهِ.

إلى هَذا الغَرَضِ أشارَ أبُو إسْحاقَ، وهُوَ الّذِي أرادَ، وإنْ لَمْ يَكُنْ [هَذا][2] لَفْظَهُ، فلَيْسَ المَقْصُودُ العِباراتِ، وإنّما المَقْصُودُ تَصْحِيحُ المَعانِي المُتَلَقّاةِ مِنَ الألْفاظِ[3] والإشاراتِ.

❋ ❋ ❋

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) ليس في (أ).

(٣) في (ف): «للألفاظ».

[أبو جَهْلٍ وما أنْزَلَ اللهُ فيهِ]

وَأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ لَمّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ شَجَرةَ الزَّقُّومِ تَخْوِيفًا بِها لَهُمْ، قالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ تَدْرُونَ ما شَجَرةُ الزَّقُّومِ الَّتِي يُخَوِّفُكُمْ بِها مُحَمَّدٌ؟ قالُوا: لا، قالَ: عَجْوةُ يَثْرِبَ بِالزُّبْدِ، واللهِ لَئِنِ اسْتَمْكَنّا مِنْها لَنَتَزَقَّمَنَّها تَزَقُّمًا، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ * كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، أيْ: لَيْسَ كَما يَقُولُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: المُهْلُ: كُلُّ شَيْءٍ أذَبْتَهُ مِنْ نُحاسٍ، أوْ رَصاصٍ، أوْ ما أشْبَهَ ذلك، فيما أخْبَرَنِي أبو عُبَيْدةَ.

[كَيْفَ فسَّرَ ابنُ مَسْعُودٍ «المُهْلَ»]

وَبَلَغَنا عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، أنَّهُ قالَ: كانَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ والِيًا لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ على بَيْتِ مالِ الكُوفةِ، وأنَّهُ أمَرَ يَوْمًا بِفِضّةٍ فأُذِيبَتْ، فجَعَلَتْ تَلَوَّنُ ألْوانًا، فقالَ: هَلْ بِالبابِ مِنْ أحَدٍ؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: فأدْخِلُوهُمْ، فأُدْخِلُوا، فقالَ: إنَّ أدْنى ما أنْتُمْ راؤُونَ شَبَهًا بِالمُهْلِ لَهذا. وقالَ الشّاعِرُ:

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ المُهْلِ يَجْرَعُهُ   يَشْوِي الوُجُوهَ فهُوَ في بَطْنِهِ صهرُ

وَيُقالُ: إنَّ المُهْلَ صَدِيدُ الجَسَدِ.

[اسْتِشْهادٌ في تَفْسِيرِ «المُهْلِ» بِكَلامٍ لِأبي بَكْرٍ]

بَلَغَنا أنَّ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ الله عَنْهُ لَمّا حُضِرَ أمَرَ بِثَوْبَيْنِ لَبِيسَيْنِ

يُغْسَلانِ فيكَفَّنُ فيهِما، فقالَتْ لَهُ عائِشَةُ: قَدْ أغْناكَ اللهُ يا أبَتِ عَنْهُما، فاشْتَرِ كَفَنًا، فقالَ: إنَّما هِيَ ساعةٌ حَتّى يَصِيرَ إلى المُهْلِ. قالَ الشّاعِرُ:

شابَ بِالماءِ مِنْهُ مُهْلًا كَرِيهًا ثُمَّ عَلَّ المُتُــونَ بَعْدَ النِّهالِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ أبِي جَهْلٍ حِينَ ذِكْرِ شَجَرةِ الزَّقّوم فقال[1]: إنّ هَذِهِ الكَلِمةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ لُغةِ قُرَيْشٍ، وإنَّ رَجُلًا أخْبَرَهُ أنّ أهْلَ يَثْرِبَ يَقُولُونَ: تَزَقَّمْتُ: إذا أكَلْتَ التّمْرَ بِالزُّبْدِ، فجَعَلَ بِجَهْلِهِ اسْمَ الزَّقُّوم مِن ذلك استهزاءً! وقيل: إنَّ لهذا الِاسْمِ أصْلًا في لُغةِ اليَمَنِ، وإنّ الزَّقُّومَ عِنْدَهُمْ كُلُّ ما يُتَقَيّأُ مِنْهُ.

وَذَكَرَ أبُو حَنِيفةَ في «النّباتِ»[2]: أنَّ شَجَرةً بِاليَمَنِ يُقالُ لَها: الزَّقُّومُ، لا ورَقَ لَها، وفُرُوعُها أشْبَهُ شيءٍ برؤوسِ الحَيّاتِ، فَهِيَ كَرِيهةُ المَنْظَرِ.

وفي «تَفْسِيرِ ابنِ سلّام»[3] والماوَرْدِيِّ[4]: أنّ شَجَرةَ الزَّقّومِ في البابِ

(١) في (ب)، (د)، (ف): «يقال».

(٢) انظر: «تاج العروس» (زَقم)، ففيه نقل عن «النبات».

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن سلام بن ثعلب، بصري، نزل المغرب، كان ثقةً ثبتًا. متقدِّم، روى عن الحسن البصري وغيره. قال الداودي عنه: كتابه في تفسير القرآن ليس لأحد من المتقدمين مِثله. عاش بين سنتي (١٢٤-٢٠٠هـ). انظر: «طبقات المفسرين» للداودي: (٥: ٣٧١).

(٤) أبو الحسن علي بن محمد، بصري، أحد الأئمة، كان ثقة، من تصانيفه: تفسير القرآن، سماه: «النكت». عاش بين سنتي (٣٦٤-٤٥٠هـ). انظر: «طبقات الداودي» (١: ٤٢٣-٤٢٥).

السّادِسِ مِنْ جَهَنَّمَ، وأنّ أَهْلَ النّارِ يَنْحَدِرُونَ إلَيْها.

قالَ ابنُ سَلّامٍ: وهِيَ تَحْيا بِاللَّهَبِ[1] كَما يحيا شَجَرُ الدُّنْيا بِالمَطَرِ.

وقوله: ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، أيِ: المَلْعُونُ أَكْلُها، وقِيلَ: بَلْ هُوَ وصْفٌ لَها كَما يُقالُ: يَوْمٌ مَلْعُونٌ؛ أيْ: مَشْؤومٌ.

[ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، ونُزُولُ سُورةِ «عَبَسَ»]

وَوَقَفَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُهُ وقَدْ طَمِعَ في إسْلامِهِ، فبَيْنا هُوَ في ذلك؛ إذْ مَرَّ بِهِ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأعْمى، فكَلَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وجَعَلَ يَسْتَقْرِئُهُ القُرْآنَ، فشَقَّ ذلك مِنْهُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى أضْجَرَهُ، وذلك أنَّهُ شَغَلَهُ عَمّا كانَ فيهِ مِنْ أمْرِ الوَلِيدِ وما طَمِعَ فيهِ مِنْ إسْلامِهِ، فلَمّا أكْثَرَ عَلَيْهِ انْصَرَفَ عَنْهُ عابِسًا وتَرَكَهُ، فأنْزَلَ اللهُ تعالى فيهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۞ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١-١٤]، أيْ: إنَّما بَعَثْتُكَ بَشِيرًا ونَذِيرًا، لَمْ أَخُصَّ بِكَ أحَدًا دُونَ أحَدٍ، فلا تَمْنَعْهُ مِمَّنِ ابْتَغاهُ، ولا تَتَصَدَّيَنَّ بِهِ لِمَنْ لا يُرِيدُهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ أَحَدُ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، واسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ، ويُقالُ: عَمْرٌو.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وذَكَرَ اسْمَهُ ونَسَبَهُ، وأُمُّ مَكْتُومٍ اسْمُها: عاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَنْكَثَةَ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ[2].

---

(١) في (ف): «باللهيب».

(٢) انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٣٤٣)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ١٧١).

وَذَكَرَ الرَّجُلَ الَّذِي كانَ شَغَلَ[1] رَسُولَ اللهِ ﷺ، وأنه الوليدُ بنُ المُغِيرةِ، وقَدْ قِيلَ: كانَ أُمَيّةَ بنَ خَلَفٍ. وفي حديثِ «الموطَّأ»: عظيمٌ مِن عُظَماءِ المُشْرِكِينَ[2]، ولَمْ يُسَمِّهِ.

[سمعتُ القاضي أبا بكرٍ رحمه اللهُ يقولُ: أما قول علمائنا: إنه الوليدُ بنُ المُغيرةِ. وقال آخرون: إنه أُميّةُ بنُ خَلَفٍ والعباسُ، كلُّه باطلٌ، وجهلٌ من المفسِّرين؛ وذلك أن أُميّةَ والوليدَ كانا بمكّةَ، وابنَ أمِّ مكتومٍ كان بالمدينةِ، ما حضرَ معَهما ولا حضرا معه، وكان موتُهما كافرَيْنِ، أحدُهما قبلَ الهِجرةِ، والآخَرُ في بَدرٍ، ولم يَقصدْ قطّ أُميّةُ المدينةَ، ولا حضرَ عندَهُ مُفرَدًا، ولا مع أحدٍ][3].

وفي قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس: ٢]، مِنَ الفِقْهِ أنه[4] لا غِيبةَ في ذِكْرِ الإنْسانِ بما ظَهَرَ في خِلْقَتِهِ مِنْ عَمًى، أوْ عَرَجٍ، إلّا أنْ يَقْصِدَ بِهِ الِازْدِراءَ، فيَلْحَقَ المَأْثَمُ بهِ؛ لِأَنّهُ مِنْ أفْعالِ الجاهِلِينَ، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

وفي ذِكْرِهِ إيّاهُ بالعَمى مِنَ الحِكْمةِ والإشارةِ اللّطِيفةِ التّنْبِيهُ على مَوْضِعِ العَتْبِ؛ لِأنّهُ قالَ: ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ فذَكَرَ المَجِيءَ مَعَ العَمى، وذَلِكَ يُنبئُ عَنْ تَجَشُّمِ كُلْفةٍ، ومَنْ تَجَشَّمَ القَصْدَ إلَيْك على ضَعْفٍ، فحَقُّك الإقْبالُ عَلَيْهِ، لا الإعْراضُ عَنْهُ.

---

(١) (هـ): «يشغل».

(٢) لفظ «الموطأ» كما في كتاب «القرآن» (١: ٢٠٣): «رجل من عظماء المشركين».

(٣) ليس في (ج)، وثبت في حاشية (د).

(٤) في (أ): «إذ»، وفي (ب): «أن».

وفائدةٌ أخرى: وهي[١] تعليقُ الحُكمِ بهذه الصِّفةِ، متى وُجِدَتْ وَجَبَ تَركُ الإعراضِ، فإذا[٢] كانَ النّبيُّ ﷺ مَعْتُوبًا على تَوَلِّيهِ عَنِ الأعْمى، فغَيْرُهُ أحَقُّ بِالعَتْبِ.

هذا مَعَ أنّهُ لَمْ يَكُنْ آمَنَ بَعْدُ، ألا تَرى قولَه سبحانه: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ الآية [عبس: ٣]، ولَوْ كانَ قَدْ صَحَّ إيمانُهُ، وعُلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ لَمْ يُعْرِضْ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولَوْ أعرَضَ لَكانَ العَتْبُ أشَدَّ، والله أعْلَمُ.

وكَذَلِكَ[٣] لَمْ يَكُنْ لِيُخبرَ عَنْهُ ويُسَمِّيَهُ بالِاسْمِ المُشْتَقِّ مِنَ العَمى، دُونَ الِاسْمِ المُشْتَقِّ مِنَ الإيمانِ والإسْلام لَوْ[٤] كانَ قد دَخَلَ في الإيمانِ قَبْلَ ذَلِكَ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ وإنّما دَخَلَ فيهِ بَعْدَ نُزُولِ الآيةِ.

ويَدُلُّ على ذَلِكَ قَوْلُهُ لِلنبيِّ ﷺ: اسْتَدْنِنِي يا مُحَمّدُ. ولَمْ يَقُلْ: اسْتَدْنِني يا رَسُولَ الله. مَعَ أنّ ظاهِرَ الكَلام يَدُلُّ على أنّ الهاءَ في: ﴿ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ عائِدةٌ على الأعْمى، لا على الكافِرِ، لِأَنّهُ لَمْ يَتَقَدّمْ لَهُ ذِكْرٌ بَعْدُ، «ولَعَلّ» مِن قوله: ﴿ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ تُعْطِي التَّرَجِّيَ والِانْتِظارَ، ولَوْ كانَ إيمانُهُ قَدْ تَقَدَّم قبلَ هذا لَخَرجَ عن حدِّ الترجِّي والانتظارِ للتَّزكِّي، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) في (ف): «وهو».

(٢) في (أ): «فإن».

(٣) في (ف): «ولذلك».

(٤) في (ف): «ولو».

ذِكْرُ مَنْ عادَ مِنْ أَرْضِ الحَبَشةِ لَمّا بَلَغَهُمْ إسْلامُ أَهْلِ مَكّةَ

[سَبَبُ رُجُوعِ مُهاجِرةِ الحَبَشةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَلَغَ أَصْحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذينَ خَرَجُوا إلى أَرْضِ الحَبَشةِ إسْلامُ أَهْلِ مَكّةَ، فأَقْبَلُوا لِما بَلَغَهُمْ مِنْ ذلك، حَتّى إذا دَنَوْا مِنْ مَكّةَ، بَلَغَهُمْ أَنَّ ما كانُوا تَحَدَّثُوا بِهِ مِنْ إسْلامِ أَهْلِ مَكّةَ كانَ باطِلًا، فلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلّا بِجِوارٍ أَوْ مُسْتَخْفِيًا.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وحُلَفائِهِمْ]

فَكانَ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مَكّةَ مِنْهُمْ، فأقامَ بِها حَتّى هاجَرَ إلى المَدِينةِ، فشَهِدَ مَعَهُ بَدْرًا وَأُحُدًا، ومَنْ حُبِسَ عَنْهُ حَتّى فاتَهُ بَدْرٌ وغَيْرُهُ، ومَنْ ماتَ بِمَكّةَ مِنْهُم مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ: عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بنِ أَبي العاصِ ابنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقَيّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفةَ ابنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَامْرَأَتُهُ سَهْلةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ، حَلِيفٌ لَهُمْ، مِنْ قَيْسِ ابنِ عَيْلانَ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، وسُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حَرْمَلَةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ما بَلَغَ أَهْلَ الحَبَشةِ مِنْ إسْلامِ أَهْلِ مَكّةَ، وكانَ باطِلًا، وسَبَبُهُ: أنّ النبيَّ[1] ﷺ قَرَأَ سُورةَ النّجْمِ، فألْقى الشّيْطانُ في أُمْنِيَّتِه؛ أيْ: في تِلاوَتِهِ عندَ ذِكرِ اللّاتِ والعُزّى: «وإنّهم لهُمُ الغَرانِقةُ[2] العُلى، وإنَّ شَفاعَتَهُمْ لَتُرْتَجى». فطارَ ذَلِكَ بِمَكّةَ، فَسُرَّ المُشْرِكُونَ، وقالُوا: لقَدْ ذَكَرَ آلِهَتَنا بِخَيْرٍ. فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في آخِرِها، وسَجَدَ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ، ثُمّ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ الآيةَ [الحج: ٥٢]، فمن ههنا اتّصَلَ بِهِمْ في أَرْضِ الحَبَشةِ أنّ قُرَيْشًا قَدْ أَسْلَمُوا. ذَكَرَهُ مُوسى بنُ عُقْبةَ، وابنُ إسْحاقَ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ البَكّائِيِّ.

---

(١) في (ف): «رسول الله».

(٢) الغرانقة: جمع غُرنوق: وهو طائر مائي أبيض، طويل الساق، جميل المنظر، له قُنزعة ذهبية اللون، وكانوا يزعمون ـ كما يقول ابن الأنباري ـ أنَّ الأصنام تُقرِّبهم من الله عز وجل، وتشفع لهم إليه، تشبهةً بالطيور تعلو وترتفع إلى السماء.

وأهْلُ الأُصُولِ يَدْفَعُونَ هَذا الحَدِيثَ بِالحُجّةِ، ومَنْ صَحَّحَهُ قالَ فيهِ أقْوالًا، مِنْها: أنّ الشّيْطانَ قالَ ذَلِكَ وأشاعَهُ، والرّسُولُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ. وهَذا جَيِّدٌ لَوْلا أنّ في حَدِيثِهِمْ أنّ جِبْرِيلَ قالَ لِمُحَمّدٍ: ما أتَيْتُك بِهَذا.

ومِنْها: أنّ النّبِيّ ﷺ [قالَها][1] مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وعَنى بِها المَلائِكَةَ: إنّ شَفاعَتَهُمْ تُرْتَجى.

ومِنْها: أنّ النّبِيّ ﷺ قالَها حاكِيًا عَنِ الكَفَرةِ، وأنّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ، فقالها مُتعجِّبًا من كفرِهِم.

والحَدِيثُ على ما خَيّلْتَ[2] غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِصِحّتِهِ، والله أعلم[3].

* * *

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) (ب): «خيلت عليه غير».

(٣) للقاضي عياض تعليق على شكل هذا الحديث. انظره في كتابه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢: ٧٥٠-٧٦٣). كما ينظر: «تفسير الحافظ ابن كثير» بتحقيقي: (٥: ٢٤٠٤-٢٤٠٥).

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ: طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ عَبْدٍ.

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، والمِقْدادُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ، وعَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: أبو سَلَمةَ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ مَخْزُومٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ سَلَمةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، وشَمّاسُ بنُ عُثْمانَ بنِ الشَّرِيدِ بنِ سُوَيْدِ بنِ هَرْمِيِّ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ، وسَلَمةُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، حَبَسَهُ عَمُّهُ بِمَكّةَ، فلَمْ يَقْدَمْ إلّا بَعْدَ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخَنْدَقِ، وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ بنِ المُغِيرةِ، هاجَرَ مَعَهُ إلى المَدِينةِ، ولَحِقَ بِهِ أخَواهُ لِأُمِّهِ: أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، والحارِثُ بنُ هِشامٍ، فرَجَعا بِهِ إلى مَكّةَ فحَبَساهُ بِها حَتّى مَضى بَدْرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ: عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، يُشَكُّ فيهِ: أكانَ خَرَجَ إلى الحَبَشةِ أمْ لا؟

وَمُعَتِّبُ بنُ عَوْفِ بنِ عامِرٍ مِنْ خُزاعةَ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ

حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وابنُهُ السّائِبُ بنُ عُثْمانَ، وقُدامةُ بنُ مَظْعُونٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ مَظْعُونٍ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: خُنَيْسُ بنُ حُذافةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، وهِشامُ بنُ العاصِ بنِ وائِلٍ، حُبِسَ بِمَكّةَ بَعْدَ هِجْرةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ حَتّى قَدِمَ بَعْدَ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخَنْدَقِ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: عامِرُ بنُ رَبِيعةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ، مَعَه امْرَأتُهُ لَيْلى بِنْتُ أبِي حَثْمةَ بنِ حُذافةَ بنِ غانِمٍ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي عامِرٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: عَبْدُ اللهِ بنُ مَخْرَمةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبِي قَيْسٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وكانَ حُبِسَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ هاجَرَ إلى المَدِينةِ حَتّى كانَ يَوْمُ بَدْرٍ، فانْحازَ مِنَ المُشْرِكِينَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فشَهِدَ مَعَهُ بَدْرًا، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبِي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى، مَعَهُ امْرَأتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، والسَّكْرانُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ سَوْدةُ بِنْتُ زَمْعةَ بنِ قَيْسٍ، ماتَ بِمَكّةَ قَبْلَ هِجْرةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ، فخَلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على امْرَأتِهِ سَوْدةَ بِنْتِ زَمْعةَ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ: سَعْدُ بنُ خَوْلةَ.

[مَنْ عادَ مِنْ بَنِي الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ، وهُوَ عامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ابنِ الجَرّاحِ، وعَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادٍ، وسُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ، وهُوَ سُهَيْلُ بنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالٍ، وعَمْرُو بنُ أبي سَرْحِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالٍ.

[عَدَدُ العائِدِينَ مِنَ الحَبَشةِ، ومَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ في جِوارٍ]

فَجَمِيعُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مَكّةَ مِنْ أصْحابِهِ مِنْ أرْضِ الحَبَشةِ ثَلاثةٌ وثَلاثُونَ رَجُلًا.

فَكانَ مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ بِجِوارٍ فيمَنْ سُمِّيَ لَنا: عُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبٍ الجُمَحِيُّ، دَخَلَ بِجِوارٍ مِنَ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وأبو سَلَمةَ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، دَخَلَ بِجِوارٍ مِنْ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكانَ خالَهُ. وأُمُّ أبي سَلَمةَ: بَرّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وَسَمّى الّذِينَ قَدِمُوا مِنْهُمْ مِنْ أجْلِ هذا الخبرِ، وذَكَر فيهم طُلَيبًا، وقال في نَسَبِهِ: ابنُ أبي كَبِيرِ بنِ عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ، وزِيادةُ «أبي كَبِيرٍ» في هَذا الموضعِ لا يُوافَقُ[1] عليه، وكَذلِكَ وجَدْتُ في حاشِيةِ الشَّيْخِ التّنْبِيهَ على هَذا.

وذَكَرَهُ أبُو عُمَرَ[2]، فنَسَبَهُ كَما نَسَبه ابنُ إسحاقَ [بزِيادةِ: «أبي كَبِير»، وكانَ بَدْرِيًّا في إحْدى الرِّوايتَينِ عن ابنِ إسحاقَ][3]، وكَذلِكَ قالَ الواقِدِيُّ[4]، وابنُ عُقْبَةَ، وماتَ بِأجْنادِينَ شَهِيدًا، ولا عَقِبَ لَهُ.

---

(١) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ١٢٨).

(٢) «الاستيعاب» (٢: ٧٧٢)، لكنه قال: «ابن أبي كثير» (بالتاء المثلثة).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) انظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٢٤، ١٥٤).

قِصّةُ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ في رَدِّ جِوارِ الوَلِيدِ

[تَألُّمُهُ لِما يُصِيبُ إخْوانَهُ في اللهِ، وما حَدَثَ لَهُ في مَجْلِسِ لَبِيدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأمّا عُثْمانُ بنُ مَظْعُونٍ، فإنَّ صالِحَ بنَ إبْراهِيمَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ حَدَّثَنِي عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ عُثْمانَ، قالَ: لَمّا رَأى عُثْمانُ ابنُ مَظْعُونٍ ما فيهِ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ البَلاءِ، وهُوَ يَغْدُو ويَرُوحُ في أمانٍ مِنَ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، قالَ: واللهِ إنَّ غُدُوِّي ورَواحِي آمِنًا بِجِوارِ رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ، وأصْحابِي وأهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ البَلاءِ والأذى في اللهِ ما لا يُصِيبُنِي، لَنَقْصٌ كَبِيرٌ في نَفْسِي. فمَشى إلى الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، فقالَ لَهُ: يا أبا عَبْدِ شَمْسٍ، وفَتْ ذِمَّتُكَ، قَدْ رَدَدْتُ إلَيْكَ جِوارَكَ، فقالَ لَهُ: لِمَ يا ابنَ أخِي؟ لَعَلَّهُ آذاكَ أحَدٌ مِنْ قَوْمِي، قالَ: لا، ولَكِنِّي أرْضى بِجِوارِ اللهِ، ولا أُرِيدُ أنْ أسْتَجِيرَ بِغَيْرِهِ، قالَ: فانْطَلِقْ إلى المَسْجِدِ، فارْدُدْ عَلَيَّ جِوارِي عَلانِيةً كَما أجَرْتُكَ عَلانِيةً. قالَ: فانْطَلَقا فخَرَجا حَتّى أتَيا المَسْجِدَ، فقالَ الوَلِيدُ: هذا عُثْمانُ قَدْ جاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جِوارِي. قالَ: صَدَقَ، قَدْ وجَدْتُهُ وَفِيًّا كَرِيمَ الجِوارِ، ولَكِنِّي قَدْ أحْبَبْتُ ألا أسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللهِ، فقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ جِوارَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمانُ ولَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ في مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ، فجَلَسَ مَعَهُمْ عُثْمانُ، فقالَ لَبِيدٌ:

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ

قالَ عُثْمانُ: صَدَقْتَ. قالَ لَبِيدٌ:

وَكُلُّ نَعِيــمٍ لا مَحالــةَ زائِلُ

قالَ عُثْمانُ: كَذَبْتَ؛ نَعِيمُ الجَنّةِ لا يَزُولُ. قالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، واللهِ ما كانَ يُؤْذى جَلِيسُكُمْ، فمَتى حَدَثَ هذا فيكُمْ؟ فقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إنَّ هذا سَفيهٌ في سُفَهاءَ مَعَهُ، قَدْ فارَقُوا دِينَنا، فلا تَجِدَنَّ في نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ، فرَدَّ عَلَيْهِ عُثْمانُ حَتّى شَرِيَ أَمْرُهُما، فقامَ إلَيْهِ ذلك الرَّجُلُ فلَطَمَ عَيْنَهُ فخَضَّرَها، والوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ قَرِيبٌ يَرى ما بَلَغَ مِنْ عُثْمانَ، فقالَ: أما واللهِ يا ابنَ أخِي إنْ كانَتْ عَيْنُكَ عَمّا أصابَها لَغَنِيّةً، لَقَدْ كُنْتَ في ذِمّةٍ مَنِيعةٍ. قالَ: يَقُولُ عُثْمانُ: بَلْ واللهِ إنَّ عَيْنِي الصَّحِيحةَ لَفَقِيرةٌ إلى مِثْلِ ما أصابَ أُخْتَها في اللهِ، وإنِّي لَفي جِوارِ مَنْ هُوَ أعَزُّ مِنْكَ وأَقْدَرُ يا أبا عَبْدِ شَمْسٍ، فقالَ لَهُ الوَلِيدُ: هَلُمَّ يا ابنَ أخِي، إنْ شِئْتَ فعُدْ إلى جِوارِكَ، فقالَ: لا.

قِصّةُ أبي سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في جِوارِهِ

[ضَجَرُ المُشْرِكِينَ بِأبي طالِبٍ لِإجارَتِهِ، ودِفاعُ أبي لَهَبٍ، وشِعْرُ أبي طالِبٍ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأمّا أبو سَلَمةَ بنُ عَبْدِ الأسَدِ، فحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ ابنُ يَسارٍ، عَنْ سَلَمةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ أبي سَلَمةَ، أنَّهُ حَدَّثَهُ: أنَّ أبا سَلَمةَ لَمّا اسْتَجارَ بِأبي طالِبٍ، مَشى إلَيْهِ رِجالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فقالُوا لَهُ: يا أبا طالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ مِنّا ابنَ أخِيكَ مُحَمَّدًا، فما لَكَ ولِصاحِبِنا تَمْنَعُهُ مِنّا؟ قالَ: إنَّهُ اسْتَجارَ بِي، وهُوَ ابنُ أُخْتِي، وإنْ أنا لَمْ أمْنَعِ ابنَ أُخْتِي لَمْ أمْنَعِ ابنَ

أخِي، فقامَ أبو لَهَبٍ فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، واللهِ لَقَدْ أكْثَرْتُمْ على هذا الشَّيْخِ، ما تَزالُونَ تَوَثَّبُونَ عَلَيْهِ في جِوارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، واللهِ لَتَنْتَهُنَّ عَنْهُ أوْ لَنَقُومَنَّ مَعَهُ في كُلِّ ما قامَ فيهِ، حَتّى يَبْلُغَ ما أرادَ. قالَ: فقالُوا: بَلْ نَنْصَرِفُ عَمّا تَكْرَهُ يا أبا عُتْبَةَ، وكانَ لَهُمْ وَلِيًّا وناصِرًا على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأبْقَوْا على ذلك، فطَمِعَ فيهِ أبو طالِبٍ حَيْنَ سَمِعَهُ يَقُولُ ما يَقُولُ، ورَجا أنْ يَقُومَ مَعَهُ في شَأْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ أبو طالِبٍ يُحَرِّضُ أبا لَهَبٍ على نُصْرَتِهِ ونُصْرةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

وَإنَّ امْرَأً أبو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ ... لَفي رَوْضَةٍ ما إنْ يُسام المَظالِما
أقُولُ لَهُ، وأيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي: ... أبا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَكَ قائِمًا
وَلا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ ما عِشْت خُطَّةً ... تُسَبُّ بِها إمّا هَبَطْتَ المَواسِما
وَوَلِّ سَبِيلَ العَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... فإنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ على العَجْزِ لازِما
وَحارِبْ فإنَّ الحَرْبَ نِصْفٌ ولَنْ ترى ... أخا الحَرْبِ يُعْطى الخَسْفَ حَتّى يُسالِمَا
وَكَيْفَ ولَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمةً ... ولَمْ يَخْذُلُوكَ غانِمًا أوْ مُغارِما
جَزى اللهُ عَنّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... وتَيْمًا ومَخْزُومًا عُقُوقًا ومَأْثَما
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ ... جَماعَتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِما
كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللهَ نُبْزى مُحَمَّدًا ... ولَمّا تَرَوْا يَوْمًا لَدى الشِّعْبِ قائِما

قالَ ابنُ هِشامٍ: نُبْزى: نُسْلَبُ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَقِيَ مِنْها بَيْتٌ تَرَكْناهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ لَبِيدٍ: [من الطويل]

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ

وقِصّةَ ابنِ مَظْعُونٍ إلى آخِرِها، ولَيْسَ فيها ما يُشْكِلُ غَيْرُ سُؤالٍ واحِدٍ، وهُوَ قَوْلُ رسولِ اللهِ ﷺ: «أصدقُ كَلِمةٍ قالَها الشّاعِرُ[1]، قَوْلُ لَبيدٍ: [من الطويل]

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ».

فَصَدَّقَهُ في هَذا القَوْلِ وهُوَ يَقُولُ عَلَيْهِ السّلامُ في مُناجاتِهِ: «أنْتَ الحَقُّ، وقَوْلُك الحَقُّ، ووَعْدُك الحَقُّ، والجَنّةُ حَقٌّ، والنّارُ حَقٌّ، [ولِقاؤُك حَقٌّ][2]»، فكَيْفَ يَجْتَمِعُ هَذا مَعَ قَوْلِهِ: [من الطويل]

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ؟

فالجَوابُ مِنْ وجْهَيْنِ، أحَدُهُما: أنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: ما خَلا اللهَ؛ أي: ما عَداهُ وعَدا رَحْمَتَهُ الّتِي وعَدَ بها، فإنَّ وعْدَهُ حقٌّ، وما عدا عقابَهُ الذي توعَّد به، والباطلُ ما سِواه، والجنّةُ ما وعدَ به من رحمتِه، والنّارُ ما تَوَعَّدَ[3] بِهِ مَنْ عِقابِهِ، [وما سِوى هَذا فباطِلٌ؛ أيْ: مُضْمَحِلٌّ][4].

والجَوابُ الثّانِي: أنّ الجَنّةَ والنّارَ وإنْ كانَتا حَقًّا، فإنّ الزّوالَ عَلَيْهِما جائِزٌ لِذاتِهِما، وإنّما[5] يَبْقَيانِ بِإبْقاءِ اللهِ لَهُما، وأنّهُ يَخْلُقُ الدّوامَ لأهلِهِما[6]، على قَوْلِ مَنْ جَعَلَ الدّوامَ والبَقاءَ مَعْنًى زائِدًا على الذّاتِ، وهُوَ قَوْلُ الأشْعَرِيِّ،

---

(١) في (ج): «شاعر». والحديث أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، «فتح الباري» (٧: ١٤٩)، ومسلم في كتاب الشعر: (٤: ١٧٦٨-١٧٦٩).

(٢) ليس في (ب). والحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد، «فتح الباري» (٣: ٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين: (١: ٥٣٢-٥٣٣).

(٣) في (أ): «وعد».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٥) في (ب)، (د): «وأنهما».

(٦) في غير (د): «لأهلها».

وإنّما الحَقُّ ـ على الحَقِيقةِ ـ مَنْ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ الزّوالُ، وهُوَ القَدِيمُ الدائمُ الّذِي انْعِدامُهُ مُحالٌ؛ ولِذَلِكَ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «أَنْتَ الحَقُّ» بالألِفِ واللّامِ؛ أيِ المُسْتَحِقُّ لِهَذا الاِسْمِ على الحَقِيقةِ. «وقَوْلُك الحَقُّ»؛ لِأنّ قَوْلَهُ قَدِيمٌ، ولَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيد. «ووَعْدُك الحَقُّ» كَذَلِكَ؛ لِأنّ وَعْدَهُ كَلامُهُ. هَذا مُقْتَضى الألِفِ واللّامِ.

ثُمّ قالَ[1]: «والجَنّةُ حَقٌّ»، «والنّارُ حَقٌّ» بِغَيْرِ ألِفٍ ولامٍ، «والنار حقٌّ» كذلك، و«لِقاؤُك حَقٌّ»؛ لِأنّ هَذِهِ أُمُورٌ مُحْدَثاتٌ، والمُحْدَثُ لا يَجِبُ لَهُ البَقاءُ مِنْ جِهةِ ذاتِهِ، وإنّما عَلِمْنا بَقاءَهما مِنْ جِهةِ الخَبَرِ الصّادِقِ الّذِي لا يَجُوزُ عَلَيْهِ الخُلْفُ، لا مِنْ جِهةِ اسْتِحالةِ الفَناءِ عَلَيْهِما[2]، كَما يَسْتَحِيلُ على القَدِيمِ سُبْحانَهُ الّذِي هُوَ الحَقُّ، وما خَلاهُ باطِلٌ، وما خلاهُ فإمّا جَوْهَرٌ، وإمّا عَرَضٌ، ولَيْسَ في الأعْراضِ إلّا ما يجبُ له الفَناءُ، ولا في الجواهرِ إلّا ما يَجُوزُ عَلَيْهِ الفَناءُ والبُطُولُ، وإنْ بَقِيَ ولَمْ يَبْطُلْ، فجائِزٌ أنْ يَبْطُلَ، وأمّا الحقُّ سبحانه فلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الجَواهِرِ والأعْراضِ، فاسْتَحالَ عَلَيْهِ ما يَجِبُ[3] لَهُما، أوْ يَجُوزُ عَلَيْهِما.

* * *

(١) في (أ): «ثم قال فيه».

(٢) في (أ)، (ف)، (هـ): «عليها».

(٣) في (أ)، (ج): «ويجوز».

دُخُولُ أبي بَكْرٍ في جِوارِ ابنِ الدَّغِنةِ ورَدُّ جِوارِهِ عَلَيْهِ

[سَبَبُ جِوارِ ابنِ الدَّغِنةِ لِأبي بَكْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوةَ، عَنْ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ حِينَ ضاقَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وأصابَهُ فيها الأذى، ورَأى مِنْ تَظاهُرِ قُرَيْشٍ على رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ ما رَأى، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في الهِجْرةِ فأذِنَ لَهُ، فخَرَجَ أبو بَكْرٍ مُهاجِرًا، حَتّى إذا سارَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمًا أوْ يَوْمَيْنِ، لَقِيَهُ ابنُ الدَّغِنةِ أخُو بَنِي الحارِثِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأحابِيشِ.

[الأحابِيشُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والأحابِيشُ: بَنُو الحارِثِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، والهُونُ بنُ خُزَيْمةَ بنِ مُدْرِكةَ، وبَنُو المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَحالَفُوا جَمِيعًا، فسُمُّوا: الأحابِيشَ؛ لِأنَّهُمْ تَحالَفُوا بِوادٍ يُقالُ لَهُ: الأحْبَشُ بِأسْفَلِ مَكَّةَ لِلْحِلْفِ.

وَيُقالُ: ابنُ الدُّغَيْنةِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، قالَتْ: فقالَ ابنُ الدَّغِنةِ: أيْنَ يا أبا بَكْرٍ؟ قالَ: أخْرَجَنِي قَوْمِي وآذَوْنِي، وضَيَّقُوا عَلَيَّ. قالَ: ولِمَ؟ فوَاللهِ إنَّكَ لَتَزِينُ العَشِيرةَ، وتُعِينُ على

النَّوائِبِ، وتَفْعَلُ المَعْرُوفَ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، ارْجِعْ فأَنْتَ في جِوارِي.

فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتّى إذا دَخَلَ مَكّةَ، قامَ ابنُ الدَّغِنةِ فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنِّي قَدْ أجَرْتُ ابنَ أبي قُحافةَ، فلا يَعْرِضَنَّ لَهُ أحَدٌ إلّا بِخَيْرٍ. قالَتْ: فكَفُّوا عَنْهُ.

[سَبَبُ خُرُوجِ أبي بَكْرٍ مِنْ جِوارِ ابنِ الدَّغِنةِ]

قالَتْ: وكانَ لِأبي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بابِ دارِهِ في بَنِي جُمَحَ، فكانَ يُصَلِّي فيهِ، وكانَ رَجُلًا رَقِيقًا، إذا قَرَأ القُرْآنَ اسْتَبْكى. قالَتْ: فيقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيانُ والعَبِيدُ والنِّساءُ، يَعْجَبُونَ لِما يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ. قالَتْ: فَمَشى رِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى ابنِ الدَّغِنةِ، فقالُوا لَهُ: يا ابْنَ الدَّغِنةِ، إنَّكَ لَمْ تُجِرْ هذا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنا! إنَّهُ رَجُلٌ إذا صَلّى وقَرَأ ما جاءَ بَهْ مُحَمَّدٌ يَرِقُّ ويَبْكِي، وكانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ ونَحْوٌ، فنَحْنُ نَتَخَوَّفُ على صِبْيانِنا ونِسائِنا وضَعَفَتِنا أنْ يَفْتِنَهُمْ، فأْتِهِ فمُرْهُ أنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فلْيَصْنَعْ فيهِ ما شاءَ. قالَتْ: فمَشى ابنُ الدَّغِنةِ إلَيْهِ، فقالَ لَهُ: يا أبا بَكْرٍ، إنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ، إنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَكانَكَ الَّذي أنْتَ فيهِ، وتَأذَّوْا بِذلك مِنْكَ، فادْخُلْ بَيْتَكَ، فاصْنَعْ فيهِ ما أحْبَبْتَ، قالَ: أو أرُدُّ عَلَيْكَ جِوارَكَ وأرْضى بِجِوارِ اللهِ؟ قالَ: فارْدُدْ عَلَيَّ جِوارِي، قالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ. قالَتْ: فَقامَ ابنُ الدَّغِنةِ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ ابنَ أبي قُحافةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوارِي، فشَأْنَكُمْ بِصاحِبِكُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القاسِمِ، عَنْ أبيهِ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ، قالَ: لَقِيَهُ سَفيهٌ مِنْ سُفَهاءِ قُرَيْشٍ وهُوَ عامِدٌ إلى الكَعْبةِ، فحَثا على رَأْسِهِ تُرابًا. قالَ: فمَرَّ بِأبي بَكْرٍ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، أوِ العاصِ بنُ وائِلٍ. قالَ: فقالَ أبو بَكْرٍ: ألا تَرى إلى ما يَصْنَعُ هذا السَّفيهُ؟ قالَ: أنْتَ فعَلْتَ ذلك بِنَفْسِكَ. قالَ: وهُوَ يَقُولُ: أيْ رَبِّ، ما أحْلَمَكَ! أيْ رَبِّ، ما أحْلَمَكَ! أيْ رَبِّ، ما أحْلَمَكَ!

فصلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه حِينَ لَقِيَ ابنَ الدَّغِنةِ، واسْمُهُ: مالِكٌ، وهُوَ سَيِّدُ الأحابِيشِ، وقَدْ سَمّاهُمُ ابنُ إسْحاقَ، وهُمْ: بَنُو الهُونِ، وبَنُو الحارِثِ مِنْ كِنانةَ[1]، وبَنُو المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعةَ، تَحَبَّشُوا؛ أيْ: تَجَمَّعُوا، فَسُمُّوا: الأحابِيشَ. وقِيلَ: إنّهُمْ تَحالَفُوا عِنْدَ جَبَلٍ[2] يُقالُ لَهُ حُبْشِيٌّ، فاشْتُقَّ لَهُمْ مِنْهُ هَذا الِاسْمُ.

وَقَوْلُهُ لِأبِي بَكْرٍ: «إنّك لَتَكْسِبَ المَعْدُومَ»، يُقالُ: كَسَبْتُ الرّجُلَ مالًا، فَتُعَدِّيهِ إلى مَفْعُولَيْنِ، هَذا قَوْلُ الأصْمَعِيِّ[3].

وحَكى غَيْرُهُ: أكَسَبْتُه مالًا، فمَعْنى تكْسِبُ المَعْدُومَ؛ أيْ: تكسبُ غَيْرَك ما هُوَ مَعْدُومٌ عِنْدَهُ [ممّا يحتاجُ إليه][4].

والدَّغِنَةُ: اسْمُ امْرَأةٍ عُرِفَ بِها الرّجُلُ، والدَّغْنُ: الغَيْمُ الذي يَبْقى بَعْدَ المَطَرِ.

* * *

(١) في (ب): «بن كنانة». انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ١٦١-١٦٢)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٨٨).

(٢) في (ج)، (د)، (هـ): «جبيل».

(٣) في «لسان العرب» (كسب): «قال أحمد بن يحيى: كل الناس يقول: كَسَبَكَ فلانٌ خيرًا، إلا ابن الأعرابي، فإنه قال: أكْسَبَك فلان خيرًا».

(٤) ليس في (د).

حَدِيثُ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ

[بَلاءُ هِشامِ بنِ عَمْرٍو في نَقْضِ الصَّحِيفَةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَنُو هاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبِ في مَنْزِلِهِمُ الَّذي تَعاقَدَتْ فيهِ قُرَيْشٌ عَلَيْهِمْ في الصَّحِيفةِ الَّتِي كَتَبُوها، ثُمَّ إنَّهُ قامَ في نَقْضِ تِلْكَ الصَّحِيفةِ الَّتِي تَكاتَبَتْ فيها قُرَيْشٌ على بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، ولَمْ يُبْلَ فيها أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ بَلاءِ هِشامِ بنِ عَمْرِو بنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ بنِ حَبِيبِ بنِ نَصْرِ بنِ جَذِيمةَ بْنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ؛ وذلك أَنَّهُ كانَ ابنَ أَخِي نَضْلةَ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ لِأُمِّهِ، فكانَ هِشامٌ لِبَنِي هاشِمٍ واصِلًا، وكانَ ذا شَرَفٍ في قَوْمِهِ، فَكانَ ـ فيما بَلَغَنِي ـ يَأْتِي بِالبَعِيرِ، وبَنُو هاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبِ في الشِّعْبِ لَيْلًا، قَدْ أَوْقَرَهُ طَعامًا، حَتّى إذا أَقْبَلَ بِهِ فَمَ الشِّعْبِ خَلَعَ خِطامَهُ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ على جَنْبِهِ، فيدْخُلُ الشِّعْبَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَأْتِي بِهِ قَدْ أَوْقَرَهُ بَزًّا، فيفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ذلك.

[سَعْيُ هِشامٍ في ضَمِّ زُهَيْرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّهُ مَشى إلى زُهَيْرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وكانَتْ أُمُّهُ عاتِكةَ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَ: يا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعامَ، وتَلْبَسَ الثِّيابَ، وتَنْكِحَ النِّساءَ، وأَخوالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ؛ لا يُباعُونَ، ولا يُبْتاعُ مِنْهُمْ، ولا يُنْكَحُونَ ولا يُنْكَحُ إلَيْهِمْ؟ أما

إنِّي أحْلِفُ باللهِ أنْ لَوْ كانُوا أخْوالَ أبي الحَكَمِ بنِ هِشامٍ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إلى مِثْلِ ما دَعاكَ إلَيْهِ مِنْهُمْ، ما أجابَكَ إلَيْهِ أبَدًا، قالَ: ويْحَكَ يا هِشامُ! فماذا أصْنَعُ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحِدٌ، واللهِ لَوْ كانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ في نَقْضِها حَتّى أنْقُضَها، قالَ: قَدْ وجَدْتَ رَجُلًا، قالَ: فمَنْ هُوَ؟ قالَ: أنا، قالَ لَهُ زُهَيْرٌ: أبْغِنا رَجُلًا ثالِثًا.

[سَعْيُ هِشامٍ في ضَمِّ المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ لَهُ]

فَذَهَبَ إلى المُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، فقالَ لَهُ: يا مُطْعِمُ، أقَدْ رَضِيتَ أنْ يَهْلِكَ بَطْنانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ وأنْتَ شاهِدٌ على ذلك، مُوافِقٌ لِقُرَيْشٍ فيهِ؟! أما واللهِ لَئِنْ أمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إلَيْها مِنْكُمْ سِراعًا، قالَ: ويْحَكَ! فماذا أصْنَعُ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحِدٌ، قالَ: قَدْ وجَدْتُ ثانِيًا، قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: أنا، قالَ: أبْغِنا ثالِثًا، قالَ: قَدْ فعَلْتُ، قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: زُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيَّةَ، قالَ: أبْغِنا رابِعًا.

[سَعْيُ هِشامٍ في ضَمِّ أبي البَخْتَرِيِّ إلَيْهِ]

فَذَهَبَ إلى أبي البَخْتَرِيِّ بنِ هِشامٍ، فقالَ لَهُ نَحْوًا مِمّا قالَ لِلْمُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، فَقالَ: وهَلْ مِنْ أحَدٍ يُعِينُ على هذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: زُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيَّةَ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ، وأنا مَعَكَ، قالَ: أبْغِنا خامِسًا.

[سَعْيُ هِشامٍ في ضَمِّ زَمعَةَ لَهُ]

فَذَهَبَ إلى زَمعَةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، فكَلَّمَهُ، وذَكَرَ لَهُ قَرابَتَهُمْ وحَقَّهُمْ، فقالَ لَهُ: وهَلْ على هذا الأمْرِ الَّذي تَدْعُونِي إلَيْهِ مِنْ أحَدٍ؟ قالَ: نَعَمْ، ثُمَّ سَمّى لَهُ القَوْمَ.

[ما حَدَثَ بَيْنَ هِشامٍ وأقْرانِه وبَيْنَ أبي جَهْلٍ حِينَ اعْتَزَمُوا تَمْزِيقَ الصَّحِيفةِ]

فاتَّعَدُوا خَطْمَ الحَجُونِ لَيْلًا بِأعلى مَكّةَ، فاجْتَمَعُوا هُنالِكَ، فأجْمَعُوا أمْرَهُمْ وتَعاقَدُوا على القِيامِ في الصَّحِيفةِ حَتّى يَنْقُضُوها، وقالَ زُهَيْرٌ: أنا أبْدَؤُكُمْ، فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ. فلَمّا أصْبَحُوا غَدَوْا إلى أنْدِيَتِهِمْ، وغَدا زُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيّةَ عَلَيْهِ حُلّةٌ، فطافَ بِالبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أقْبَلَ على النّاسِ، فقالَ: يا أهْلَ مَكّةَ، أنَأْكُلُ الطَّعامَ ونَلْبَسُ الثِّيابَ، وبَنُو هاشِمٍ هَلْكى لا يُباعُ ولا يُبْتاعُ مِنْهُمْ؟ واللهِ لا أقْعُدُ حَتّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفةُ القاطِعةُ الظّالِمةُ.

قالَ أبو جَهْلٍ وكانَ في ناحِيةِ المَسْجِدِ: كَذَبْتَ واللهِ لا تُشَقُّ، قالَ زَمْعةُ ابنُ الأسْوَدِ: أنْتَ واللهِ أكْذَبُ، ما رَضِينا كِتابَها حَيْثُ كُتِبَتْ، قالَ أبو البَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعةُ، لا نَرْضى ما كُتِبَ فيها، ولا نُقِرُّ بِهِ، قالَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُما، وكَذَبَ مَنْ قالَ غَيْرَ ذلك، نَبْرَأُ إلى اللهِ مِنْها، ومِمّا كُتِبَ فيها، قالَ هِشامُ بن عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذلك. فقالَ أبو جَهْلٍ: هذا أمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشُووِرَ فيهِ بِغَيْرِ هذا المَكانِ. قالَ: وأبو طالِبٍ جالِسٌ في ناحِيةِ المَسْجِدِ، فقامَ المُطْعِمُ إلى الصَّحِيفةِ لِيَشُقَّها، فوَجَدَ الأرَضةَ قَدْ أكَلَتْها إلّا «بِاسْمِكَ اللهُمَّ».

فَصْلٌ

وذَكَرَ نَقْضَ الصَّحِيفةِ، وقِيامَ هِشامٍ فيها، ونَسَبَهُ، فقال: هِشامُ بنُ عمرِو بنِ الحارثِ بنِ حُبَيِّبٍ[1]، وفي الحاشِيةِ عَنْ أبي الوليد: إنما هو هشامُ بنُ عمرِو بنِ

(١) كذا في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٦٢٨).

رَبيعةَ بنِ الحارثِ[1]، وهَكَذا وقَعَ نَسَبُهُ في رِوايةِ يُونُسَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ، وكانَ أَبُوهُ عَمْرٌو أخا نَضْلةَ بنِ هِشامٍ لِأُمِّهِ.

وَذَكَرَ أنّهُ كانَ يَأْتِي بالبَعِيرِ قَدْ أوْقَرَهُ بَزًّا ـ بالزّاي المُعْجَمةِ ـ وفي غَيْرِ نُسْخةِ الشَّيْخِ أبي بحرٍ: بُرًّا [بالرّاءِ][2]، وفي روايةِ يونسَ[3]: بزًّا أوْ بُرًّا، على الشّكِّ مِنَ الرّاوِي.

[كاتِبُ الصَّحِيفةِ وشَلُّ يَدِهِ]

وَكانَ كاتِبَ الصَّحِيفةِ مَنْصُورُ بنُ عِكْرِمةَ، فشَلَّتْ يَدُهُ فيما يَزْعُمُونَ.

[إخْبارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأكْلِ الأَرَضةِ لِلصَّحِيفةِ، وما كانَ مِنَ القَوْمِ بَعْدَ ذلك]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِأبي طالِبٍ: «يا عَمِّ، إنَّ رَبِّيَ اللهُ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضةَ على صَحِيفةِ قُرَيْشٍ، فلَمْ تَدَعْ فيها اسْمًا هُوَ للهِ إلّا أثْبَتَتْهُ فيها، ونَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ والقَطِيعةَ والبُهْتانَ»، فقالَ: أرَبُّكَ أخْبَرَكَ بِهذا؟ قالَ: «نعم»، قالَ: فوَاللهِ ما يَدْخُلُ عَلَيْكَ أحَدٌ، ثُمَّ خَرَجَ إلى قُرَيْشٍ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ ابنَ أخِي أخْبَرَنِي بِكَذا وكَذا، فهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ، فإنْ كانَ كَما قالَ ابنُ أخِي، فانْتَهُوا عَنْ قَطِيعَتِنا، وانْزِلُوا عَمّا فيها، وإنْ يَكُنْ كاذِبًا دَفَعْتُ إلَيْكُمُ ابنَ أخِي، فقالَ القَوْمُ: رَضِينا، فتَعاقَدُوا على ذلك، ثُمَّ نَظَرُوا، فإذا هِيَ كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فزادَهُمْ ذلك شَرًّا، فعِنْدَ ذلك صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيفةِ ما صَنَعُوا.

---

(١) انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٤٣١)، و«جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ١١١).

(٢) عن (ب).

(٣) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١٤٦).

وَذَكَرَ أنّ مَنْصُورَ بنَ عِكْرِمَةَ [كانَ][(١)] كاتِبَ الصّحِيفةِ، فَشَلَّتْ يدُه، وللنُّسّاب مِنْ قُرَيْشٍ في كاتِبِ الصّحِيفةِ قَوْلانِ، أحَدُهُما: أنّ كاتبَ الصَّحيفة هو: بَغِيضُ بنُ عامرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ.

والقولُ الثاني: أنه منصورُ بنُ عبدِ شُرَحْبِيلَ بنِ هاشمٍ، ولَمْ يَذْكُرِ الزُّبَيْرُ في كاتِبِ الصَّحِيفةِ غَيرَ هَذَيْنِ القَوْلَيْنِ، والزُّبَيْرِيُّون أعْلَمُ بِأنْسابِ قَوْمِهِمْ.

وَذَكَرَ ما أصابَ المُؤْمِنِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الشِّعْبِ مِنْ ضِيقِ الحِصارِ[(٢)]، لا يُبايَعُونَ ولا يُناكَحُونَ، وفي الصَّحِيحِ: أنّهُمْ جَهِدُوا حَتّى كانُوا يَأْكُلُونَ الخَبَطَ[(٣)]، ووَرَقَ السَّمُرِ، حَتّى إنّ أحَدَهُمْ لَيَضَعُ كَما تَضَعُ الشّاةُ، وكانَ فيهِمْ سَعْدُ بنُ أبِي وقاصٍ، رُوِيَ أنّهُ قالَ: «لَقَدْ جُعْتُ حَتّى إنّي وَطِئْتُ ذاتَ لَيْلةٍ على شَيْءٍ رَطْبٍ، فوَضَعْتُهُ في فمِي وبَلَعْتُه، ولا أدْرِي ما هُوَ إلى الآنَ».

وفي رِوايةِ يُونُسَ أنّ سَعْدًا قالَ: «خَرَجْتُ ذاتَ لَيْلةٍ لِأبُولَ، فسَمِعْتُ قَعْقَعةً تَحْتَ البَوْلِ، فإذا قِطْعةٌ مِنْ جِلْدِ بَعِيرٍ يابِسةٌ، فأخَذْتُها وغَسَلْتُها، ثُمّ أحْرَقْتُها، ثُمّ رَضَضْتُها، وسَفِفْتُها بِالماءِ، فَقَوِيتُ بِها ثَلاثًا، وكانُوا إذا قَدِمَتِ العِيرُ مَكّةَ أتى[(٤)] أحَدُهُم السُّوقَ لِيَشْتَرِيَ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ لِعِيالِهِ، فيَقُومُ أبُو لَهَبٍ عَدَوُّ اللهِ، فيقولُ: يا مَعْشَرَ التُّجّارِ: غالُوا على أصْحابِ مُحَمَّدٍ، حَتّى لا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا، فقَدْ عَلِمْتُمْ مالِي ووَفاءَ ذِمَّتِي، فأنا ضامِنٌ أنْ لا خَسارَ عَلَيْكُمْ. فيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ في السِّلْعةِ قِيمَتَها أضْعافًا، حَتّى يَرْجِعَ إلى أطْفالِهِ، وهُمْ يَتَضاغَوْنَ مِنَ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب)، (هـ).

(٢) في (أ): «من الضيق والحصار».

(٣) قال في «النهاية»: «الخَبَط: ورق الشجر المتساقط، وهو مِن عَلَف الإبل» (٢: ٧).

(٤) في (ف): «يأتي».

الجُوعِ، ولَيْسَ في يَدِهِ شَيْءٌ يُعَلِّلُهم بِهِ، ويَغْدُو التُّجّارُ على أَبِي لَهَبٍ، فيُرْبِحُهُمْ فيما اشْتَرَوْا مِنَ الطَّعامِ واللِّباسِ، حَتّى جُهِدَ المُؤْمِنُونَ[١]، ومَنْ مَعَهُمْ جَوْعًا وعُرْيًا».

وهَذِهِ إِحْدى الشَّدائِدِ الثَّلاثِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْها تَأْوِيلُ الغَطّاتِ[٢] الَّتِي غَطَّهُ[٣] جِبْرِيلُ حِينَ قالَ لَهُ: اقْرَأْ، قالَ: «ما أنا بِقارِئٍ». وإِنْ[٤] كانَ ذَلِكَ [كانَ][٥] في اليَقَظَةِ، ولَكِنْ مَعَ ذَلِكَ لَهُ في مُقْتَضى الحِكْمَةِ تَأْوِيلٌ وإِيماءٌ[٦]، وقَدْ تَقَدَّمَتِ الإِشارَةُ إِلى هَذا قَبْلُ.

وإِلى آخِرِ حَدِيثِ الصَّحِيفَةِ لَيْسَ فيها ما يُشْكِلُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ب): «المسلمون».

(٢) بعده في (ف): «الثلاث».

(٣) غطّه: عصرَه وضمّه. والحديث في «فتح الباري»، كتاب بدء الوحي: (١: ٢٢)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٣٩-١٤٣).

(٤) في (ب): «فإن».

(٥) ليس في (د).

(٦) في (أ): «تأويل دائمًا».

[شِعْرُ أبي طالِبٍ في مَدْحِ النَّفَرِ الَّذينَ نَقَضُوا الصَّحِيفَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا مُزِّقَتِ الصَّحِيفةُ وبَطَلَ ما فيها، قالَ أبو طالِبٍ فيما كانَ مِنْ أمْرِ أُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذينَ قامُوا في نَقْضِها يَمْدَحُهُمْ:

ألا هَــلْ أتى بَحْرِيَّنــا صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيِهِــمْ؟ واللهُ بِالنّاسِ أرْوَدُ

فيُخْبِرَهُــمْ أنَّ الصَّحِيفةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كُلُّ ما لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ

تُراوِحُها إفْــكٌ وسِــحْرٌ مُجَمَّعٌ ... ولَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ

تَداعى لَهَا مَنْ لَيْسَ فيها بِقَرْقَرٍ ... فطائِرُهــا في رَأْسِــها يَــتَرَدَّدُ

وَكانَــتْ كِفــاءً رَقْعــةٌ بِأثِيمةٍ ... لِيُقْطَــعَ مِنْهــا ســاعِدٌ ومُقَلَّدُ

وَيَظْعَنَ أهْــلُ المَكَّتَيْنِ فيهْرُبُوا ... فرائِصُهُمْ مِنْ خَشْيةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ

وَيُــتْرَكَ حَــرّاثٌ يُقلِّــبُ أمْرَهُ ... أيُتْهِمُ فيهِمْ عِنْــدَ ذاكَ ويُنْجِدُ؟

وقَوْلُ أبي طالِبٍ: «ألا هل أتى[١] بَحْرِيَّنا»، يَعْنِي: الَّذينَ بِأرْضِ الحَبَشةِ، نَسَبَهُمْ[٢] إلى البَحْرِ لِرُكُوبِهِمْ إيّاهُ وهَكَذا وجْهُ النَّسَبِ إلَيْهِ، وقَدْ قالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إذا أنَشأَتْ بَحْرِيّةٌ، ثُمَّ تشاءمت[٣]».

وزَعَمَ ابنُ سِيدَهْ في كِتابِهِ[٤] «المُحْكَمِ» لَهُ أنَّ العَرَبَ تَنْسُبُ إلى البَحْرِ: بَحْرانِيٌّ

---

(١) في (أ)، (ف): «ألا قد أتى»، وفي (هـ): «ألا قد» ورسم تحت قد «هل».

(٢) في (أ): «ينسبهم».

(٣) «الموطأ»، كتاب الاستسقاء: (١: ١٩٢)، والمعنى: إذا ظهرت سحابة من ناحية البحر وتشاءمت؛ أي: أخذت نحو الشام.

(٤) في (ف): «كتاب».

على غَيْرِ قِياسٍ، وأنّهُ مِنْ شَواذِّ النّسَبِ، ونَسَبَ هَذا القَوْلَ إلى سِيبَوَيْهِ والخَلِيلِ[١]، وما قاله سِيبَوَيْهِ قَطُّ، وإنّما قالَ في شَواذِّ النّسَب: تَقُولُ في بَهْراءَ: بَهْرانِيٌّ، وفي صَنْعاءَ: صَنْعانِيٌّ، كَما تَقُولُ: بَحْرانِيٌّ في النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ الّتِي هِيَ مَدِينَةٌ.

وعلى هَذا تَلَقّاهُ جَمِيعُ النّحاةِ، وتَأوّلُوهُ مِنْ كَلامِ سِيبَوَيْهِ، وإنّما شُبِّهَ على ابنِ سِيدَهْ لِقَوْلِ الخَلِيلِ في هَذِهِ المَسْألَةِ ـ أعْنِي: مَسْألَةَ النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ ـ: كَأنّهُمْ بَنَوُا البَحْرَ على بَحْرانِ، وإنّما أرادَ لفظَ البحرينِ، ألا تراهُ يقولُ في كِتابِ «العَيْنِ»: تَقُولُ: بَحْرانِيٌّ في النَّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ[٢]، ولَمْ يَذْكُرِ النّسَبَ إلى البَحْرِ أصْلًا لِلْعِلْمِ بِهِ، وأنّهُ على القِياسِ جارٍ؟

وفي «الغَرِيبِ المُصَنَّفِ» عَنِ اليَزِيدِيِّ أنّهُ قالَ: إنّما قالُوا: بَحْرانِيٌّ في النَّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ، ولَمْ يَقُولُوا: بَحْرِيٌّ؛ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّسَبِ إلى البحرِ.

وما زال ابنُ سِيدَهْ يَعْثُرُ في هَذا الكِتابِ وغَيْرِهِ عَثَراتٍ يَدْمى مِنْها الأظَلُّ[٣]، ويَدْحَضُ دَحَضاتٍ تُخْرِجُهُ[٤] إلى سَبِيلِ مَنْ ضَلَّ، ألا تَراهُ قالَ في هَذا البابِ ـ وذَكَرَ بُحَيْرةَ طَبَرِيّةَ ـ فقالَ: هِيَ مِنْ أعْلامِ خُرُوجِ الدَّجّالِ، وإنه يَيْبَسَ ماؤها عِنْدَ خُرُوجِهِ، والحديثُ: إنَّما جاء فى عَينِ زُغَرَ[٥]، وإنّما ذُكِرتْ بُحَيْرةُ طَبَرِيّةَ في حَدِيثِ يأجوجَ ومأجوجَ، وأنّهُمْ يَشْرَبُونَ ماءَها.

---

(١) «الكتاب» (٣: ٣٣٦).

(٢) «العين» (٣: ٢٢٠).

(٣) الأظلُّ: بطن الإصبع، وجمعه: ظُلٌّ. وفي المثَل: «إنْ يَدْمَ أظَلُّك فقد نَقِبَ خُفِّي»، يقال للشاكي لمن هو أسوأ منه حالًا.

(٤) (ب): «تخرجه من سير».

(٥) في «معجم البلدان»: زُغَر: قرية بمشارِف الشام. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الفتن: (٤: ٢٢٦١-٢٢٦٣).

وقالَ في الجِمارِ في غَيْرِ هَذا الكِتابِ: هِيَ الّتِي تُرْمى بِعَرَفةَ؟! وهَذِهِ هَفْوةٌ لا تُقالُ، وعَثْرةٌ لا لعًا[١] لها! وكَمْ لَهُ مِنْ هَذا إذا تكَلّمَ في النَّسَبِ وغَيْرِهِ، والله وليُّ التَّوفيقِ[٢].

ومِنَ النّسَبِ إلى البَحْرِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ[٣] لِأسْماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ حِينَ قَدِمَتْ مِنْ أرْضِ الحَبَشَةِ: «آلبَحْرِيّةُ؟[٤] [آلحَبَشِيّةُ][٥]؟». فهَذا مِثْلُ قَوْلِ أبِي طالِبٍ: «ألا هَلْ أتى بَحْرِيَّنا».

وَقَوْلُهُ: «واللهُ بِالنّاسِ أرْوَدُ»؛ أيْ: أرْفَقُ، ومِنْهُ: رُوَيْدَكَ، أيْ: رِفْقًا، جاءَ بِلَفْظِ التّصْغِيرِ؛ لِأنّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ تَقْلِيلًا مّا؛ أيِ: ارْفُقْ قَلِيلًا، ولَيْسَ لَهُ مُكَبَّرٌ مِنْ لَفْظِهِ عندَ أكثرِ النّاسِ.

وقد حكى أبو عُبَيدٍ أنّ له مكبَّرًا، وهو رَوْدٌ[٦]؛ لأنّ المَصْدَرَ: إرْوادٌ، إلّا أنْ يَكُونَ مِنْ بابِ تَصْغِيرِ التّرْخِيمِ، وهُوَ أنْ يُصَغَّرَ الِاسْمُ الّذِي فيهِ الزّوائِدُ، فتَحْذِفَها في التَّصْغِيرِ، فتَقُولَ في أسْوَدَ: سُوَيْدٌ، وفي مِثْلِ إرْوادٍ: رُوَيْدٌ.

---

(١) يقال للعاثر: لعًا لك عاليًا، دعاءٌ له بأن يقوم مِن سَقطته. ويُقال: لا لَعًا لفلان؛ أي: لا أقامه الله.

(٢) كذا في (د)، (ف)، (هـ)، وفي (أ): «والله أعلم»، وفي (ب): «وبالله التوفيق»، وفي (ج): «والله الموفق».

(٣) كذا، وهو قول عمر رضي الله عنه. والحديث في «فتح الباري» كتاب المغازي: (٧: ٤٨٤)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة: (٤: ١٩٤٦).

(٤) في (أ): «آلحبشية آلبحرية».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) في «اللسان» و«التاج» عن أبي عبيد: «تكبير رُوَيد: رَوْد»، وكذا ضُبط بالفتح. وقد يقال: إنه تصغير «رُود» بضم الراء، وهو المَهَل، وتصغيره: رُوَيد.

وقَوْلُهُ: «مَنْ لَيْسَ فيها بقَرْقَرِ»؛ أيْ: لَيْسَ بدليلٍ؛ لِأَنَّ [القَرْقَرَ: الأرضُ المَوْطُوءةُ الّتِي لا تَمْنَعُ سالِكَها، ويَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ: لَيْسَ بِذِي هَزْلٍ؛ لِأَنَّ][1] القَرْقَرةَ: الضَّحِكُ.

وَقَوْلُهُ: «وطائِرُها في رَأْسِها يَتَرَدَّدُ»؛ أيْ: حَظُّها مِنَ الشَّرِّ والشُّؤْمِ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وَتَصْعَدُ بَيْنَ الأخْشَبَيْنِ كَتِيبةٌ ... لَهَا حُدُجُ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ
فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضّارِ مَكّةَ عِزُّهُ ... فعِزَّتُنا في بَطْنِ مَكّةَ أتْلَدُ
نَشَأْنا بِها والنّاسُ فيها قَلائِلٌ ... فلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدادُ خَيْرًا ونَحْمَدُ

وقَوْلُهُ: «لَها حَدَجٌ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ»؛ وجَدْتُ في حاشِيةِ كِتابِ الشَّيْخِ مِمّا كَتَبَهُ عَنْ أبِي الوَلِيدِ الكِنانِيِّ على هَذا البَيْتِ: لَعَلّهُ حُدُجٌ ـ بِضَمِّ الحاءِ والدّالِ ـ جَمْعُ حِدْجٍ على ما حَكى الفارِسِيُّ، وأنْشَدَ شاهِدًا عَلَيْهِ عَنْ ثَعْلَبٍ[2]:

[من الرجز]

قُمْنا فآنَسْنا الحُمُولَ والحُدُجْ

وَنَظِيرُهُ: سِتْرٌ وسُتُرٌ، ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ ابنُ سِيدَهْ في «مُحْكَمِهِ»[3]، فيَكُونُ المَعْنى: إنّ الّذِي يَقُومُ لَها مَقامَ الحُدُجِ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ. إلى ههُنا انْتَهى ما[4] في حاشِيةِ الشَّيْخِ.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٢) الرجز في «اللسان»، و«تاج العروس» (حدج).
(٣) «المحكم والمحيط الأعظم» (٣: ٦٢). (ج)
(٤) بعده في (ف): «جاء».

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ: وفي «العَيْنِ»[١]: الحَدَجُ: حَسَكُ القُطْبِ[٢] فيَكُونُ الحَدَجُ في البَيْتِ[٣] مُسْتَعارًا مِنْ هَذا؛ أيْ: لَها حَسَكٌ، ثُمّ فسّرَهُ فقالَ: سَهْمٌ وقَوْسٌ.

ومِرْهَدُ كَذا في الأصْلِ بِالرّاءِ، وكَسْرِ المِيمِ، فيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا مِنْ مَهْرِدٍ: مِفْعَلٌ مِنْ هَرَدَ الثّوْبَ: إذا مَزّقَهُ، ويَعْنِي بِهِ رُمْحًا أوْ سَيْفًا[٤]، ويَحْتَمِل أنْ يَكُونَ غَيْرَ مَقْلُوبٍ، ويَكُونَ مِنَ الرّهِيدِ، وهُوَ النّاعِمُ؛ أيْ: يُنَعَّمُ صاحِبُهُ بِالظَّفَرِ، ويُنَعَّمُ هُوَ بِالرِّيِّ مِنَ الدّمِ، وفي بَعْضِ النُّسَخِ: مَزْهَد بِفَتْحِ المِيمِ والزّايِ، فإنْ صَحَّتِ الرّوايَةُ بِهِ، فمَعْناهُ: مَزْهَدٌ في الحَياةِ، وحِرْصٌ على المَماتِ، واللهُ أعْلَمُ.

* * *

(١) «العين» (٣: ٧٢).

(٢) في النسخ: «العطب»، والمثبت عن «العين»، وفسّر القطب (٥: ١٠٦) بأنه نبات.

(٣) في (ب): «في هذا البيت».

(٤) في (أ): «سيفًا أو رمحًا».

وَنُطْعِمُ حَتّى يَتْرُكَ النّاسُ فضْلَهُمْ إذا جَعَلَتْ أيْدِي المُفيضِينَ تُرْعَدُ
جَزى اللهُ رَهْطًا بِالحَجُونِ تَبايَعُوا على مَلَأٍ يُهْدِي لِحَزْمٍ ويُرْشِدُ
قُعُودًا لَدى خَطْمِ الحَجُونِ كَأنَّهُمْ مَقاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أعَزُّ وأمْجَدُ
أعانَ عَلَيْها كُلُّ صَقْرٍ كَأنَّهُ إذا ما مَشى في رَفْرَفِ الدِّرْعِ أحْرَدُ
جَرِيٌّ على جُلّى الخُطُوبِ كَأنَّهُ شِهابٌ بِكَفَّي قابِسٍ يَتَوَقَّدُ
مِنَ الأكْرَمِينَ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ إذا سِيمَ خَسْفًا وجْهُهُ يَتَرَبَّدُ
طَوِيلُ النِّجادِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ على وجْهِهِ يُسْقى الغَمامُ ويُسْعَدُ
عَظِيمُ الرَّمادِ سَيِّدٌ وابنُ سَيِّدٍ يَحُضُّ على مَقْرى الضُّيُوفِ ويَحْشُدُ
وَيَبْنِي لِأبناءِ العَشِيرَةِ صالِحًا إذا نَحْنُ طُفْنا في البِلادِ ويَمْهَدُ
أَلَظَّ بِهذا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّأٍ عَظِيمِ اللِّواءِ أمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ
قَضَوْا ما قَضَوْا في لَيْلِهِمْ ثُمَّ أصْبَحُوا على مَهَلٍ وسائِرُ النّاسِ رُقَّدُ

وقَوْلُهُ فيها: «إذا جَعلَتْ أيْدِي المُفيضِينَ تَرْعَدُ»، يَعْنِي: المُفيضِينَ بِالقِداحِ في المَيْسِرِ، وكانَ لا يُفيضُ مَعَهُمْ في المَيْسرِ إلّا سَخِيٌّ، ويُسَمُّونَ مَنْ لا يَدْخُلُ مَعَهُمْ في ذَلِكَ: البَرَمَ. وقالَتِ امْرَأةٌ لِبَعْلِها، وكانَ بَرَمًا بَخِيلًا، ورَأتْهُ يَقْرنُ بَضْعَتَيْنِ في الأكْلِ: أبَرَمًا قَرُونًا[1]؟! ويُسَمُّونَهُ أيْضًا: الحَصُورَ[2]، يُرِيدُ أبُو طالِبٍ: أنّهُمْ يُطْعِمُونَ إذا بَخِلَ النّاسُ.

(١) مَثل كما في «اللسان» (برم).
(٢) في غير (أ): «الحضور» بالضاد المعجمة. انظر: «تاج العروس» (حضر). فقد نَقل هذا المعنى عن السهيلي.

والمَيْسِرُ: هِيَ الجَزُورُ الّتِي تُقْسَمُ، يُقالُ: يَسَرْتُ: إذا قَسمتَ، هَكَذا فَسَّرَهُ القُتَبِيُّ، وأَنْشَدَ[١]: [من الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرُونَنِي: ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ؟

قالَ: يَيْسِرُونَنِي؛ أيْ: يَقْتَسِمُونَ مالِي، ويُرْوى: يأسِرُونني مِن الأسْرِ.

وقَوْلُهُ: «في رَفْرَفِ الدّرْعِ أحْرَدُ»؛ رَفْرَفُ الدِّرْعِ: فُضُولُها، وقِيلَ في مَعْنى: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، أنها فُضُولُ الفُرُشِ والبُسُطِ، وهُوَ قَوْلُ ابنِ عَبّاسٍ[٢]، [وعَنْ عَلِيٍّ أنّها: المَرافِقُ[٣]، وعَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ: الرّفارِفُ: رِياضُ الجَنّةِ][٤]، والأحْرَدُ الّذِي في مَشْيِهِ تَثاقُلٌ، وهُوَ مِنَ الحَرَدِ، وهُوَ: عَيْبٌ في الرَّجُلِ.

هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضاءَ راضِيًا ... وسُرَّ أبو بَكْرٍ بِها ومُحَمَّدُ
مَتى شُرِّكَ الأقْوامُ في جُلِّ أمْرِنا ... وكُنّا قَدِيمًا قَبْلَها نُتَوَدَّدُ
وَكُنّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... ونُدْرِكُ ما شِئْنا ولا نَتَشَدّدُ
فيا لَقُصَيّ هَلْ لَكُمْ في نُفُوسِكُمْ؟ ... وهَلْ لَكُمُ فيما يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَإنِّي وإيّاكُمْ كَما قالَ قائِلٌ: ... لَدَيْكَ البَيانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أسْوَدُ

وفيه: «هُمْ رَجَعُوا سَهلَ بن بَيْضاءَ راضِيًا»، سَهْلٌ هَذا هُوَ: ابنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ[٥] بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، يُعْرَفُ: بِابنِ البَيْضاءِ، وهِيَ أُمُّهُ،

---

(١) البيت لسُحيم بن وُثَيل، كما في «اللسان» (يسر)، ولم أجده في «ديوانه».

(٢) في «تفسير ابن كثير» عن ابن عباس: (٧: ٣٣٨١)، قال: «هي المحابس». وفُسرت المحابس بأنها ما يُبسط على وجه الفراش للنوم، فلعلَّ هذا هو المراد بفضول الفُرش.

(٣) المرافِق: جمع مَرْفِق، وهو ما يُرتَفَق عليه ويُتكأ.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٥) بعده في حاشية (أ): «بن أهيب». انظر: «جمهرة الكلبي» (ص: ١٢٥)، و«جمهرة ابن حزم» =

واسْمُها: دَعْدُ بِنْتُ جَحْدَمِ بنِ أُمَيَّةَ بن ظَرِب بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وهُمْ ثَلاثَةُ إخْوةٍ: سَهْلٌ، وسُهَيْلٌ، وصَفْوانُ بَنُو البَيْضاءِ.

وقَوْله: [من الطويل]

وَإنِّـــي وإيّاهُمْ كَمــا قالَ قائِلٌ لَدَيْكَ البَيانُ لَوْ تَكَلّمتَ أسْوَدُ

أسْوَدُ: اسْمُ جَبَلٍ كانَ قَدْ قُتِلَ فيهِ قَتِيلٌ، فلَمْ يُعْرَفْ قاتِلُهُ، فقالَ أولياءُ المقتولِ هذه المقالَةَ، فذهبتْ مَثَلًا(١).

* * *

= (ص: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (٢: ٤٦٦).

(١) أراد: يا أسود. وهو مثل يُضرب للقادر على الشيء ولا يفعله. انظر: «شرح السيرة» لأبي ذر الخشني: (ص: ١٠٩).

[شِعْرُ حَسّانَ في رِثاءِ المُطْعِمِ، وذِكْرُ نَقْضِهِ الصَّحِيفةَ]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ يَبْكِي المُطْعِمَ بنَ عَدِيٍّ حِينَ ماتَ، ويَذْكُرُ قِيامَهُ في نَقْضِ الصَّحِيفةِ:

أيا عَيْنُ فابْكِي سَيِّدَ القَوْمِ واسْفَحِي ... بِدَمْعٍ وإنْ أنْزَفْتِهِ فاسْكُبِي الدَّما

وَبَكِّي عَظِيمَ المَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِما ... على النّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ ما تَكَلَّما

فَلَوْ كانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ واحِدًا ... مِنَ النّاسِ، أبْقَى مَجْدُهُ اليَوْمَ مُطْعِما

أجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنْهُمْ فأصْبَحُوا ... عَبِيدَكَ ما لَبّى مُهِلٌّ وأحْرَما

فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأسْرِها ... وقَحْطانُ أوْ باقِي بَقِيّةِ جُرْهُما

لَقالُوا: هُوَ المُوفِي بِخُفْرةِ جارِهِ ... وذِمَّتِهِ يَوْمًا إذا ما تَذَمَّما

فَما تَطْلُعُ الشَّمْسُ المُنِيرةُ فوْقَهُمْ ... على مِثْلِهِ فيهِمْ أعَزَّ وأعْظَما

وَآبَى إذا يَأْبَى وأَلْيَنَ شِيمةً ... وأنْوَمَ عَنْ جارٍ إذا اللَّيْلُ أظْلَما

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «كِلَيْهِما» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[كَيْفَ أجارَ المُطْعِمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأمّا قَوْلُهُ: «أجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنْهُمْ»، فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمّا انْصَرَفَ عَنْ أهْلِ الطّائِفِ ولَمْ يُجِيبُوهُ إلى ما دَعاهُمْ إلَيْهِ، مِنْ تَصْدِيقِهِ ونُصْرَتِهِ، صارَ إلى حِراءٍ، ثُمَّ بَعَثَ إلى الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ لِيُجِيرَهُ، فقالَ: أنا حَلِيفٌ، والحَلِيفُ لا يُجِيرُ. فبَعَثَ إلى سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، فقالَ: إنَّ بَنِي عامِرٍ لا تُجِيرُ على بَنِي كَعْبٍ. فبَعَثَ إلى المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ فأجابَهُ إلى ذلك، ثُمَّ

تَسَلَّحَ المُطْعِمُ وأَهْلُ بَيْتِهِ، وخَرَجُوا حَتّى أَتَوُا المَسْجِدَ، ثُمَّ بَعَثَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ادْخُلْ، فدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فطافَ بِالبَيْتِ وصَلّى عِنْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلى مَنْزِلِهِ. فذلك الّذي يَعْنِي حَسّانُ بنُ ثابِتٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ حَسّانَ في مُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، ويَذْكُرُ جِوارَهُ لِلنَّبيِّ ﷺ وذَلِكَ حِينَ رَجَعَ مِنَ الطّائِفِ، وقِيامَهُ في أَمْرِ الصَّحِيفَةِ، وفيه: [من الطويل]

فَلَوْ كانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ واحِدًا ... مِنَ النّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ اليَوْمَ مُطْعِما

وهَذا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ مِنْ أَقْبَحِ الضَّرُورةِ، لِأَنَّهُ قَدَّمَ الفاعِلَ، وهُوَ مُضافٌ إلى ضَمِيرِ المَفْعُولِ، فصارَ في الضَّرُورةِ مِثْلَ قَوْلِهِ[1]: [من الطويل]

جَزى رَبُّهُ عَنِّي عديَّ بنَ حاتم

غَيْرَ أَنَّهُ في هَذا البَيْتِ أَشْبَهُ قَلِيلًا لِتَقَدُّمِ ذِكْرِ مُطْعِمٍ، فكَأَنَّهُ قالَ: أَبْقى مَجْدُ هَذا المَذْكُورِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ مُطْعِمًا. ووَضَعَ الظّاهِرَ مَوْضِعَ المُضْمَرِ، كَما لَوْ قُلْتَ: إنّ زَيْدًا ضَرَبَتْ جارِيَتُهُ زَيْدًا؛ أَيْ: ضَرَبَتْ جارِيَتُهُ إِيّاهُ، ولا بَأْسَ بِمِثْلِ هَذا، ولا سِيَّما إذا قَصَدْتَ [قَصْدَ][2] التَّعْظِيمِ وتَفْخِيمَ ذِكْرِ المَمْدُوحِ، كَما

---

(١) ينسب إلى النابغة، لكن رواية «الديوان» (ص: ١٩١): «جزى الله عبسًا»، ولا شاهد فيها. وانظر: «الخصائص» (١: ٢٩٤)، و«أمالي ابن الشجري» (١: ١٠٢)، و«شرح المفصل» لابن يعيش: (١: ٢٧٦)، و«شرح الرضي على الكافية» (١: ١٨٨)، و«الخزانة» (١: ٢٧٧)، وكان البغدادي رجَّح نَسبه إلى أبي الأسود الدؤلي، وعجُزه:

جزاءَ الـكلابِ العاديات وقد فَعَلْ

(٢) ليس في (ب).

قال[١]: [من الوافر]

وما ليَ أنْ أكُونَ أعِيبُ يَحْيى ... ويَحْيــى طاهِرُ الأثْــوابِ بَرُّ

ويَجُوزُ عِنْدِي نَصْبُهُ[٢] على البَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: «وبَكِّي عَظِيمَ المَشْعَرَيْنِ»، ويَكُونُ المَفْعُولُ مِنْ قَوْلِهِ: «أبْقى مَجْدُهُ» مَحْذُوفًا، كَأنَّهُ قالَ: أبْقاهُ مَجْدُهُ، والمَفْعُولُ لا قُبْحَ في حَذْفِهِ إذا دَلَّ عَلَيْهِ الكَلامُ كَما[٣][٤] في هَذا البَيْتِ.

[مَدْحُ حَسّانَ لِهِشامِ بنِ عَمْرٍو لِقِيامِهِ في الصَّحِيفَةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ أيْضًا يَمْدَحُ هِشامَ ابنَ عَمْرٍو لِقِيامِهِ في الصَّحِيفَةِ:

هَلْ يُوفِيَنَّ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً ... عَقْدًا كَما أوْفى جِوارُ هِشامِ

مِنْ مَعْشَرٍ لا يَغْدِرُونَ بِجارِهِمْ ... لِلْحارِثِ بنِ حُبَيِّبِ بنِ سُخامِ

وَإذا بَنُو حِسْلٍ أجارُوا ذِمَّةً ... أوْفَوْا وأدَّوْا جارَهُمْ بِسَلامِ

وَكانَ هِشامٌ أحَدَ سُحامٍ؛ بِالضَّمِّ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سُخامٌ.

وَذَكَرَ قَوْلَ حَسّانَ في هِشامِ بنِ عمرٍو، وقال فيه: [من الكامل]

للحارِثِ[٥] بنِ حُبَيِّبِ بنِ سُــخامِ

وقَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُهُ، وهُوَ حُبَيْبٌ بِالتَّخْفيفِ تَصْغيرُ حِبٍّ، وجَعَلَهُ حَسّانُ تَصْغِيرَ

---

(١) البيت لمخيس بن أرطاة الأعرجي. «الكامل» للمبرد: (١: ٤٠). (ج)

(٢) يريد نصب «مطعمًا».

(٣) في (أ): «كما قال في هذا البيت».

(٤) بعده في (ف): «قال».

(٥) في (ف): «الحارث».

حَبِيبٍ، فشَدَّدَهُ، ولَيْسَ هَذا مِنْ بابِ الضَّرُورةِ؛ إِذْ لا يَسُوغُ أَنْ يُقالَ في فَلْسٍ: فُلَيِّسٌ، ولا في كَلْبٍ: كُلَيِّبٌ في شِعْرٍ[1]، ولا في غَيْرِهِ، ولَكِنْ لَمّا كانَ الحِبُّ والحَبِيبُ بِمَعْنًى واحِدٍ جُعِلَ أَحَدُهُما مَكانَ الآخَرِ، وهُوَ حَسَنٌ في الشِّعْرِ، وسائِغٌ في الكَلامِ، وهِشامُ بنُ عَمْرٍو هَذا أَسْلَمَ، وهُوَ مَعْدُودٌ في المُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ، وكانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا فيما ذَكَرُوا[2].

وقَوْلُهُ: «ابنُ سُخامٍ»، هُوَ اسْمُ أُمِّه، وأَكْثَرُ أَهْلِ النَّسَبِ يَقُولُونَ فيهِ: شُخامٌ بِشِينٍ مُعْجَمةٍ، وأَلْفَيْتُ في حاشِيةِ الشَّيْخِ أَنّ أَبا عُبَيْدةَ النَّسّابة وعَوانةَ[3] يَقُولُونَ[4] فيهِ: سُحامٌ بِسِينٍ وحاءٍ مُهْمَلَتَيْنِ، والّذِي في الأَصْلِ مِنْ قَوْلِ ابنِ هِشامٍ: سُخامٌ بِسِينٍ مُهْمَلةٍ، وخاءٍ مُعْجَمةٍ، ولَفْظُ شُخام مِنْ شَخِمَ[5] الطّعامُ وخَشِمَ: إذا تَغَيّرَتْ رائِحَتُهُ، قاله أبو حَنِيفةَ[6].

❋ ❋ ❋

---

(١) في (ب): «لا في شعر».

(٢) أوردَ ابنُ حجر في «الفتح» أسماء أكثر من أربعين رجلًا من هؤلاء المؤلَّفة قلوبهم، في كتاب المغازي، باب غزاة أوطاس، الحديث رقم (٤٣٣٠)، (٧: ٦٤٥).

(٣) هو عوانة بن الحكم بن عياض الكلبي، أبو الحكم الكوفي الضرير، يروي عنه هشام بن الكلبي، له كتاب «التاريخ»، وكتاب «سير معاوية وبني أمية»، وغير ذلك، توفي سنة (١٤٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي: (٧: ٢٠١).

(٤) في (ف): «يقولان».

(٥) شخم، مثلثة العين كما في «تاج العروس».

(٦) انظر: كتاب «النبات» (ص: ١٩٩).

قِصّةُ إسْلامِ الطُّفيلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ

[تَحْذِيرُ قُرَيْشٍ لَهُ مِنَ الِاسْتِماعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على ما يَرى مِنْ قَوْمِهِ يَبْذُلُ لَهُمُ النَّصِيحةَ، ويَدْعُوهُمْ إلى النَّجاةِ مِمّا هُمْ فيهِ، وجَعَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنْهُمْ يُحَذِّرُونَهُ النّاسَ ومَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنَ العَرَبِ.

وَكانَ الطُّفيلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ قَدِمَ مَكّةَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ بِها، فمَشى إلَيْهِ رِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وكانَ الطُّفيلُ رَجُلًا شَرِيفًا شاعِرًا لَبِيبًا، فقالُوا لَهُ: يا طُفيلُ، إنَّكَ قَدِمْتَ بِلادَنا، وهذا الرَّجُلُ الَّذي بَيْنَ أظْهُرِنا قَدْ أعْضَلَ بِنا، و قَدْ فرَّقَ جَماعَتَنا، وشَتَّتَ أمْرَنا، وإنَّما قَوْلُهُ كالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ أبيهِ، وبَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ أخِيهِ، وبَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وإنّا نَخْشى عَلَيْكَ وعلى قَوْمِكَ ما قَدْ دَخَلَ عَلَيْنا، فلا تُكَلِّمَنَّهُ ولا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا.

[اسْتِماعُهُ لِقَوْلِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ عُدُولُهُ وسَماعُهُ مِنَ الرَّسُولِ]

قالَ: فوَاللهِ ما زالُوا بِي حَتّى أجْمَعْتُ ألّا أسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا ولا أُكَلِّمَهُ، حَتّى حَشَوْتُ في أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إلى المَسْجِدِ كُرْسُفًا؛ فرَقًا مِنْ أنْ يَبْلُغَني شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وأنا لا أُرِيدُ أنْ أسْمَعَهُ. قالَ: فغَدَوْتُ إلى المَسْجِدِ، فإذا رَسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبةِ. قالَ: فقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا، فأبى اللهُ إلّا أنْ يُسْمِعَني بَعْضَ قَوْلِهِ. قالَ: فسَمِعْتُ كَلامًا حَسَنًا. قالَ: فقُلْتُ في نَفْسِي: واثُكْلَ أُمِّي!

واللهِ إنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شاعِرٌ ما يَخْفى عَلَيَّ الحَسَنُ مِنَ القَبِيحِ، فما يَمْنَعُنِي أنْ أَسْمَعَ مِنْ هذا الرَّجُلِ ما يَقُولُ، فإنْ كانَ الَّذي يَأْتِي بَهْ حَسَنًا قَبِلْتُهُ، وإنْ كانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ؟!

[التِقاؤُهُ بِالرَّسُولِ، وقَبولُهُ الدَّعْوةَ]

قالَ: فمَكَثْتُ حَتّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِهِ فاتَّبَعْتُهُ، حَتّى إذا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فقُلْتُ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ قَوْمَكَ قَدْ قالُوا لِي كَذا وكَذا، للَّذي قالُوا، فوَاللهِ ما بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أمْرَكَ حَتّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ؛ لِئَلّا أسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أبى اللهُ إلّا أنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا، فاعْرِضْ عَلَيَّ أمْرَكَ. قالَ: فعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الإسْلامَ، وتَلا عَلَيَّ القُرْآنَ، فلا واللهِ ما سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ، ولا أمْرًا أعْدَلَ مِنْهُ.

قالَ: فأسْلَمْتُ وشَهِدْتُ شَهادةَ الحَقِّ، وقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ، إنِّي امْرُؤٌ مُطاعٌ في قَوْمِي، وأنا راجِعٌ إلَيْهِمْ، وداعِيهمْ إلى الإسْلامِ، فادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فيما أدْعُوهُمْ إلَيْهِ، فقالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيةً».

[الآيةُ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ]

قالَ: فخَرَجْتُ إلى قَوْمِي، حَتّى إذا كُنْتُ بِثَنِيّةٍ تُطْلِعُنِي على الحاضِرِ وقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ المِصْباحِ، فقُلْتُ: اللهُمَّ في غَيْرِ وجْهِي، إنِّي أخْشى أنْ يَظُنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ وقَعَتْ في وجْهِي لِفِراقِي دِينَهُمْ. قالَ: فتَحَوَّلَ فوَقَعَ في رَأْسِ سَوْطِي. قالَ: فجَعَلَ الحاضِرُ يَتَراءَوْنَ ذلك النُّورَ في سَوْطِي كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ، وأنا أهْبِطُ إلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيّةِ، قالَ: حَتّى جِئْتُهُمْ فأصْبَحْتُ فيهِمْ.

[دَعْوَتُهُ أباهُ إلى الإسْلامِ]

قالَ: فلَمّا نَزَلْتُ أتاني أبي، وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قالَ: فقُلْتُ: إلَيْكَ عَنِّي يا أبَتِ، فلَسْتُ مِنْكَ ولَسْتَ مِنِّي، قالَ: ولِمَ يا بُنَيَّ؟ قالَ: قُلْتُ: أسْلَمْتُ وتابَعْت دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قالَ: أيْ بُنَيَّ، فدِينِي دِينُكَ، قالَ: فَقُلْتُ: فاذْهَبْ فاغْتَسِلْ وطَهِّرْ ثِيابَكَ، ثُمَّ تعالَ حَتّى أُعَلِّمَكَ ما عُلِّمْتُ. قالَ: فَذَهَبَ فاغْتَسَلَ، وطَهَّرَ ثِيابَهُ. قالَ: ثُمَّ جاءَ فعَرَضْتُ عَلَيْهِ الإسْلامَ، فأسْلَمَ.

[دَعْوَتُهُ زَوْجَهُ إلى الإسْلامِ]

قالَ: ثُمَّ أتَتْنِي صاحِبَتِي، فقُلْتُ: إلَيْكِ عَنِّي، فلَسْتُ مِنْكَ ولَسْتِ مِنِّي، قالَتْ: لِمَ بِأبي أنْتَ وأُمِّي؟ قالَ: قُلْتُ: قَدْ فرَّقَ بَيْنِي وبَيْنَكِ الإسْلامُ، وتابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قالَتْ: فدِينِي دِينُكَ، قالَ: قُلْتُ: فاذْهَبِي إلى حِنا ذِي الشَّرى ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: حِمى ذِي الشَّرى ـ فتَطَهَّرِي مِنْهُ.

قالَ: وكانَ ذُو الشَّرى صَنَمًا لِدَوْسٍ، وكانَ الحِمى حِمًى حَمَوْهُ لَهُ، وَبِهِ وشَلٌ مِنْ ماءٍ يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ، قالَ: قالت: بِأبي أنْتَ وأُمِّي، أتَخْشى على الصَّبِيَّةِ مِنْ ذِي الشَّرى شَيْئًا؟ قالَ: قُلْتُ: لا، أنا ضامِنٌ لِذلك، فذَهَبَتْ فاغْتَسَلَتْ، ثُمَّ جاءَتْ فعَرَضْتُ عَلَيْها الإسْلامَ، فأسْلَمَتْ.

[دَعْوَتُهُ قَوْمَهُ إلى الإسْلامِ، وما كانَ مِنْهُمْ، ولَحاقُهُمْ بِالرَّسُولِ]

ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إلى الإسْلامِ، فأبْطَؤُوا عَلَيَّ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فقُلْتُ لَهُ: يا نَبِيَّ اللهِ، إنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي على دَوسٍ الزّنا، فادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، فقالَ: «اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فادْعُهُمْ وارْفُقْ بِهِمْ». قالَ: فلَمْ أزَلْ

بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إلى الإِسْلامِ، حَتّى هاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ، ومَضى بَدْرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ، ثُمَّ قَدِمْتُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي، ورَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، حَتّى نَزَلْتُ المَدِينةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، فأَسْهَمَ لَنا مَعَ المُسْلِمِينَ.

[ذَهابُهُ إلى ذِي الكَفَّينِ لِيُحرِقَه، وشِعْرُه في ذلك]

ثُمَّ لَمْ أَزَلْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتّى إذا فتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكّةَ، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، ابْعَثْنِي إلى ذِي الكَفَّينِ ـ صَنَمِ عَمْرِو بنِ حُمَمَةَ ـ حَتّى أُحْرِقَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فخَرَجَ إلَيْهِ، فجَعَلَ طُفيلٌ يُوقِدُ عَلَيْهِ النّارَ ويَقُولُ:

يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبّادِكا ... مِيلادُنا أَقْدَمُ مِنْ مِيلادِكا

إنِّي حَشَوْتُ النّارَ في فُؤادِكا

[جِهادُهُ مَعَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ قَبْضِ الرَّسُولِ، ثُمَّ رُؤْياهُ ومَقْتَلُهُ]

قالَ: ثُمَّ رَجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فكانَ مَعَهُ بِالمَدِينةِ حَتّى قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، فلَمّا ارْتَدَّتِ العَرَبُ، خَرَجَ مَعَ المُسْلِمِينَ، فسارَ مَعَهُمْ حَتّى فرَغُوا مِنْ طُلَيْحةَ، ومِنْ أَرْضِ نَجْدٍ كُلِّها، ثُمَّ سارَ مَعَ المُسْلِمِينَ إلى اليَمامةِ، ومَعَهُ ابنُهُ عَمْرُو بنُ الطُّفيلِ، فرَأى رُؤْيا وهُوَ مُتَوَجِّهٌ إلى اليَمامةِ، فقالَ لِأَصْحابِهِ: إنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيا فاعْبُرُوها لِي: رَأَيْتُ أَنَّ رَأْسِي حُلِقَ، وأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ فمِي طائِرٌ، وأَنَّهُ لَقِيَتْنِي امْرَأَةٌ فأَدْخَلَتْنِي في فرْجِها، وأَرى ابنِي يَطْلُبُنِي حَثِيثًا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ حُبِسَ عَنِّي، قالُوا: خَيْرًا، قالَ: أَمّا أنا واللهِ فقَدْ أَوَّلْتُها، قالُوا: ماذا؟ قالَ: أَمّا حَلْقُ رَأْسِي فوَضْعُهُ، وأَمّا الطّائِرُ الَّذي خَرَجَ مِنْ فمِي فرُوحِي،

وأمّا المَرْأَةُ الَّتِي أدَخَلَتْنِي فرْجَها فالأَرْضُ تُحْفَرُ لِي، فأُغَيَّبُ فيها، وأمّا طَلَبُ ابنِي إيّايَ ثُمَّ حَبْسُهُ عَنِّي، فإنِّي أُراهُ سَيَجْهَدُ أنْ يُصِيبَهُ ماأصابَنِي. فقُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ شَهِيدًا بِاليَمامةِ، وجُرِحَ ابنُهُ جِراحةً شَدِيدةً، ثُمَّ اسْتَبَلَّ مِنْها، ثُمَّ قُتِلَ عامَ اليَرْمُوكِ في زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَهِيدًا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ طُفَيْلِ بنِ عمرٍو[١] بنِ طَرِيفِ بنِ العاصِي بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ سُلَيْمِ ابنِ فَهْمِ[٢] بنِ غَنْمِ بنِ دَوْسٍ إلى آخِرِهِ، ولَيْسَ فيهِ إشْكالٌ إلّا قَوْلُهُ: «حِنا ذِي الشَّرى».

وقَدْ قالَ ابنُ هِشامٍ[٣]: حِمًى، وهُوَ مَوْضِعٌ حَمَوْهُ لِصَنَمِهِمْ ذِي الشَّرى[٤]، فإنْ صَحَّتْ رِوايةُ ابنِ إسْحاقَ، فالنّونُ قَدْ تُبْدَلُ مِنَ المِيمِ؛ كَما قالُوا: حُلّانٌ وحُلّامٌ لِلْجَدْيِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِنْ حَنَوْتُ العُودَ، ومِنْ مَحْنِيَةِ الوادِي، وهُوَ ما انْحَنى مِنْهُ.

وَقَوْله: «يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبّادِكا»؛ أرادَ: الكَفَّيْنِ بِالتَّشْدِيدِ، فخَفَّفَ[٥] لِلضَّرُورةِ، غَيْرَ أنَّ في نُسْخةِ الشَّيْخِ أنَّ الصَّنَمَ كانَ يُسَمّى: ذا الكَفَيْنِ، وقد

---

(١) بعده في (ف): «الدوسي، وهو طفيل بن عمرو».

(٢) في (أ)، (ب): «فهر». وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٣٧٩)، و«جمهرة ابن الكلبي» (ص: ٤٧٤).

(٣) بعده في (ف): «هو».

(٤) «السيرة» (١: ٣٨٤).

(٥) في (أ): «مخفَّف».

خَفَّفَ الفاءَ بِخَطِّهِ بَعْدَ أَنْ كانَتْ مُشَدَّدةً، فَدَلَّ أَنّهُ عِنْدَهُ[١] مُخَفَّفٌ في غَيْرِ الشِّعْرِ، فإنْ صَحَّ هَذا فهُوَ مَحْذُوفُ اللّامِ، كَأَنّهُ تَثْنِيةُ كَفْءٍ، مِنْ كَفَأْتُ الإناء، أو كَفْءٍ بِمَعْنى كُفْءٍ[٢]، ثُمّ سُهِّلَتِ الهَمْزةُ، وأُلْقِيَتْ حَرَكَتُها على الفاءِ؛ كَما يُقالُ: الخَبْءُ والخَبُ.

وفي الحَدِيثِ: أنّ أَهْلَ الحاضِرِ مِنْ دَوْسٍ كانُوا يتراءَونَهُ في الثَّنِيّةِ، وفي سَوْطِهِ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ. وذَكَرَهُ المُبَرِّدُ فقالَ في لَفْظِ الحَدِيثِ: جَعَلُوا يَنْظُرُونَ إلى الجَبَلِ وهُوَ يلتهِبُ مِنْ شِدّةِ الضِّياءِ والنُّورِ.

ورَوى أبُو الزِّنادِ، عَنِ الأعْرَجِ، عَنْ أبِي هُرَيْرةَ، قالَ: لَمّا قالَ طُفَيْلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إنّ دَوْسًا قد غَلَبَ عَلَيْها الزِّنى والرِّبا، فادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، قُلْنا: هَلَكَتْ دَوْسٌ، حَتّى قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ اهدِ دَوْسًا»[٣].

* * *

(١) في (ف): «عنده أنه».

(٢) «اللسان»: كفأ، عن كراع. و«الكامل» للمبرد: (٢: ٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، رقم (٢٩٣٧)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم... رقم (٢٥٢٤). (ج)

أَمْرُ أَعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ

[شِعْرُهُ في مَدْحِ الرَّسُولِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي خَلّادُ بنُ قُرّةَ بنِ خالِدٍ السَّدُوسِيُّ وغَيْرُهُ مِنْ مَشايِخِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ أَعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ، خَرَجَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدُ الإسْلامَ، فقالَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللهِ ﷺ:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنـاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدا ... وبِتَّ كَما باتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدا؟

وَما ذاكَ مِنْ عِشْقِ النِّساءِ وإِنَّما ... تَناسَيْتَ قَبْلَ اليَوْمِ صُحْبَةَ مَهْدَدا

وَلَكِنْ أرى الدَّهْرَ الَّذي هُوَ خائِنٌ ... إذا أَصْلَحَتْ كَفّايَ عادَ فأَفْسَدا

كُهُولًا وشُبّانًا فقَدْتُ وثَرْوةً ... فللهِ هذا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدا؟

وَما زِلْتُ أَبْغِي المالَ مُذْ أنا يافِعٌ ... ولِيدًا وكَهْلًا حِينَ شِبْتُ وأَمْرَدا

وَأَبْتَذِلُ العِيسَ المَراقِيلَ تَغْتَلِي ... مَسافَةَ ما بَيْنَ النُّجَيْرِ فصَرْخَدا

أَلا أَيُّهذا السّائِلِي أَيْنَ يَمَّمَتْ؟ ... فإِنَّ لَها في أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدا

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فيا رُبَّ سائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدا

أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْها النَّجاءَ وراجَعَتْ ... يَداها خِنافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدا

وَفِيها إذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتُ حِرْباءَ الظَّهِيرةِ أَصْيَدا

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ هِشامٍ حَدِيثَ الأعْشى وقَصِيدَتَهُ إلى آخِرِها، قال: فلَمّا كانَ قَرِيبًا مِنْ مَكّةَ لَقِيَهُ بَعْضُ المُشْرِكِينَ، فقالَ: إلى أيْنَ يا أبا بَصِيرٍ؟ الحَدِيثَ، وذَكَرَ تَحْرِيمَهُ الزِّنى، وَتحْرِيمَهُ الخَمْرَ، وقَوْلَ الأعْشى: أمّا الخَمْرُ ففي النَّفسِ مِنْها عُلالاتٌ[1].

وقالَ غَيْرُ ابنِ هِشامٍ: كانَ القائِلُ لِلْأعْشى هَذِهِ المَقالَةَ أبا[2] جهلِ بنَ هشامٍ، قالها [له][3] في دارِ عُتبَةَ بنِ رَبيعةَ، وكانَ نازِلًا عِنْدَهُ[4].

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسمِ: وهَذِهِ غَفْلَةٌ مِن ابنِ هِشامٍ ومَنْ قالَ بِقَوْلِهِ؛ فإنّ النّاسَ مُجْمِعُونَ على أنّ الخَمْرَ لَمْ يَنْزِلْ تَحْرِيمُها إلّا بالمَدِينةِ بَعْدَ أنْ مَضَتْ بَدْرٌ وأُحُدٌ، وحُرِّمَتْ في سُورةِ المائِدةِ[5]، وهِيَ مِن آخِرِ ما نزَلَ، وفي «الصَّحِيحَيْنِ»[6] مِنْ ذَلِكَ قِصّةُ حَمْزةَ حِينَ شَرِبَها، وغَنّتْهُ القَيْنَتانِ[7]: [من الوافر]

ألا يــا حَمْزُ لِلشُّــرُفِ النِّواءِ

---

(١) العُلالات: جمع عُلالة، وهو ما يُتعلَّل به.

(٢) في (ف): «أبو».

(٣) عن (أ)، (ج)، (ف).

(٤) في «الأغاني» (٩: ٣٢٤٥-٣٢٤٦)، رواية ثالثة صاحب القصة معه فيها أبو سفيان بن حرب.

(٥) الآية: [٩٠، ٩١].

(٦) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣١٦)، ومسلم، كتاب الأشربة: (٣: ١٥٦٩).

(٧) البيت في «اللسان» و«التاج» (نوى، شرف)، غير منسوب، وعجُزه:

فهنَّ معقَّــلاتٌ بالفِناءِ

والشُّرُف: جمع شارف، وهو المسنّة مِن النُّوق، وربّما قيل للذَّكر: شارف. والنِّواء: جمع ناوٍ وناوية، يُقال: نوتِ النّاقةُ تَنوي نيًّا ونواية: سَمِنَتْ.

فَبَقر خواصِرَ الشّارِفَيْنِ، واجتبَّ[١] أسْنمَتَهما.

وَقَوْلَهُ لِلنّبيِّ ﷺ: هَلْ أَنْتُمْ إلّا عَبيدٌ لِآبائِي؟! وهُوَ ثَمِلٌ... الحَدِيثَ بِطُولِهِ.

فإنْ صَحّ خَبَرُ الأعْشى، وما ذُكِرَ[٢] لَهُ في الخَمْرِ، فلَمْ يَكُنْ هَذا بِمَكّةَ، وإنّما كانَ بِالمَدِينةِ إنْ صحّ، ويَكُونُ القائِلُ لَهُ: «أما عَلِمْتَ أنّهُ يُحَرِّمُ الخَمْرَ؟» مِنَ المُنافِقِينَ، أوْ مِنَ اليَهُودِ، فالله أعْلَمُ.

وفي القَصِيدةِ ما يَدُلُّ [على][٣] هَذا، قَوْلُهُ: [من الطويل]

فإنَّ لَها في أَهْلِ يَثْرِبَ موعدا

وقد ألفيتُ للقالي[٤] رِوايةً [عَنْ][٥] أبِي حاتِمٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدةَ، قال: لَقِيَ الأعشى عامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ في بِلادِ قَيْسٍ وهُوَ مُقْبِلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فذَكَرَ لَهُ أنّهُ يُحَرِّمُ الخَمْرَ، فرَجَعَ، فهَذا أوْلى بِالصّوابِ.

وقَوْلُ الأعْشى: أتَرَوّى مِنْها هَذا العامَ، ثُمّ أعُودُ فأُسلِمُ، لا يُخْرِجُهُ عن الكفرِ بإجماعٍ، قال الإسفرايينيُّ[٦] في «عَقِيدَتِهِ»: إذا قالَ المُؤْمِنُ: سَأكفرُ غدًا، أوْ بَعْدَ غَدٍ، فهُوَ كافِرٌ لِحِينِهِ بِإجْماعٍ. وإذا قال الكافر: سأُومنُ غدًا، أوْ بَعْدَ غدٍ،

(١) أي: قطعهما.

(٢) في (ب): «وما ذكرناه في الخمر».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) في (ب): «في القالي».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق، النيسابوري، الأستاذ، ركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة، وبُنيت له بنيسابور المدرسة المشهورة، توفي سنة (٤١٨هـ). انظر: «وفيات الأعيان» لابن خَلِّكان: (١: ٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: (١٧: ٣٥٣-٣٥٦).

فهُوَ على كُفْرِهِ، لا يُخرِجُهُ عَنْ حُكْمِ الكُفْرِ إلّا إيمانُهُ[١] إذا آمَنَ، ولا خِلافَ في هَذا، والله المُسْتَعانُ[٢].

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

«أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناك لَيْلةَ أرْمَدا»

لَمْ يَنْصِبْ «لَيْلةَ» على الظَّرْفِ؛ لِأنّ ذَلِكَ يُفْسِدُ مَعْنى البَيْتِ، ولَكِنْ أرادَ المَصْدَرَ فَحَذَفَهُ، والمَعْنى: اغتماضَ ليلةِ أرمَدَ، فحذفَ المُضافَ إلى اللّيْلةِ، وأقامَها مُقامَهُ، فصارَ إعْرابُها كَإعْرابِهِ.

وقَدْ رُوِيَ هَذا البَيْتُ: لَيْلك[٣] بالكافِ، ومَعْناهُ: غَمْضُ أرمَدَ، وقيل: بل «أرمدَ» على هذه الرّوايةِ مِنْ صِفةِ اللّيْلِ؛ أيْ: حالٌ مِنْهُ على المَجازِ، كَما تَقُولُ: لَيْلُك ساهِرٌ[٤].

وَقَوْلُهُ: «تناسيتَ قبلَ اليومِ خُلّةَ مَهْدَدا»؛ مَهْدَدُ: فَعلَلٌ مِنَ المَهْدِ، ولَوْلا قِيامُ الدَّلِيلِ على أنّ المِيمَ أصْلِيّةٌ لَحَكَمْنا بِأنّهُ مَفْعَلٌ؛ لِأنّ الكَلِمةَ الرُّباعِيّةَ إذا كانَ أوّلُها مِيمًا أوْ هَمْزةً، فمَحْمَلُها على الزّيادةِ، إلّا أنْ يَقُومَ دَلِيلٌ على أنّها أصْلِيّةٌ، والدّلِيلُ في هَذِهِ[٥] الكَلِمةِ: ظُهُورُ التَّضْعِيفِ في الدّالِ؛ إذْ لَوْ كانَتِ المِيمُ زائِدةً لَما ظَهَرَ التَّضْعِيفُ، ولَقُلْت فيهِ: مَهَدٌّ كَما تَقُولُ: مَرَدٌّ، ومَكَرٌّ، ومَفَرٌّ في كُلِّ ما وزْنُهُ مَفْعَلٌ مِنَ المُضاعَفِ، وإنّما الدّالُ في «مَهْدَدَ» ضُوعِفَتْ لِتُلْحَقَ بِبِناءِ جَعْفَرٍ[٦].

---

(١) في (أ): «الإيمان».

(٢) في (أ)، (ج): «والله أعلم».

(٣) في (أ): «ليلك أرمد».

(٤) انظر البيت في: «شرح المفصل» لابن يعيش: (١٠: ١٠٢).

(٥) في (أ): «على هذه».

(٦) يُنظر: «الكتاب» (٤: ٢٧٧، ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٢٩)، و«شرح الشافية» للرضي: (١: ١٤). =

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظَّهِيرةِ أصْيَدا

والأصْيَدُ: المائِلُ العُنُقِ، وَلَمّا كانَتِ الحِرْباءُ تَدُورُ بِوَجْهِها مَعَ الشّمْسِ كَيْفَما دارَتْ، كانَتْ في وسَطِ النهار[1]، وفي أوّلِ الزَّوالِ كالأصْيَدِ، وذَلِكَ أحَرُّ ما تَكُونُ الرّمْضاءُ، يَصِفُ ناقَتَهُ بِالنّشاطِ، وقُوّةِ المشيِ في ذلك الوقتِ.

وقولُه: «خِنافًا لَيِّنًا»، في «العَيْن»[2]: خَنَفَتِ الدابّةُ تَخْنِفُ بِيَدَيْها[3] في السَّيْرِ: إذا مالَتْ بِهِما نَشاطًا، وناقةٌ خَنُوفٌ، قالَ[4] الرّاجِزُ[5]: [من الرجز]

إنّ الشِّــواءَ والنَّشِــيلَ والرُّغُفْ ... والقَيْنَةَ الحَسْناءَ والكَأْسَ الأُنُفْ

لِلطّاعِنِينَ الخيلَ والخَيْلُ خُنُفْ

وقَوْله: «لَيِّنًا غَيْرَ أحْرَدا»؛ أيْ: تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حَرَدٍ في يَدَيْها، أيِ: اعْوِجاجٍ.

والنُّجَيْرُ وصَرْخَد بَلَدانِ[6]، وأهْلُ النُّجَيْرِ أوَّلُ مَنِ ارْتَدَّ في خِلافةِ أبِي بَكْرٍ

= ومهدد: علم امرأة.

(١) بعده في (ف): «وفي أول النهار».

(٢) «العين» (٤: ٢٧٦).

(٣) كذا في الأصول، و«مختصر الزبيدي» (١: ٤٥٨). وفي «العين»: «بيدها.. مالت بها».

(٤) في (ف): «وقال».

(٥) هو لقيط بن زرارة التميمي، شاعر جاهلي، وفارس، قُتل يوم جَبَلة. والرجز في «اللسان» (نشل، رغف)، وفيهما: «والخيلُ قُطُف»، بضمتين، وهي جمع قَطُوف، وهو البطيء مِن الدوابِّ.

(٦) النُّجير: حِصن باليَمن قُرب حضرموت، لجأ إليه أهل الرِّدة. أما صَرْخَد فموضعٌ بالجزيرة، كما في «شرح السيرة» لأبي ذر الخُشَني: (١: ١١٠). وقال ياقوت في «معجم البلدان»: إنها بلدٌ ملاصق لحَوْران مِن أعمال دمشق، وقال: وهي قلعة حصينة.

بَعْدَ أهْلِ دَبا[١]، وكانَ أهْل دَبا قَدْ حاصَرَهُمْ حُذَيْفةُ بنُ أَسِيدٍ، وحاصَرَ أهْلَ النُّجَيْرِ زِيادُ بنُ لَبيدٍ بأمْرِ أبِي بَكْرٍ، حَتّى نَزَلُوا على حُكْمِهِ.

وأمّا صَرْخَدُ، فبَلَدٌ طَيِّبُ الأعْنابِ، وإلَيْهِ تُنْسَبُ الخَمْرُ الصَّرْخَدِيّةُ.

وفي «الأمالِي»[٢]: [من الطويل]

ولَذٍّ كَطَعْمِ الصَّرخَديِّ تركتُهُ

وَآلَيْتُ لا آوِي لَهَــا مِنْ كَلالةٍ ... ولا مِنْ حَفًى حَتّى تُلاقِي مُحَمَّدا
مَتى ما تُناخِي عِنْدَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُراحِي وتَلْقَيْ مِنْ فواضِلِهِ نَدى
نَبِيًّا يَــرى ما لا تَــرَوْنَ وذِكْرُهُ ... أغارَ لَعَمْــرِي في البِلادِ وأنْجَدا

وقَوْلُهُ: «وآلَيْتُ لا آوِي لَها مِنْ كَلالـةٍ»؛ أيْ: لا أرِقُّ لَها، يُقـالُ: آوَيْتُ لِلضَّعِيفِ أيَّةً ومَأْوِيَةً: إذا رَقَّتْ[٣] لَهُ كَبِدُك.

وَقَوْلُهُ: [من الطويل]

أغارَ لَعَمْرِي في البِلادِ وأنْجَدا

[المَعْرُوفُ في اللّغَةِ: غارَ وأنْجَدَ، وقَدْ أنْشَدُوا هَذا البَيْتَ: [من الطويل]

(١) دَبـا بفتح أوله وثانيه مقصـور: سـوق من أسـواق العـرب بعُمان. «معجم ما استعجم» (٢: ٥٣٩)، و«معجم البلدان» (٢: ٤٣٥). (ج)

(٢) «أمالي القالي» (١: ٢٠٧) غير منسوب، وعجُزه:

بأرض العِدا مِن خَشــية الحَدَثانِ

ونُسب في «اللسان» (صَرْخَد، لذذ) إلى الراعي النميري. وقال ابن بَرّي في «لذذ»: إنَّ عجُزه:

عَشِيّةَ خِمْس القومِ والعينُ عاشِقَهْ

(٣) في (أ): «رقت كبدك له».

لَعَمْرِيَ غارَ في البِلادِ وأنْجَدا][1]

والغَوْرُ: ما انْخَفَضَ مِنَ الأرْضِ، والنَّجْدُ: ما ارْتَفَعَ مِنْها، وإنّما تَرَكُوا القِياسَ في الغَوْرِ، ولَمْ يَأْتِ [على] أفْعَلَ إلّا قَلِيلًا، وكانَ قِياسُهُ أنْ يَكُونَ مِثْلَ أنْجَدَ [وأتْهَمَ][2]؛ لِأنَّ مَنْ أتى الغَوْرَ فقَدْ هَبَطَ ونَزَلَ، فصارَ مِنْ بابِ غارَتْ عينُه تَغُورُ، أو غارَ الماءُ، ونَحْوِ ذَلِكَ. فإنْ أرَدْت: أشْرَفَ على الغَوْرِ، قُلْت: أغارَ، ولا يكونُ خارجًا عن القياسِ.

لَهُ صَدَقاتٌ ما تُغِبُّ ونائِلٌ ... ولَيْسَ عَطاءُ اليَوْمِ مانِعَهُ غَدا

أجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ الإلَهِ حَيْثُ أوْصى وأشْهَدا؟

إذا أنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزادٍ مِنَ التُّقى ... ولاقَيْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدا

نَدِمْتَ على ألّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... فتُرْصِدَ لِلأمْرِ الَّذي كانَ أرْصَدا

فَإيّاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّها ... ولا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتُفْصِدا

وَذا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ ... ولا تَعْبُدِ الأوْثانَ واللهَ فاعْبُدا

وقَوْلُهُ: «ولَيْسَ عَطاءُ اليَوْمِ مانِعَهُ غَدًا»؛ مَعْناهُ على رَفْعِ العَطاءِ، ونَصْبِ مانِعٍ؛ أيْ: لَيْسَ العطاءُ الذي يُعطِيهِ اليومَ مانعًا له[3] غَدًا مِنْ أنْ يُعْطِيَهُ، فالهاءُ عائِدَةٌ على المَمْدُوحِ، ولو كانَتْ عائِدةً على العَطاءِ لَقالَ: ولَيْسَ عَطاءُ اليَوْمِ مانِعَهُ هُوَ[4]، بِإبْرازِ [ضَمِيرِ الفاعِلِ[5]؛ لِأنَّ الصِّفةَ إذا جَرَتْ على غَيْرِ مَنْ هِيَ

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) «مانعًا له» يقابله في (ف): «مانعه».

(٤) في (أ)، (هـ): «مانعه غدًا هو».

(٥) في (ب): «بإبراز المضمر»، وفي (ج)، (هـ): «بإبراز الضمير الفاعل»، وفي (ف): «وإبراز =

لَهُ بَرَزَ][(١)] الضَّمِيرُ المُسْتَتِر، بِخِلافِ الفِعْلِ، وذَلِكَ لِسِرٍّ بَيَّنّاهُ في[(٢)] غَيْرِ هَذا المَوْضِعِ لَمْ يَذْكُرْهُ النّاسُ.

ولَوْ نُصِبَ العَطاءُ لَجازَ على إضْمارِ الفِعْلِ المَتْرُوكِ إظْهارُهُ؛ لِأَنّهُ مِنْ بابِ اشْتِغالِ الفِعْلِ عَنِ المَفْعُولِ بِضَمِيرِهِ، ويَكُونُ اسْمُ (لَيْسَ) على هَذا مُضْمَرًا فيها عائِدًا على النّبِيِّ ﷺ.

وَلا تَقْرَبَنْ حُرّةً كانَ سِرُّها ... عَلَيْكَ حَرامًا فانْكِحَنْ أوْ تَأَبَّدا
وَذا الرَّحِمِ القُرْبى فَلا تَقْطَعَنَّهُ ... لِعاقِبَةٍ ولا الأسِيرَ المُقَيَّدا
وَسَبِّحْ على حِينِ العَشِيّاتِ والضُّحى ... ولا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاحْمَدا
وَلا تَسْخَرَنْ مِنْ بائِسٍ ذِي ضَرارةٍ ... ولا تَحْسَبَنَّ المالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدا

وَقَوْلُه: «فانْكِحَنْ أوْ تَأبّدا»؛ يُرِيدُ: أوْ تَرَهَّبَ؛ لِأنّ الرّاهِبَ أبَدًا عَزَبٌ، فَقِيلَ لَهُ: مُتَأَبِّدٌ، اشْتُقّ مِنْ لَفْظِ الأبَدِ.

❋ ❋ ❋

= الضمير الفاعل».

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في (ب): «في خلاف».

[رُجُوعُهُ لَمّا عَلِمَ بِتَحْرِيمِ الرَّسُولِ لِلْخَمْرِ، ومَوْتُهُ]

فَلَمّا كانَ بِمَكّةَ أوْ قَرِيبًا مِنْها، اعْتَرَضَهُ بَعْضُ المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، فسَألَهُ عَنْ أمْرِهِ، فأخْبَرَهُ أنَّهُ جاءَ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُسْلِمَ، فقالَ لَهُ: يا أبا بَصِيرٍ، إنَّهُ يُحَرِّمُ الزِّنا، فقالَ الأعْشى: واللهِ إنَّ ذلك لَأمْرٌ ما لِي فيهِ مِنْ أرَبٍ، فقالَ لَهُ: يا أبا بَصِيرٍ، فإنَّهُ يُحَرِّمُ الخَمْرَ، فقالَ الأعْشى: أمّا هَذِه فوَاللهِ إنَّ في النَّفْسِ مِنْها لَعُلالاتٍ، ولَكِنِّي مُنْصَرِفٌ فأتَرَوّى مِنْها عامِي هذا، ثُمَّ آتِيهِ فأُسْلِمُ. فانْصَرَفَ فماتَ في عامِهِ ذلك، ولَمْ يَعُدْ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

[ذُلُّ أبِي جَهْلٍ لِلرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ عَدُوُّ اللهِ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ مَعَ عَداوَتِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وبُغْضِهِ إيّاهُ، وشِدَّتِهِ عَلَيْهِ، يُذِلُّهُ اللهُ لَهُ إذا رَآهُ.

وَقَوْلُهُ: «واللهَ فاعْبُدا»[١]، وقَفَ على النُّونِ الخَفيفةِ بالألِفِ، وكَذَلِكَ «فانْكِحَنْ أوْ تَأبّدا»، ولِذَلِكَ كُتِبَتْ في الخَطِّ بالألِفِ[٢]؛ لِأنَّ الوَقْفَ عَلَيْها بالألِفِ، وقَدْ قِيلَ في مِثْلِ هَذا: إنَّهُ لَمْ يُرِدْ النُّونَ الخَفيفةَ[٣]، إنّما[٤] خاطَبَ

---

(١) في (ب): «فاعبدن».

(٢) في (ف): «بألف».

(٣) في (ب): «حقيقة».

(٤) في (ف): «وإنما».

الواحِدَ بِخِطابِ الِاثْنَيْنِ، وزَعَموا أنّهُ مَعْرُوفٌ في كَلامِ العَرَبِ، وأنْشَدُوا[١] في ذَلِكَ[٢]: [من الطويل]

فَإنْ تَزْجُرانِي يا ابنَ عَفّانَ أَزْدَجِرْ وإنْ تَدَعانِي أحْمِ عِرْضًا مُمَنّعا

وأنْشَدُوا[٣] أيْضًا في هَذا المَعْنى[٤]: [من الوافر]

وَقُلْتُ لِصاحِبِي: لا تَحْبِساها بِنَزْعِ أُصُولِها واجتَثَّ[٥] شِيحا

ولا يُمْكِنُ إرادةُ النّونِ الخَفيفةِ في هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ؛ لِأنّها لا تَكُونُ ألِفًا إلّا في الوَقْفِ، وهَذا الفِعْلُ قَدِ اتّصَلَ بِهِ الضّمِيرُ، فلا يَصِحُّ اعْتِقادُ الوَقْفِ عَلَيْهِ دُونَ الضَّمِيرِ. وحُكِيَ أنّ الحَجّاجَ قالَ: يا حَرَسِيُّ اضْرِبا[٦] عُنُقَهُ، وهذا قَدْ يُمْكِنُ فيهِ حَمْلُ الوَصْلِ على الوَقْفِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يُرِيدَ: اضْرِبْ أنْتَ وصاحِبُك، وَقَدْ قِيلَ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [ق: ٢٤]، إنّ الخِطابَ لِمالِكٍ وحْدَهُ حَمْلًا على هذا البابِ.

وقِيلَ: بَلْ هُوَ راجِعٌ إلى قَوْلِهِ: ﴿ سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١].

وفي القَصِيدةِ زِيادةٌ لَمْ تَقَعْ في رِوايةِ ابنِ هِشامٍ، وهِيَ قَوْلُهُ في وصْفِ النّاقةِ: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «فأنشدوا».

(٢) البيت في «خزانة الأدب» (١١: ١٧) غير منسوب، وصدره في «المخصص» (٢: ٥)، وقد نسبه الأستاذ عبد السلام هارون إلى سويد بن كراع.

(٣) في (أ): «وأنشد».

(٤) هو مُضَرِّس الأسدي، كما في «شرح شواهد الشافية» (ص: ٤٨١)، وليزيد بن الطثرية في «اللسان» (جزز).

(٥) في حاشية (أ): «واجدز»، أي: واجتز.

(٦) «شرح القصائد السبع الطوال» (ص: ١٧)، و«خزانة الأدب» (١١: ١٨).

فَأَمّــا إذا ما أدْلَجَــتْ، فترى لَها   رَقِيبَيْنِ: نَجْمًا لا يَغِيبُ وفَرْقَدا[١]

وَقَعَ هَذا البَيْتُ بَعْدَ قَوْلِهِ: «لَيِّنًا غَيْرَ أحْرَدا».

وقَوْلُهُ في صِفةِ النّبيِّ ﷺ: [من الطويل]

أغارَ لَعَمْرِي في البِلادِ وأنْجَدا

بَعْدَهُ[٢]: [من الطويل]

بِــهِ أنْقَــذَ اللهُ الأنــامَ مِــنَ العَمــى   وما كانَ فيهِمْ مَنْ يَرِيعُ إلى الهُدى[٣]

* * *

(١) «ديوانه» (ص: ١٠٥)، وفيه: «جديًا لا يغيب».

(٢) لم أجده في «ديوانه». ويَرِيع: يعُود ويرجع، يُقال: وَعَظْتُه فأبى أن يَرِيع.

(٣) في (ف): «هدى».

أَمْرُ الإِراشِيِّ الَّذي باعَ أَبا جَهْلٍ إِبِلَهُ

[مُماطَلةُ أَبي جَهْلٍ لَهُ، واسْتِنْجادُهُ بِقُرَيْشٍ، واسْتِخْفافُهُمْ بِالرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبي سُفيانَ الثَّقَفي ـ وكانَ واعِيةً ـ قالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إراشٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: إراشةَ ـ بِإِبِلٍ لَهُ مَكّةَ، فابْتاعَها مِنْهُ أبو جَهْلٍ، فمَطَلَهُ بِأَثْمانِها، فأَقْبَلَ الإِراشِيُّ حَتّى وقَفَ على نادٍ مِنْ قُرَيْشٍ ورَسُولُ اللهِ ﷺ في ناحِيةِ المَسْجِدِ جالِسٌ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّيني على أبي الحَكَمِ بنِ هِشامٍ؛ فإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ، ابنُ سَبِيلٍ، وقَدْ غَلَبَنِي على حَقِّي؟ قالَ: فقالَ لَهُ أَهْلُ ذلك المَجْلِسِ: أَتَرى ذلك الرَّجُلَ الجالِسَ؟ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ـ وهُمْ يَهْزَؤُونَ بِهِ؛ لِما يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أبي جَهْلٍ مِنَ العَداوةِ ـ اذْهَبْ إِلَيْهِ؛ فإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ عَلَيْهِ.

[إِنْصافُ الرَّسُولِ لَهُ مِنْ أَبي جَهْلٍ]

فَأَقْبَلَ الإِراشِيُّ حَتّى وقَفَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ أَبا الحَكَمِ بنَ هِشامٍ قَدْ غَلَبَنِي على حَقٍّ لِي قِبَلَهُ، وأَنا رَجُلٌ غَرِيبٌ ابنُ سَبِيلٍ، وقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلاءِ القَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدِّيني عَلَيْهِ يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فأَشارُوا لِي إِلَيْكَ، فخُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ، يَرْحَمُكَ اللهُ، قالَ: «انْطَلِقْ إِلَيْهِ»، وقامَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فلَمّا رَأَوْهُ قامَ مَعَهُ، قالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ: اتْبَعْهُ، فانْظُرْ ماذا يَصْنَعُ.

قالَ: وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى جاءَهُ فضَرَبَ عَلَيْهِ بابَهُ، فَقالَ: مَنْ هذا؟ قالَ: «مُحَمَّدٌ، فاخْرُجْ إلَيَّ»، فخَرَجَ إلَيْهِ، وما في وجْهِهِ مِنْ رائِحَةٍ، قَدِ انْتُقِعَ لَوْنُهُ، فقالَ: «أَعْطِ هذا الرَّجُلَ حَقَّهُ»، قالَ: نَعَمْ، لا تَبْرَحْ حَتّى أُعْطِيَهُ الَّذي لَهُ، قالَ: فدَخَلَ، فخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقِّهِ، فدَفَعَهُ إلَيْهِ، قالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وقالَ لِلْإراشِيِّ: «الحَقْ بِشَأْنِكَ»، فأَقْبَلَ الإراشِيُّ حَتّى وقَفَ على ذلك المَجْلِسِ، فقالَ: جَزاهُ الله خَيْرًا؛ فقَدْ واللهِ أَخَذَ لِي حَقِّي.

[ما رَواهُ أبو جَهْلٍ عَنْ سَبَبِ خَوْفِهِ مِنَ الرَّسُولِ]

قالَ: وجاءَ الرَّجُلُ الَّذي بَعَثُوا مَعَهُ، فقالُوا: ويْحَكَ! ماذا رَأَيْتَ؟ قالَ: عَجَبًا مِنَ العَجَبِ؛ واللهِ ما هُوَ إلّا أنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بابَهُ، فخَرَجَ إلَيْهِ وما مَعَهُ رُوحُهُ، فقالَ لَهُ: أعْطِ هذا حَقَّهُ، فقالَ: نَعَمْ، لا تَبْرَحْ حَتّى أُخْرِجَ إلَيْهِ حَقَّهُ، فدَخَلَ فخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقِّهِ، فأَعْطاهُ إيّاهُ. قالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أبو جَهْلٍ أنْ جاءَ، فقالُوا لَهُ: ويْلَكَ! ما لَكَ؟ واللهِ ما رَأَيْنا مِثْلَ ما صَنَعْتَ قَطُّ! قالَ: ويْحَكُمْ، واللهِ ما هُوَ إلّا أنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بابِي، وسَمِعْتُ صَوْتَهُ، فمُلِئْتُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إلَيْهِ، وإنَّ فوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنَ الإبِلِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هامَتِهِ، ولا قَصَرَتِهِ، ولا أنْيابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، واللهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ الإراشِيِّ الّذِي قَدِمَ مَكّةَ، واسْتَعْدى على أَبِي جَهْلٍ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: هُوَ مِنْ إراشٍ، [وإراشٌ هُوَ][1] ابنُ الغَوْثِ، أوِ ابنُ عمرِو بنِ الغَوْثِ

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

ابنِ نَبْتِ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سَبَأٍ، وهُوَ والِدُ أنْمارِ الّذِي ولَدَ بَجِيلَةَ وخَثْعَمَ، وإراشةُ الّذِي ذَكَرَ ابنُ هشامٍ: بطنٌ مِن خَثْعَمَ، وإراشةُ أيضًا مَذْكُورةٌ في العَمالِيقِ في نَسَبِ فِرْعَوْنَ صاحِبِ مِصْرَ، وفي بَلِيٍّ أيْضًا بَنُو إراشةَ.

وقَوْلُهُ: «مَنْ يُؤَدِّينِي على أبِي الحَكَمِ؟»؛ أيْ: يُعِينُني على أخذِ حقِّي، وهُوَ مِنَ الأداةِ الّتِي بها يتوَصَّلُ الإنْسانُ إلى ما يُرِيدُ، كَأداةِ الحَرْبِ، وأدواتِ الصُنّاعِ، فالحاكِمُ يُؤَدِّي الخَصْمَ، أيْ: يُوَصِّلُهُ إلى مَطْلَبِهِ.

وقَدْ قِيلَ: إنّ الهَمْزةَ بَدَلٌ مِنَ العَيْنِ، ويُؤَدِّي ويُعَدِّي بِمَعْنًى واحِدٍ، أيْ: يُزِيلُ العُدْوانَ والعَداءَ[١]، وهُوَ الظُّلْمُ، كَما تَقُولُ: هُوَ يُشْكِيك؛ أيْ: يُزِيلُ شَكْواك، وفي حَدِيثِ خَبّابٍ[٢]: شَكَوْنا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ الرَّمْضاءَ، فلَمْ يُشْكِنا، مَعْناهُ على أحَدِ الوجهين: لَمْ يَرْفَعْ شَكْوانا، ولَمْ يُزِلْها.

وقَوْلُهُ: «فخَرَجَ إلَيْهِ وما في وجْهِهِ رائِحةٌ»؛ أيْ: بَقِيّةُ رُوحٍ، [فكأنّ مَعْناهُ: رُوحٌ][٣] باقِيةٌ، فلِذَلِكَ جاءَ بِهِ على وزْنِ فاعِلة، والدّلِيلُ على أنّهُ أرادَ مَعْنى الرُّوحِ ـ وإنْ جاءَ بِهِ على بِناءِ[٤] فاعِلة ـ قَوْلُ الإراشِيِّ في آخِرِ الحَدِيثِ: خَرَجَ إلَيّ وما معهُ رُوحُهُ.

* * *

(١) في (أ): «والعداة».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد: (١: ٤٣٣). والمعنى: أنهم شكوا إليه حرَّ الشمس، وما يُصيب أقدامهم منه إذا خرجوا إلى صلاة الظُّهر، وسألوه تأخيرَها قليلًا، فلم يُجبهم لذلك.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) في (ف): «وزن».

أَمْرُ رُكانةَ المُطَّلِبِيِّ ومُصارَعَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ

[غَلَبةُ النَّبِيِّ لَهُ، وآيةُ الشَّجَرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، قالَ: كانَ رُكانةُ بنُ عَبْدِ يَزِيدَ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ أشَدَّ قُرَيْشٍ، فخَلا يَوْمًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ شِعابِ مَكّةَ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا رُكانةُ، ألا تَتَّقِي الله وتَقْبَلُ ما أدْعُوكَ إلَيْهِ؟» قالَ: إنِّي لَوْ أعْلَمُ أنَّ الَّذي تَقُولُ حَقٌّ لاتَّبَعْتُكَ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أفَرَأيْتَ إنْ صَرَعْتُكَ، أتَعْلَمُ أنَّ ما أقُولُ حَقٌّ؟» قالَ: نَعَمْ، قالَ: «فقُمْ حَتّي أُصارِعَكَ». قالَ: فَقامَ إلَيْهِ رُكانةُ يُصارِعُهُ، فلَمّا بَطَشَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أضْجَعَهُ وهُوَ لا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قالَ: عُدْ يا مُحَمَّدُ، فعادَ فصَرَعَهُ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، واللهِ إنَّ هذا لَلْعَجَبُ، أتَصْرَعُنِي؟! فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وأعْجَبُ مِنْ ذلك إنْ شِئْتَ أنْ أُرِيَكَهُ، إنِ اتَّقَيْتَ الله واتَّبَعْتَ أمْرِي»، قالَ: ما هُوَ؟ قالَ: «أدْعُو لَكَ هَذِهِ الشَّجَرةَ الَّتِي تَرى فتَأْتِينِي»، قالَ: ادْعُها، فدَعاها، فأقْبَلَتْ حَتّى وقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: فقالَ لَها: «ارْجِعِي إلى مَكانِكَ». قالَ: فرَجَعَتْ إلى مَكانِها، قالَ: فذَهَبَ رُكانةُ إلى قَوْمِهِ، فقالَ: يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، ساحِرُوا بِصاحِبِكُمْ أهلَ الأرْضِ؛ فوَاللهِ ما رَأيْتُ أسْحَرَ مِنْهُ قَطُّ، ثُمَّ أخْبَرَهُمْ بِالَّذِي رَأى والَّذِي صَنَعَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ رُكانةَ، ومُصارَعَتَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذا الحَدِيثِ عَنْ أَبِي الأَشُدَّيْنِ الجُمَحِيِّ، ولَعَلَّهُما أَنْ يَكُونا[١] جَمِيعًا صارَعا رسولَ اللهِ ﷺ، وقد تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِأَبِي الأَشُدَّيْنِ، وبِاسْمِهِ ونَسَبِهِ.

ورُكانةُ: هُوَ ابنُ عَبْدِ يَزِيدَ بنِ هاشِمِ بنِ المُطَّلِبِ، مِنْ مُسْلِمةِ الفَتْحِ، وتُوُفِّيَ في خِلافةِ مُعاوِيةَ، وهُوَ الَّذِي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أَلْبَتَّةَ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ نِيَّتِهِ، فقالَ: إِنَّما أَرَدْتُ واحِدةً. فَرَدَّها عَلَيْهِ[٢].

ومِنْ حَدِيثِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قالَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وإِنَّ خُلُقَ هَذا الدِّينِ الحَياءُ»[٣].

ولِابنِهِ يَزِيدَ بنِ رُكانةَ صُحْبةٌ[٤]، ويَرْوِي عَنْ يزيدَ بنِ رُكانةَ ابنُهُ عَلِيٌّ، وكانَ عَلِيٌّ قَدْ أُعْطِي مِنَ الأَيْدِ والقُوَّةِ ما لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ، نَزَعَ في ذَلِكَ إلى جَدِّه رُكانةَ، ولَهُ في ذَلِكَ أَخْبارٌ ذَكَرَها الفاكِهِيُّ، مِنْها: خَبَرُهُ مَعَ يَزِيدَ بنِ مُعاوِيةَ، وكانَ يَزِيدُ ابنُ مُعاوِيةَ مِنْ أَشَدِّ العَرَبِ، فصارَعَهُ يَوْمًا، فصَرَعَهُ عَلِيٌّ صَرْعةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِها، ثُمّ حَمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ معاويةُ على فرَسٍ جَمُوحٍ لا يُطاقُ، فعَلِمَ عَلِيٌّ ما يُرادُ بِهِ، فلَمّا جَمَحَ بِهِ الفَرَسُ ضَمَّ عَلَيْهِ فَخِذَيْهِ ضَمّةً نَفَقَ مِنْها الفَرَسُ.

وذُكِرَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ تَأَبَّطَ رَجُلَينِ أَيِّدَيْنِ، ثُمّ جَرى بِهِما، وهُما تَحْتَ إِبْطَيْهِ حَتّى صاحا: المَوْتَ المَوْتَ! فأَطْلَقَهُما.

---

(١) في (أ): «كانا».

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق: (٥: ٢٦٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد: (٢: ١٣٩٩).

(٤) «أسد الغابة» (٥: ٤٨٧).

أَمْرُ وفْدِ النَّصارى الَّذينَ أَسْلَمُوا

[مُحاوَلةُ أبي جَهْلٍ رَدَّهَمُ عَنِ الإسْلامِ، وإخْفاقُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قَدِمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ بِمَكّةَ عِشْرُونَ رَجُلًا أوْ قَرِيبٌ مِنْ ذلك مِنَ النَّصارى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الحَبَشةِ، فوَجَدُوهُ في المَسْجِدِ، فجَلَسُوا إلَيْهِ وكَلَّمُوهُ وسَألُوهُ، ورِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ في أنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الكَعْبةِ، فلَمّا فرَغُوا مِنْ مَسْألةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمّا أرادُوا، دَعاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الله عَزَّ وجَلَّ وتَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فلَمّا سَمِعُوا القُرْآنَ فاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجابُوا للهِ، وآمَنُوا بِهِ وصَدَّقُوهُ، وعَرَفُوا مِنْهُ ما كانَ يُوصَفُ لَهُمْ في كِتابِهِمْ مِنْ أمْرِهِ، فلَمّا قامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ في نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فقالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمُ اللهُ مِنْ رَكْبٍ! بَعَثَكُمْ مَنْ وراءَكُمْ مِنْ أهْلِ دِينِكُمْ تَرْتادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتّى فارَقْتُمْ دِينَكُمْ وصَدَّقْتُمُوهُ بِما قالَ، ما نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ. أوْ كَما قالُوا. فقالُوا لَهُمْ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، لا نُجاهِلُكُمْ، لَنا ما نَحْنُ عَلَيْهِ، ولَكُمْ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأْلُ أنْفُسَنا خَيْرًا.

[مَواطِنُهُمْ وما نَزَلَ فيهِمْ مِنَ القُرْآنِ]

وَيُقالُ: إنَّ النَّفَرَ مِنَ النَّصارى مِنْ أهْلِ نَجْرانَ، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

فيُقالُ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ: فيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلاءِ الآياتُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٢-٥٥].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ سَألْتُ ابنَ شِهابٍ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَؤُلاءِ الآياتِ: فيمَنْ أُنْزِلْنَ؟ فقالَ لِي: ما زلتُ أسْمَعُ مِنْ عُلَمائِنا أنَّهنَّ أُنْزِلْنَ في النَّجاشِي وأصْحابِهِ. والآيةُ مِنْ سُورةِ المائِدةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣].

[تَهَكُّمُ المُشْرِكِينَ بِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ، ونُزُولُ آياتٍ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا جَلَسَ في المَسْجِدِ، فجَلَسَ إلَيْهِ المُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أصْحابِهِ: خَبّابٌ، وعَمّارٌ، وأبو فُكَيْهة يَسارٌ مَوْلى صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ بنِ مُحَرِّثٍ، وصُهَيْبٌ، وأشْباهُهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، هَزِئَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلاءِ أصْحابُهُ كَما تَرَوْنَ، أهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا بِالهُدى والحَقِّ؟! لَوْ كانَ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا ما سَبَقَنا هَؤُلاءِ إلَيْهِ، وَما خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ دُونَنا. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ * وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٤].

[ادِّعاءُ المُشْرِكِينَ على النَّبِيِّ بِتَعْلِيمِ جَبْرٍ لَهُ، وما أَنزَلَ اللهُ في ذلك]

وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فيما بَلَغَنِي ـ كَثِيرًا ما يَجْلِسُ عِنْدَ المَرْوةِ إلى مَبِيعةِ غُلامٍ نَصْرانِيٍّ يُقالُ لَهُ: جَبْرٌ، عَبْدٌ لِبَنِي الحَضْرَمِيِّ، فكانُوا يَقُولُونَ: واللهِ ما يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِمّا يَأْتِي بِهِ إلّا جَبْرٌ النَّصْرانِيُّ، غُلامُ بَنِي الحَضْرَمِيِّ. فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

قالَ ابنُ هِشامٍ: يُلْحِدُونَ إلَيْهِ: يَمِيلُونَ إلَيْهِ، والإلْحادُ: المَيْلُ عَنِ الحَقِّ.

قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

إذ تَبِــعَ الضَّحّاكَ كُلُّ مُلْحِد

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَعْنِي: الضَّحّاكَ الخارِجِيَّ، وهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قُدُومَ وفْدِ النَّصارى مِن أرضِ الحَبَشةِ وإيمانَهُمْ، وما أَنزَلَ اللهُ فيهِمْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤]، ولَمْ يَقُلْ: مِنَ النَّصارى، ولا سَمّاهُمْ هُوَ سُبْحانَهُ بِهَذا الِاسْمِ، وإنّما حَكى قَوْلَهُم الّذِي قالُوهُ حِينَ عَرَّفُوا بِأنْفُسِهِمْ، ثُمَّ شَهِدَ لَهُمْ بالإيمانِ، وذَكَرَ أَنَّهُ أثابَهُمُ الجَنّةَ، وإذا كانُوا هكذا فلَيْسُوا بِنَصارى، هُمْ[1] مِنْ أُمّةِ مُحَمّدٍ ﷺ، وإنّما عُرِفَ النّصارى بِهَذا الِاسْمِ، لِأنّ مَبْدَأ دِينِهِمْ كانَ مِنْ ناصِرةَ قَرْيةٍ[2] بِالشّامِ، فاشْتُقّ اسْمُهُمْ منها، كَما

(١) (أ): «بل هم».

(٢) في (أ): «قرية مِن قرى الشام». وفي «معجم البلدان»: «الناصرة: قرية بينها وبين طَبَرِيّة ثلاثة =

اشْتُقَّ اسْمُ اليَهُودِ مِنْ يَهُوذا[١] بنِ يَعْقُوبَ، ثُمّ لا يُقَالُ لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ: يَهُودِيٌّ؛ اسْمُ الإِسْلامِ أَوْلى بِهِمْ جَمِيعًا مِنْ ذَلِكَ النّسَبِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يجلِسُ إلى مَبيعةِ غُلامٍ. المَبيعةُ: مَفْعَلةٌ مِثْلُ: مَعِيشةٍ[٢]، وقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَفْعُلةً، بضَمِّ العَيْنِ، وهُوَ [قَوْلُ][٣] الأَخْفَشِ[٤][٥]، وأمّا قَوْلُهُمْ: سِلْعةٌ مَبِيعةٌ، فمَفْعُولةٌ، حُذِفَتِ الواوُ مِنْها في قَوْلِ سِيبَوَيْهِ حِينَ سَكَّنُوا الياءَ اسْتِثْقالًا لِلضَّمّةِ، وفي قَوْلِ أَبِي الحَسَنِ الأَخْفَشِ: الياءُ بَدَلٌ مِنَ الواوِ الزّائِدةِ في مَبْيُوعةٍ، ووزنُها عندَه: مَفُولةٌ[٦]، بِحَذْفِ العَيْنِ، ولِلْكَلامِ على المَذْهَبَيْنِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذا[٧].

وذَكَرَ صُهَيْبًا وأبا فُكَيْهةَ، وسَنَذْكُرُ اسْمَ أَبِي فُكَيْهةَ والتَّعْرِيفَ بِهِ فيما بَعْدُ؛ لِأَنّهُ بَدْرِيٌّ، وكَذَلِكَ صُهَيْبُ بنُ سِنانٍ، ونَقْتَصِرُ في هَذا المَوْضِعِ على ذِكْرِ اسْمِهِ، وهُوَ: يَسارٌ مولى بني عبدِ الدارِ.

* * *

= عشرَ مِيلًا، فيها كان مولد عيسى بن مريم عليه السلام».

(١) في (هـ): «يهوذ». وانظر: «المعرب» للجَوالِيقي، تحقيق: د. ف عبد الرحيم: (ص: ٦٥٠).

(٢) في (ف): «المعيشة».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) في (ف): «للأخفش».

(٥) انظر: «المنصف» لابن جني: (١: ٢٨٧).

(٦) في (أ): «مفعولة» وهو خطأ.

(٧) انظر الخلاف في المسألة في: «المنصف» (١: ٢٨٧)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي: (٩: ٣٤١) وما بعدها.

نُزُولُ سُورةِ الكَوْثَرِ

[مَقالةُ العاصِ في الرَّسُولِ، ونُزُولُ سُورةِ الكَوْثَرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ العاصِ بنُ وائِلٍ السَّهْمِيُّ ـ فيما بَلَغَنِي ـ إذا ذُكِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: دَعُوهُ؛ فإنَّما هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لا عَقِبَ لَهُ، لَوْ ماتَ لانْقَطَعَ ذِكْرُهُ واسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ، فأنْزَلَ اللهُ في ذلك: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]: ما هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيا وما فيها. والكَوْثَرُ: العَظِيمُ.

[صاحِبا مَلْحُوبٍ والرِّداعِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ الكِلابِيُّ:

وَصاحِبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنا بِيَوْمِهِ ... وعِنْدَ الرِّداعِ بَيْـتُ آخَرَ كَوْثَرِ

يَقُولُ: عَظِيمٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وصاحِبُ مَلْحُوبٍ: عَوْفُ ابنُ الأحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ، ماتَ بِمَلْحُوبٍ. وقَوْلُهُ: «وَعِنْدَ الرِّداعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَرِ»، يَعْنِي: شُرَيْحَ بنَ الأحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ، ماتَ بِالرِّداعِ.

وَ«كَوْثَرٌ» أرادَ: الكَثِيرَ. ولَفْظُهُ مُشْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الكَثِيرِ. قالَ الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ يَمْدَحُ هِشامَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ:

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يا ابنَ مَرْوانَ طَيِّبٌ ... وكانَ أبوكَ ابنُ العَقائِلِ كَوْثَرا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ أُمَيّةُ بنُ أبي عائِذٍ الهُذَلِيُّ يَصِفُ حِمارَ وحْشٍ:

يُحامِي الحَقِيقَ إذا ما احْتَدَمْنَ وحَمْحَمْـــنَ في كَوْثَرٍ كالجِلالِ

يَعْنِي بِالكَوْثَرِ: الغُبارَ الكَثِيرَ، شَبَّهَهُ لِكَثْرَتِهِ عَلَيْهِ بِالجِلالِ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

[سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الكَوْثَرِ: ما هُوَ؟ فأجابَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ عَمْرٍو ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ جَعْفَرُ ابنُ عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيُّ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُسْلِمٍ أخِي مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمِ ابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وقِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، ما الكَوْثَرُ الَّذي أعْطاكَ اللهُ؟ قالَ: «نَهْرٌ كما بَيْنَ صَنْعاءَ إلى أيْلَةَ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ، تَرِدُهُ طُيُورٌ لَها أعْناقٌ كَأعْناقِ الإبِلِ». قالَ: يَقُولُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: إنَّها يا رَسُولَ اللهِ لَناعِمةٌ، قالَ: «آكِلُها أنْعَمُ مِنْها».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ سَمِعْتُ في هذا الحَدِيثِ أوْ غَيْرِهِ أنَّهُ قالَ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لا يَظْمَأُ أبَدًا».

فَصْلٌ

وذكرَ قولَ العاصِي بنِ وائِلٍ: إنّ مُحَمّدًا أبْتَرُ، إذا ماتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ. وما أنْزَلَ اللهُ في قَوْلِهِ مِنْ سُورةِ الكَوْثَرِ[1] على قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ، وأكْثَرِ المُفَسِّرِينَ.

وقِيلَ: إنّ أبا جَهْلٍ هُوَ الذي قال ذلك. وقد قيل: كعبُ بنُ الأشْرَفِ. ويَلْزَمُ

(١) في (أ): «من قوله في سورة الكوثر».

على هَذا القَوْلِ الأخِيرِ أنْ تكُونَ سُورةُ الكَوْثَرِ مَدَنِيّةً[١].

وقَدْ رَوى يُونُسُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الجُعْفيِّ، عَنْ جابرِ الجُعْفيِّ، عَنْ مُحَمّدِ ابنِ عَلِيٍّ، قالَ: كانَ القاسِمُ بنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ بَلَغَ أنْ يَرْكَبَ الدّابّةَ، ويَسِيرَ على النَّجِيبةِ، فلَمّا قَبَضهُ اللهُ، قالَ العاصِي: أصْبَحَ مُحَمّدٌ أبْتَرَ مِن ابنِه، فأنْزَلَ اللهُ على نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [مفتتح الكوثر: ١]، عِوَضًا يا مُحَمّدُ مِنْ مُصِيبَتِكَ بِالقاسِمِ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر: ٢-٣][٢].

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾، ولَمْ يَقُلْ: إنّ شانِئَكَ أبْتَرُ، يَتَضَمَّنُ اخْتِصاصَهُ بِهَذا الوَصْفِ؛ لِأنّ «هُوَ» في [مِثْلِ][٣] هَذا المَوْضِعِ تُعْطِي الِاخْتِصاصَ، مِثْلَ أنْ يَقُولَ قائِلٌ: إنّ زَيْدًا فاسِقٌ، فلا يَكُونُ مَخْصُوصًا بِهذا الوَصْفِ دُونَ غَيْرِهِ، فإذا قُلْت: إنّ زَيْدًا هُوَ الفاسِقُ، [فمَعْناهُ: هُوَ الفاسِقُ][٤] لا الّذِي زَعَمْتَ، فدَلَّ على أنّ بِالحَضْرةِ مَنْ يَزْعُمُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وهَكَذا قالَ الجُرْجانِيُّ[٥] وغَيْرُهُ في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيةِ: إنَّ «هُوَ» تُعْطِي الِاخْتِصاصَ. وكَذَلِكَ قالُوا في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨]، لَمّا كانَ العِبادُ يتَوَهّمُونَ أنّ غَيْرَ اللهِ قَدْ يُغْنِي، قالَ: ﴿ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾؛ أيْ: لا غَيْرُهُ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ [النجم: ٤٤]؛ إذْ كانُوا قَدْ يَتَوَهَّمُونَ في الإحْياءِ والإماتةِ ما توهَّمَهُ النُّمْرُوذُ حِينَ قالَ: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ أيْ: أنا أَقْتُلُ مَنْ شِئْتُ، وأسْتَحْيِي مَنْ شِئْتُ، فقالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَأَنَّهُۥ

---

(١) انظر: «الفرائض وشرح آيات الوصية» للسهيلي: (ص: ١٤٠) وما بعدها.

(٢) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٢٩).

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ف).

(٥) «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني: (ص: ١٥٤). (ج)

﴿هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾؛ أيْ: لا غَيْرُهُ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]؛ أيْ: هُوَ الرَّبُّ لا غَيْرُهُ؛ إذْ كانُوا قَدِ اتَّخَذُوا أرْبابًا مِنْ دُونِهِ، مِنْها: الشِّعْرى، فلَمّا قالَ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ [النجم: ٤٥]، ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا﴾ [النجم: ٥٠]، اسْتَغْنى الكَلامُ عَنْ «هُوَ» الَّتِي تُعْطِي معنى الاختصاص؛ لأنه فِعلٌ لَمْ يَدَّعِهِ أحَدٌ، وإذا ثَبَتَ هَذا، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ أيْ: لا أنْتَ.

والأبْتَرُ: الَّذِي لا عَقِبَ لَهُ يَتْبَعُهُ، فَعَدَمُهُ كالبَتْرِ الذي هو عَدَمُ الذَّنَبِ، فإذا تأمَّلْتَ هَذا، ونَظَرْتَ إلى العاصِي، وكانَ ذا وَلَدٍ وعَقِبٍ، ووَلَدُهُ عَمْرٌو وهِشامٌ ابنا العاصِي[١]، فكَيْفَ يُثْبِتُ لَهُ البَتْرَ، وانْقِطاعَ الوَلَدِ، وهُوَ ذُو ولَدٍ ونَسْلٍ، ويَنفيهِ عَنْ نَبِيِّهِ وهُوَ يَقُولُ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠].

فالجَوابُ: أنّ العاصِيَ ـ وإنْ كانَ ذا ولَدٍ ـ فقَدِ انْقَطَعَتِ العَصَبيّةُ[٢] بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ، فلَيْسُوا بِأتْباعٍ لَهُ؛ لِأنّ الإسْلامَ قَدْ حَجَزَهُمْ عَنْهُ، فلا يَرِثُهُمْ، ولا يَرِثُونَهُ، وهُمْ مِنْ أتْباعِ مُحَمّدٍ ﷺ، وأزْواجُهُ أُمّهاتُهُمْ، وهُوَ أبٌ لهم، كما قرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ: «وَأَزْوَاجُهُ أُمّهاتُهُمْ، وهُوَ أبٌ لَهُمْ»، والنّبِيُّ أوْلى بِهِمْ، كَما قالَ الله سُبْحانَهُ، فهُمْ وجَمِيعُ المُؤْمِنِينَ أتْباعُ النّبِيِّ ﷺ في الدُّنْيا، وأتْباعُهُ في الآخِرةِ إلى حَوْضِهِ، وهَذا[٣] مَعْنى الكَوْثَرِ، وهُوَ مَوْجُودٌ في الدُّنْيا لِكَثْرةِ أتْباعِهِ [فيها][٤]؛ لِيَغْذُوَ أرْواحَهُمْ بِما فيهِ حَياتُهُمْ مِنَ العِلْمِ، وكَثْرةِ أتْباعِهِ في الآخِرةِ لِيَسْقِيَهُمْ مِنْ حَوْضِهِ ما فيهِ الحَياةُ[٥] الباقِيةُ.

---

(١) بعده في (ف): «بن وائل».

(٢) في (أ)، (ب)، (ج)، (ف): «العصمة».

(٣) في (أ): «وكذلك».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٥) في (أ): «من الحياة».

وعَدُوُّ اللهِ العاصِي على هَذا هُوَ الأبْتَرُ على الحَقِيقةِ؛ إذْ قَدِ انْقَطَعَ ذَنَبُهُ وأتْباعُهُ، وصارُوا تَبَعًا لِمُحَمّدٍ ﷺ، ولِذَلِكَ قُوبلَ تَعْيِيرُهُ لِلنّبيِّ ﷺ بالبَتْرِ بما هُوَ ضِدُّهُ مِنَ الكَوْثَرِ؛ فإنّ الكَثْرةَ تُضادُّ مَعْنى القِلّةِ، ولَوْ قالَ في جَوابِ اللَّعِينِ: إنّا أعْطَيْناكَ الحَوْضَ الّذِي مِنْ صِفَتِهِ كَذا[1]، لَمْ يَكُنْ رَدًّا عَلَيْهِ، ولا مُشاكِلًا لِجَوابِهِ، ولَكِنْ جاءَ بِاسْمٍ يَتَضَمّنُ الخَيْرَ الكَثِيرَ؛ والعَدَدَ الجَمَّ الغَفِيرَ المُضادَّ لِمَعْنى البَتْرِ[2]، وأنّ ذَلِكَ له في الدُّنْيا والآخِرةِ بِسَبَبِ الحَوْضِ المَوْرُودِ الّذِي أعْطاهُ، فلا يَخْتَصُّ لَفْظُ الكَوْثَرِ بالحَوْضِ، بَلْ يَجْمَعُ هَذا المَعْنى كُلَّهُ، ويَشْتَمِلُ عَلَيْهِ؛ ولِذَلِكَ كانَتْ آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نجومِ السَّماءِ.

ويُقابلُ هَذِهِ الصّفةَ في الدّنْيا: عُلَماءُ الأُمّةِ مِنْ أصْحابِهِ ومَنْ بَعْدَهُمْ، فقَدْ قالَ: «أصْحابِي كالنُّجُومِ»[3]. وهُمْ يَرْوُونَ العلمَ عنه، ويُؤَدُّونَهُ إلى مَنْ بعدَهم، كما تروي الآنِيةُ في الحَوْضِ، وتَسْقِي الوارِدةَ عَلَيْهِ، تَقُولُ: رَوَيْتُ الماءَ، أيِ: اسْتَقَيْتُه[4]، كَما تَقُولُ: رَوَيْتُ العِلْمَ، وكِلاهُما فيهِ حَياةٌ، ومِنْهُ قِيلَ لِمَنْ رَوى شِعْرًا أو عِلْمًا: راوِيةٌ تَشْبِيهًا[5] بِالمَزادةِ أو الدّابّةِ[6] الّتِي يُحْمَلُ عَلَيْها الماءُ، ولَيْسَ مِنْ بابِ عَلّامةٍ ونَسّابةٍ.

---

(١) بعده في (ف): «وكذا».

(٢) البَتَر ـ بالتحريك ـ مَصدر بَتِر ـ بفتح فكسر ـ إذا انقطع، فهو أبتَرُ، وهي بتراء، والجمع: بُتْر.

(٣) أخرجه البيهقي في «المدخل» (ص: ١٦٢)، رقم (١٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورُوي كذلك من حديث جابر وابن عمر وغيرهما. انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (١: ١٠٦)، وقد ذكر ابن حزم أن هذا الحديث مكذوب. «الإحكام في أصول الأحكام» (٥: ٦٤)، (٦: ٨٢). (ج)

(٤) في (ب): «أسقيته».

(٥) في (أ): «تشبيهًا له».

(٦) في (أ)، (ب): «والدابة».

وفي حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ في صِفةِ الحَوْضِ: إنّها تَنْزُو في أَكُفِّ المُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: الآنِيةَ. وحَصْباءُ الحَوْضِ: اللّؤْلُؤُ والياقُوتُ، ويُقابِلُهُما[١] في الدُّنْيا الحِكَمُ المَأْثُورةُ عَنْهُ، ألا تَرى أنّ اللّؤْلُؤَ في عِلْمِ التّعْبِيرِ حِكَمٌ وفَوائِدُ عِلْمٍ؟

وفي صِفةِ الحَوْضِ: «حالُهُ[٢] المِسْكُ»؛ أيْ: حَمَؤُهُ، ويُقابِلُهُ في الدُّنْيا: طِيبُ الثَّناءِ على العُلَماءِ، وأتْباعِ النّبِيِّ ﷺ الأتْقِياءِ، كَما أنَّ المِسْكَ في عِلْمِ التَّعْبِيرِ ثَناءٌ حَسَنٌ، وعِلْمُ التَّعْبِيرِ مِنْ عِلْمِ النُّبُوءةِ مُقْتَبَسٌ.

وذَكَرَ في صِفةِ الحَوْضِ الطَّيْرَ الّتِي[٣] تَرِدُهُ كَأَعْناقِ البُخْتِ، ويُقابِلُهُ مِنْ صِفةِ العِلْمِ [في الدُّنْيا][٤] وُرُودُ الطّالِبِينَ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ وقُطْرٍ [وجَنابٍ][٥] على حَضْرةِ العِلْمِ، وانْتِيابُهُمْ[٦] إيّاها في زَمانِ النّبِيِّ ﷺ وبَعْدَهُ.

فتَأمّلْ صِفةَ الكَوْثَرِ مَعْقُولةً في الدُّنْيا، مَحْسُوسةً في الآخِرةِ، مُدرَكَةً بِالعِيانِ هُنالِكَ يَبِنْ لَكَ إعْجازُ القرآنِ، ومُطابَقةُ السُّوَرِ لِسَبَبِ نُزُولِها، ولِذَلِكَ قالَ لَهُ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]؛ أيْ: تَواضَعْ لِمَنْ أعْطاكَ الكَوْثَرَ بِالصَّلاةِ لَهُ؛ فإنّ الكَثْرةَ في الدُّنْيا تَقْتَضِي في أكْثَرِ الخَلْقِ الكِبْرَ، وتَحْدُو إلى الفَخْرِ والجَبْرِيّةِ[٧]؛ فلِذَلِكَ كانَ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ رَأى كَثْرةَ أتْباعِهِ عامَ الفَتْحِ يُطأطِئُ رأسَهُ وهُوَ على الرّاحِلةِ، حَتّى ألْصَقَ عُثْنُونَهُ[٨]...........................

---

(١) في (أ)، (هـ): «ويقابلها».

(٢) في حاشية (أ): «الحال: الطين».

(٣) في (أ)، (ب): «الذي».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (ب). والجناب: الناحية.

(٦) أي: قصدهم إياها.

(٧) الجَبْرية: بسكون الباء وتحريكها بالفتح: التجبّر.

(٨) العُثنون: ما نبتَ على الذقن وتحته سُفلًا.

بِالرَّحْلِ[١] امْتِثالًا لأمْرِ رَبِّهِ، [ولذَلِكَ أمَرَهُ][٢] بالنَّحْرِ شُكْرًا لَهُ. ورَفْعُ اليَدَيْنِ إلى النّحْرِ في الصّلاةِ عِنْدَ اسْتِقْبالِ القِبْلَةِ الّتِي عِنْدَها يُنْحَرُ، وإلَيْها يُهْدى، مَعْناهُ: الجَمْعُ بَيْنَ الفِعْلَيْنِ: النّحْرِ المَأْمُورِ بِهِ يَوْمَ الأضْحى، والإشارةِ إلَيْهِ في الصّلاةِ بِرَفْعِ اليَدَيْنِ إلى النّحْرِ، كَما أنّ القِبْلَةَ مَحْجُوجةٌ، ومُصَلًّى إلَيْها، فكَذَلِكَ يُنْحَرُ عِنْدَها، ويُشارُ إلى النَّحْرِ عِنْدَ اسْتِقْبالِها، وإلى هَذا التَفَتَ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ قالَ: «مَنْ صَلّى صَلاتَنا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، ونَسَكَ نُسُكَنا، فهُوَ مُسْلِمٌ»[٣].

وقالَ الله سُبْحانَهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فقَرَنَ بَيْنَ الصّلاةِ إلى الكَعْبةِ، والنُّسُكِ إلَيْها، كَما قَرَنَ بَيْنَهُما حِينَ قالَ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

وذَكَرَ في صِفةِ الحَوْضِ: «كَما بَيْنَ صَنْعاءَ وأيْلةَ»، وقَدْ جاءَ فيهِ أيْضًا في «الصَّحِيحِ»[٤]: «كما بين جَرْباءَ وأذرُحَ»، وبينهما مَسافةٌ بَعِيدةٌ.

وفي الصَّحِيحِ أيْضًا في صِفَتِهِ: «كَما بَيْنَ عَدَنِ أبْيَنَ إلى عَمّانَ»، وقَدْ تَقَدَّمَ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (طبعة هجر): (٦: ٥٤٧-٥٤٨).

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وفيه: «فقد أصاب النسك»، أو «فقد أصاب سنتنا»، بدل مِن: «فهو سليم». انظر: «فتح الباري»، كتاب العيدين: (٢: ٤٧١)، ومسلم، كتاب الأضاحي: (٣: ١٥٥٢-١٥٥٣)، وكذلك «سنن أبي داود»، كتاب الأضاحي: (٣: ٩٦).

(٤) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤٦٣)، ومسلم، كتاب الفضائل: (٤: ١٧٩٧).
وجَرْباء: رُويت بالمدِّ والقصر. وجَرْباء وأذْرُح: قريتان معروفتان بين القدس والكَرْك، مسافة ما بينهما غَلْوة سَهم كما في «فتح الباري» (١١: ٤٧٢)، والمراد: مقدار رَمْية سَهم، أي: مِن نحو ٣٠٠ ذراع إلى ٤٠٥ أذرع. وانظر ما ذكره ابن حجر من الخلاف حول تقدير المسافة بين هاتين القريتين.

ذِكْرُ أَبْيَنَ[١]، وأَنّهُ ابنُ زُهَيْرِ بنِ يَمَنِ بنِ حِمْيَر، وأَنّ عَدَنَ سُمِّيَتْ بِرَجُلٍ مِنْ حِمْير، عَدَنَ بِها؛ أيْ: أقامَ[٢].

وتَقَدّمَ أيْضًا ما قالَهُ الطّبَرِيُّ أنّ عَدَنَ وأَبْيَنَ هُما ابنا عَدْنانَ أَخوا[٣] مَعَدٍّ.

وأمّا عَمّانُ ـ بِتَشْدِيدِ المِيمِ وفَتْحِ العَيْنِ ـ فهِيَ بِالشّامِ قُرْبَ[٤] دِمَشْقَ، سُمِّيَتْ بِعَمّانَ بنِ لُوطِ بنِ هارانَ، كانَ سَكَنَها فيما ذَكَرُوا.

وأمّا عُمانُ[٥] ـ بِضَمّ العَيْنِ وتَخْفيفِ المِيمِ ـ فهي بِاليَمَنِ، سُمِّيَتْ بِعُمانَ ابنِ سِنانٍ، وهُوَ مِنْ ولَدِ إبْراهِيمَ ﷺ ـ فيما ذَكَرُوا ـ والله أعلم، وفيهِ نَظَرٌ؛ إذْ لا يُعْرَفُ في ولَدِ إبْراهِيمَ لِصُلْبِهِ مَن اسْمُه سِنانٌ.

وفي صِفةِ الحَوْضِ أيْضًا: «كَما بَيْنَ الكُوفةِ ومَكّةَ»، و«ما بَيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ والكَعْبةِ»، وهَذِهِ كُلُّها رواياتٌ مُتَقارِبةُ المَعانِي، وإنْ كانَتْ بعضُ هذه المَسافاتِ أبْعَدَ مِنْ بَعْضٍ، فكَذَلِكَ الحَوْضُ أيْضًا لَهُ طُولٌ [وعَرْضٌ][٦]، وزَوايا وأرْكانٌ، فيَكُونُ اخْتِلافُ هَذِهِ المَسافاتِ الّتِي في الحَدِيثِ على حَسَبِ ذَلِكَ، جَعَلَنا اللهُ مِنَ الوارِدِينَ عَلَيْهِ، ولا أظْمَأَ أكْبادَنا في الآخِرةِ إلَيْهِ[٧].

---

(١) انظر: (١: ١٧٢).

(٢) في (أ): «أقام بها».

(٣) في (أ)، (ب): «أخو».

(٤) قال البكري في «المعجم»: عَمّان على وزن فَعْلان، قرية مِن عَمل دمشق، سُمِّيت بعَمّان بن لوط عليه السلام، ويُقال أيضًا: عَمان بتخفيف الميم: (٣: ٩٧٠).

(٥) قال في المصدر السابق: فأمّا عُمان التي هي فُرْضة البحر، فمضمُومة الأوَّل، مخفّفة الثاني، وهي مدينة معروفة من الفُروض، إليها يُنسب العُماني الراجز، سُمِّيت بعُمان بن سِنان بن إبراهيم عليه السلام كان أول من اختطّها. «معجم ما استعجم» (٣: ٩٧٠).

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠: ٣٣٠-٣٣١).

ومِمّا جاءَ في مَعْنى الكَوْثَرِ: ما رَواهُ ابنُ أَبي نَجِيحٍ، عَنْ عائِشَةَ، قالَتِ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجَنّةِ، لا يُدْخِلُ أَحَدٌ إِصْبَعَيْهِ في أُذُنَيْهِ إلّا سَمِعَ خَريرَ ذَلِكَ النّهَرِ»[١].

وقَعَ هَذا الحَدِيثُ في السِّيرةِ من روايةِ يونُسَ بنِ بُكَيْرٍ[٢]، ورواه الدّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ مالِكِ بنِ مِغْوَلٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عائِشَةَ، قالَتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ اللهَ أعْطانِي نَهَرًا يُقالُ لَهُ: الكَوْثَرُ، لا يَشاءُ أَحَدٌ مِنْ أُمّتِي أَنْ يَسْمَعَ خَرِيرَ ذَلِكَ النَّهرِ إلّا سَمِعَهُ». فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، وكَيْفَ ذَلِكَ؟ قالَ: «أَدْخِلِي إِصْبَعَيْكِ[٣] [وشُدِّي][٤]، فالّذِي تَسْمَعِينَ فيها مِنْ خَرِيرِ الكَوْثَرِ».

وروى الدّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ جابرٍ، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِعَلِيٍّ[٥]: «والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنّك لَذائِدٌ عَنْ حَوْضِي يَوْمَ القِيامةِ، تَذُودُ عَنْهُ كُفّارَ الأُمَمِ كَما تُذادُ الإبِلُ الضّالّةُ عَن الماءِ بعَصًا من عَوْسَجٍ[٦]». إلّا أَنّ هَذا الحَدِيثَ بروايةِ[٧] حَرامِ بنِ عُثْمانَ عَنِ ابنَيْ[٨] جابرٍ، وقَدْ سُئِلَ عَنْهُ مالِكٌ، فقالَ: لَيْسَ بِثِقةٍ. وأَغْلَظَ فيهِ الشّافِعِيُّ القَوْلَ[٩].

وأَمّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «ومِنْبَرِي على حَوْضِي»[١٠]، فقَدْ قِيلَ في مَعْناهُ

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٤: ٦٤٦). (ج)
(٢) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٥٣).
(٣) بعده في (ف): «في أذنيك».
(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).
(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢: ١٣٩). (ج)
(٦) العَوْسَج: نباتٌ شائك مِن الفَصِيلة الباذِنْجانية، له ثَمر مُدَوَّر كأنه خَرَز العَقِيق.
(٧) في (ف): «يرويه».
(٨) في (ج)، (أ): «أبي».
(٩) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤٦٥)، ومسلم، كتاب الحج: (٢: ١٠١١).
(١٠) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم (٦٥٨٨)، ومسلم: كتاب الحج، =

أَقْوالٌ، وتَفسيرُهُ[١] عِنْدِي الحَدِيثُ الآخَرُ، وهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ [وهُوَ على المِنْبَرِ][٢]: «إنّي لأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ مِنْ مَقامِي هَذا»[٣]. فتَأَمَّلْهُ.

فَصْلٌ

وَذَكَرَ ابنُ هِشامٍ في الِاسْتِشْهادِ على مَعْنى الكَوْثَرِ قَوْلَ لَبِيدِ بنِ رَبِيعةَ[٤]:

[من الطويل]

وصاحِبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنا بِيَوْمِهِ   وعِنْدَ الرِّداعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَرِ

وقبلَ البيت[٥]: [من الطويل]

وبِالفُورةِ الحَرّابُ ذُو الفَضْلِ عامِرٌ   فنِعْمَ ضِياءُ الطّارِقِ المُتَنَوِّرِ

يَعْنِي بعامِرٍ: عامرَ بنَ مالِكٍ، مُلاعِبَ الأسِنّةِ، وهُوَ عَمُّ لَبِيدٍ، وسَنَذْكُرُ: لِمَ سُمِّيَ مُلاعِبَ الأسِنّةِ إذا جاءَ ذِكْرُهُ [عند الرِّداع][٦]، إنْ شاءَ الله تَعالى.

وصاحبُ مَلْحُوبٍ: عوفُ بنُ الأَحْوَصِ بنِ جعفرِ بنِ كِلابٍ، وقَدْ ذَكَرَهُ

= باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم (١٣٩١)، من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه. (ج)

(١) في (ف): «ويفسره».

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤٦٥).

(٤) «ديوانه» (ص: ٥٢).

(٥) «ديوانه» (ص: ٥٠).

والفُورة ـ بفتح أوله وضمه ـ: موضع في ديار بني عامر. والضياء: النار. والمتنوِّر: مَن ينظُر إلى النار فيأتيها. الطارق: الذي يأتي ليلًا.

(٦) عن (ب)، (د)، (هـ)، في (أ): «الرداعة».

ابنُ هِشامٍ، والّذِي عِنْدَ الرِّداعِ: [شُرَيْحُ بنُ الأَحْوَصِ في قَوْلِه، وقالَ غَيْرُهُ: هُوَ حِبّانُ بنُ عُتْبَةَ بنِ مالِكِ بنِ جعفرِ بنِ كِلابٍ.

والرِّداع][1]: مِنْ أَرْضِ اليَمامةِ، ومَلْحُوبٌ: مَفْعُولٌ مِنْ لَحَبْتُ العُودَ: إذا قَشَرْتَه، فكَأَنّ هَذا المَوْضِعَ سُمِّيَ مَلْحُوبًا؛ لِأَنَّهُ لا أَكَمَ فيهِ، ولا شَجَرَ، واللهُ[2] أعلمُ.

* * *

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب). وفي (هـ) بدل «شريح»: «شرحبيل».

(٢) في (ف): «فالله».

نُزُولُ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾

[مَقالةُ زَمعةَ وصَحْبِهِ، ونُزُولُ هَذِهِ الآيةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ودَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ إلى الإسْلامِ، وكَلَّمَهُمْ فأبْلَغَ إلَيْهِمْ، فقالَ لَهُ زَمعةُ بنُ الأسْوَدِ، والنَّضْرُ بنُ الحارِثِ، والأسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وأُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، والعاصِ بنُ وائِلٍ: لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يا مُحَمَّدُ مَلَكٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ النّاسَ ويُرى مَعَكَ! فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۞ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨-٩].

نُزُولُ ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾

[مَقالةُ الوَلِيدِ وصَحْبِهِ، ونُزُولُ هَذِهِ الآيةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ - فيما بَلَغَني - بِالوَلِيدِ بن المُغِيرةِ، وأُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، وبِأبي جَهْلِ بنِ هِشامٍ، فهَمَزُوهُ واسْتَهْزَؤُوا بِهِ، فغاظَهُ ذلك، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ في ذلك مِنْ أمْرِهِمْ: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

فَصْلٌ

وَذَكَرَ حَدِيثَ المُسْتَهْزِئِينَ بِرَسُولِ الله ﷺ، وما أنزَلَ الله فيهِمْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآيةَ [الأنعام: ١٠]، فقال فيها: ﴿ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ﴾ ثُمّ قالَ: ﴿حَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ [الأنعام: ١٠]، ولم يُقَل: استهزؤوا، ثُمّ قالَ: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، ولَمْ يقل: يسخرون. ولا بدّ من حِكْمةٍ في هَذا مِنْ جِهةِ البَلاغةِ، وتنزيلِ الكلامِ منازلَه، فقولُه: ﴿ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ﴾؛ أيْ: أُسْمِعُوا مِنَ الكَلامِ الّذِي يُسَمّى اسْتِهْزاءً [ما ساءَهُمْ تَأْنِيسًا[1] لَهُ؛ لِيَتَأَسّى بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرّسُلِ، وإنّما يُسمّى اسْتِهْزاءً][2] إذا كانَ مَسْمُوعًا، وهُوَ مِنْ فِعْلِ الجاهِلِينَ، قالَ الله سبحانه: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

وأمّا السُّخْرُ والسُّخْرِيُّ، فقَدْ يَكُونُ في النّفْسِ غَيْرَ مَسْمُوعٍ؛ ولِذَلِكَ تَقُولُ العربُ: سَخِرْتُ مِنْهُ، كَما تَقُولُ: عَجِبْتُ مِنْهُ، إلّا أنَّ العَجَبَ لا يَخْتَصُّ بالمَعْنى المَذْمُوم، كَما يَخْتَصّ السُّخْرُ، وفي التّنْزِيلِ خَبَرًا عَنْ نُوحٍ عليه السلامُ: ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ [هود: ٣٨] ولم يقل: نستهزئُ بِكَمْ كما تَسْتَهْزِئُونَ؛ لِأنّ الِاسْتِهْزاءَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ الأنْبياءِ، إنّما هُوَ مِنْ فِعْلِ الجاهِلِينَ، كَما قَدَّمْنا مِنْ قَوْلِ مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ، فالنّبِيُّ يَسْخَرُ، أيْ: يَعْجَبُ مِنْ كُفْرِ مَنْ يَسْخَرُ بِهِ، ومِنْ سُخْفِ عُقُولِهِمْ.

فإنْ قُلْت: فقَدْ قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥].

قُلْنا[3]: العَرَبُ تُسَمِّي الجَزاءَ على الفِعْلِ باسْمِ الفعل؛ كما قال: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وهُوَ مَجازٌ حَسَنٌ، وأمّا الِاسْتِهْزاءُ الّذِي كُنّا بِصَدَدِهِ، فهُوَ

---

(١) في (ف): «استئناسًا».

(٢) ليس في (أ).

(٣) في (ف): «قلت».

المُسَمّى اسْتِهْزاءً حَقِيقةً، ولا يَرْضى بِهِ إلّا جَهُولٌ.

ثُمّ قالَ سُبْحانَهُ: ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾؛ [أيْ حاقَ بِهِمْ مِنَ الوَعِيدِ المُبَلَّغِ لَهُمْ على أَلْسِنةِ الرُّسُلِ ما كانوا يَستهزِئون بِهِ[1]][2] بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَتَنَزَّلَتْ كُلُّ كَلِمةٍ مَنْزِلَها[3]، ولَمْ يَحْسُنْ في حُكْمِ البَلاغةِ وضْعُ واحِدةٍ مَكانَ الأُخْرى.

وذَكَرَ أيْضًا قَوْله سُبْحانَهُ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [الأنعام: ٩]؛ أيْ: لَوْ جَعَلْنا الرَّسُولَ إلَيْهِمْ مِنَ المَلائِكةِ لَمْ يَكُنْ إلّا على صُورةِ رَجُلٍ، ولَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّبْسِ[4] فيهِ ما دَخَلَ في أمْرِ مُحَمّدٍ ﷺ.

وقَوْلُهُ: (لَبَسْنا) يَدُلُّ على أنّ الأمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سُبْحانَهُ، فهُوَ يُعْمِي مَنْ يشاءُ[5] عَنِ الحَقِّ، ويَفْتَحُ بَصِيرةَ مَنْ يشاءُ[6]. وقَوْلُهُ: ﴿ مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩]، مَعْناهُ: ما يَلْبِسُونَ على غَيْرِهِمْ؛ لِأنّ أكْثَرَهُمْ قَدْ عَرَفُوا أنّهُ الحَقُّ، ولَكِنْ جَحَدُوا بِها، واسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ، فجَعَلُوا يَلْبِسُونَ؛ أيْ: يَلْبِسُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ، ويَلْبِسُونَ على أهْلِيهِمْ وأتْباعِهِمْ؛ أيْ: يَخْلِطُونَ عَلَيْهِمْ بِالباطِلِ، تَقُولُ العَرَبُ: لَبَستُ عليهم الأمْرَ أَلْبِسُهُ؛ أيْ: سَتَرْتُهُ وخَلَطْتُه، ومِنْ لُبْسِ الثِّيابِ: لَبِسْتُ أَلْبَسُ؛ لِأنّهُ في مَعْنى كَسِيتُ، وفي مقابلةِ عَرِيتُ، فجاءَ على وزْنِهِ، والآخَرُ في مَعْنى: خَلَطْتُ وسَتَرْت، فجاءَ على وزْنِه.

---

(١) في (ف): «ما كانوا به يستهزئون».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (ف): «منزلتها».

(٤) في (ف): «التلبيس».

(٥) في (ف): «شاء».

(٦) في (ف): «شاء».

ذِكْرُ الإسْراءِ والمِعْراجِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ]: ثُمَّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى، وهُوَ بَيْتُ المَقْدِسِ مِنْ إيلِياءَ، وقَدْ فشا الإسْلامُ بِمَكَّةَ في قُرَيْشٍ، وفي القَبائِلِ كُلِّها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: كانَ مِنَ الحَدِيثِ فيما بَلَغَنِي عَنْ مَسْراهُ ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، وأبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وعائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ومُعاوِيَةَ ابنِ أبي سُفيانَ، والحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ، وابنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ، وقَتادَةَ، وغَيْرِهِمْ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، وأُمِّ هانِئٍ بِنْتِ أبي طالِبٍ، ما اجْتَمَعَ في هذا الحَدِيثِ، كُلٌّ يُحَدِّثُ عَنْهُ بَعْضَ ما ذُكِرَ مِنْ أمْرِهِ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ ﷺ، وكانَ في مَسْراهُ وما ذُكِرَ عَنْهُ بَلاءٌ وتَمْحِيصٌ، وأمْرٌ مِنْ أمْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في قُدْرَتِهِ وسُلْطانِهِ، فيهِ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبابِ، وهُدًى ورَحْمَةٌ وثَباتٌ لِمَنْ آمَنَ وصَدَّقَ، وكانَ مِنْ أمْرِ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى على يَقِينٍ، فأسْرى بَهْ سُبْحانَهُ وتَعالى كَيْفَ شاءَ؛ لِيُرِيَهُ مِنْ آياتِهِ ما أرادَ، حَتّى عايَنَ ما عايَنَ مِنْ أمْرِهِ وسُلْطانِهِ العَظِيمِ، وقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِها ما يُرِيدُ.

[رِوايةُ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

فَكانَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ـ فيما بَلَغَنِي عَنْهُ ـ يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

بِالبُراقِ ـ وهِيَ الدّابّةُ الَّتي كانَتْ تُحْمَلُ عَلَيْها الأنْبِياءُ قَبْلَهُ، تَضَعُ حافِرَها في مُنْتَهى طَرْفِها ـ فحُمِلَ عَلَيْها، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صاحِبُهُ، يَرى الآياتِ فيما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، حَتّى انْتَهى إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، فوَجَدَ فيهِ إبْراهِيمَ الخَلِيلَ ومُوسى وعِيسى في نَفَرٍ مِنَ الأنْبِياءِ قَدْ جُمِعُوا لَهُ، فصَلّى بِهِمْ. ثُمَّ أُتِيَ بِثَلاثَةِ آنِيةٍ: إناءٌ فيهِ لَبَنٌ، وإناءٌ فيهِ خَمْرٌ، وإناءٌ فيهِ ماءٌ. قالَ: فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فسَمِعْتُ قائِلًا يَقُولُ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ: إنْ أخَذَ الماءَ غَرِقَ وغَرِقَتْ أُمَّتُهُ، وإنْ أخَذَ الخَمْرَ غَوى وغَوَتْ أُمَّتُهُ، وإنْ أخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ وهُدِيَتْ أُمَّتُهُ». قالَ: «فأخَذْتُ إناءَ اللَّبَنِ، فشَرِبْتُ مِنْهُ، فقالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: هُدِيت وهُدِيَتْ أُمَّتُكَ يا مُحَمَّدُ».

[حَديثُ الحَسَنِ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ عَنِ الحَسَنِ، أنَّهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنا أنا نائِمٌ في الحِجْرِ، إذْ جاءَنِي جِبْرِيلُ، فهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ، فجَلَسْتُ فلَمْ أرَ شَيْئًا، فعُدْتُ إلى مَضْجَعِي، فجاءَنِي الثّانِيةَ فهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ، فجَلَسْتُ فلَمْ أرَ شَيْئًا، فعُدْتُ إلى مَضْجَعِي، فجاءَنِي الثّالِثَةَ فهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ، فجَلَسْتُ، فأخَذَ بِعَضُدِي، فقُمْتُ مَعَهُ، فخَرَجَ بِي إلى بابِ المَسْجِدِ، فإذا دابّةٌ أبْيَضُ بَيْنَ البَغْلِ والحِمارِ، في فخِذَيْهِ جَناحانِ يَحْفِزُ بِهِما رِجْلَيْهِ، يَضَعُ يَدَهُ في مُنْتَهى طَرْفِهِ، فحَمَلَنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مَعِي لا يَفُوتُنِي ولا أفُوتُهُ».

[حَديثُ قَتادةَ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ عَنْ قَتادةَ أنَّهُ قالَ: حُدِّثْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَمّا دَنَوْتُ مِنْهُ لِأرْكَبَهُ شَمَسَ، فوَضَعَ جِبْرِيلُ يَدَهُ على مَعْرَفَتِهِ، ثُمَّ قالَ:

أَلا تَسْتَحِي يا بُراقُ مِمّا تصنعُ؟! فوَاللهِ ما رَكِبَكَ عَبْدٌ للهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ». قالَ: «فاسْتَحْيا حَتّى ارْفَضَّ عَرَقًا، ثُمَّ قَرَّ حَتّى رَكِبْتُهُ».

[عَوْدٌ إلى حَدِيثِ الحَسَنِ عَنْ مَسْراهُ ﷺ، وسَبَبُ تَسْمِيةِ أبي بَكْرٍ: الصِّدِّيقَ]

قالَ الحَسَنُ في حَدِيثِهِ: فَمَضى رَسُولُ اللهِ ﷺ، ومَضى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُ، حَتّى انْتَهى بِهِ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، فوَجَدَ فيهِ إبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى في نَفَرٍ مِنَ الأنْبِياءِ، فأَمَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فصَلّى بِهِمْ، ثُمَّ أُتِيَ بِإناءَيْنِ، في أَحَدِهِما خَمْرٌ، وفي الآخَرِ لَبَنٌ. قالَ: فأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إناءَ اللَّبَنِ، فشَرِبَ مِنْهُ، وتَرَكَ إناءَ الخَمْرِ. قالَ: فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هُدِيتَ لِلْفِطْرةِ، وهُدِيَتْ أُمَّتُكَ يا مُحَمَّدُ، وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الخَمْرُ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى مَكَّةَ، فلَمّا أَصْبَحَ غَدا على قُرَيْشٍ فأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ. فقالَ أَكْثَرُ النّاسِ: هذا واللهِ الإمْرُ البَيِّنُ، واللهِ إنَّ العِيرَ لَتُطْرَدُ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إلى الشّامِ مُدْبِرةً، وشَهْرًا مُقْبِلةً، أَفَيَذْهَبُ ذلك مُحَمَّدٌ في لَيْلةٍ واحِدةٍ، ويَرْجِعُ إلى مَكَّةَ؟! قالَ: فارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ كانَ أَسْلَمَ، وذَهَبَ النّاسُ إلى أبي بَكْرٍ، فَقالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يا أبا بَكْرٍ في صاحِبِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جاءَ هَذِهِ اللَّيْلةَ بَيْتَ المَقْدِسِ وصَلّى فيهِ ورَجَعَ إلى مَكَّةَ؟! قالَ: فقالَ لَهُمْ أبو بَكْرٍ: إنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، فقالُوا: بَلى، ها هُوَ ذاكَ في المَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النّاسَ، فقالَ أبو بَكْرٍ: واللهِ لَئِنْ كانَ قالَهُ لَقَدْ صَدَقَ، فما يُعَجِّبُكُمْ من ذلك؟! فوَاللهِ إنَّهُ لَيُخْبِرُني أَنَّ الخَبَرَ لَيَأْتِيهِ مِنَ اللهِ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ في ساعةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ فأُصَدِّقُهُ، فهذا أَبْعَدُ مِمّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتّى انْتَهى إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، أَحَدَّثْتَ هَؤُلاءِ القَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ المَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلةَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، فصِفْهُ لِي؛ فإنِّي قَدْ جِئْتُهُ.

قالَ الحَسَنُ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فرُفِعَ لِي حتّى نَظَرْتُ إلَيْهِ»، فجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصِفُهُ لِأبي بَكْرٍ، ويَقُولُ أبو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، أشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ، كلَّما وصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئًا قالَ: صَدَقْتَ، أشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ، حَتّى إذا انْتَهى، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأبي بَكْرٍ: «وأنْتَ يا أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»، فيوْمَئِذٍ سَمّاهُ: الصِّدِّيقَ.

قالَ الحَسَنُ: وأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيمَنِ ارْتَدَّ عَنْ إسْلامِهِ لِذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فَهذا حَدِيثُ الحَسَنِ عَنْ مَسْرى رَسُولِ اللهِ ﷺ وما دَخَلَ فيهِ مِنْ حَديثِ قَتادةَ.

[حَديثُ عائِشةَ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ أبي بَكْرٍ: أنَّ عائِشةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كانَتْ تَقُولُ: ما فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولَكِنَّ اللهَ أسْرى بِرُوحِهِ.

[حَديثُ مُعاوِيةَ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ الأخْنَسِ: أنَّ مُعاوِيةَ بنَ أبي سُفيانَ كانَ إذا سُئِلَ عَنْ مَسْرى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: كانَتْ رُؤْيا مِنَ اللهِ تَعالى صادِقةً.

[جَوازُ أنْ يَكُونَ الإسْراءُ رُؤْيا]

فَلَمْ يُنْكَرْ ذلك مِنْ قَوْلِهِما؛ لِقَوْلِ الحَسَنِ: إنَّ هَذِهِ الآيةَ نَزَلَتْ في ذلك؛

قَوْلُ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، ولِقَوْلِ اللهِ تَعالى في الخَبَرِ عَنْ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ إذْ قالَ لِابنِهِ: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ثُمَّ مَضى على ذلك. فعَرَفْتُ أنَّ الوَحْيَ مِنَ اللهِ يَأْتِي الأنْبِياءَ أيْقاظًا ونِيامًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فيما بَلَغَنِي ـ يَقُولُ: «تَنامُ عَيْنايَ وقَلْبِي يَقْظانُ». واللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ قَدْ جاءَهُ، وعايَنَ فيهِ ما عايَنَ مِنْ أمْرِ اللهِ، على أيِّ حالَيْهِ؛ كانَ نائِمًا، أوْ يَقْظانَ، كُلُّ ذلك حَقٌّ وصِدْقٌ.

[وَصْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِإبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَعَمَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وصَفَ لِأصْحابِهِ إبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى حِينَ رَآهُمْ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فقالَ: «أمّا إبْراهِيمُ، فلَمْ أرَ رَجُلًا أشْبَهَ قَطُّ بِصاحِبِكُمْ، ولا صاحِبُكُمْ أشْبَهُ بِهِ مِنْهُ، وأمّا مُوسى فرَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ، ضَرْبٌ، جَعْدٌ، أقْنى، كَأنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وأمّا عِيسى بنُ مَرْيَمَ، فرَجُلٌ أحْمَرُ، بَيْنَ القَصِيرِ والطَّوِيلِ، سَبْطُ الشَّعَرِ، كَثِيرُ خِيلانِ الوَجْهِ، كَأنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ، تَخالُ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ماءً ولَيْسَ بِهِ ماءٌ، أشْبَهُ رِجالِكُمْ بِهِ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ».

[وَصْفُ عَلِيٍّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَتْ صِفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيما ذَكَرَ عُمَرُ مَوْلى غُفْرَةَ، عَنْ إبْراهِيمَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ، قالَ: كانَ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إذا نَعَتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ المُمَّغِطِ،

ولا القَصِيرِ المُتَرَدِّدِ، وكانَ رَبْعةً مِنَ القَوْمِ، ولَمْ يَكُنْ بِالجَعْدِ القَطَطِ ولا السَّبِطِ، كانَ جَعْدًا رَجِلًا، ولَمْ يَكُنْ بِالمُطَهَّمِ ولا المُكَلْثَمِ، وكانَ أَبْيَض مُشْرَبًا، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفارِ، جَلِيلَ المُشاشِ والكَتَدِ، دَقِيقَ المَسْرُبةِ، أَجْرَدَ، شَثْنَ الكَفَّينِ والقَدَمَيْنِ، إذا مَشى تَقَلَّعَ، كأَنَّما يَمْشِي في صَبَبٍ، وإذا التَفَتَ التَفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِفَيهِ خاتَمُ النُّبُوّةِ، وهُوَ ﷺ خاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النّاسِ كَفًّا، وأَجْرَأُ النّاسِ صَدْرًا، وأَصْدَقُ النّاسِ لَهْجةً، وأَوْفى النّاسِ ذِمّةً، وأَلْيَنُهُمْ عَرِيكةً، وأَكْرَمُهُمْ عِشْرةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهةً هابَهُ، ومَنْ خالَطَهُ أَحَبَّهُ، يَقُولُ ناعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

[حَدِيثُ أُمِّ هانِئٍ عَنْ مَسْراهُ ﷺ]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ: وكانَ فيما بَلَغَنِي عَنْ أُمِّ هانِئٍ بِنْتِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ واسْمُها: هِنْدٌ ـ في مَسْرى رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّها كانَتْ تَقُولُ:

ما أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إلّا وهُوَ في بَيْتِي؛ نامَ عِنْدِي تِلْكَ اللَّيْلةَ في بَيْتِي، فصَلّى العِشاءَ الآخِرةَ، ثُمَّ نامَ ونِمْنا، فلَمّا كانَ قُبَيْلَ الفَجْرِ أَهَبَّنا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فلَمّا صَلّى الصُّبْحَ وصَلَّيْنا مَعَهُ، قالَ: «يا أُمَّ هانِئٍ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرةَ كَما رَأَيْتِ بِهذا الوادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فصَلَّيْتُ فيهِ، ثُمَّ قَدْ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغَداةِ مَعَكُمُ الآنَ كَما تَرَيْنَ». ثُمَّ قامَ لِيَخْرُجَ، فأَخَذْتُ بِطَرَفِ رِدائِهِ، فتَكَشَّفَ عَنْ بَطْنِهِ كأَنَّهُ قُبْطِيّةٌ مَطْوِيّةٌ، فقُلْتُ لَهُ: يا نَبِيَّ اللهِ، لا تُحَدِّثْ بِهذا النّاسَ فيُكَذِّبُوكَ ويُؤْذُوكَ، قالَ: «واللهِ لأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ».

قالَتْ: فقُلْتُ لِجارِيةٍ لِي حَبَشِيّةٍ: ويْحَكِ، اتْبَعِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتّى تَسْمَعِي ما يَقُولُ لِلنّاسِ، وما يَقُولُونَ لَهُ. فلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى النّاسِ

أخْبَرَهُمْ، فعَجِبُوا وقالُوا: ما آيةُ ذلك يا مُحَمَّدُ؟ فإنّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هذا قَطُّ، قالَ: «آيةُ ذلك: أنِّي مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ بِوادِي كَذا وكَذا، فأنْفَرَهُمْ حسُّ الدابّةِ، فنَدَّ لهم بَعِيرٌ، فدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وأنا مُوَجَّهٌ إلى الشّامِ، ثُمَّ أقْبَلْتُ حَتّى إذا كُنْتُ بِضَجْنانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ، فوَجَدْتُ القَوْمَ نِيامًا، ولَهُمْ إناءٌ فيهِ ماءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فكَشَفْتُ غِطاءَهُ وشَرِبْتُ ما فيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَما كانَ، وآيةُ ذلك: أنَّ عِيرَهُمُ الآنَ يَصُوبُ مِنَ البَيْضاءِ، ثَنِيّةِ التَّنْعِيمِ، يَقْدُمُها جَمَلٌ أوْرَقُ، عَلَيْهِ غِرارَتانِ، إحْداهُما سَوْداءُ، والأُخْرى بَرْقاءُ».
قالَتْ: فابْتَدَرَ القَوْمُ الثَّنِيّةَ فلَمْ يَلْقَهُمْ أوَّلُ مِنَ الجَمَلِ كَما وصَفَ لَهُمْ، وسَألُوهُمْ عَنِ الإناءِ، فأخْبَرُوهُمْ أنَّهُمْ وضَعُوهُ مَمْلُوءًا ماءً ثُمَّ غَطَّوْهُ، وأنَّهُمْ هَبُّوا فوَجَدُوهُ مُغَطًّى كَما غَطَّوْهُ، ولَمْ يَجِدُوا فيهِ ماءً. وسَألُوا الآخَرِينَ وهُمْ بِمَكّةَ، فقالُوا: صَدَقَ واللهِ، لَقَدْ أُنْفِرْنا في الوادِي الَّذي ذَكَرَ، ونَدَّ لَنا بَعِيرٌ، فسَمِعْنا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونا إلَيْهِ، حَتّى أخَذْناهُ.

قِصّةُ المِعْراجِ

[حَدِيثُ الخُدْرِيِّ عَنِ المِعْراجِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمّا فرَغْتُ مِمّا كانَ في بَيْتِ المَقْدِسِ، أُتِيَ بِالمِعْراجِ، ولَمْ أرَ شَيْئًا قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ، وهُوَ الَّذي يَمُدُّ إلَيْهِ مَيِّتُكُمْ عَيْنَيْهِ إذا حُضِرَ، فأصْعَدَنِي صاحِبِي فيهِ، حَتّى انْتَهى بِي إلى بابٍ مِنْ أبْوابِ السَّماءِ، يُقالُ لَهُ: بابُ الحَفَظةِ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكةِ، يُقالُ

لَهُ: إسْماعِيلُ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمُ اثْنا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ». قالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَدَّثَ بِهذا الحَدِيثِ: «وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُوَ، فلَمّا دَخَلَ بِي قالَ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا مُحَمَّدٌ. قالَ: أوَقَدْ بُعِثَ؟ قالَ: نَعَمْ». قالَ: «فدَعا لِي بِخَيْرٍ...» وقالَهُ.

[عَدَمُ ضَحِكِ خازِنِ النّارِ لِلرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قالَ: «تَلَقَّتْنِي المَلائِكَةُ حِينَ دَخَلْتُ السَّماءَ الدُّنْيا، فلَمْ يَلْقَنِي مَلَكٌ إلّا ضاحِكًا مُسْتَبْشِرًا، يَقُولُ خَيْرًا ويَدْعُو بِهِ، حَتّى لَقِيَنِي مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ، فقالَ مِثْلَ ما قالُوا، ودَعا بِمِثْلِ ما دَعَوْا بِهِ، إلّا أَنَّهُ لَمْ يَضْحَكْ، ولَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ البِشْرِ مِثْلَ ما رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ، فقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: يا جِبْرِيلُ، مَنْ هذا المَلَكُ الَّذي قالَ لِي كَما قالَتِ المَلائِكَةُ ولَمْ يَضْحَكْ إلَيَّ، ولَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ البِشْرِ مِثْلَ الَّذي رَأَيْتُ مِنْهُمْ؟» قالَ: «فقالَ لِي جِبْرِيلُ: أَمَا إنَّهُ لَوْ ضَحِكَ إلى أَحَدٍ كانَ قَبْلَكَ، أوْ كانَ ضاحِكًا إلى أَحَدٍ بَعْدَكَ، لَضَحِكَ إلَيْكَ، ولَكِنَّهُ لا يَضْحَكُ، هذا مالِكٌ خازِنُ النّارِ». فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فقُلْتُ لِجِبْرِيلَ ـ وهُوَ مِنَ اللهِ تَعالى بِالمَكانِ الَّذي وُصِفَ لَكُمْ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] ـ: أَلا تَأْمُرُهُ أَنْ يُرِيَنِي النّارَ؟ فقالَ: بَلى، يا مالِكُ، أَرِ مُحَمَّدًا النّارَ». قالَ: «فكَشَفَ عَنْها غِطاءَها، ففارَتْ وارْتَفَعَتْ، حَتّى ظَنَنْتُ لَتَأْخُذَنَّ ما أَرى». قالَ: «فقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: يا جِبْرِيلُ، مُرْهُ فلْيَرُدَّها إلى مَكانِها». قالَ: «فأَمَرَهُ، فقالَ لَها: اخْبِي، فرَجَعَتْ إلى مَكانِها الَّذي خَرَجَتْ مِنْهُ، فما شَبَّهْتُ رُجُوعَها إلّا وُقُوعَ الظِّلِّ. حَتّى إذا دَخَلَتْ مِنْ حَيْثُ خَرَجَتْ رَدَّ عَلَيْها غِطاءَها».

[عَوْدٌ إلى حَدِيثِ الخُدْرِيِّ عَنِ المِعْراجِ]

وَقالَ أبو سَعِيدِ الخُدْرِيُّ في حَدِيثِهِ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَمّا دَخَلْتُ السَّماءَ الدُّنْيا، رَأَيْتُ بِها رَجُلًا جالِسًا تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْواحُ بَنِي آدَمَ، فيقُولُ لِبَعْضِها إذا عُرِضَتْ عَلَيْهِ خَيْرًا ويُسَرُّ بِهِ، ويَقُولُ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ، ويَقُولُ لِبَعْضِها إذا عُرِضَتْ عَلَيْهِ: أُفٍّ، ويَعْبِسُ بِوَجْهِهِ ويَقُولُ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ». قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا أبوكَ آدَمُ، تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْواحُ ذُرِّيَّتِهِ، فإذا مَرَّتْ بِهِ رُوحُ المُؤْمِنِ مِنْهُمْ سُرَّ بِها، وقالَ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ، وإذا مَرَّتْ بَهْ رُوحُ الكافِرِ مِنْهُمْ أَفَّفَ مِنْها وكَرِهَها، وساءَ ذلك، وقالَ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ».

[صِفةُ أَكَلةِ أَمْوالِ اليَتامى]

قالَ: «ثُمَّ رَأَيْتُ رِجالًا لَهُمْ مَشافِرُ كَمَشافِرِ الإبِلِ، في أَيْدِيهِمْ قِطَعٌ مِنْ نارٍ كالأفْهارِ، يَقْذِفُونَها في أفْواهِهِمْ، فتَخْرُجُ مِنْ أدْبارِهِمْ. فقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ أَكَلةُ أَمْوالِ اليَتامى ظُلْمًا».

[صِفةُ أَكَلةِ الرِّبا]

قالَ: «ثُمَّ رَأَيْتُ رِجالًا لَهُمْ بُطُونٌ لَمْ أَرَ مِثْلَها قَطُّ، بِسَبِيلِ آلِ فِرْعَوْنَ، يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ كالإبِلِ المَهْيُومةِ حِينَ يُعْرَضُونَ على النّارِ، يَطَؤُونَهُمْ لا يَقْدِرُونَ على أنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْ مَكانِهِمْ ذلك». قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ أَكَلةُ الرِّبا».

[صِفةُ الزُّناةِ]

قالَ: «ثُمَّ رَأيْتُ رِجالًا بَيْنَ أيْدِيهِمْ لَحْمٌ ثَمِينٌ طَيِّبٌ، إلى جَنْبِهِ لَحْمٌ غَثٌّ مُنْتِنٌ، يَأْكُلونَ مِنَ الغَثِّ المُنْتِنِ، ويَتْرُكُونَ السَّمِينَ الطَّيِّبَ». قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ الَّذينَ يَتْرُكُونَ ما أحَلَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ النِّساءِ، ويَذْهَبُونَ إلى ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُنَّ».

[صِفةُ النِّساءِ اللّاتِي يُدْخِلْنَ على الأزْواجِ ما لَيْسَ مِنْهُمْ]

قالَ: «ثُمَّ رَأيْتُ نِساءً مُعَلَّقاتٍ بِثُدِيِّهِنَّ، فقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ اللّاتِي أدْخَلْنَ على الرِّجالِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أوْلادِهِمْ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ عَمْرٍو، عَنِ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على امْرَأةٍ أدْخَلَتْ على قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فأكَلَ حَرائِبَهُمْ، واطَّلَعَ على عَوْراتِهِمْ».

[عَوْدٌ إلى حَدِيثِ الخُدْرِيِّ عَنِ المِعْراجِ]

ثُمَّ رَجَعَ إلى حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: «ثُمَّ أصْعَدَنِي إلى السَّماءِ الثّانِيةِ، فإذا فيها ابْنَا الخالَةِ: عِيسى بنُ مَرْيَمَ، ويَحْيى بنُ زَكَرِيّا»، قالَ: «ثُمَّ أصْعَدَنِي إلى السَّماءِ الثّالِثَةِ، فإذا فيها رَجُلٌ صُورَتُهُ كَصُورةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»، قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا أخُوكَ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ». قالَ: «ثُمَّ أصْعَدَنِي إلى السَّماءِ الرّابِعةِ، فإذا فيها رَجُلٌ فسَألْتُهُ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: هذا إدْرِيسُ». قالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]». قالَ: «ثُمَّ أصْعَدَنِي إلى السَّماءِ الخامِسةِ، فإذا فيها كَهْلٌ أبْيَضُ الرَّأسِ واللِّحْيةِ،

عَظِيمُ العُثْنُونِ، لَمْ أَرَ كَهْلًا أَجْمَلَ مِنْهُ»، قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا المُحَبَّبُ في قَوْمِهِ هارُونُ بنُ عِمْرانَ».

قالَ: «ثُمَّ أَصْعَدَنِي إلى السَّماءِ السّادِسةِ، فإذا فيها رَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ أَقْنى، كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءةَ، فقُلْتُ لَهُ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا أَخُوكَ مُوسى ابنُ عِمْرانَ. ثُمَّ أَصْعَدَنِي إلى السَّماءِ السّابِعةِ، فإذا فيها كَهْلٌ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ إلى بابِ البَيْتِ المَعْمُورِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يَرْجِعُونَ فيهِ إلى يَوْمِ القِيامةِ، لَمْ أَرَ رَجُلًا أَشْبَهَ بِصاحِبِكُمْ، ولا صاحِبُكُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْهُ»، قالَ: «قُلْتُ: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا أَبوكَ إِبْراهِيمُ». قالَ: «ثُمَّ دَخَلَ بِي الجَنّةَ، فرَأَيْتُ فيها جارِيةً لَعْساءَ، فسَأَلْتُها: لِمَنْ أَنْتِ؟ وقَدْ أَعْجَبَتْنِي حِينَ رَأَيْتُها، فقالَتْ: لِزَيْدِ بن حارِثةَ»، فبَشَّرَ بِها رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فيما بَلَغَنِي: أَنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَصْعَدْ بِهِ إلى سَماءٍ مِنَ السَّمَواتِ إلّا قالُوا لَهُ حِينَ يَسْتَأْذِنُ في دُخُولِها: مَنْ هذا يا جِبْرِيلُ؟ فيقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيقُولُونَ: أَوَقَدْ بُعِثَ؟ فيقُولُ: نَعَمْ، فيقُولُونَ: حَيّاهُ اللهُ مِنْ أَخٍ وصاحِبٍ! حَتّى انْتَهى بِهِ إلى السَّماءِ السّابِعةِ، ثُمَّ انْتَهى بِهِ إلى رَبِّهِ، ففَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَوْمٍ.

[مَشُورةُ مُوسى على الرَّسُولِ عَلَيْهِما السَّلامُ في شَأْنِ تَخْفيفِ الصَّلاةِ]

قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فأَقْبَلْتُ راجِعًا، فلَمّا مَرَرْتُ بِمُوسى بنِ عِمْرانَ ـ ونِعْمَ الصّاحِبُ كانَ لَكُمْ ـ سَأَلَنِي: كَمْ فُرِضَ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلاةِ؟ فقُلْتُ:

خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، فقالَ: إنَّ الصَّلاةَ ثَقِيلةٌ، وإنَّ أُمَّتَكَ ضَعِيفةٌ، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسْأَلْهُ أنْ يُخَفِّفَ عَنْكَ وعَنْ أُمَّتِكَ. فرَجَعْتُ فسَأَلْتُ رَبِّي أنْ يُخَفِّفَ عَنِّي وعَنْ أُمَّتِي، فوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فمَرَرْتُ على مُوسى، فقالَ لِي مِثْلَ ذلك، فرَجَعْتُ فسَأَلْتُ رَبِّي، فوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فمَرَرْتُ على مُوسى، فقالَ لِي مِثْلَ ذلك، فرَجَعْتُ فسَأَلْتُهُ فوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ لِي مِثْلَ ذلك كُلَّما رَجَعْتُ إلَيْهِ، قالَ: فارْجِعْ فاسْأَلْ، حَتّى انْتَهَيْتُ إلى أنْ وضَعَ ذلك عَنِّي، إلّا خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى مُوسى، فقالَ لِي مِثْلَ ذلك، فقُلْتُ: قَدْ راجَعْتُ رَبِّي وسَأَلْتُهُ، حَتّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، فما أنا بِفاعِلٍ. فَمَنْ أدّاهُنَّ مِنْكُمْ إيمانًا بِهِنَّ، واحْتِسابًا لَهُنَّ، كانَ لَهُ أجْرُ خَمْسِينَ صَلاةً مَكْتُوبةً».

فصْلٌ
في شَرْحِ ما في حَدِيثِ الإسْراءِ مِنَ المُشْكِلِ

اتَّفَقَتِ الرُّواةُ على تَسْمِيَتِهِ إسْراءً، ولَمْ يُسَمِّهِ أحَدٌ مِنْهُمْ: سُرًى، وإنْ كانَ أهْلُ اللُّغةِ قَدْ قالُوا: سَرى وأسْرى بِمَعْنًى واحِدٍ، فدَلَّ على أنّ أهْلَ اللُّغةِ لَمْ يُحَقِّقُوا العِبارةَ، وذَلِكَ أنّ القُراءَ لَم يَختلِفوا في التِّلاوةِ من قولِه سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ولَمْ يَقُلْ: سَرى، وقالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، ولَمْ يَقُلْ: يُسْرِي، فَدَلَّ على أنّ السُّرى مِنْ سَرَيْتُ: إذا سِرْتَ لَيْلًا، وهِيَ مُؤَنّثةٌ، تَقُولُ: طالَتْ سُراك اللّيْلة.

والإسْراءُ مُتَعَدٍّ في المَعْنى، لَكِنْ حُذِفَ مَفْعُولُهُ كَثِيرًا حَتّى ظَنّ أهْلُ اللّغةِ أنّهما بِمَعْنًى واحِدٍ لَمّا رَأوْهما غَيْرَ مُتَعَدِّيَيْنِ إلى مَفْعُولٍ في اللّفْظِ، وإنّما

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾؛ أيْ: جَعَلَ البُراقَ يَسْرِي به، كَما تَقُولُ: أَمَضَيْتُه؛ أيْ: جعَلْتُهُ يَمْضِي، لَكِنْ كَثُرَ حَذْفُ المَفْعُولِ لِقُوّةِ الدَّلالةِ عَلَيْهِ، أوْ لِلاسْتِغْناءِ[1] عَنْ ذِكْرِهِ، إذِ المَقْصُودُ بالخَبَرِ ذِكْرُ مُحَمّدٍ ﷺ، لا ذِكْرُ الدّابّةِ الّتِي سارَتْ بِهِ. وجازَ في قِصّةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ أنْ يُقالَ له: «فاسْرِ بِأَهْلِكَ» [هود: ٨١]؛ أيْ: سِرْ بِهِمْ، وأنْ يُقْرَأَ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ بِالقَطْعِ، أيْ: فأَسْرِ بِهِمْ ما يَتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ مِنْ دابّةٍ، أوْ نَحْوِها، ولَمْ يُتَصَوّرْ ذَلِكَ [في السُّرى][2] بِالنّبِيِّ ﷺ؛ إذْ لا يَجُوزُ أنْ يُقالَ: سَرى بِعَبْدِهِ، بوجهٍ مِنَ الوُجُوهِ؛ فلِذَلِكَ لَمْ تَأْتِ التِّلاوةُ إلّا بِوَجْهٍ واحِدٍ في هَذِهِ القِصّةِ، فتَدَبَّرْهُ.

وكَذَلِكَ تَسامَحَ النَّحْوِيُّونَ أيْضًا في الباءِ والهَمْزةِ، وجَعَلُوهُما[3] بمَعْنًى واحِدٍ في حُكْمِ التَّعْدِيةِ، ولَوْ كانَ ما قالُوهُ أصْلًا لَجازَ[4] في: أَمْرَضْتُهُ أنْ تَقُولَ: مَرِضْتُ بِهِ، وفي أَسْقَمْتُه: [أنْ تَقُولَ][5]: سَقِمْتُ بِهِ، وفي أعْمَيْتَهُ [أنْ تَقُولَ][6]: عَمِيتُ بِهِ، قِياسًا عَلى: أذْهَبْتُه، وذَهَبْتُ بِهِ.

ويَأْبى اللهُ ذَلِكَ والعالِمُونَ! فإنّما الباءُ تُعْطِي مَعَ التّعْدِيةِ طَرَفًا مِنَ المُشارَكةِ في الفِعْلِ، ولا تُعْطِيهِ الهَمْزةُ، فإذا قُلْتَ: أقْعَدْتُه، فمَعْناهُ: جَعَلْتُه يَقْعُدُ، [وإذا قُلْتَ: قعدتُ به، فقد جعلتَهُ يقعدُ][7]، ولَكِنّك شارَكْتَهُ في القُعُودِ، فجَذَبْتَهُ بِيَدِك إلى الأرْضِ، أوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فلا بُدّ مِنْ طَرَفٍ مِنَ المُشارَكةِ [إذا قلتَ: قَعَدْتُ بِهِ،

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «والاستغناء».
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ب).
(٣) في (ب): «وجعلوها».
(٤) في (أ): «يصح أن تقول في أمرضته».
(٥) ما بين المعقوفين سقط من: (أ)، (ف).
(٦) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٧) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

ودَخَلْتُ بِهِ، وذَهَبْتُ بِهِ، بِخِلافِ أدْخَلْتُه وأذْهَبْتُه](١).

فَإنْ قُلْت: فقَدْ قالَ الله سُبْحانَهُ ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧]، و﴿ذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، ويتَعالى سُبْحانَهُ عَنْ أنْ يُوصَفَ بالذَّهابِ، أو يُضافَ إلَيْهِ طَرَفٌ مِنْهُ، وإنّما مَعْناهُ: أذْهَبَ اللهُ نُورَهُمْ وسَمْعَهُمْ.

قُلْنا في الجَوابِ عَنْ هَذا(٢): إنَّ النُّورَ، والسَّمْعَ، والبَصَرَ، كلٌّ بِيَدِهِ سُبْحانَهُ، وقَدْ قالَ: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾(٣) [آل عمران: ٢٦]، وهَذا(٤) مِنَ الخَيْرِ الّذِي بِيَدِهِ، وإذا كانَ بِيَدِهِ، فجائِزٌ أنْ يُقالَ: ذَهَبَ بِهِ على المَعْنى الّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ كائِنًا ما كانَ ذَلِكَ المَعْنى، فعَلَيْهِ يَنْبَنِي هذا المَعْنى الآخَرُ الّذِي في قَوْلِهِ: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ مَجازًا كانَ أوْ حَقِيقةً، ألا تَرى أنّهُ لَمّا ذَكَرَ الرِّجْسَ كَيْفَ قالَ: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولَمْ يَقُلْ: يَذْهبُ بِهِ، وكَذَلِكَ قالَ: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال: ١١]، تعليمًا لِعِبادِهِ حُسْنَ الأدَبِ مَعَهُ، حَتّى لا يُضافَ إلى القُدُّوسِ ـ سُبْحانَهُ ـ لَفْظًا ومَعْنًى شَيْءٌ مِنَ الأرْجاسِ، وإنْ كانَتْ خَلْقًا لَهُ ومِلْكًا، فلا يُقالُ: هِيَ بِيَدِهِ على الخُصُوصِ، تَحْسِينًا لِلْعِبارةِ، وتَنْزِيهًا لَهُ، وفي مِثْلِ النُّورِ، والسَّمْعِ، والبَصَرِ يَحْسُنُ أنْ يُقالَ: هِيَ بِيَدِهِ، فحَسُنَ على هَذا أنْ يُقالَ: ذَهَبَ بِهِ، وأمّا ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فإنّ دُخُولَ الباءِ فيهِ لَيْسَ مِنْ هَذا القَبِيلِ، فإنّهُ فِعْلٌ يَتَعَدّى إلى مَفْعُولٍ(٥)، وذَلِكَ المَفْعُولُ المُسْرى هُوَ الّذِي سَرى بالعبدِ فَشارَكَهُ في

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في (أ): «هذا القول».

(٣) في النسخ: «بيده». والصواب ما أثبت.

(٤) في (ب): «فهذا».

(٥) في (أ): «المفعول».

السُّرى كَما قَدَّمْناه[1] في: قَعَدْتُ بِهِ، وقمتُ به، أنّهُ[2] يُعْطِي المُشارَكةَ في الفِعْلِ، أوْ في طَرَفٍ منه، فتأمَّلْه.

فَصْلٌ

ونُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيِ الكَلامِ في هَذا البابِ: هَلْ كانَ الإسْراءُ في يَقَظته وبِجَسَدِهِ، أوْ كانَ في نومِهِ بِرُوحِهِ؟ كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقَدْ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ عَنْ عائِشةَ ومُعاوِيةَ أنّها كانَتْ رُؤْيا حَقٍّ، وأنَّ عائِشةَ قالَتْ: «لَمْ يُفْقَدْ بَدَنُهُ، وإنّما عُرِجَ بِرُوحِهِ تِلْكَ اللَّيْلةَ».

ويَحْتَجُّ قائِلُ هَذا القَوْلِ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، ولَمْ يَقُلِ: الرُّؤْيةَ، وإنّما يُسَمّى رُؤْيا ما كانَ في النَّومِ في عُرْفِ اللُّغةِ.

ويَحْتَجُّونَ أيْضًا بِحَدِيثِ البُخارِيِّ عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: لَيْلةَ[3] أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبةِ، أنّهُ جاءَهُ ثَلاثةُ نَفَرٍ قَبْلَ أن يُوحى إليه وهو نائمٌ في المَسْجِدِ الحَرامِ، فقالَ أوّلُهُمْ: أيُّهُمْ هُوَ؟ فقالَ أوْسَطُهُمْ: هُوَ هَذا، وهُوَ خَيْرُهُمْ، فقالَ آخِرُهُمْ[4]: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فكانَ تِلْكَ اللَّيْلةَ، فلَمْ يَرَهُمْ حَتّى أتَوْهُ لَيْلةً أُخْرى فيما يَرى قَلْبُهُ، وتَنامُ عَيْنُهُ، ولا يَنامُ قَلْبُهُ، وكَذَلِكَ الأنْبِياءُ عَلَيْهِم السّلامُ تَنامُ أعْيُنُهُمْ، ولا تَنامُ قُلُوبُهُمْ، فلَمْ يُكَلِّمُوهُ

(١) في (ف): «قدمنا».

(٢) في (ف): «أن».

(٣) في (ب): «ليلة أنْ أُسرِيَ».

(٤) في (أ)، (د)، (ج)، (ف): «أحدهم».

حَتّى احْتَمَلُوهُ فوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فتَوَلّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ... الحَدِيثَ بِطُولِهِ، وقالَ في آخِرِهِ: واسْتَيْقَظَ وهُوَ في المَسْجِدِ الحَرامِ[١].

وهَذا نَصٌّ لا إشْكالَ فيهِ أنّها كانَتْ رُؤْيا صادِقةً.

وقالَ أصْحابُ القَوْلِ الثّانِي: قَدْ تَكُونُ الرُّؤْيا بِمَعْنى الرُّؤْيَةِ في اليَقَظةِ، وأنْشَدُوا لِلرّاعِي يَصِفُ صائِدًا[٢]: [من الطويل]

وَكَبّــرَ لِلرُّؤْيا وهَشَّ فُؤادُهُ   وبَشَّرَ قَلْبًا كانَ جَمًّا بَلابِلُهْ

قالُوا: وفي الآيَةِ بَيانُ أنّها كانَتْ في اليَقَظةِ؛ لِأنّهُ قالَ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] ولَوْ كانَتْ رُؤْيا نَوْمٍ ما[٣] افْتَتَنَ بِها النّاسُ، حَتّى ارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمّنْ أسْلَمَ، وقالَ الكُفّارُ: يَزْعُمُ مُحَمّدٌ أنّهُ أتى بَيْتَ المَقْدِسِ ورَجَعَ إلى مَكّةَ[٤] من لَيْلَتِهُ، والعِيرُ تَطْرُدُ إلَيْه شَهْرًا مُقْبلةً، وشَهْرًا مُدْبِرةً. ولَوْ كانَتْ رُؤْيا نَوْمٍ، لَمْ يَسْتَبْعِدْ [أحَدٌ مِنْهُمْ هَذا، فمَعْلُومٌ أنّ النّائِمَ قَدْ يَرى نَفْسَهُ في السَّماءِ، وفي المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، فلا يُسْتَبْعَدُ][٥] ذَلِكَ مِنْهُ.

واحتجَّ هؤلاء أيضًا بشُربِهِ الماءَ في الإناءِ الّذي كانَ مُغَطًّى عِنْدَ القَوْمِ،

---

(١) أخرجه البخاري، «فتح الباري»، كتاب التوحيد: (٣: ٤٧٨-٤٧٩)، وكتاب المناقب: (٦: ٧٩)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٤٨).

(٢) هذا البيت ليس للراعي النُّمَيْري، وليس في «ديوانه»، وإنما هو لمنصور النَّمَري، وهو في «ديوانه» (ص: ١٣١) هكذا:

فلمّا رآنــي كبَّرَ اللهَ وحدَه   وبشَّرَ قلبًا كان جمًّا بَلابِلُهْ

(٣) في (أ): «لما».

(٤) في (ف): «إلى بيته».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

ووَجَدُوهُ حِينَ أَصْبَحَ[١] لا ماءَ فيهِ، وبإرْشادِهِ لِلّذِينَ[٢] نَدَّ بَعِيرُهُمْ حِين أَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدّابّةِ ـ وهُوَ البُراقُ ـ حَتّى دَلّهُمْ عَلَيْهِ، فأَخْبَرَ أهلَ مكّةَ بأمارةِ ذلك، حتّى[٣] ذكَرَ الغِرارَتَيْنِ[٤]: السّوْداءَ والبَرْقاءَ، كَما في هَذا الكِتابِ[٥].

وفي رِوايةِ يُونُسَ: أنّهُ وعَدَ قُرَيْشًا بِقُدُومِ العِيرِ الذين[٦] أرْشَدَهُمْ إلى البَعِيرِ، وشَرِبَ إناءَهُمْ، أن يَقْدَمُوا يَوْمَ الأرْبِعاءِ، فلَمّا كانَ اليَوْمُ ولَمْ يَقْدَمُوا حَتّى كَرَبَتِ الشّمْسُ أنْ تَغْرُبَ، فدَعا اللهَ فحَبَسَ الشّمْسَ حَتّى قَدِمُوا كَما وصَفَ، قالَ: ولَمْ تُحبَسِ الشّمْسُ إلّا لَهُ ذَلِكَ اليَوْمَ، ولِيُوشَعَ بنِ نُونٍ[٧]، وهَذا كُلُّهُ لا يَكُونُ إلّا يَقَظةً.

وذَهَبَتْ طائِفةٌ ثالِثةٌ ـ مِنْهُمْ شَيْخُنا القاضي أبو بكرٍ رَحِمَهُ اللهُ ـ إلى تَصْدِيقِ المَقالَتَيْنِ، وتَصْحِيحِ الحَدِيثَيْنِ، وأنّ الإسْراءَ كانَ مَرّتَيْنِ، إحْداهُما: في نَومِهِ تَوْطِئةً لَهُ، وتَيْسِيرًا عَلَيْهِ، كَما كانَ بَدْءُ[٨] نُبُوّتِهِ الرُّؤْيا الصّادِقةَ، لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ أمْرُ النُّبُوّةِ؛ فإنّهُ عَظِيمٌ تَضْعُفُ عَنْهُ القُوى البَشَرِيّةُ، وكَذَلِكَ الإسْراءُ سَهَّلَهُ عليه بالرُّؤْيا؛ لِأنّ هولَهُ عَظِيمٌ، فجاءَهُ في اليَقَظةِ على تَوْطِئةٍ وتَقْدِمةٍ، رِفْقًا مِنَ اللهِ بِعَبْدِهِ، وتَسْهِيلًا عَلَيْهِ.

ورَأَيْتُ المُهَلَّبَ[٩] في «شَرْحِ البُخارِيِّ» قَدْ حَكى هَذا القَوْلَ عَنْ طائِفةٍ

---

(١) في (ج): «أصبحوا».

(٢) في (ف): «الذين».

(٣) في (أ): حين.

(٤) الغِرارة: وعاءٌ مِن خَيْش ونحوه، يُوضَع فيه القَمح ونحوُه، وجمعُه: غرائر.

(٥) «السيرة» (١: ٤٠٣).

(٦) في (ج): «التي»، وفي النسخ: «الذي»، والمراد بالعِير: القافلة. والأوْفَق ما أثبته، والله أعلم.

(٧) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٤٠٤).

(٨) في (ب): «في بدء».

(٩) في (ب): «قد حكى في شرح البخاري».

مِنَ العُلَماءِ، وأنّهُمْ قالُوا: كانَ الإسْراءُ مَرّتَيْنِ: مَرّةً في نوْمِهِ، ومَرّةً في يَقظَتِهِ بِبَدَنِهِ ﷺ.

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسِمِ رضي الله عنه: وهَذا القَوْلُ هُوَ الّذِي يَصِحُّ، وبه تَتَّفِقُ معاني الأخبارِ، ألا تَرى أنّهُ قالَ في حَدِيثِ أنَسٍ الّذِي قَدَّمْنا ذِكْرَهُ: «أتاهُ ثَلاثَةُ نفَرٍ قَبْلَ أنْ يُوحى إلَيْهِ»، ومَعْلُومٌ أنّ الإسْراءَ كانَ بَعْدَ النُّبُوّةِ، وحينَ فُرِضَتِ الصّلاةُ، كَما قَدَّمْنا في الجُزْءِ قَبْلَ هَذا، وقد قِيلَ: كانَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بعام.

وكذَلِكَ[1] قالَ في الحَدِيثِ: «فارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمّنْ كانَ [قَدْ][2] أسْلَمَ». ورُواةُ الحَدِيثَيْنِ حُفّاظٌ، فلا يَسْتَقِيمُ الجَمْعُ بَيْنَ الرِّوايَتَيْنِ إلّا أنْ يَكُونَ الإسْراءُ مَرَّتَيْنِ.

وكَذَلِكَ ذُكِرَ في حَدِيثِ أنَسٍ أنّهُ لَقِيَ إبْراهِيمَ في السَّماءِ السّادسةِ، و[لقي][3] موسى في السّابعةِ، وفي أكْثَرِ الرّواياتِ الصّحِيحةِ أنّهُ رَأى إبْراهِيمَ عندَ البيتِ المعمورِ في السَّماءِ السّابعةِ، ولَقِيَ مُوسى في السّماءِ السّادِسةِ[4].

وفي رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ أُتِيَ بِثَلاثَةِ آنِيةٍ، أحَدُها ماءٌ، فقالَ قائِلٌ: «إنْ أخَذَ الماءَ غَرِقَ، وغَرِقَتْ أُمّتُهُ».

وفي إحْدى رِواياتِ البُخاريِّ في «الجامِعِ الصّحِيحِ»: أنّهُ أُتِيَ بِإناءٍ فيهِ عَسَلٌ[5]، ولَمْ يُذْكَرِ الماءُ. [والرُّواةُ أثْباتٌ][6]، ولا سَبِيلَ إلى تَكْذِيبِ بَعْضِهِمْ،

---

(١) كذا في (أ)، (د)، وفي (ب)، (هـ): «ولذلك»، وفي (ج): «فلذلك».

(٢) ليس في (أ).

(٣) عن (أ)، (ف). وفي (هـ): «وأتى موسى».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ١٤٨-١٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٤٥-١٤٦) بإسنادهما إلى أنس.

(٥) «فتح الباري»، كتاب الأشربة: (١٥: ٧٥).

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

ولا تَوْهِينِهِمْ، فدَلّ على[١] صِحّةِ القَوْلِ بأنّهُ كانَ مَرَّتَيْنِ، وعادَ الإخْتِلافُ إلى أنّهُ كانَ كُلُّهُ حَقًّا، ولَكِنْ في حالَتَيْنِ ووَقْتَيْنِ، مَعَ ما يَشْهَدُ لَهُ مِنْ ظاهِرِ القُرْآنِ، فإنّ اللهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ ثُمّ قالَ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ٨-١١]، فهَذا نَحْوُ ما وقَعَ في حَدِيثِ أنَسٍ مِنْ قَوْلِهِ: فيما يَراهُ قَلْبُهُ، وعَيْنُهُ نائِمةٌ. والفُؤادُ: هُوَ[٢] القَلْبُ، ثم قال: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١٢]، ولَمْ يَقُلْ: ما[٣] قَدْ رَأى، [فدَلَّ على أنّ ثَمّةَ[٤] رُؤْيةً أُخْرى بَعْدَ هَذِهِ، ثُمّ قال][٥]: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣]، أيْ: في نَزْلةٍ نَزَلَها جِبْرِيلُ إلَيْهِ مَرّةً أخرى، فرَآهُ على صُورَتِهِ الّتِي هُوَ عَلَيْها: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ١٤]، ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم: ١٦]، قالَ: «يَغْشاها فَراشٌ مِنْ ذَهَبٍ». وفي رِوايةٍ: «يَنْتَثِرُ مِنْها الياقُوتُ، وثَمَرُها مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ». ثم قال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]، ولَمْ يَقُلِ: الفُؤادُ، كَما قالَ في الّتِي قَبْلَ هَذِهِ، فَدَلّ على أنّها رُؤْيةُ عَيْنٍ وبَصَرٍ في النَّزْلةِ الأُخْرى، ثُمّ قالَ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨]، وإذا كانَتْ رُؤْيةَ عَيْنٍ؛ فهِيَ مِنَ الآياتِ الكُبَرِ، ومِنْ أعْظَمِ البَراهِينِ والعِبَرِ، وصارَتِ الرُّؤْيا الأُولى بالإضافةِ إلى الأُخْرى لَيْسَتْ مِنَ الكُبَرِ؛ لِأنّ ما يَراهُ العَبْدُ في مَنامِهِ دُونَ ما يَراهُ في يَقَظَتِهِ لا مَحالةَ؛ ولذلك قالَ في أكْثَرِ الأحادِيثِ: إنّهُ رَأى عِنْدَ سِدْرةِ المُنْتَهى نَهَرَيْنِ ظاهِرَيْنِ، ونَهَرَيْنِ باطِنَيْنِ، وأخْبَرَهُ جِبْرِيلُ أنّ الظّاهِرَيْنِ: النِّيلُ والفُراتُ.

---

(١) في (أ): «عن أن صحة».

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) ليس في (أ)، (هـ).

(٤) في (ف): «ثم».

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

وذَكَرَ في حَدِيثِ أَنَسٍ[١] أَنّهُ رَأى هَذَيْنِ النّهَرَيْنِ في السّماءِ الدُّنْيا، وقالَ لَهُ المَلَكُ: هُما النّيلُ والفُراتُ، أَصْلُهُما وعُنْصُرُهُما. فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَأى في حالِ اليَقَظةِ مَنْبَعَهُما، ورَأى في المَرّةِ الأُولى النّهَرَيْنِ دُونَ أَنْ يَرى أَصْلَهُما ـ والله أعْلَمُ ـ فقَدْ جاءَ في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢] [المؤمنون: ١٨]، أنّهُما النِّيلُ والفُراتُ، أُنْزِلا مِنَ الجنّةِ مِنْ أَسْفَلِ دَرَجةٍ مِنْها على جناحِ جِبْرِيلَ عليه السلام، فأودعَهُما بطونَ الجبالِ، ثمّ إنّ اللهَ سَيَرْفَعُهُما ويَذْهَبُ بِهِما عِنْدَ رَفْعِ القُرْآنِ، وذَهابِ الإيمانِ، فلا يَبْقى على الأَرْضِ خَيْرٌ، وذَلِكَ قَوْلُه: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وفي حَدِيثٍ مُسْنَدٍ ذَكَرَهُ النّحاسُ في «المَعانِي» بأتمَّ مِن هذا فاختصَرْتُهُ[٣].

ووَقَعَ في كِتابِ «المُعْلِمِ» [لِلْمازَرِيِّ][٤] قَوْلٌ رابِعٌ في الجَمْعِ بَيْنَ الأَقْوالِ، قالَ: كانَ الإسْراءُ بِجَسَدِهِ في اليَقَظةِ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، فكانَتْ رُؤْيا عَيْنٍ، ثُمّ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ إلى فَوْقِ سَبْعِ سَمواتٍ، فكانتْ رُؤْيا قلبٍ؛ ولِذَلِكَ شَنَّعَ الكُفّارُ قَوْلَهُ: «وأَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ في لَيْلَتِي هَذِهِ». ولَمْ يُشَنِّعُوا [قولَه][٥] فيما سوى ذلك.

(١) «فتح الباري»، كتاب التوحيد: (١٣ : ٤٧٨-٤٧٩)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١ : ١٤٨).
(٢) في (ب): «وأنزلنا»، وفي (هـ): «أنزلنا».
(٣) «معاني القرآن» للنحاس: (٤: ٤٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (ج)
(٤) ما بين المعقوفين سقط من (هـ). ونص (ب): «في كتاب المعلم للمازري في شرح كتاب مسلم» (١/ ٣٢٩). وفي (ج): «في كتاب المعلم في شرح مسلم للمازري». والمازَرِيُّ هو: الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي المازَري المهدوي، كذا ورد اسمُه في «فهرسة ابن خير» (ص: ١٩٦)، واسم الكتاب فيها: «الكتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم». وقال ابن خير: «حدثني به... رضي الله عنه إجازةً فيما كتبَ به إلى ابن المهدية بخطه». عاش المازَرِي بين سنتي (٤٥٣-٥٣٦هـ). وانظر: «الأعلام» للزركلي: (٦: ٢٧٧).
(٥) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

فَصْلٌ

ومِمّا يُسْأَلُ عَنْهُ في هَذا الحَدِيثِ: شِماسُ البُراقِ حِينَ رَكِبَهُ [النّبيُّ][١] ﷺ، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: «أما تَسْتَحْيِي يا بُراقُ؟! فما رَكِبَك عَبْدٌ لِلهِ قَبْلَ مُحَمّدٍ هُوَ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ».

فقَدْ قِيلَ في نَفْرَتِهِ ما قالَهُ ابنُ بَطّالٍ[٢] في «شَرْحِ الجامِعِ الصَّحِيحِ»[٣]، قالَ: كانَ ذَلِكَ لِبُعْدِ عَهْدِ البُراقِ بِالأَنْبِياءِ، وطُولِ الفَتْرةِ بَيْنَ عِيسى ومُحَمّدٍ ﷺ.

ورَوى غَيْرُهُ في ذَلِكَ سَبَبًا آخَرَ، قالَ في روايةٍ لحَدِيثِ الإسْراءِ: قالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمّدٍ ﷺ حِينَ شَمَسَ بِهِ البُراقُ: «لَعَلّك [يا مُحَمّدُ][٤] مَسِسْتَ الصّفْراءَ اليَوْمَ». فأَخْبَرَهُ [النّبيُّ][٥] ﷺ أنّهُ ما مَسَّها إلّا أنّهُ مَرّ بِها، فقالَ: «تبًّا لِمَنْ يَعْبُدُك مِنْ دُونِ اللهِ، وما شَمَسَ إلّا لِذَلِكَ».

وذَكَرَ هَذِهِ الرِّوايةَ أبُو سَعدٍ[٦] النَّيسابُورِيُّ في «شَرَفِ المُصْطَفى»، واللهُ[٧] أعْلَمُ.

---

(١) ليس في (ب).

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، المحدِّث، شرح البخاري، تُوفي في صفر سَنة (٤٤٩هـ). انظر: «السير» للذهبي: (٣: ٢١٩).

(٣) في (ب): «شرح الجامع البخاري»، وفي (هـ): «شرح البخاري».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٥) ليس في (ب).

(٦) في النسخ «أبو سعيد». والمثبت عن «فهرسة ابن خير» (ص: ٢٨٩)، و«الأنساب» للسمعاني: (٢: ٣٥٠)، وهو أبو سعيد عبد الملك بن محمد الخَرْكُوشي، وهي سِكّة (طريق) كبيرة بنيسابور، كان عالمًا زاهدًا فاضلًا، تُوفي في سَنة (٤٠٦هـ).

(٧) في (ف): «فالله».

وقَدْ جاءَ ذِكْرُ الصَّفْراءِ في «مُسْنَدِ البَزّارِ»، وأنّها كانَتْ صَنَمًا بَعْضُهُ[١] مِنْ ذَهَبٍ، فكَسَرَها رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ.

وفي الحَدِيثِ الّذِي خَرّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، أَنّهُ عليه السلامُ حين انتهى إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، قالَ[٢] جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ[٣] إلى الصَّخرةِ فخرَقَها، فَشَدَّ بِها البُراقَ[٤]، وأنَّ حُذَيْفةَ[٥] أنْكَرَ هَذِهِ الرِّوايةَ، وقالَ: لَمْ يَفِرَّ[٦] مِنْهُ وقَدْ سَخَّرَهُ لَهُ عالِمُ الغَيْبِ والشّهادةِ[٧].

وفي هَذا مِنَ الفِقْهِ على رِوايةِ بُرَيْدةَ: التَّنْبِيهُ على الأَخْذِ بِالحَزْمِ مَعَ صِحّةِ التّوَكُّلِ، وأنّ الإيمانَ بِالقَدَرِ ـ كَما رُوِيَ عَنْ وهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ـ لا يَمْنَعُ الحازِمَ مِنْ تَوَقِّي المَهالِكِ.

قالَ وهْبٌ: وجَدتُهُ في سَبْعِينَ[٨] مِنْ كُتُبِ اللهِ القَدِيمةِ، وهَذا نَحْوٌ مِنْ قَوْلِهِ عليه السلام: «قَيِّدْها وتَوَكَّلْ»[٩]. فإيمانُهُ ﷺ بِأنّهُ قَدْ سُخِّرَ لَهُ كَإيمانِهِ بِقَدَرِ اللهِ وعِلْمِهِ بِأنّهُ[١٠] سَبَقَ في أُمِّ الكِتابِ ما سَبَقَ، ومَعَ ذَلِكَ كانَ يَتَزَوّدُ

---

(١) في (ب): «تعبد».

(٢) أي: أشار.

(٣) في (ف): «بإصبعيه».

(٤) «عارضة الأحوذي»، تفسير سورة بني إسرائيل: (١١: ٢٩٢).

(٥) هو الصحابي حذيفة بن اليمان. انظر قوله في: «عارضة الأحوذي»، تفسير سورة بني إسرائيل: (١١: ٣٠٤-٣٠٥)، و«مسند أحمد» (٥: ٣٨٧).

(٦) في (ف): «لم أيفر».

(٧) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة: (٩: ٣٢٥).

(٨) بعده في (ف): «كتابًا».

(٩) الحديث في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» (٤: ٢٠٤-٢٠٥).

(١٠) بعده في (ف): «قد».

في أسْفارِهِ، ويُعِدُّ السّلاحَ في حُرُوبِهِ، حَتّى لَقَدْ ظاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ في غَزْوةِ أُحُدٍ.

ورَبْطُهُ لِلْبُراقِ في حَلْقةِ الباب مِنْ هَذا الفَنِّ، وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وقَدْ رَواهُ غَيْرُ بُرَيْدَةَ، ووَقَعَ في «مسندِ الحارثِ بن أبي أُسامةَ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ، ومِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ وغَيْرِهِما ـ أعْنِي: رَبْطَهُ البُراق في الحَلْقةِ الّتِي كانَتْ تَرْبِطُهُ فيها الأنْبِياءُ ـ غَيْرَ أنّ الحَدِيثَ يَرْوِيهِ داوُدُ بنُ المُحَبَّرِ، وهُوَ ضَعِيفٌ[1].

ومِمّا يُسْألُ عَنْهُ قَوْلُ المَلائِكةِ في كُلِّ سَماءٍ لِجِبْرِيلَ: مَنْ مَعَك؟ فيَقُولُ: مُحَمّدٌ. فيَقُولُونَ[2]: أوَقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ. هَكَذا لَفْظُ الحَدِيثِ في الصِّحاحِ.

مَعْنى سُؤالِهِمْ عَنِ البَعْثِ إلَيْهِ ـ فيما قالَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ ـ أيْ: قَدْ بُعِثَ إلَيْهِ ليعرجَ بِهِ إلى السّماءِ؟ كَما وجَدُوا في العِلْمِ أنّهُ سَيُعْرَجُ بِهِ، ولَوْ أرادُوا بَعْثَهُ إلى الخَلْقِ لَقالُوا: أوَقَدْ بُعِثَ، ولَمْ يَقُولُوا: إلَيْهِ، مَعَ أنّهُ يَبْعُدُ أنْ يَخْفى على المَلائِكةِ بَعْثُهُ إلى الخَلْقِ، فلا يَعْلَمُونَ بِهِ إلى لَيْلةِ الإسْراءِ.

وفي الحَدِيثِ الّذِي تَقَدَّمَ في هَذا الكِتابِ بَيانٌ أيْضًا حِينَ ذَكَرَ تَسْبِيحَ مَلائِكةِ السّماءِ السّابِعةِ، ثُمّ تَسْبِيحَ مَلائِكةِ كُلِّ سَماءٍ، ثُمّ يَسْألُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: مِمّ[3] سَبَّحْتُمْ؟ حَتّى يَنْتَهِيَ السُّؤالُ إلى مَلائِكةِ السَّماءِ السّابِعةِ، فيقولون: قضى ربُّنا في خَلْقِهِ كَذا. ثُمّ يَنْتَهِي الخَبَرُ إلى سَماءِ الدُّنْيا... الحَدِيثَ بِطُولِهِ.

---

(١) قال البخاري: «داود بن المحبر، منكر الحديث، قال أحمد: شبه لا شيء، لا يدري ما الحديث». «التاريخ الكبير» (٣: ٢٤٤). (ج)

(٢) في (ف): «فيقول».

(٣) في (أ): «بم».

وفي هَذا ما يَدُلُّ على أنّ المَلائِكةَ قَدْ عَلِمَتْ بنُبُوّةِ[١] مُحَمّدٍ ﷺ حينَ نُبِّئ، وإنّما قالَتْ: أوَقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ [أيْ قَدْ بُعِثَ إلَيْهِ][٢] بالبُراقِ ـ كما تقدّمَ ـ على أنّ في حَدِيثِ أنَسٍ أنّ مَلائِكةَ سَماءِ الدُّنْيا قالَتْ لِجِبْرِيلَ: أوَقَدْ بُعِثَ؟ كَما وقَعَ[٣] في «السِّيرةِ»[٤]، ولَيْسَ في أوّلِ الحَدِيثِ: «إلَيْهِ»، وهَذا إنّما جاءَ في حَدِيثِ الرُّؤْيا الّتِي رَآها بِقَلْبِهِ، كَما قَدّمْنا، وأنّ ذَلِكَ قَبْلَ أنْ يُوحى إلَيْهِ، كَما جاءَ في ذلك الحَدِيثِ بعَيْنِهِ، وفي هَذا قُوّةٌ؛ لِما تَقَدّمَ مِنْ أنَّ الإسْراءَ كانَ رُؤْيا، ثُمّ كانَ رُؤْيةً؛ ولِذَلِكَ لَمْ نَجِدْ في رِوايةٍ مِنَ الرِّواياتِ أنّ المَلائِكةَ قالُوا: «أوَقَدْ بُعِثَ؟» إلّا في هذا الحَدِيثِ، فاللهُ أعْلَمُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ بابَ الحَفَظةِ، وأنّ عَلَيْهِ مَلَكًا يُقالُ لَهُ: إسْماعِيلُ، وقَدْ جاءَ ذِكْرُهُ في «مُسْنَدِ الحارِثِ»، وفيهِ أنّ تَحْتَ يَدِهِ سبعين ألْفَ مَلَكٍ، [تَحْتَ يَدِ كُلِّ مَلَكٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، هَكَذا لَفْظُ الحَدِيثِ في رِوايةِ الحارِثِ.

وفي رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ: اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ][٥]. وفي «مُسْنَدِ الحارِثِ» أيْضًا، وَذَكَرَ سِدْرةَ المُنْتَهى، فقالَ: لَوْ غُطِّيَتْ [هَذِهِ الأُمّةُ بِوَرَقةٍ مِنْ ورَقِها[٦]][٧] لَغَطّتْهُمْ.

---

(١) في (ب)، (هـ): «نبوة».

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) في (ف): «تقدم».

(٤) «سيرة ابن هشام» (١: ٤٠٣).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) في (ب): «من أوراقها».

(٧) في (د)، (ف): «لو غُطيت بورقة مِن ورَقِها هذه الأُمة».

وفي صِفَتِها مِنْ رِوايةِ الجَمِيعِ[(١)]: «فإذا ثَمَرُها كَقِلالِ هَجَرَ»، وفي حَدِيثِ القُلَّتَيْنِ مِنْ كِتابِ الطَّهارةِ، مِنْ رِوايةِ ابنِ جُرَيْجٍ[(٢)]: «إذا كانَ الماءُ قُلَّتَيْنِ مِنْ قِلالِ هَجَرَ لَمْ يَحْمِلِ الخَبَثَ». قالُوا: والقُلّتانِ مِنْها تَسعانِ خَمْسَ مِئةِ رِطْلٍ. قالَ التِّرْمِذِيُّ[(٣)]: وذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِ قِرَبٍ.

وفي «تَفْسِيرِ ابنِ سَلّامٍ» عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قال: إنّما[(٤)] سُمِّيَتْ سِدْرةَ المُنْتَهى؛ لِأنّ رُوحَ المُؤْمِنِ يُنتهى[(٥)] بِهِ إليه فيُصلِّي عَلَيْهِ هُنالِكَ[(٦)] المَلائِكةُ المُقَرَّبُونَ. قالَ ذَلِكَ في تَفْسِيرِ: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

فَصْلٌ

وفيهِ: أَنّهُ رَأى آدَمَ في سَماءِ الدُّنْيا، وعَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدةٌ، وعَنْ شِمالِهِ أَسْوِدةٌ، وأنّ جِبْرِيلَ أَعْلَمَهُ أنّ الأَسْوِدةَ الّتِي عَنْ يَمِينِهِ هُمْ أَصْحابُ اليَمِينِ[(٧)].

وفي رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ: تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْواحُ ذُرِّيَّتِهِ، فإذا نَظَرَ إلى الّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ.

وقَدْ سُئِلَ عَنْ هَذا، فقِيلَ: كَيْفَ رَأى عَنْ يَمِينِهِ أَرْواحَ أَصْحابِ اليَمِينِ، ولَمْ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: (٧: ٣٠١-٣٠٢). ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٤٥-١٤٧).

(٢) أخرجه الدارقطني في «سننه»، في كتاب الطهارة: (١: ٢٥).

(٣) «عارضة الأحوذي»، أبواب الطهارة: (١: ٨٦).

(٤) كذا في (أ)، (ف)، وفي غيرهما: «إنها».

(٥) في (أ): «تنتهي بها»، وفي (ج): «تنتهي إليها».

(٦) في (أ): «عليه الملائكة المقربون هنالك».

(٧) «فتح الباري»، كتاب الصلاة: (١: ٤٥٨-٤٥٩)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٤٨).

يَكُنْ إذْ ذاكَ مِنْ أصْحابِ اليَمِينِ إلّا نَفَرٌ قَلِيلٌ، ولَعَلّهُ لَمْ يَكُنْ ماتَ تِلْكَ اللّيْلَةَ مِنْهُمْ أحَدٌ، وظاهِرُ الحَدِيثِ يَقْتَضِي أنّهُمْ كانُوا جَماعةً؟

فالجَوابُ[١] أنْ يُقالَ: إنْ كانَ الإسْراءُ رُؤْيا بِقَلْبِهِ، فتَأْوِيلُها أنّ ذَلِكَ سَيَكُونُ، وإنْ كانَتْ رُؤْيا عَيْنٍ ـ كَما قالَ ابنُ عَبّاسٍ وغَيْرُهُ ـ فمَعْناهُ أنّ ذَلِكَ أرْواحُ المُؤْمِنِينَ رَآها هُنالِكَ؛ لِأنّ اللهَ يَتَوَفّى الخَلْقَ في مَنامِهِمْ، كَما قالَ في التّنْزِيلِ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية [الزمر: ٤٢] فصَعِدَ بِالأرْواحِ إلى هُنالِكَ، فرَآها، ثُمّ أُعِيدَتْ إلى أجْسادِها.

وجَوابٌ آخَرُ: وهُوَ أنَّ أصْحابَ اليَمِينِ الّذِينَ ذَكَرَهُم الله في سُورةِ المُدَّثِّرِ في قَوْلِهِ: ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الآيات [المدثر: ٣٩-٤١]، قالَ ابنُ عَبّاسٍ: «هُمُ الأطْفالُ الّذِينَ ماتُوا صِغارًا»[٢]؛ ولِذَلِكَ[٣] سَألُوا المُجرِمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ الآية [المدثر: ٤٢]؛ لِأنّهُمْ ماتُوا قَبْلَ أنْ يَعْلَمُوا بِكُفْرِ الكافِرِينَ.

وقَدْ ثَبَتَ في الصَّحِيحِ أنّ أطْفالَ المُؤْمِنِينَ والكافِرِينَ في كفالَةِ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السّلامُ، وأنّ رَسُولَ الله ﷺ قال لِجِبْرِيلَ حِينَ رَآهُمْ في الرّوْضةِ مَعَ إبْراهِيمَ عليه السلام: «مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟»، فقالَ[٤]: أوْلادُ المُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَمُوتُونَ صِغارًا، فقالَ لَهُ: «وأوْلادُ الكافِرِينَ؟». قالَ: وأوْلادُ الكافِرِين.

خَرّجَهُ البُخارِيُّ في الحَدِيثِ الطَّوِيلِ في كِتابِ الجَنائِزِ، وخَرَّجَهُ في مَوْضِعٍ

(١) في (ف): «والجواب».
(٢) في (أ): «وهم صغار».
(٣) في (ب): «وكذلك»، وفي (ج)، (هـ): «وكذا».
(٤) في (ف): «قال».

آخَرَ[١]، فقالَ فيهِ: أوْلادُ النّاسِ، فهُوَ في الحَدِيثِ الأوّلِ نَصٌّ، وفي[٢] الثّانِي عُمُومٌ.

وقَدْ رُوِيَ في أطْفالِ[٣] الكافِرِينَ أيضًا أنّهُمْ خَدَمٌ لأهْلِ الجَنّةِ، فعلى هَذا لا يَبْعُدُ أنْ يَكُونَ الّذِي رَآهُ عَنْ يَمِينِ آدَم مِنْ نَسَمِ ذُرِّيّتِهِ أرْواحَ هَؤُلاءِ، وفي هَذا ما يَدْفَعُ تَشْعِيبَ[٤] ذلك السُّؤالِ، والاعْتِراضَ به.

فَصْلٌ

وفيهِ شُرْبُهُ مِنْ إناءِ القَوْمِ وهُوَ مُغَطًّى، والماءُ وإنْ كانَ لا يُمْلَكُ، والنّاسُ شُرَكاءُ فيهِ، وفي النّارِ، والكَلَأِ[٥]، كَما [جاءَ][٦] في الحَدِيثِ، لَكِنِ المُسْتَقى إذا أحْرَزَهُ في وِعائِهِ فقَدْ مَلَكَهُ، فكَيْفَ اسْتَباحَ النّبِيُّ ﷺ شُرْبَهُ وهُوَ مِلْكٌ لِغَيْرِهِ، وأمْلاكُ الكُفّارِ لَمْ تَكُنْ أُبِيحَتْ يَوْمئِذٍ، ولا دِماؤُهُمْ؟

فالجَوابُ: أنّ العَرَبَ في الجاهِلِيّةِ كانَ في عُرْفِ العادةِ عِنْدَهُمْ إباحةُ الرِّسْلِ لابنِ السّبِيلِ فضْلًا عَنِ الماءِ، وكانُوا يَعْهَدُونَ بِذَلِكَ إلى رِعائِهِمْ، ويَشْتَرِطُونَهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ عَقْدِ إجارَتِهِمْ: ألّا يَمْنَعُوا الرِّسْل ـ وهُوَ اللّبَنُ ـ مِنْ أحَدٍ مَرَّ بِهِمْ، ولِلْحُكْمِ بالعُرْفِ في الشّرِيعةِ أُصُولٌ تَشْهَدُ لَهُ، وقَدْ تَرْجَمَ البُخارِيُّ عَلَيْهِ في كِتابِ البُيُوعِ، وخَرّجَ حَدِيثَ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبةَ، وفيهِ: خُذِي ما يَكْفِيكِ ووَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ[٧].

(١) انظر: «فتح الباري»، كتاب الجنائز: (٣: ٢٥١-٢٥٢)، وكتاب التعبير: (١٢: ٤٣٨-٤٣٩).
(٢) بعده في (ف): «الحديث».
(٣) في (ب): «أولاد».
(٤) في (ب)، (هـ): «تشغيب»، بالغين المعجمة.
(٥) في (ف): «وفي الكلأ».
(٦) ما بين المعقوفين ليس في (ب).
(٧) «فتح الباري»، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأنصار على ما يتعارفون بينهم: (٤: ٤٠٥).

فَصْلٌ

وذَكَرَ فيهِ أَنّهُ دَخلَ بَيْتَ المَقْدِسِ، ووَجَدَ فيهِ نَفَرًا مِنَ الأنْبياءِ، فصَلّى بِهِمْ. وفي حَدِيثِ التِّرْمِذِيّ الّذي قَدَّمْناهُ عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنّهُ أَنْكرَ أَنْ يَكُونَ صَلى بِهِمْ، وقالَ: «ما زايَلَ ظَهْرَ البُراقِ حَتّى رَأى الجَنّةَ والنّارَ، وما وعَدَهُ الله، ثُمّ عادَ إلى الأرْضِ».

وزِيادةُ العَدْلِ مَقْبُولةٌ، ورِوايةُ مَنْ أَثْبَتَ مُقَدَّمةٌ على رِوايةِ مَنْ نَفى.

وذَكَرَ فيهِ صِفةَ الأنْبياءِ، وقالَ في عِيسى: «كَأنّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ماءً، ولَيْسَ بِهِ ماءٌ، وكَأَنّهُ خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ»، والدِّيماسُ: الحَمّامُ، وأَصْلُهُ: دِمّاسٌ، ويُجْمَعُ على دَمامِيسَ، [وقَدْ قِيلَ في جَمْعِهِ: دَيامِيسُ][1]، ومِثْلُهُ: قِيراطٌ، ودِينارٌ، ودِيباجٌ، الأصْلُ فيها كُلِّها: التّضْعِيفُ، ثُمّ قُلِبَ الحَرْفُ المُدْغَمُ ياءً، فلَمّا جَمَعُوا وصَغَّرُوا رَدُّوهُ إلى أصْلِهِ، فقالُوا: قَرارِيطُ ودَنانِيرُ، غَيْرَ أَنّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: دَيانِيرُ، ولا قَيارِيطُ، كَما قالُوا: دَيامِيسُ، وقالوا: دَيابِيج [ودَبابِيج][2] في الدِّيباجِ، وأَصْلُ الدَّمْسِ في اللغةِ: التّغْطِيةُ، ومِنْهُ لَيْلٌ دامِسٌ، وفي هَذِهِ الصِّفةِ مِنْ صفةِ[3] عِيسى عَلَيْهِ السّلامُ إشارةٌ إلى الرِّيِّ والخِصْبِ الّذِي يَكُونُ في أيّامِهِ إذا أُهْبِطَ إلى الأرْضِ، والله أعْلَمُ.

وَذَكَرَ في صِفةِ مُوسى عليه السلام أَنّهُ آدَمُ طوالٌ، ولِوَصْفِهِ إيّاهُ بالأُدْمةِ أصْلٌ في كِتابِ الله، قالَهُ الطّبَرِيّ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [طه: ٢٢]، قالَ: في خُرُوجِ يَدِهِ بَيْضاءَ آيةً له دليلٌ على أُدمتِه؛ لأنّ الآيَةَ إنَّما هي

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) من (أ)، (ف).

(٣) في (أ)، (هـ)، (ف): «صفات».

في أنْ خَرَجَتْ بَيْضاءَ مُخالِفًا لَوْنُها لِسائِرِ لَوْنِ جَسَدِهِ، وذَلِكَ دَلِيلٌ بَيِّنٌ على الأُدْمةِ الّتِي هِيَ خِلافُ البَياضِ.

وذَكَرَ إبْراهِيمَ عليه السلام فقالَ: «لَمْ أرَ رَجُلًا أشَبَهَ بِصاحِبِكُمْ، ولا صاحِبُكُمْ أشَبَهَ به منه». يَعْنِي: نَفْسَهُ.

وفي إعراب هَذا الكَلام إشْكالٌ مِنْ أجْلِ أنّ «أشَبَهَ» مَنْصُوبٌ في المَوْضِعَيْنِ، ولَكِنْ إذا فهِمْتَ مَعْناهُ، عَرَفْتَ إعْرابَهُ، ومَعْناهُ: لَمْ أرَ رَجُلًا أشَبَهَ بِصاحِبِكُمْ، ولا صاحِبُكُمْ بِهِ مِنْهُ، ثُمّ كَرَّرَ «أشَبَهَ» تَوْكِيدًا فصارَتْ لَغْوًا كالمُقْحَمِ، و«صاحِبُكُمْ» مَعْطُوفٌ على الضّمِيرِ الّذِي في «أشَبَهَ» الأوّلِ الّذِي هُوَ نَعْتٌ لِـ(رَجُلٍ)، وحَسُنَ العَطْفُ عَلَيْهِ وإنْ لَمْ يُؤَكّدْ بِـ«هُوَ»، كَما حَسُنَ في قَوْلِهِ: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، مِنْ أجْلِ الفَصْلِ بِـ(لا) النّافيةِ، ولَوْ أُسْقِطَ مِنَ الكَلامِ (أشَبَهَ) الثّانِيَ لَكانَ حَسَنًا جِدًّا، ولَوْ أخّرَ «صاحِبُكُمْ» فقالَ: «ولا أشَبَهَ بِهِ صاحِبُكُمْ مِنْهُ» لَجازَ، ويَكُونُ فاعِلًا بِـ(أشْبَهَ) الثّانِيةِ، ويَكُونُ مِنْ بابِ قَوْلِهِمْ: ما رَأيْتُ رَجُلًا أحْسَنَ في عَيْنِهِ[1] الكُحْلُ مِنْ زَيْدٍ.

وهِيَ مَسْألةٌ عَذْراءُ، لَمْ تَفْتَرِعْها أيْدِي النُّحاةِ بَعْدُ، ولَمْ يَشْفِ مِنْها مُسْتَأخِرٌ مِنْهُمْ ولا مُسْتَقْدِمٌ ممَّن رأينا كلامَه فيها، وقد أملَينا في غَيْرِ هَذا الكِتابِ فيها تَحْقِيقًا شافِيًا [بعونِ اللهِ][2]، والحمدُ لله.

فَصْلٌ

وذَكَرَ في صفةِ النبيِّ ﷺ مِمّا نَعَتَهُ بِهِ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ:

---

(١) في (ف): «عينيه».

(٢) ما بين المعقوفين عن (د)، ومكانه في (ف)، (هـ): «إن شاء الله».

«لَمْ يَكُنْ بالطَّويلِ المُمَغَّطِ[١]»، بالغينِ المعجَمةِ، وفي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوايةِ بِالعَيْنِ المُهْمَلةِ.

وذَكَرَ الأوْصافَ إلى آخِرِها، وقَدْ شَرَحَها أبُو عُبَيْدٍ، فقالَ عَنِ الأصْمَعِيِّ، والكِسائِيِّ، وأبِي عَمْرٍو، وغَيْرِ واحِدٍ: قَوْلُهُ: «لَيْسَ بِالطَّوِيلِ المُمَغَّطِ»؛ يقول: لَيْسَ بِالبائِنِ الطُّولِ، «ولا القَصِيرِ المُتَرَدِّدِ»، يَعْنِي: الَّذِي تَرَدَّدَ خَلْقُهُ بَعْضُهُ على بَعْضٍ، وهُوَ مُجْتَمِعٌ، لَيْسَ بِسَبْطِ الخَلْقِ، يَقُولُ: فلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ، ولَكِنْ ربْعةٌ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وهَكَذا صِفَتُهُ ﷺ.

وفي[٢] حَدِيثٍ آخَرَ: «أنّهُ ضَرْبُ[٣] اللَّحْمِ بَيْنَ الرّجُلَيْنِ».

وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ بِالمُطَهَّمِ»، قالَ الأصْمَعِيُّ: هُوَ التّامُّ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ على حِدَتِهِ، فهُوَ بارِعُ الجَمالِ.

وقالَ غَيْرُ الأصْمَعِيِّ: المُكَلْثَمُ[٤]: المُدَوَّرُ الوَجْهِ، يَقُولُ: لَيْسَ كَذَلِكَ، ولَكِنّهُ مَسْنُونٌ[٥].

وقَوْله: «مُشْرَبٌ»، يَعْنِي: الَّذِي أُشْرِبَ حُمْرةً، والأدْعَجُ العَيْنِ: الشَّدِيدُ سَوادِ العَيْنِ. قالَ الأصْمَعِيُّ: الدُّعْجةُ: هِيَ السَّوادُ، والجَلِيلُ المُشاشِ: العَظِيمُ رؤوس العِظامِ، مِثْل: الرُّكْبَتَيْنِ، والمِرْفَقَيْنِ، والمَنْكِبَيْنِ.

وقَوْلُهُ: «والكَتَدُ»؛ هُوَ: الكاهِلُ، وما يَلِيهِ مِنْ جَسَدِهِ.

---

(١) في (ب): «المتمغط»، وسيأتي تفسيره.

(٢) في «غريب الحديث»: «في» دون حرف العطف.

(٣) رجلٌ ضَرْبٌ: خَفيفُ اللَّحم، ممشُوق القَدِّ.

(٤) بعده ف (ف): «هو».

(٥) يُقال: سُنّ الوجهُ: بدا مخروطًا ناعمًا، كأنه قد سُنّ عنه اللحمُ.

وقَوْلُهُ: «شَثْنُ الكَفَّيْنِ والقَدَمَيْنِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُما إلى الغِلَظِ.

وقَوْلُهُ: «لَيْسَ بِالسَّبْطِ، ولا الجَعْدِ القَطَطِ»، فالقَطَطُ: الشَّدِيدُ الجُعُودةِ، مِثْلُ أَشْعارِ الحَبَش.

ووَقَعَ في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» لِأَبِي عُبَيْدٍ: «التّامّ، كُلّ شَيْءٍ مِنْهُ على حِدَتِهِ». يَقُول: لَيْسَ كَذَلِكَ، ولَكِنّهُ بارِعُ الجَمالِ، فهَذِهِ الكَلِمةُ ـ أَعْنِي يقول: لَيْسَ كَذَلِكَ ـ مُخِلّةٌ بِالشَّرْحِ، وقَدْ وجَدْتُهُ في رِوايةٍ أُخْرى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ بِإسْقاطِ: يَقُولُ: ليسَ كَذَلِكَ، ولَكِنْ على نصّ ما ذكرناهُ آنفًا عنه عن الأصمعيِّ، والذي في «غريبِ الحديثِ» مِن تلك الزِّيادةِ وَهَمٌ وقعَ في الكتابِ، واللهُ أعلمُ[1].

وأما ما رواهُ التِّرمذيُّ عن الأصمعيِّ[2]، قال[3]: هو البادِنُ الكثيرُ اللَّحمِ، ذكرَهُ عن أبي جعفرٍ، عن الأصمعيِّ، وذَكَرَهُ عنه في المُمَغَّطِ نحوَ ما قدَّمناه، وقال: سمعتُ أعرابيًّا يقولُ: تمغَّطَ في نُشّابِهِ[4]؛ [أي][5]: مدَّها.

وفي كتابِ «العينِ»[6]: مغَطْتُ الشَّيءَ: إذا مدَدْتَه. وقال في بابِ العينِ المُهمَلةِ[7]: مَعطْتُ الشَّيءَ: إذا مدَدْتَه، كما قال في الغينِ المُعجَمةِ، فعلى هذا يُقالُ فيه: مُمَّغِطٌ، ومُمَّعِطٌ، ووزنه مُنْفَعِلٌ، واندغمَتِ النُّونُ في الميمِ، كما اندغمَتْ في محوتُهُ فامَّحى؛ لمّا أُمِن التباسُهُ بالمضاعَفِ، ولم يُدغِمُوا النُّونَ

(١) ما تقدَّم نقل عن أبي عبيد في «غريب الحديث» من أول الحديث عن الممغط: (١: ٢٤-٢٧).

(٢) بعده في (ف): «في شرح المطهم».

(٣) أي: في شرح المطهم. وانظر: «عارضة الأحوذي»، أبواب المناقب: (٧: ١١٧).

(٤) النُّشّاب: السهام، واحدتُه: نُشّابة، وجمعه: نشاشيب.

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٦) «العين» (٤: ٣٨٩).

(٧) «العين» (٢: ٢٨).

في الميمِ في شاةٍ زَنْماءَ، ولا في عَنْماءَ[1]؛ لئلّا يلتبسَ بالمُضاعَف، لو قال: زمّاءُ، أو عَمّاءُ[2].

وقد ذكرنا قبلُ ما وَهِم فيه التِّرمذيُّ من تفسيرِ زرِّ الحَجَلةِ؛ حيثُ قال: يُقالُ: إنَّه بيضٌ له، حيث تكلَّمنا على خاتمِ النُّبوةِ وصِفَتِه، واختلافِ الرِّوايةِ فيه، [والحمدُ لله][3].

وفي صفة مَشْيه ﷺ أنه كان يمشي قَلِعًا[4]، وهو الذي لا يكادُ يَمَسُّ بِعَقِبيهِ الأرضَ، كذلك جاء مُفَسَّرًا في بعضِ[5] الحديثِ.

فَصْلٌ

وقَدْ تكَلَّمَ العُلَماءُ في رُؤْيةِ النَّبيِّ ﷺ لِرَبِّهِ لَيْلةَ الإسْراءِ، فرَوى مَسْرُوقٌ عَنْ عائِشةَ أنّها أنْكَرَتْ أنْ يَكُونَ رَآهُ، وقالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أنّ مُحَمّدًا رَأى رَبّهُ، فقَدْ أعْظَمَ على اللهِ الفِرْيةَ»[6]. واحْتَجّتْ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وفي «مُصَنَّفِ التِّرمِذِيِّ» عَنِ ابنِ عَبّاسٍ وكَعْبِ الأحْبارِ أنّهُ رَآهُ، قالَ كَعْبٌ:

---

(١) في (ف): «غنماء» بالغين المعجمة، وهو الموافق لما في «تاج العروس» (مغط) نقلًا عن السهيلي. (ج)

(٢) في (ف): «غماء» بالغين المعجمة بالغين المعجمة، وهو الموافق لما في «تاج العروس» (مغط) نقلًا عن السهيلي. (ج)

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٤) يُروى بالضم، وبالتحريك، وكَكَتِف. انظر: «النهاية» لابن الأثير: (٤: ١٠١)، و«تاج العروس» (قلع).

(٥) ليس في (ب).

(٦) مسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٥٩)، و«عارضة الأحوذي»، تفسير سورة الأنعام: (١١: ١٨٨-١٩٠).

«إِنَّ اللهَ قَسَّمَ رُؤْيَتَهُ وكَلامَهُ بَيْنَ مُوسى ومُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليهما وسلَّم»[١].

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي ذَرّ قال: قُلْت[٢]: يا رَسُولَ الله، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّك؟ قالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»، وفي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ «كِتابِ مُسْلِمٍ»[٣] قالَ: «نُورٌ[٤] أَنّى أَراهُ»[٥]، ولَيْسَ في هَذا الحَدِيثِ بَيانٌ شافٍ أَنَّهُ رَآهُ.

وقد حُكِيَ عَنْ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ قالَ: رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ.

وفي «تَفْسِيرِ النَّقّاشِ» عَنِ ابنِ حَنْبَلٍ؛ أَنَّهُ سُئِلَ: هَلْ رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فقالَ: رَآهُ رَآهُ رَآهُ. حَتّى انْقَطَعَ صَوْتُهُ.

وفي «تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزّاقِ»، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وذَكَرَ إنكارَ عائشةَ أَنَّه رآه، فقال الزُّهْرِيِّ: لَيْسَتْ عائِشَةُ أَعْلَمَ عِنْدَنا مِنِ ابنِ عَبّاسٍ.

وفي «تَفْسِيرِ ابنِ سَلّامٍ» عَنْ عُرْوةَ؛ أَنَّهُ كانَ إذا ذُكِرَ إِنْكارُ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنْ يَكُونَ ﷺ رأى رَبَّهُ، يَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

وقَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ في هَذِهِ المَسْأَلةِ كَقَوْلِ ابنِ عَبّاسٍ أَنَّهُ رَآهُ، رَوى يُونُسُ عَنِ ابنِ إِسْحاقَ، عَنْ داوُدَ بنِ الحُصَيْنِ، قالَ: سَأَلَ مَرْوانُ أَبا هُرَيْرةَ: هَلْ رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ قالَ: نَعَمْ.

---

(١) «عارضة الأحوذي»، تفسير سورة النجم: (١٢: ١٦٨-١٦٩).

(٢) «قلت» ليست في (ف).

(٣) في (ف): «رواية مسلم».

(٤) في (ف): «نورًا».

(٥) مسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٦١)، ومعنى قوله عليه السلام: «نورٌ أنّى أراه»: أنَّ النُّور مَنَعني مِن الرؤية، كما جَرَت العادة بإغشاء الأنوارِ الأبصارَ، ومَنْعِها مِن إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، كأنه قال: حِجابُه النورُ، فكيف أراه؟!

وفي رِوايةِ يُونُسَ: أَنَّ ابنَ عُمَرَ أَرْسَلَ إلى ابنِ عَبّاسٍ يَسْأَلُهُ: «هَلْ رَأى مُحَمّدٌ رَبَّهُ؟» فقالَ: «نَعَمْ رَآهُ». فقالَ ابنُ عُمَرَ: «وكَيْفَ رَآهُ؟». فقالَ ابنُ عَبّاسٍ كَلامًا كَرِهْتُ أَنْ أُورِدَهُ بِلَفْظِهِ لِما يُوهِمُ [مِن][1] التَّشْبِيهِ، ولَوْ صَحَّ لَكانَ لَهُ تَأْوِيلٌ، واللهُ أَعْلَمُ.

والمتحصِّلُ مِنْ هَذِهِ الأَقْوالِ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ: أَنّهُ رَآهُ [لا][2] على[3] أَكْمَلِ ما تَكُونُ الرُّؤْيَةُ على نَحْوِ ما يَراهُ في حَظِيرةِ[4] القُدْسِ عِنْدَ الكَرامةِ العُظْمى، والنَّعِيمِ الأَكْبَرِ، ولَكِنْ دُونَ ذَلِكَ، وإلى هذا يُومِئُ قولُهُ: «رأيتُ نورًا [ونورًا][5] أَنّى أراهُ؟» في الرواية الأُخْرى، والله أَعْلَمُ.

وَأَمّا الدّنُوُّ والتّدَلِّي، فهُما خَبَرٌ عَنِ النّبيِّ ﷺ عَنْ بَعْضِ المُفَسِّرِينَ، وقِيلَ: إنّ الّذِي تَدَلّى هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ، تَدَلّى إلى مُحَمّدٍ ﷺ حَتّى دَنا مِنْهُ. وهَذا قَوْلُ طائِفةٍ أَيْضًا.

وفي «الجامِعِ الصّحِيحِ» في إحْدى الرِّواياتِ مِنْهُ: «فتَدَلّى الجَبّارُ»[6]، وهَذا مَعَ صِحّةِ نَقْلِهِ لا يَكادُ أَحَدٌ يذكرهُ لاستحالةِ ظاهِرِهِ، أَوْ[7] لِلْغَفْلةِ عَنْ مَوْضِعِهِ، ولا اسْتِحالةَ فيهِ؛ لِأَنّ حَدِيثَ الإسْراءِ إنْ كانَ رُؤْيا رَآها بِقَلْبِهِ وعَيْنُهُ

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، وملحق بنص (ب)، (هـ).
(٣) في (أ): «لا على».
(٤) حظيرة القدس: الجنة.
(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).
(٦) «فتح الباري»، كتاب التوحيد: (١٣: ٤٧٨). وانظُر ما قاله الخطّابي في هذا الحديث مِن كتاب «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» (٤: ٢٣٥٢).
(٧) في (ف): «و».

نائِمةٌ ـ كَما في حَدِيثِ أَنَسٍ ـ فلا إِشْكالَ فيما يَراهُ في نَوْمِهِ عَلَيْهِ السّلامُ، فقَدْ رَآهُ في أَحْسَنِ صُورةٍ، ووَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، حَتّى وجَدَ بَرْدَها بين ثَدْييه. رَواهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُعاذٍ في حَدِيثٍ طويلٍ[1]، ولما كانتْ هذه رُؤيا لَمْ يُنْكِرْها أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، ولا اسْتَبْشَعَها[2]، وقَدْ بَيّنّا آنِفًا أَنّ حَدِيثَ الإِسْراءِ كانَ رُؤْيا، ثُمّ كانَ يَقَظةً، فإِنْ كانَ قَوْلُهُ: «فتَدَلّى الجَبّارُ» في المَرّةِ الّتِي كانَ فيها غَيْرَ نائِمٍ، وكانَ الإِسْراءُ بِجَسَدِهِ، فيُقالُ فيهِ مِنَ التَّأْوِيلِ ما يُقالُ في قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنا كُلَّ لَيْلةٍ»، فلَيْسَ بِأَبْعَدَ مِنْهُ في بابِ التَّأْوِيلِ، فلا[3] نَكارةَ فيهِ، كانَ في نَوْمٍ أَوْ يَقَظةٍ، وقَدْ أَشَرْنا إِلى تَمامِ هَذا المَعْنى وشَرْحِ ما تَضَمّنَهُ لَفْظُ القَوْسَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [النجم: ٩]، في جُزْءٍ أَمْلَيْناهُ في شَرْحِ (سُبْحانَ الله وبِحَمْدِهِ)، تَضَمَّنَ لَطائِفَ مِنْ معاني[4] التَّقْدِيسِ والتَّسْبِيحِ، فلْيُنْظَرْ هُناكَ.

وأَمْلَيْنا أَيْضًا في مَعْنى رُؤْيةِ الرّبِّ سُبْحانَهُ في المَنامِ، وفي عَرَصاتِ القِيامةِ، وفي دارِ السلامِ مسألةً كاشفةً لِقِناعِ الحَقِيقةِ في ذَلِكَ، فمَنْ أرادَ فهْمَ الرُّؤْيةِ والرُّؤْيا، فلْيَنْظُرْها هُنالِكَ، واللهُ المستعانُ[5].

ويُقَوِّي ما ذَكَرْناهُ مِنْ إضافةِ التّدَلِّي إلى الرّبِّ سُبْحانَهُ كَما في حَدِيثِ البُخارِيِّ: ما رَواهُ ابنُ سَنْجَرَ[6] مُسْنَدًا إِلى شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ، قالَ: «لَمّا صَعِدَ

---

(١) «عارضة الأحوذي»، تفسير سورة ص: (١٢: ١١٤-١١٦).

(٢) في (هـ): «استشنعها».

(٣) في (هـ): «ولا».

(٤) في (أ)، (هـ): «معنى».

(٥) في (أ): «أعلم».

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سَنْجَر الجُرجاني، نزيل مصر، و«مسنَدُه» عشرون جزءًا، تُوفي في ربيع الأول سنة (٢٥٨هـ). انظر: «فهرسة ابن خير» (ص: ١٤٢)، و«الأعلام» للزركلي: (٦: ٢٢٣).

النَّبيُّ ﷺ إلى السّماءِ، فأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى، فلَمّا أَحسَّ جِبْرِيلُ بدنوِّ الرَّبِّ خرَّ ساجدًا، فلَمْ يَزَلْ يُسَبِّحُ: سُبْحانَ رَبِّ الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرياءِ والعَظَمةِ، حَتّى قَضى [اللهُ][1] إلى عَبْدِهِ ما قَضى، قالَ: ثُمّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فرَأَيْتُه في خَلْقِهِ الّذي خُلِقَ عَلَيْهِ مَنْظُومًا أَجْنِحَتُهُ بالزَّبَرْجَدِ واللُّؤْلُؤِ والياقُوتِ، فخُيِّلَ إلَيّ أنّ ما بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ سَدَّ الأُفُقَيْنِ[2]، وكُنْتُ لا أراهُ قَبْلَ ذَلِكَ إلّا على صُوَرٍ مُخْتَلِفةٍ، وكُنْتُ أَكْثَرَ ما أراهُ على صُورةِ دِحْيةَ[3] الكَلْبِيِّ، وكانَ أَحْيانًا لا يَراهُ قَبْلَ ذَلِكَ إلّا كَما يَرى الرّجُلُ صاحِبَهُ من وراءِ الغِرْبالِ».

فَصْلٌ

ومِمّا يُسأل[4] عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ الإسْراءِ، وتَكَلّمَ فيهِ: لِقاؤُهُ لِآدَمَ في السّماءِ الدُّنْيا، ولِإبْراهِيمَ في السّماءِ السّابعةِ، وغَيْرِهما مِنَ الأَنْبياءِ الّذِينَ لَقِيَهُمْ في غَيْرِ هاتَيْنِ السّماءَيْنِ، والحِكْمةُ في اخْتِصاصِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ بالسّماءِ الّتِي رَآهُ فيها، وَسُؤالٌ آخَرُ في اخْتِصاصِ هَؤُلاءِ الأَنْبِياءِ بِاللِّقاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وإنْ كانَ رَأى الأَنْبِياءَ كُلَّهُمْ، فما الحِكْمةُ في اخْتِصاصِ هَؤُلاءِ الأَنْبِياءِ بِالذِّكْرِ؟

وقَدْ تَكَلّمَ أَبُو الحَسَنِ بنُ بَطّالٍ[5] في «شَرْحِ البُخارِيِّ» على هَذا السّؤالِ، فلَمْ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٢) في (ب): «الأفق».

(٣) كتب فوقه في (د): «معًا» يُشير إلى أنه يُضبط بكَسْر الدال وفتحها، كما في «اللسان»: دحا. وهو دِحْية بنُ خَلِيفة الكَلْبي، صحابي.

(٤) في (ف): «سُئل».

(٥) قال ابن بطال: «ورأيت لبعض الناس في لقاء النبى ﷺ للأنبياء في السموات دون عليين، والأنبياء مقرهم في ساحة الجنة ورياضها تحت العرش، ومن دونهم من المقربين هناك، فما وجه لقائه لآدم في السماء الدنيا، ولإدريس في السماء الثانية، وهارون في الرابعة، =

يَصْنَعْ شَيْئًا، ومَغْزى كَلامِهِ الّذِي أشارَ إلَيْهِ: أنّ الأنْبياءَ لَمّا عَلِمُوا بِقُدُومِهِ عَلَيْهِمُ ابْتَدَرُوا إلى لِقائِهِ ابْتِدارَ أهْلِ الغائِبِ لِلْغائِبِ القادِمِ، فمِنْهُمْ مَنْ أسْرَعَ، ومِنْهُمْ مَنْ أبْطَأَ.

إلى هَذا المَعْنى أشارَ، لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ، والّذِي أقُولُ في هَذا: إنّ مَأْخَذَ فهْمِهِ مِنْ عِلْمِ التّعْبِيرِ، فإنّهُ [مِنْ][1] عِلْمِ النّبُوّةِ، وأهْلُ التَّعْبِيرِ يَقُولُونَ: مَنْ رَأى نَبِيًّا بِعَيْنِهِ في المَنامِ، فإنّ رُؤْياهُ تُؤْذِنُ بما يُشْبِهُ مِن حال ذَلِكَ النّبِيِّ مِنْ شِدّةٍ أوْ رَخاءٍ، أوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الّتِي أُخْبِرَ بِها عَنِ الأنْبياءِ في القُرْآنِ والحَدِيثِ، وحَدِيثُ الإسْراءِ كانَ بِمَكّةَ، وهِيَ من حَرَمِ اللهِ وأمْنِه، وقُطّانُها جِيرانُ اللهِ؛ لِأنّ فيها بَيْتَهُ، فأوّلُ ما رَأى النبيُّ ﷺ [مِنَ الأنْبياءِ][2] آدَمُ الّذِي كانَ في أمْنِ اللهِ وجِوارِهِ، فأخْرَجَهُ عَدُوُّهُ إبْلِيسُ مِنْها، وهَذِهِ القِصّةُ تُشْبِهُها الحالةُ الأُولى مِنْ أحْوالِ النّبيِّ ﷺ حِينَ أخْرَجَهُ أعْداؤُهُ مِنْ حَرَمِ اللهِ، وجِوارِ بَيْتِهِ، فكَرَبَهُ ذَلِكَ وغَمَّهُ، فأشْبَهَتْ قِصّتُهُ في هَذا[3] قِصّةَ آدَمَ، مَعَ أنّ آدَمَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أرْواحُ ذُرّيّتِهِ البَرِّ والفاجِرِ مِنْهُمْ، فكانَ في السّماءِ الدُّنْيا بِحَيْثُ يَرى الفَرِيقَيْنِ؛ لِأنّ أرْواحَ أهْلِ الشَّقاءِ لا تَلِجُ في السّماءِ، ولا تُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوابُها كَما قالَ اللهُ[4].

ثُمّ رَأى في الثّانِيةِ عِيسى ويَحْيى[5]، وهُما المُمْتَحَنانِ بِاليَهُودِ، فأما[6] عِيسى

= وآخر في الخامسة، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة؟ قال: فوجهه أنهم تلقوه ﷺ كما يُتلقى القادم يسابق الناس إليه على قدر سرورهم بلقائه». «شرح صحيح البخاري» لابن بطّال: (١٠: ٥١١). (ج)

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) في (أ): «هذه»، وفي (د): «ذلك».

(٤) وذلك في الآية ٤٠ من سورة الأعراف.

(٥) في (ف): «يحيى وعيسى».

(٦) في (أ)، (هـ)، (ف): «أما».

فكَذَّبَتْهُ اليَهُودُ وآذَتْهُ، وهَمُّوا بِقَتْلِهِ، فرَفَعَهُ الله، وأمّا يَحْيى فقَتَلُوهُ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ انْتِقالِهِ إلى المَدِينةِ صارَ إلى حالةٍ ثانِيةٍ مِنَ الامْتِحانِ، وكانَتْ مِحْنَتُهُ فيها باليَهُودِ، آذَوْهُ، وظاهَرُوا عَلَيْهِ، وهَمُّوا بإِلْقاءِ الصّخْرةِ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ، فنَجّاهُ اللهُ كَما نَجّى عِيسى مِنْهُمْ، ثُمّ سَمُّوهُ في الشّاةِ، فلَمْ تَزَلْ تِلْكَ الأَكْلةُ تُعادُّهُ[1]، حَتّى قَطَعَتْ أَبْهَرَهُ[2] كَما قالَ عِنْدَ المَوْتِ[3]، وهَكَذا فعَلُوا بابنَي الخالةِ: عِيسى ويَحْيى، لِأَنّ أُمَّ يَحْيى أَشْياعُ بِنْتُ عِمْرانَ أُخْتُ مَرْيَمَ، أُمّهُما[4]: حَنّةُ.

وَأمّا لِقاؤُهُ لِيُوسُفَ في السّماءِ الثّالِثةِ ليوسفَ، فإِنّهُ يُؤْذِنُ بحالةٍ ثالِثةٍ تُشْبِهُ حالَ يوسفَ، وذلك أَنَّ يوسفَ ظَفِرَ بإخوتِهِ بعدَما أَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ ظَهْرانَيْهِمْ، فصَفَحَ عَنْهُمْ، وقالَ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ الآية [يوسف: ٩٢]، وكَذلِك نَبِيُّنا محمد ﷺ أَسَرَ يَوْمَ بَدْرٍ جُمْلةً مِنْ أَقارِبِهِ الّذِينَ أَخْرَجُوهُ، فيهِمْ عَمُّهُ العَبّاسُ، وابنُ عَمِّهِ عَقِيلٌ، فمِنْهُمْ مَنْ أَطْلَقَ، ومِنْهُمْ مَنْ أفداهُ[5]، ثُمّ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عامَ الفَتْحِ فجَمَعَهُمْ، فقالَ لَهُمْ: «أَقُولُ ما قالَ أَخِي يوسُفُ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[6]».

ثُمّ لِقاؤُهُ لِإِدْرِيسَ في السَّماءِ الرّابِعةِ، وهُوَ المَكانُ الّذِي سَمّاهُ الله: مَكانًا

---

(١) في (أ): «تعاوده». وعادَّ المرض فلانًا: تركه زمانًا ثم عاوَدَه.

(٢) أبْهَر: واحد الأبْهَرَيْن، وهما الوَرِيدان اللذان يَحْمِلان الدَّم مِن جميع أَوْرِدة الجسم إلى الأُذَيْن الأيمن مِن القلب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، «فتح الباري» (٨: ١٣١).

(٤) كذا في (ف)، (د)، (هـ). وفي غيرها: «أمها». وانظر اسم امرأة عِمران «حَنّة» في: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٥٨٤)، و«المعارف» (ص: ٥٢).

(٥) أي: قبل منه الفِدية.

(٦) انظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي: (٥: ٣٦٤) في ذكر خطبته ﷺ يوم الفتح.

عَلِيًّا، وإِدْرِيسُ أَوّلُ مَنْ آتاهُ اللهُ الخَطَّ [بالقَلَمِ][(١)]، فكانَ ذَلِكَ مُؤْذِنًا بِحالةٍ رابعةٍ، وهِيَ عُلُوُّ شَأْنِهِ ﷺ حَتّى أخافَ المُلُوكَ، وكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلى طاعَتِهِ، حَتّى قالَ أَبُو سُفْيانَ وهُوَ عِنْدَ مَلِكِ الرُّومِ، حِين جاءَهُ كِتابُ النبي ﷺ، ورَأى ما رأى مِن خوفِ هِرَقلَ: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أَبِي كَبْشةَ، حينَ أَصْبَحَ يَخافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[(٢)]، وكُتِبَ عَنْهُ بِالقَلَمِ إلى جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ، فمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَهُ على دِينِهِ، كالنّجاشِي، ومَلِكِ عُمانَ[(٣)]، ومِنْهُمْ مَنْ هادَنَهُ وأَهْدى إِلَيْهِ وأَتْحَفَهُ كَهِرَقْلَ، والمُقَوْقِسِ، ومِنْهُمْ مَنْ تَعَصّى عَلَيْهِ، فأَظْفَرَهُ اللهُ به، فهَذا مَقامُ عَلِيٍّ، وخَطٌّ بِالقَلَمِ، كَنَحْوِ ما أُوتِيَ إِدْرِيسُ.

ولِقاؤُهُ في السَّماءِ الخامِسةِ لِهارُونَ المُحَبَّبِ في قَوْمِهِ، يُؤْذِنُ بِحُبِّ قُرَيْشٍ وجَمِيعِ العَرَبِ لَهُ بَعْدَ بُغْضِهِمْ فيهِ، ولِقاؤُهُ في السَّماءِ السّادِسةِ لِمُوسى، يُؤْذِنُ بِحالةٍ تُشْبِهُ حالةَ مُوسى حِينَ أُمِرَ بِغَزْوِ الشّامِ، فظَهَرَ على الجَبابِرةِ الّذِينَ كانُوا فيها، وأَدْخَلَ بَنِي إِسْرائِيلَ البَلَدَ الّذِي خَرَجُوا مِنْهُ بَعْدَ إِهْلاكِ عَدُوِّهِمْ، وكَذَلِك غَزا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبُوكَ مِنْ أَرْضِ الشّامِ، وظَهَرَ على صاحِبِ دَوْمةَ حَتّى صالَحَهُ على الجِزْيةِ بَعْد أَنْ أُتِيَ بِهِ أَسِيرًا، وافْتَتَحَ مَكّةَ، ودَخَلَ أَصْحابُهُ البَلَدَ الّذِي خَرَجُوا مِنْهُ.

ثُمّ لِقاؤُهُ في السَّماءِ السّابِعةِ إِبْراهِيمَ ـ عَلَيْهِ وعلى جميع النبيِّين السّلامُ ـ لِحِكْمَتَيْنِ؛ إِحْداهُما: أَنّهُ رَآهُ عِنْدَ البَيْتِ المَعْمُورِ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَيْهِ[(٤)]، والبَيْتُ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٢) «فتح الباري»، كتاب بدء الوحي: (١: ٣٣). ومعنى: أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشة: أنه كثُرَ وارتفع شأنه ﷺ.

(٣) انظر: (٧: ٤٧٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ١٤٨-١٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٤٥-١٤٧).

المَعْمُورُ حِيالَ الكعبةِ[١]، وإلَيْهِ تَحُجُّ المَلائِكةُ، كَما أنّ إبْراهِيمَ هُوَ الّذِي بَنى الكَعْبَةَ، وأذّنَ في النّاسِ بالحَجِّ إلَيْها، والحِكْمةُ الثّانِيةُ: أنّ آخِرَ أحْوالِ النّبِيِّ ﷺ حَجُّهُ إلى البَيْتِ الحَرامِ، وحَجّ مَعَهُ ذلك العامَ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ ألْفًا مِنَ المُسْلِمِينَ، ورُؤْيةُ إبْراهِيمَ عِنْدَ أهْلِ التّأوِيلِ تُؤْذِنُ بِالحَجِّ؛ لِأنّهُ الدّاعِي إلَيْهِ، والرّافِعُ لِقَواعِدِ الكَعْبةِ المَحْجُوجةِ.

فقَدِ انْتَظَمَ في هَذا الكلامِ الجوابُ عن السُّؤالَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ، أحَدُهُما: السُّؤالُ عَنْ تَخْصِيصِ هَؤُلاءِ بِالذِّكْرِ، والآخَرُ: السُّؤالُ عَنْ تَخْصِيصِهِمْ بِهَذِهِ الأماكِنِ مِنَ السَّماءِ الدُّنْيا إلى السماءِ السّابِعةِ.

وكانَ الحَزْمُ تَرْكَ التّكَلُّفِ لِتَأْوِيلِ ما لَمْ يَرِدْ فيهِ نَصٌّ عَنِ السّلَفِ، ولَكِنْ عارَضَ هَذا الغَرَضَ ما يَجِبُ مِنَ التَّفَكُّرِ في حِكْمةِ اللهِ، والتّدَبُّرِ لِآياتِ اللهِ، وقَوْلُ الله تَعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وقَدْ رُوِيَ أنّ تَفَكُّرَ ساعةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادةِ سَنةٍ، ما لَمْ يَكُنِ الفِكْرُ والنَّظَرُ مُجَرَّدًا مِنْ مُلاحَظةِ إشاراتِ الكِتابِ والسُّنّةِ، ومُقْتَضى كَلامِ العَرَبِ، فعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ القَوْلُ في الكِتابِ والسُّنّةِ بغَيْرِ عِلْمٍ، عَصَمَنا اللهُ تَعالى مِنْ ذَلِكَ، وجَعَلَنا مِنَ المُمْتَثِلِينَ لِأمْرِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢] و﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، ولَوْلا إسْراعُ النّاسِ إلى إنْكارِ ما جَهِلُوهُ، وغِلَظُ الطِّباعِ عَنْ فهمِ كَثِيرٍ مِنَ الحِكْمةِ، لَأبْدَيْنا مِنْ سِرِّ هَذا السّؤالِ، وكَشَفْنا عَنِ الحِكْمةِ في لقاءِ هَؤُلاءِ الأنْبياءِ المُسَمَّيْن في هَذِهِ المَراتِبِ أكْثَرَ مِمّا كَشَفْنا.

---

(١) في (ب): «حِيال مكة». وحِيال الشيء: قُبالَتُه وتُجاهه. وانظر الأثر في: «تفسير الطبري» (٢٧: ١٧).

فَصْلٌ

وذَكَرَ البَيْتَ المَعْمُورَ، وأنّهُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، رَوى ابنُ سَنْجَرَ[١] عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قالَ: «البَيْتُ المَعْمُورُ: بَيْتٌ في السَّماء السّابعة، يُقال له: الضُّراح، واسمُ السَّماءِ السابعةِ: عِرْبِياءُ[٢]».

رَوى أبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ بإسْنادٍ صَحِيحٍ إلى وهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قالَ: مَنْ قَرَأ البَقَرةَ وآلَ عِمْرانَ يَوْمَ الجُمُعةِ[٣]؛ كانَ لَهُ نُورٌ يَملأُ ما بينَ عِرْبِياءَ وجربياء. وجِرْبِياءُ[٤]: هِيَ الأرْضُ السّابِعةُ.

وذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أبِي الهُذَيْلِ، قالَ: البَيْتُ المَعْمُورِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ [سَبْعُونَ][٥] ألْفَ دِحْيةٍ، عِنْدَ كُلِّ دِحْيةٍ[٦] سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ. رَواهُ عَنْهُ أبُو التَّيّاحِ، قالَ أبُو سَلَمةَ: قُلْتُ: ما الدِّحْيةُ؟ قالَ: الرّئيسُ.

ورَوى ابنُ سَنْجَرَ أيْضًا مِنْ طَرِيقِ أبِي هُرَيْرةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: «في السّماءِ السّابعةِ بَيْتٌ يُقالُ لَهُ: المَعْمُورُ [بِحِيالِ الكعبةِ][٧]، وفي السّماءِ نَهَرٌ يُقالُ لَهُ: الحَيَوانُ، يَدْخُلُهُ جِبْرِيلُ كُلَّ يَوْمٍ، فيَنْغَمِسُ فيهِ انْغِماسةً، ثُمّ يَخْرُجُ فيَنْتَفِضُ انْتِفاضةً[٨] يَخِرُّ عَنْهُ سَبْعُونَ ألْفَ قَطْرةٍ، يَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرةٍ مَلَكًا، يُؤْمَرُونَ

---

(١) سبق التعريف به (١: ٢٢٩).

(٢) انظر: «تاج العروس» (عرب، جرب).

(٣) في (ب): «في يوم جمعة»، وفي (ج)، (هـ): «يوم جمعة».

(٤) انظر: «تاج العروس» (عرب، جرب).

(٥) ليس في (أ).

(٦) في (ب): «تحت يد كل دِحْية».

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٨) في (د): «فينتفضُ منه انتفاضة».

أَنْ يَأْتُوا البَيْتَ المَعْمُورَ فَيُصَلُّوا فيهِ، فَيَفْعَلُونَ ثُمّ يَخْرُجُونَ، فلا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا، يُوَلّى عَلَيْهِمْ [أَحَدُهُمْ][١] يُؤْمَرُ أَنْ يَقِفَ لهم مِنَ السّماءِ موقفًا يُسَبِّحون الله إلى[٢] أَنْ تَقُومَ السّاعةُ».

فَصْلٌ

وأمّا فرْضُ الصّلاةِ عَلَيْهِ هُنالِكَ، ففيهِ التّنْبيهُ على فضْلِها؛ حَيْثُ لَمْ تُفْرَضْ إلّا في الحَضْرةِ المُقَدَّسةِ المطهَّرة؛ ولِذَلِكَ كانَتِ الطّهارةُ مِنْ شَأْنِها، ومِنْ شَرائِطِ أدائِها، والتّنْبِيهُ على [أنّها][٣] مُناجاةُ الرّبّ، وأنّ الرّبَّ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ على المُصَلِّي يُناجِيهِ يَقُولُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، أَثْنى عَلَيَّ عبدي، إلى آخرِ السُّورةِ[٤]، وهَذا مُشاكِلٌ لِفَرْضِها عَلَيْهِ فوقَ السَّماءِ السّابِعةِ، حَيْثُ سَمِعَ كَلامَ الرّبِّ، وناجاهُ، ولَمْ يُعْرَجْ بِهِ حَتّى طُهِّرَ ظاهِرُهُ وباطِنُهُ بِماءِ زَمْزَمَ، كَما يَتَطَهَّرُ المُصَلِّي لِلصّلاةِ، وأُخْرِجَ عَنِ الدُّنْيا بجسدِه، كَما يَخْرُجُ المُصَلِّي عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، ويَحْرُمُ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ إلّا مُناجاةَ رَبِّهِ وتُوَجِّهَ به إلى قِبْلَتِهِ في ذَلِكَ الحِينِ، وهُوَ بَيْتُ المَقْدِسِ، ورُفِعَ إلى السّماءِ كَما يَرْفَعُ المُصَلِّي يَدَيْهِ إلى جِهَةِ السّماءِ إشارةً إلى القِبْلَةِ العُلْيا، وهِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، وإلى جِهَةِ عَرْشِ مَنْ يُناجِيهِ، ويُصَلِّي لَهُ سُبْحانَهُ.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (ب): «إلى يوم القيامة».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة: (١: ٢٩٦)، والنسائي في كتاب الافتتاح: (٢: ١٣٥-١٣٦)، والترمذي في أبواب التفسير، و«عارضة الأحوذي» (١١: ٦٩-٧٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢: ٢٨٥).

فصْلٌ

وأمّا فرْضُ الصّلَواتِ خَمْسِينَ[١]، ثُمّ حُطَّ[٢] مِنْها عَشْرٌ بَعْدَ عَشْرٍ إلى خَمْسِ صَلَواتٍ. وقَدْ رُوِيَ أيْضًا أنّها حُطَّتْ خَمْسًا بَعْدَ خَمْسٍ، وقَدْ يُمْكِنُ الجَمْعُ بَيْنَ الرِّوايَتَيْنِ لِدُخُولِ الخَمْسِ في العَشْرِ، فقَدْ تُكُلِّمَ في هذا النَّقصِ مِن الفريضةِ: أهُوَ نَسْخٌ أمْ لا؟ على قَوْلَيْنِ، فقالَ قَوْمٌ: هُوَ مِنْ بابِ نَسْخِ العِبادةِ قَبْلَ العَمَلِ بِها، وأنْكَرَ أبُو جَعْفَرٍ النَّحّاسُ هَذا القَوْلَ مِنْ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: البِناءُ على أصْلِهِ ومَذْهَبِهِ في أنّ العِبادةَ لا يَجُوزُ نَسْخُها قَبْلَ العَمَلِ بِها؛ لِأنّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ البَداءِ، والبَداءُ مُحالٌ على اللهِ سُبْحانَهُ.

الثّانِي[٣]: أنّ العِبادةَ وإنْ جازَ نَسْخُها قَبْلَ العَمَلِ بِها عِنْدَ مَنْ يَرى ذَلِكَ، فلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أحَدٍ نَسْخُها قَبْلَ هُبُوطِها إلى الأرْضِ، ووُصُولِها إلى المُخاطَبِينَ، قالَ: وإنّما ادّعى النَّسْخَ في هَذِهِ الصّلَواتِ المَوْضُوعةِ عَنْ مُحَمّدٍ وأُمّتِهِ الفاسانِيُّ[٤]؛ لِيُصَحِّحَ بِذَلِكَ مَذْهَبَهُ في أنّ البَيانَ لا يَتَأخّرُ، ثُمّ قالَ أبُو جَعْفَرٍ: إنّما هِيَ شَفاعةٌ شَفَعَها [رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أُمّتِهِ، ومُراجَعةٌ راجَعَها رَبَّهُ، لِيُخَفِّفَ][٥] عَنْ أُمّتِهِ، ولا يُسَمّى مِثْلُ هَذا: نَسْخًا.

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ رحمهُ اللهُ: أمّا مَذْهَبُهُ في أنّ العِبادةَ لا تُنْسَخُ قَبْلَ

---

(١) في (ف): «الخمسين».

(٢) في (ب): «ثم حُطَّ عنه فيها»، وفي (هـ): «ثم حُطَّ منه عشر».

(٣) في (ب)، (هـ): «والثاني».

(٤) في (د) دون نقط، وفي (ب): «القاشاني»، وفي (ف): «القاساني». وانظر «الأنساب» (٤: ٣٣٨)، فأما القاشاني فمتأخر.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

العَمَلِ بِها، وأنّ ذَلِكَ بَداءٌ[١]، فلَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأنّ حَقِيقةَ البَداءِ: أنْ يَبْدُوَ لِلآمِرِ أمرٌ[٢] يَتبَيَّنُ الصَّوابُ فيهِ بَعْدَ أنْ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَهُ[٣]، وهَذا[٤] مُحالٌ في حَقِّ مَنْ يَعْلَمُ الأشْياءَ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ، ولَيْسَ النَّسْخُ مِنْ هَذا في شَيْءٍ، إنّما النَّسخُ تبديلُ حُكمٍ بحُكم، والكلُّ في سابِقِ عِلْمِهِ، ومُقْتَضى حِكْمَتِهِ، كَنَسْخِهِ المَرَضَ بالصِّحّةِ، والصِّحّةِ بالمَرَضِ، ونَحْوِ ذَلِكَ، وأيْضًا فإنّ العَبْدَ المَأْمُورَ يَجِبُ عَلَيْهِ عِنْدَ تَوَجُّهِ الأمْرِ إلَيْهِ ثَلاثُ عِباداتٍ: الفِعْلُ الّذِي أُمِرَ بِهِ، والعَزْمُ على الِامْتِثالِ عِنْدَ سَماعِ الأمْرِ، واعْتِقادُ الوُجُوبِ [إنْ كانَ واجِبًا، فإنْ نُسِخَ الحُكْمُ قَبْلَ الفِعْلِ، فقَدْ حَصَلَتْ فائِدَتانِ: العَزْمُ، واعْتِقادُ الوُجُوبِ][٥]، وعَلِمَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُ، فصَحّ امْتِحانُهُ له، واختبارُه إيّاهُ، وأوْقَعَ الجَزاءَ على حَسَبِ ما عَلِمَ مِنْ نِيّتِهِ، وإنّما الّذِي لا يَجُوزُ: نَسْخُ الأمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ، وقَبْلَ عِلْمِ المُخاطَبِ بِهِ، والّذِي ذَكَرَه النّحّاسُ مِنْ نَسْخِ العِبادةِ[٦] بَعْدَ العَمَلِ بِها، فلَيْسَ هُوَ حَقِيقةَ النَّسْخِ؛ لِأنّ العِبادةَ المَأْمُورَ بِها قَدْ مَضَتْ، وإنّما جاءَ الخطابُ بالنَّهي عن مِثْلِها لا عَنْها.

وقَوْلُنا في الخَمْسِ والأرْبَعِينَ[٧] صَلاةً المَوْضُوعةَ عَنْ مُحَمّدٍ وأُمّتِهِ أحَدُ وجْهَيْنِ: إمّا أنْ يَكُونَ نُسِخَ ما وجَبَ على النّبِيِّ ﷺ مِنْ أدائِها، ورُفِعَ عَنْهُ

(١) في (ب): «وإن كان بدأ».

(٢) في (ف): «رأي».

(٣) في (ب): «تثبته».

(٤) في (أ)، (هـ): «وذلك».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) في (أ)، (هـ): «العبادات».

(٧) في (ف)، (هـ): «وأربعين».

اسْتِمْرارُ العَزْمِ، واعْتِقادُ الوُجُوبِ، وهَذا قَدْ قَدَّمْنا أَنّهُ نَسْخٌ على الحَقِيقةِ، أو نُسِخَ[١] عَنْهُ ما وجَبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّبْلِيغِ، فقَدْ كانَ في كُلِّ مَرّةٍ عازِمًا على تَبْلِيغِ ما أُمِرَ بِهِ. وقَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ: إنّما كانَ شافِعًا ومُراجِعًا، لا يَنْفي النَّسْخَ؛ فإنّ النَّسْخَ قَدْ يَكُونُ عَنْ سَبَبٍ مَعْلُومٍ، فشَفاعَتُهُ عَلَيْهِ السّلامُ لِأُمّتِهِ كانَتْ سَبَبًا لِلنَّسْخِ، لا مُبْطِلةً لِحَقِيقَتِهِ، ولَكِنّ المَنْسُوخَ ما ذَكَرْنا مِنْ حُكْمِ التَّبْلِيغِ الواجِبِ عَلَيْهِ قَبْلَ النَّسْخِ، وحُكْمِ الصّلَواتِ الخَمْسِينَ[٢] في خاصّتِهِ، وأمّا أُمّتُهُ فلَمْ يُنْسَخْ عَنْهُمْ حُكْمٌ؛ إذْ لا يُتَصَوّرُ نَسْخُ الحُكْمِ قَبْلَ وصولِهِ إلى المَأْمُورِ[٣]، كَما قَدَّمْنا، وهَذا كُلُّهُ أَحَدُ الوَجْهَيْنِ في الحَدِيثِ.

والوَجْهُ الثّانِي: أنْ يَكُونَ هَذا خَبَرًا، لا تَعَبُّدًا، وإذا كانَ خَبَرًا لَمْ يَدْخُلْهُ النَّسْخُ، ومَعْنى الخَبَرِ: أَنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ أَخْبَرَهُ رَبُّهُ أَنّ على أُمّتِهِ خَمْسِينَ صَلاةً، ومَعْناهُ[٤]: أنّها خَمْسُونَ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وكَذَلِك قالَ في آخِرِ الحَدِيثِ: «هنّ خَمْسٌ، وهنّ خَمْسُونَ، والحَسَنةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها»، فتَأَوّلَهُ رسولُ اللهِ ﷺ على أنّها خَمْسُونَ بِالفِعْلِ، فلَمْ يَزَلْ يُراجِعُ رَبَّهُ حَتّى بَيّنَ لَهُ أنّها خَمْسُونَ في الثّوابِ[٥]، لا بالعملِ.

فإن قيل: فما معنى نَقْصِها عَشْرًا بَعْدَ عَشْرٍ؟

قُلْنا: لَيْسَ كُلُّ الخَلْقِ يَحْضُرُ قَلْبُهُ في الصّلاةِ مِنْ أوّلِها إلى آخِرِها، وقَدْ جاءَ في الحَدِيثِ أَنّهُ يُكْتَبُ لَهُ مِنْها ما حَضَرَ قَلْبُهُ فيها، وأنّ العَبْدَ يُصَلِّي الصّلاةَ فيُكْتَبُ

---

(١) كذا في (ب)، وفي غيرها «ونسخ» بواو العطف.

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «الخمس».

(٣) في (أ): «إلى المأمور به».

(٤) في (ف): «ومعناها».

(٥) في (أ): «وخمس بالعمل».

لَهُ نِصْفُها، رُبُعُها، حَتّى انْتَهى إلى عُشْرِها ووَقَفَ، فهِيَ خَمْسٌ في حَقِّ مَنْ كُتِبَ لَهُ عُشْرُها، وعَشرةٌ في حَقِّ مَنْ كُتِبَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وخَمْسُونَ في حَقِّ مَنْ كَمُلَتْ صَلاتُهُ وأدّاها بِما يَلْزَمُهُ مِنْ تَمامِ خُشُوعِها، وكَمالِ سُجُودِها ورُكُوعِها[١].

فَصْلٌ

وذَكَرَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَلْقَهُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ إلّا ضاحِكًا مُسْتَبْشِرًا، إلّا مالِكًا خازِنَ النارِ، وذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَضْحَكْ لِأحَدٍ قَبْلَهُ، ولا هُوَ ضاحِكٌ لِأحَدٍ بعده، ومِصْداقُ هَذا[٢] في كِتابِ اللهِ تَعالى، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، وهُمْ مُوكَّلُونَ بِغَضَبِ اللهِ تَعالى، فالغَضَبُ لا يُزايِلُهُمْ أبَدًا. وفي هَذا الحَدِيثِ مُعارَضَةٌ لِلْحَدِيثِ الّذِي جاءَ في صِفَةِ مِيكائِيلَ أَنَّهُ ما ضَحِكَ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ جَهَنَّمَ، وكَذَلِكَ يُعارِضُهُ [ما خَرّجَهُ][٣] الدّارَقُطْنِيُّ أَنّ رسولَ اللهِ ﷺ تَبَسّمَ في الصّلاةِ، [فلَمّا انْصَرَفَ][٤] سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فقالَ: «رَأَيْتُ مِيكائِيلَ راجِعًا مِنْ طَلَبِ القَوْمِ وعلى جَناحَيْهِ[٥] الغُبارُ ـ فضَحِكَ إلَيّ، فتَبَسَّمْتُ إلَيْه». وإذا صَحّ الحَدِيثانِ، فوَجْهُ الجَمْعِ بَيْنَهُما: أَنْ يَكُونَ لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ النّارَ إلى هَذِهِ المَرّةِ الّتِي ضَحِكَ فيها لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فيَكُونُ الحَدِيثُ عامًّا يُرادُ بِهِ الخُصُوصُ، أَوْ يَكُونُ الحَدِيثُ الأَوّلُ حَدّثَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ هَذا الحَدِيثِ الأخِيرِ، ثُمّ حَدَّثَ بَعْدُ بِما حَدَّثَ مِنْ ضَحِكِهِ إلَيْهِ، واللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) بعده في (ف): «والحمد لله». والحديث أخرجه أحمد (١٨٨٩٤)، وأبو داود، كتاب الصلاة (٧٩٦).

(٢) في (ف): «ذلك».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، وفي (ب): «خرَّج».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٥) في (ب): «جناحه».

ولَمْ يَرَ مالِكًا على الصّورةِ الّتِي يَراهُ عَلَيْها المُعَذَّبُونَ في الآخِرةِ، ولَوْ رَآهُ على تِلْكَ الصُّورةِ ما اسْتَطاعَ أنْ يَنْظُرَ إلَيْهِ.

وَذَكَرَ أكَلَةَ الرِّبا، وأنّهُمْ بِسَبِيلِ آلِ فِرْعَوْنَ، يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ كالإبِلِ المَهْيُومةِ، وهِيَ العِطاشُ، والهُيامُ: شِدّةُ العَطَشِ، وكانَ قِياسُ هَذا الوَصْفِ ألّا يُقالَ فيهِ: مَهْيُومةٌ، كَما لا يُقالُ: مَعْطُوشةٌ، وإنّما يُقالُ: هائِمٌ، وهَيْمانُ[١]، وقَدْ يُقالُ: هَيُومٌ[٢]، ويُجْمَعُ على هِيمٍ[٣]، ووَزْنُهُ فُعْلٌ بِالضَّمِّ، لَكِنْ كُسِرَ مِنْ أجْلِ الياءِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة: ٥٥].

ولَكِنْ جاءَ في الحَدِيثِ: مَهْيُومةٌ، كَأنّهُ شَيْءٌ فُعِلَ بِها، كالمَحْمُومةِ، والمَجْنُونةِ، وكالمَنْهُوم، وهُوَ الّذِي لا يَشْبَعُ، وكانَ قِياسُ الياءِ أنْ تَعْتَلَّ، فيُقالَ: مَهِيمةٌ، كَما يُقالُ: مَبِيعةٌ في مَعْنى مَبْيُوعةٍ، ولَكِنْ صَحَّتِ الياءُ، لِأنّها في مَعْنى الهَيُومةِ، كَما صَحّتِ الواوُ في عَوِرَ؛ لِأنّهُ في مَعْنى اعْوَرَّ، وكَما[٤] صَحَّتْ في اجْتَوَرُوا؛ لِأنّهُ في مَعْنى: تَجاوَرُوا[٥].

وإنّما رَآهُمْ مُنْتَفِخةً بُطُونُهُمْ؛ لِأنّ العُقُوبةَ مُشاكِلةٌ لِلذَّنْبِ، فآكِلُ الرِّبا يَرْبُو بَطْنُهُ، كَما أرادَ أنْ يَرْبُوَ مالُهُ بِأكْلِ ما حُرِّمَ عَلَيْهِ، فمُحِقَتِ البَرَكةُ مِنْ مالِهِ، وجُعِلَتْ نَفْخًا في بَطْنِهِ، حَتّى يَقُومَ كَما يَقُومُ الّذِي يَتَخَبّطُهُ الشّيْطانُ مِنَ المَسِّ، وإنّما

---

(١) في (أ): «هائم وهيام وهيمان» ولم أجد هيامًا.

(٢) في «التاج»: «ورجل هائم وهَيُوم: متحيِّر».

(٣) في «التاج» عن الفَرّاء: «ومِن العرب مَن يقول: هائم، وهي هائمة، ثم يَجمعونه على هِيم». كما أنَّ هِيمًا جمع أهيَم.

(٤) كذا في (د)، وفي غيرها: «كما» دون عطف.

(٥) أراد: أنّ الياء صحَّت في (الهُيومة)، والواو صحَّت في (تجاوروا)؛ لِعَدَم تحقُّق عِلّة القلب فيهما.

جُعِلُوا بطَرِيقِ آلِ فِرْعَوْنَ يَمُرُّونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا؛ لِأنّ آلَ فِرْعَوْنَ [هُمْ][١] أشَدُّ [النّاسِ][٢] عذابًا يَوْمَ القِيامةِ، كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فَخُصُّوا بِسَبِيلِهِمْ، لِيُعْلَمَ أنّ الّذِينَ هُمْ أشَدُّ النّاسِ عَذابًا يَطَؤونَهُمْ، فضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الكُفّارِ، وهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ القِيامَ.

ومَعْنى كَوْنِهِمْ في طَرِيقِ جهَنّمَ - بِحَيْثُ يُمَرُّ بِالكُفّارِ[٣] عَلَيْهِمْ: أنّ اللهَ سُبْحانَهُ قَدْ أوْقَفَ أمْرَهُمْ بَيْنَ أنْ يَنْتَهُوا، فيَكُونَ خَيْرًا لَهُمْ، وبَيْنَ أنْ يَعُودُوا ويُصِرُّوا، فيُدْخِلَهُم النّارَ، وهَذِهِ صِفةُ مَنْ هُوَ في طَرِيقِ النّارِ، قالَ الله سبحانه: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢٧٥]، وفي بَعْضِ المُسْنَداتِ: أنّهُ رَأى بُطُونَهُمْ كالبُيُوتِ - يَعْنِي: أكَلةَ الرِّبا - وفيها حَيّاتٌ تُرى خارِجَ[٤] البُطُونِ.

فإنْ قِيلَ: هَذِهِ[٥] الأحْوالُ الّتِي وصَفَها عَنْ أكَلةِ الرِّبا إنْ كانَتْ عِبارةً عَنْ حالِتِهِم في الآخرةِ، فآل فِرْعَوْنُ في الآخِرةِ قَدْ أُدْخِلُوا أشَدَّ العَذابِ، وإنّما يُعْرَضُونَ على النّارِ غُدُوًّا وعَشِيًّا في البَرْزَخِ، وإنْ كانَتْ هَذِهِ الحالُ الّتِي رَآهُمْ عَلَيْها في البَرْزَخِ، فأيُّ بُطُونٍ لَهُمْ وقَدْ صارُوا عِظامًا ورُفاتًا، ومُزِّقُوا كُلّ مُمَزَّقٍ؟

فالجَوابُ: أنّهُ إنّما رَآهُمْ في البَرْزَخِ؛ لِأنّهُ حَدِيثٌ عَمّا رَأى، وهَذِهِ[٦] الحالُ

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ).
(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (هـ).
(٣) في (أ): «بالكافر»، وفي (ب): «الكفار».
(٤) في (ف): «من خارج».
(٥) في (أ): «فهذه».
(٦) في (أ): «في هذه».

هِيَ حالُ أرْواحِهِمْ بَعْدَ المَوْتِ، وفيها تَصْحِيحُ لِمَنْ قالَ: الأرْواحُ أجْسادٌ لَطِيفةٌ قابلةٌ لِلنّعِيمِ والعَذابِ، فيَخْلُقُ اللهُ في تِلْكَ الأرْواحِ مِنَ الآلامِ ما يجدُ مَن انتفخَ بطنُهُ حتى وُطِئَ بالأقْدامِ، ولا يَسْتَطِيعُ مِنْ قِيامٍ.

ولَيْسَ في هَذا الحَدِيثِ دَلِيلٌ على أنّهمْ أشَدُّ عَذابًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، ولَكِنْ فيهِ[1] دَلِيلٌ على أنّهُمْ يَطَؤُهُمْ[2] آلُ فِرْعَوْنَ وغَيْرُهُمْ مِنَ الكُفّارِ ـ الّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الرِّبا ـ ما دامُوا في البَرْزَخِ إلى أنْ يَقومُوا يَوْمَ القِيامةِ، كَما يَقُومُ الّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشّيْطانُ مِنَ المَسِّ، ثُمّ يُنادِي مُنادِي اللهِ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وكَذَلِكَ ما رَأى مِنَ النّساءِ المُعَلَّقاتِ بِثُدِيّهِنَّ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ رَأى أرْواحَهُنّ، وقَدْ خُلِقَ فيها مِنَ الآلامِ ما يَجِدُهُ مَنْ هَذِهِ حالُهُ، ويَحْتَمِلُ[3] أنْ يَكُونَ مُثِّلَتْ لَهُ حالُهُنّ في الآخِرةِ.

وذَكَرَ الّذِينَ يَدَعُونَ ما أحَلَّ اللهُ لهم مِنْ نِسائِهِمْ، ويَأْتُونَ ما حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وهَذا نَصٌّ على تَحْرِيمِ إتْيانِ النِّساءِ في أعْجازِهِنّ، وقَدْ قامَ الدَّلِيلُ على تَحْرِيمِهِ مِنَ الكِتابِ والسُّنّةِ والإجْماعِ.

وقَدْ ذَكَرْنا المَواضِعَ الّتِي يَقُومُ مِنْها التّحْرِيمُ على هَذِهِ المَسْألةِ مِنْ كِتابِ اللهِ، ومِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وذَكَرْنا ما جاءَ في ذَلِكَ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ: «هُوَ الكُفْرُ»، وقَوْلِ ابنِ عُمَرَ: «هي اللُّوطيّةُ الصُّغرى».

وأما الإجْماعُ، فإنّ المَرْأةَ تُرَدُّ مِن داءِ الفَرْجِ، [ولَوْ جازَ وطْؤُها في المَسْلَكِ

---

(١) في (ب): «هو».

(٢) في (أ)، (ب): «يطؤونهم».

(٣) في (ف): «ويحتمل أيضًا».

الآخَرِ ما أجْمَعُوا على رَدِّها بداءِ الفَرْجِ][١]، وقَدْ مَهّدْنا الأدِلّةَ على هَذِهِ المَسْألةِ مُفْرَدةً في غَيْرِ هَذا الكتابِ بما فيه شفاءٌ، والحمدُ للهِ.

فَصْلٌ

وَقَوْلُهُ: «فأكَلَ حَرائِبَهُمْ»؛ الحَريبةُ: المالُ، وهُوَ مِنَ الحَرَبِ، وهُوَ السَّلَبُ، يُريدُ: أنّ الوَلَدَ إذا كانَ لِغَيْرِ رِشْدةٍ نُسِبَ إلى الّذي وُلِدَ على فِراشِهِ، فيأْكُلُ مِنْ مالِهِ صَغيرًا، ويَنْظُرُ إلى بَناتِهِ مِنْ غَيْرِ أُمِّهِ، وإلى أخَواتِهِ ولَسْنَ بعَمّاتٍ لَهُ، وإلى أُمِّهِ ولَيْسَتْ بجَدّةٍ لَهُ، وهَذا فسادٌ كَبيرٌ، وإنّما قَدّمَ ذِكْرَ الأكْلِ مِنْ حَريبَتِهِ ومالِهِ قَبْلَ الاطِّلاعِ إلى[٢] عَوْراتِهِ، وإنْ كانَ الاطّلاعُ على العَوْراتِ أشْنَعَ؛ لأنّ نَفَقتَهُ عَلَيْهِ أوّلُ[٣] مِنْ حالِ صِغَرِهِ، ثُمّ قَدْ يَبْلُغُ حَدَّ الاطِّلاعِ على العَوْراتِ، أو لا يَبْلُغُ.

وأيْضًا فإنّ الأُمَّ إن أرْضَعَتْهُ بِلِبانِها، ولَمْ تَدْفَعْهُ إلى مُرْضِعةٍ كانَ الزّوْجُ أبًا لَهُ مِنَ الرَّضاعةِ، وكانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الابنِ مِنَ الرَّضاعةِ، وفي ذَلِكَ نُقْصانٌ مِنَ الشَّناعةِ، فإنْ بَلَغَ الصَّبيُّ، وتابَت الأُمُّ، فأعْلَمَتْهُ أنّهُ لِغَيْرِ رِشْدةٍ لِيَسْتَعِفَّ عَنْ مِيراثِهِمْ، ويَكُفَّ عَنِ الاطّلاعِ على عَوْراتِهِمْ، أوْ عَلِمَ ذَلِكَ بِقَرينةِ حالٍ، وجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وإلّا كانَ شَرَّ الثّلاثةِ [كَما جاءَ في الحَديثِ في ابنِ الزِّنى.

وقَدْ تُؤُوِّلَ حَديثُ: «شَرِّ الثّلاثةِ»][٤] على وُجُوهٍ، هَذا أقْرَبُها إلى الصَّوابِ؛ لِقَوْلِهِ[٥] عَلَيْهِ السّلامُ: «أكَلَ حَرائِبَهُمْ، واطّلَعَ على عَوْراتِهِمْ»، ومَنْ فَعَلَ هَذا

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في (ف): «على».

(٣) في (هـ): «أولا».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٥) في (ف): «كقوله».

عَنْ عَمْدٍ وقَصْدٍ فهُوَ شَرُّ النّاسِ، وإنْ لَمْ يَعْلَمْ فأكْلُهُ واطِّلاعُهُ شَرُّ عَمَلٍ، وأبَواهُ حِينَ زَنَيا فارَقا ذَلِكَ العَمَلَ الخَبيثَ لِحِينِهما، والِابنُ في عَمَلٍ خَبيثٍ مِنْ مَنْشَئِهِ إلى وفاتِهِ، فعَمَلُهُ شَرُّ عَمَلٍ.

وفي هَذا الحَدِيثِ مِنَ الفِقْهِ أيْضًا: أنّ حُكْمَ الحاكِمِ لا يُحِلُّ حَرامًا؛ وذَلِكَ أنّ الوَلَدَ في حُكْمِ الشَّرِيعةِ لِلْفِراشِ، إلّا أنْ يُنْفى باللِّعانِ، فإذا حَكَمَ الحاكِمُ بِهَذا، وعَلِمَ الوَلَدُ عِنْدَ بُلُوغِهِ خِلافَ ما حُكِمَ بِهِ، لَمْ يَحِلَّ لَهُ بِهَذا الحُكْمِ ما حَرّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أكْلِ الحَرائِبِ، والِاطِّلاعِ على العَوْراتِ.

وفي هَذا رَدٌّ لِمَذْهَبِ أبِي حَنِيفةَ؛ حيث ذهبَ إلى أنّ حُكْمَ الحاكِمِ قَدْ يُحِلُّ ما يُعْلَمُ أنّهُ حَرامٌ، مِثْلُ: أنْ يَشْهَدَ شاهِدانِ على رَجُلٍ أنَّهُ طَلّقَ، وهُما يَعْلَمانِ أنّهُ لَمْ يُطَلِّقْ، فقَبِل[1] القاضِي شَهادَتَهُما، فَيُطَلِّقُ[2] المَرْأةَ على الرّجُلِ، فإذا بانَتْ مِنْهُ كانَ لِأحَدِ الشّاهِدَيْنِ أنْ يَنْكِحَها، مَعَ عِلْمِهِ بِأنّهُ قَدْ شَهِدَ زُورًا.

ولَمْ يَقُلْ أبُو حَنِيفةَ بِهَذا القَوْلِ في الأمْوالِ؛ لِقَوْلِ النّبيِّ ﷺ: «لَعَلّ أحَدَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ بِحُجّتِهِ مِنْ صاحِبِهِ، فأقْضِيَ لَهُ على نَحْوِ ما[3] أسْمَعُ، فمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أخِيهِ فلا يَأْخُذْهُ؛ فإنّما[4] أقْطَعُ لَهُ قِطْعةً مِنَ النّارِ». ففي هَذا الحَدِيثِ مَعَ الّذِي تَقَدّمَ رَدٌّ لِمَذْهَبِهِ.

ولا حُجّةَ لَهُ في أنْ يَقُولَ: ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بالأمْوالِ؛ مِنْ وجْهَيْنِ: أحدهما: أنّ القِياسَ أصْلٌ مِنْ أُصُولِهِ، وقِياسُ المَسْألَتَيْنِ واحِدٌ. الثّانِي: أنّهُ قالَ: «مِنْ حَقِّ أخِيهِ»، ولَمْ يَقُلْ: مِنْ مالِ أخِيهِ. وهَذا لَفْظٌ يَعُمُّ الحُقُوقَ كُلَّها.

---

(١) في (ف): «فيقبل».

(٢) في (هـ): «فتطلق».

(٣) في (ف): «مما».

(٤) في (ف): «إنما».

قـالَ المُؤلِّـفُ رحمـه الله: وعِنْدِي أنَّ أبا حَنِيفـةَ رَحِمَهُ الله إنّما بَنى هَذِهِ المَسْألةَ على مذهبِهِ في طَلاقِ المُكْرَهِ؛ فإنّهُ عِنْدَهُ لازِمٌ، وإذا[1] أُكْرِهَ الرّجُلُ على الطَّلاقِ، وقُلْنا بلزوم الطَّلاقِ لَهُ، فقَدْ حَرُمَتِ المَرْأةُ عَلَيْهِ، وإذا حَرُمَتْ عَلَيْهِ، جازَ أنْ يَنْكِحَها مَنْ شاءَ، فالإثْمُ إنّما تَعَلَّقَ في هَذا المَذْهَبِ بالشَّهادةِ دُونَ النّكاحِ.

وقَدْ خالَفَهُ فُقَهاءُ الحِجازِ في طَلاقِ المُكْرَهِ، وقَوْلُهُمْ يَعْضُدُهُ الأثَرُ، وقَوْلُ أبِي حَنِيفةَ يَعْضُدُهُ النَّظَرُ، والخَوْضُ في هَذِهِ المَسْألةِ يَصُدُّنا عَمّا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ.

فصْلٌ

وذِكْرُهُ لِإدْرِيسَ[2] في السَّماءِ الرّابِعةِ مَعَ قولِ اللهِ سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧]، مَعَ أنّهُ قَدْ رَأى مُوسى وإبْراهِيمَ في [مَكانٍ][3] أعْلى مِنْ مَكانِ إدْرِيسَ، فذَلِكَ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ لِما ذُكِرَ عَنْ كَعْبِ الأحْبارِ: أنَّ إدْرِيسَ خُصَّ مِنْ جَمِيعِ الأنْبياءِ بأنْ رُفِعَ قَبْلَ وفاتِهِ إلى السّماءِ الرّابِعةِ، رَفَعَهُ مَلَكٌ كانَ صَدِيقًا لَهُ، وهُوَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بالشَّمْسِ ـ فيما ذكروا ـ وكانَ إدْرِيسُ سَألَهُ أنْ يُرِيَهُ الجَنّةَ، فأذِنَ اللهُ لَهُ في ذَلِكَ، فلَمّا كانَ في السّماءِ الرّابِعةِ رَآهُ هُنالِكَ مَلَكُ المَوْتِ، فَعَجِبَ وقالَ: أُمِرْتُ أنْ أقْبِضَ رُوحَ إدرِيسَ السّاعةَ في السّماءِ الرّابِعةِ. فقَبَضَهُ هُنالِكَ، فَرَفْعُهُ حَيًّا إلى ذَلِكَ المَكانِ العَلِيِّ خاصٌّ له دونَ الأنبياءِ[4].

---

(١) في (ب)، (ج)، (ف): «فإذا».

(٢) في (ب)، (ج): «إدريس».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٤) بعده في (ج): «وقيل: إنَّ المَلَك الذي كان صديقًا له ـ أي: لإدريس ـ هو المَلَك الموكَّل بالشمس، وإنَّ إدريس كان دعا الله أن يخفِّف عليه ثِقَل الشمس، فخُفِّفت عليه، فقال: أي ربِّ، ما هذا؟ فأعلَمَه أنَّ إدريس دعا له بذلك، فسأل اللهَ أن يأذنَ له في لقائه، والنزولِ إليه، فأذِنَ له».

فَصْلٌ

وذَكَرَ مِنْ قَوْلِ الأنْبياءِ لَهُ في كُلِّ سَماءٍ: مرحبًا بالأخِ الصّالحِ، وقال آدمُ وإبراهيمُ: بالِابنِ الصّالحِ.

وقَدْ ذَكَرْنا في أوّلِ هَذا الكِتابِ أنَّ في هذا الحديثِ حُجّةً لِمَنْ قالَ: إنّ إدْرِيسَ لَيْسَ بِجَدٍّ لِنُوحٍ ﷺ، ولا هُوَ مِنْ آباءِ رَسُولِ الله ﷺ؛ لِأنّهُ قالَ له مَرْحَبًا بالأخِ الصّالحِ، ولَمْ يَقُلْ: بالِابنِ الصّالحِ.

وأمّا اعْتِناءُ مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ بِهَذِهِ الأُمّةِ، وإلْحاحُهُ على نَبِيِّها أنْ يَشْفَعَ لَها، ويَسْأَلَ التّخْفيفَ عَنْها؛ فلِقَوْلِهِ عليه السلام ـ والله أعْلَمُ ـ حِينَ قُضِيَ إلَيْهِ الأمْرُ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ، ورَأى صِفاتِ أُمّةِ مُحَمّدٍ ﷺ في الألْواحِ، وجَعَلَ يَقُولُ: إنّي أجِدُ في الألْواحِ أُمّةً صِفَتُهُمْ كَذا، اللهمّ اجْعَلْهُمْ أُمّتِي. فيُقالُ[1] لَهُ: تِلْكَ أُمّةُ أحْمَدَ[2]. حتّى قال: [اللهمَّ][3] اجعَلْنِي مِن أُمّةِ أحْمَدَ. وهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ في التّفاسيرِ، فكانَ إشْفاقُهُ عَلَيْهِمْ، واعْتِناؤُهُ بِأمْرِهِمْ كَما يَعْتَنِي بِالقَوْمِ مَنْ هو منهم، لقولِهِ: اللهمَّ اجعَلْنِي منهم، واللهُ أعلمُ.

فَصْلٌ

وَمِمّا جاءَ في حَدِيثِ الإسْراءِ مِمّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ: ما وقَعَ في «مسندِ الحارثِ بنِ أبي أُسامَةَ»: أنّهُ ﷺ ناداهُ مُنادٍ وهُوَ على ظَهْرِ البُراقِ: يا مُحَمّدُ، يا مُحَمّدُ، فلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْهِ، ثُمّ ناداهُ آخَرُ: يا مُحَمّدُ، يا مُحَمّدُ، يا مُحَمّدُ[4] ثَلاثًا،

(١) في (أ)، (ج): «فقال»، وفي (ب)، (هـ): «فيقول».

(٢) في (ف): «محمد».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (هـ).

(٤) «يا محمد» ليس في (أ)، (ب)، (ف).

فلَمْ يُعرِّجْ عَلَيْهِ، ثُمّ لقِيَتْه امرأةٌ عَلَيْها مِنْ كُلّ زِينةٍ ناشِرةً يَدَيْها، تَقُولُ: يا مُحَمّدُ، يا مُحَمّدُ، حَتّى تَغَشَّتْهُ، فلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْها، ثُمّ سَألَ[1] جِبْرِيلَ عَمّا رَأى، فأخْبَرَهُ، فقالَ: أمّا المُنادِي الأوّلُ، فداعِي اليَهُودِ، لَوْ أجَبْتَه لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُك، وأمّا الآخَرُ، فداعِي النّصارى، لَوْ أجَبْتَه لَتَنَصّرَتْ أُمَّتُك، وأمّا المَرْأةُ الّتِي كانَ عَلَيْها مِنْ كُلِّ زِينةٍ، فإنّها الدُّنْيا، لَوْ أجَبْتَها لَآثَرْتَ الدُّنْيا على الآخِرةِ.

[تمَّ الجزء الثالث بعون الله تعالى ورِعايته][2]

---

(١) في (ف): «سأله».

(٢) هذه العبارة من صنيعنا. (ج)

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

❋ ❋ ❋